الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق – كلية الشريعة

قسم علوم القرآن والحديث

أثر العصر الأمويّ في الحديث

دِراسَةٌ نَقْدِيَّةٌ

أطروحة أُعدّتْ لنَيلِ دَرَجة الدكتوراه في الحديث النبويِّ وعلومِه

إعداد الطالب: نَجم شَحّود العلي

إشراف الدكتور: بَديع السيّد اللّحام

1434هـ/ 2013م

الإهـداء

إلى دمشق عـاصمة الأمـويّين

بمسجدها المطيّب بأنفاس العلماء والصالحين

بأبوابها السبعة التي أشرقت منها سرايا الفاتحين

بقلعتها التي كُسرت على أسوارها جحافلُ الغازين

بغوطتها المعروفة يوم الملحمة الكبرى بفسطاط المؤمنين

شكر

أتوجه بعد حمد الله تعالى وشكره

بالشكر الجزيل إلى

أساتذتي في كليّة الشريعة الذين أتاحوا لي الفرصة لتقديم هذه الأطروحة في رحاب هذه الجامعة العريقة.

و أخصّ بالشكر

مَن تفضّل عليّ بعلومه الثرّة ، ومنهجه الحصيف

في شتى مراحل دراستي الجامعية

ثمّ أكرمني بالإشراف على رسالة الماجستير، فحالفني فيها التوفيق، بفضل الله ثمّ بفضله، ثمّ أعانني على اختيار موضوع رسالة الدكتوراه، إلى أن آل الأمر إليه بالإشراف عليها، ثم نما البحث وتكامل على عينه

يحوطني بالنصح والتقويم كلما كبا القلم أو نبت الفكرة

سيدي فضيلة الأستاذ الدكتور بديع السيد اللحام

(سليل البضعة النبوية المباركة)

والشكر موصول لكل من أسهم في إنجاح هذا البحث ، راجيًا لهم من الله حسن المثوبة .

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ، فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ، فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وصلّى الله على خيرتِهِ مِن خَلقِهِ وصفوتِهِ من عِبادِهِ سيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصَحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بَعد:

فإنّ العلوم التجريبيّة تعتمد في إثبات صِدقيّتها على الأدوات البحثيّة المتوفّرة في كلّ عصر من العصور ونسبيّة تطورها، مما يجعلها قطعيّة في عصرٍ ما وربما باطلةً في عصر آخر؛ أمّا العلوم النظريّة وفي طليعتها العلوم التي تعتمد على الطرق النقليّة الروائيّة، فإنّ طبيعتها تتسمُ بالتراكميّة الزمنيّة بحيث يُؤثّر فيها عدد الرواة في أسانيدها ودرجاتهم في الحفظ والإتقان والميول والنــــزعات الشخصيّة لكلٍّ منهم.

والخبر يخضع في صيرورته التاريخيّة من مصدره إلى أن يتمّ تدوينه إلى تأثيراتِ المراحل والعصور التاريخية التي يمرّ بها.

واليوم بين أيدينا كميّات كبيرة من النصوص المرويّة التي تمثّل تراثنا النصيّ، وهو تراث يتسم بالغنى الكميّ والموضوعيّ، ولكنّه بحاجة إلى جهود مضاعفة لإعادة فرزه بحسب القوّة التوثيقيّة أو المصداقيّة التاريخيّة التي يمتلكها كلّ خبر.

وهذه الخطوة سوف تمنحنا فرصة لرفع كثيرٍ من إشارات الاستفهام، أو التعجب عن أخبار متعارضة، أو متشاكسة مع الطبيعة التاريخيّة للعصر الذي رُويت فيه تلك الأخبار.

وإذا كانت الجهود النقديّة ما تزال متواضعةً في هذا المجال، ولاسيما في أخبار التاريخ والأدب، فإنّ المرويّات الحديثيّة أخذت القسط الأعظم من البحث والدرس، واستطاع الجهد العلميّ الكبير لأهل الاختصاص في مراحل زمنيّة متعدّدة أن يُقدّم فَرْزًا جيّدًا لهذه المرويّات حسب مصداقيّتها.

ومع أنّ العلماء عُمومًا والمحدِّثين على وجه الخصوص بذلوا جهودًا جبّارةً في تنقية السنّة النبويّة من كلّ زائفٍ دخيلٍ عليها، وذلك عن طريق تمحيص الآثار ، وفحص الأخبار، وقدّموا منهجًا نقديًّا رصينًا لدراسة الأخبار من جهتي الإسناد والمتن؛ إلّا أنّ الصورة الكليّة لآثار تلك الجهود العظيمة تبدو اليوم أقلّ وضوحًا ، وأكثر غبشًا بفعل مدارس التشويش والتشويه الفكريّ التي أخذت على عاتقها أن تفسدَ في الأذهان كلّ صورةٍ مُشرقةٍ حَفل بها تاريخ أمّتنا المجيد، وقد سَلكَتْ تلك المدارس في تحقيق ذلك مسالك التشكيك في الحقائق القاطعة حتى لو كانت في وضوحها وجلائها كالشمس في رابعة النهار.

وبهذا الأسلوب التشكيكيّ القائم على الانتقائيّة في الاستدلال؛ يحاول أرباب هذه المدارس الفرار من المواجهة العلميّة للشبهات والشكوك التي أثاروها إلى الالتفاف عليها وفق رؤًى وتنظيراتٍ عامة تحاول أن تبلور تصوّرًا جديدًا ينسف كلّ ثوابت المنطق وحقائق التاريخ.

واليوم يقع على عاتق أهل الحديث حمل راية الانتصار للحقّ، كما حملها أسلافهم في العصور السابقة، عبر رصد هذه الأساليب التي تشوّش الأذهان، وتلوّث الأفهام، وتجعل أبناءنا فرائس سهلةً لكلّ من يكيد لديننا وأمّتنا وتاريخنا.

والعمل الجاد في هذا المضمار يقوم على أمرين:

الأوّل: ترسيخ منهج المحدّثين في دراسة التراث النصّي للأمّة، وتوجيه الباحثين للاعتماد على الثروة النقديّة النفيسة للمحدّثين في دراسة الأخبار التاريخيّة والأدبيّة لئلا يبنوا أحكامهم على الروايات المضلّلة، فيقعوا في شباك أهل الزيغ والأهواء .

الثاني: تفنيدُ هذه الشبهات، وعدم الاستهانة بها، ولو كانت في كتب التاريخ أو الأدب أو في كتب أهل الأهواء أو في كتابات المستشرقين، فإنّ الازدراء لآرائهم الباطلة والتجاهل لها ليس السبيل الأمثل في زمن تطوّرت فيه وسائل الاتصال، وشبكات المعلومات، واختلط فيه الغث بالسمين، لأنّ الصمت والتجاهل إزاء ذلك قد يُفسّر بالإقرار بصحّة آرائهم، أو بالعجز عن الردّ على شبهاتهم، في وقت ينتظر شبابُنا من مشكاة القرآن والسنّة ومضةً من نور الحقّ، تبدّد الأوهام المثارة جمعيها. كما قال تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ

فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } [الأنبياء: 18]، وكقوله عزّ من قائل: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ } [الرعد: 17]

وهذا البحث إنما هو خطوة في ترسيخ منهج المحدّثين في الدراسات المعاصرة، ولبنةٌ في إعادة كتابة تاريخنا، وفق تصوّر لا يقوم إلا على المنطق العقليّ السليم، والنقل الموثّق الصحيح، بعيدًا عن الأهواء المستحكمة، والآراء المسبقة.

ولا يخفى على المهتمين فضلًا عن الباحثين أهميّة العصر الأمويّ في الدراسات الحديثيّة لكونه يعدّ امتدادًا طبيعيًا للعصر الراشديّ مع مراعاة تبدّل الظروف السياسيّة، وما واكبها من تحولات اجتماعيّة واقتصاديّة، ونشوء مذاهب سياسيّة وعقديّة تركت آثارها في الإرث النصّي للأمّة، سواءً كان ذلك في التاريخ أو الحديث.

كما يكتسب العصر الأمويّ أهميّة خاصة لأنّه يقع حتمًا في القرون الثلاثة المشهود لها بالخيريّة، ولأنّ رجاله في الغالب من طبقات الصحابة، وأتباع الصحابة، وأتباع الأتباع، وهذا الأمر في غاية الأهميّة على مستوى الرواية بسبب قربه من عصر النبوّة وعلوّ الأسانيد فيه.

سبب اختيار البحث:

لقد كان لرسالة الماجستير -وهي بعنوان (عدالة الصحابة وأثرها في رواية الحديث- دراسة نقديّة مقارنة) والتي تقدّمت بها إلى كليّة الشريعة – جامعة دمشق، بإشرافٍ كريم من فضيلة الأستاذ الدكتور بديع السيّد اللّحام – كان لها دورٌ كبيرٌ في اختيار موضوع أطروحة الدكتوراه، وذلك لأنّ هذا البحث يتمّم ما بدأته في رسالة الماجستير في ردّ الشبهات المثارة حول عدالة الصحابة، وفي الأمويّين وولاتهم وعلماء عصرهم جمع غفير من الصحابة، كما أنّ الأمويّين كانوا غرضًا لسهام التشويه قديمًا وحديثًا، وقد استهدفت تلك السهام صميم إسلامهم، وإسلاميّة حكمهم، واتهمتهم بممارسة سلطانهم في تغيير الدين وتحريف الشريعة، وكتم السنن، وإرهاب الرواة، وشراء الذمم، وهذا ما دفعني لمواصلة الدراسة في تاريخ الأمويّين، وأثرهم في الحديث رواية ودراية، ولاسيما أنّ عصرهم ينتمي إلى الطور التأسيسيّ لعلوم الحديث.

وقد كنت اخترت خطةً للبحث بعنوان «العامل السياسيّ وأثره في رواية الحديث- الأمويون أنموذجًا» ثم كان مقترح مجلس القسم بتعديله إلى «أثر الحكم الأمويّ في الحديث- دراسةً نقديّة»، ثم تمّ تعديله مرة ثانية إلى «أثر العصر الأمويّ في الحديث- دراسة نقديّة» بناءً على توصية من مجلس الكليّة.

ولكلّ تعديلٍ وجهة نظرٍ تسوّغه، غير أنّ العنوان الذي استقرّ عليه البحث أوسع من مضمون الدراسة، بل يمكن لهذا العنوان العريض أن يشمل عددًا من رسائل الدكتوراه، في شتى جوانب العصر الأمويّ العقديّة، والسياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، ومع ذلك فقد حرصت على محاولة الإحاطة بالعنوان المقرر، حسب الإمكان، وبما يتناسب مع مقصد الدراسة التي نوقشت على أساسها خطة البحث المقدّمة، مع التركيز على الجانب السياسيّ والعقديّ بالدرجة الأولى، ودراسة مواقف الأمويّين بوصفهم حكام ذلك العصر من القضايا العقدية والسياسيّة في مناحي الرواية والدراية والسنن العمليّة.

أهميّة البحث:

ينتمي العصر الأمويّ- كما قلتُ سابقًا- إلى الطور التأسيسيّ لعلوم الحديث في الراوية الشفهيّة والتدوين للحديث النبويّ، وقد شهد تطوّرًا في مدارس الحديث روايةً ودرايةً، وبواكير نشوء مدارس الجرح والتعديل.

وقد أدّت التصوّرات التاريخيّة السياسيّة المزعومة الدورَ الأكبر في التأسيس لفرضيات العبث بالسنّة النبويّة في هذا العصر تحت مزاعم سطوة السلطان في تغيير الحقائق، أو كتمها، وتوظيف المال السياسي لتحقيق التغطية الشرعية للوضع السياسيّ القائم؛ كلّ ذلك حدث – وفق هذه المزاعم- في غفلة من علماء الأمّة، الذين أبدعوا مراهجهم في جمع الروايات الحديثيّة ونقدها في شتى علوم الحديث النبويّ على مادّة علميّة فعلت فيها أصابع العبث فعلتها، دون أن يفطنوا لها...!

وعليه فإنّ المشكلة المفترضة حينئذٍ ليست في البناء المنطقيّ لهذه العلوم ، وإنّما في الثوابت العلميّة والتاريخيّة التي استند إليها العلماء في تأسيس هذه العلوم، وهي ثوابت -وفق هذه

التصورات التاريخيّة السياسيّة المفترضة – لا تعدو أن تكون سرابًا بقيعة يحسبه الظمآن ماءً...!

وأهمية البحث تكمن في الأثر العظيم لهذا العصر فيما بعده، إذ مجرّد الشكّ بوجود دورٍ للأمويّين في العبث بالحديث باستعمال سلطانهم من خلال التأثير في الرواة ترغيبًا وترهيبًا أو شراءً للذمم أو كَمًّا للأفواه، كافٍ للتشكيك بمجموع الآثار والأخبار التي رويت في عصرهم، وهذا بالضرورة يعني الشكّ في مجموع الأحاديث المرويّة عن النبيّ ﷺ لأنّه لا يمكن عقلًا تجاوز رواة العصر الأمويّ في أسانيد هذه الأحاديث.

والتشكيك بالحديث النبويّ أمرٌ يطرب له أعداء السنن، من ملاحدةٍ، وعلمانيّين وأصحاب الأهواء.

وقناعتي الراسخة أنّ علماء الأمّة في ذلك العصر كانوا أكثر حصافةً في الرأي، وأعظم وعيًا لطبيعة الواقع السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ للأمّة عبر مسيرتها الفكريّة و صيرورتها الحضاريّة، من أن تمرّ عليهم هذه المزاعم الباطلة، ولذلك تناولوا العوامل المتنوّعة التي يمكن أن تؤثّر في الرواية، وتفرّعت على ذلك آراؤهم في الجرح والتعديل، وحكمهم بالضعف أو بالوضع على مرويّات يشتبه في نزاهة رواتها لقابليّتهم الخضوعَ لتلك العوامل وتأثيراتها.

أقول –مع ذلك كلّه– لابدّ من إعادة دراسة الوقائع التاريخيّة والروايات الحديثيّة مع التركيز على تلك العوامل التي جعلها المشكّكون عُمدةً في تصوّراتهم القاتمة ؛ متكئين في دراساتنا على التراث النقديّ العظيم الذي خلفه علماؤنا الأفذاذ رحمهم الله ، بحيث نؤسّس لمنهج نقديٍّ معاصر قادر على وضع التصوّرات المشكّكة تحت مجهر النقد العلميّ .

ولذا فقد جاء هذا البحث ليقدّم إجابات معاصرة على أسئلة جديدة في شكلها وبعض مضامينها عن عصر مهمٍّ في تاريخ الرواية الحديثيّة وفي تاريخ الأمّة الإسلاميّة عمومًا وهو العصر الأمويّ .

فلسفة البحث:

لقد قامت تلك التصوّرات السياسيّة على اتهام الأمويّين في دينهم تهمةً لا تطعن بالعدالة فحسب، بل تطعن في إيمانهم وعقيدتهم.

والبحث سوف يناقش بعقليّة نقديّة في الشكل والمضمون الذريعةَ الأهمَّ وهي التشكيك في حقيقة إسلامهم وموقفهم من الدعوة النبويّة على خلفية تصوّرات مغلوطة عن طبيعة علاقة الأمويّين ببني عمومتهم بني هاشم، حيث أُلبست جميع تصرّفات الأمويّين ثوب الأحقاد الجاهليّة، والثارات البدريّة...

ثمّ كان التركيز على طبيعة حكمهم هل كان حكمًا يرتكز على مبادئ الإسلام ويحفظ شعائره، أم كان حكمًا انقلابيًّا على الإسلام بمفاهيمه وشرائعه.

هذه الإجابة عن هذه الإشكالات هي التي تحسم الموقف من بني أميّة، فإن سلمت أحوالهم من هذه التّهم الخطيرة وهي الكفر أو الردة أو النفاق أو الزندقة، فقد آل حالهم إلى مسلمين كسائر المسلمين، أحوالهم تدور بين الفسوق والعدالة على مستوى الرواية، وأحكامهم بين الصواب والخطأ، وآراؤهم بين المقبول والمردود، وهنا يُوضع أيّ انحراف عن تعاليم الإسلام في دائرة الشخص الذي قام به، ولا ينسحب ذلك على الأسرة الأمويّة جميعها، أو الدولة الأمويّة بأسرها.

طبعًا هذا لا ينفي أن يكون للأمويّين أي أثر في الحديث، بل كان لهم أثر في الحديث روايةً ودرايةً، منها ما يُسجّل لهم كتدوين الحديث في مشروع رسميّ يُعدُّ الأوّلَ من نوعه ومنها ما يجب دراسته ونقده مما نسب إليهم من التأويلات أو التوظيفات السياسيّة لأحاديث بعينها، أوما اتهموا بوضعه، أو ما خالفوا فيه السنن العملية في المجال التطبيقيّ وغير ذلك مما سيقوم البحث بكشفه والتحقيق فيه.

وهكذا فالهدف من هذا البحث دراسة الشبهات التي لفّت تاريخ الأمويّين في عصرهم، وكذلك دراسة الشبهات التي تناولت الرواية في العصر الأموي وإخضاعها لأساليب نقديّة أصيلة، وأخرى تناسب روح العصر، ثمّ الكشف عن معالم تلك البصمة التي تركها عصرهم على الرواية الحديثية، وبيان نوع الأثر السلطويّ للأمويّين في الحديث وحجمه ، ومدى قدرة علماء الحديث على رصد حركة النصوص الحديثيّة في العصر الأمويّ وتمييز الأحاديث المقبول منها من المردود..

الجهود والدراسات السابقة :

الحقيقة أنّ الدراسات العلميّة التي عالجت أثر الجانب السلطويّ في الحديث، تُوسم بالقلّة أو الندرة؛ وهذا ما يكسب البحث لونًا مميّزًا.

وقد كان للأقدمين جهود كبيرة في هذا الشأن ولكنها لم تتسم بالتخصص، وإنّما وردت مفرّقة في كتب علماء الحديث في العلل والرجال والمصطلح، عبر نقدهم لرواية أهل الأهواء،وفي دراساتهم لأسباب وضع الحديث.

وكذلك فإنّ أحاديث الإمامة استحوذت على اهتمام علماء الحديث في وقت مبكّر، سواءٌ في مجال كشف الوضع في هذا المجال بدوافع التعصب المذهبيّ والتحزب السياسيّ أم في الردّ على التأويلات السياسية لنصوص الإمامة.

وأمّا حديثًا فلم أجد في الدراسات الأكاديمية المعاصرة دراساتٍ في هذا الشأن، ولكن من خارج دائرة البحث العلمي المتخصص ثمّة من عرّج سريعًا على بعض المواضيع المهمّة المتصلة بهذا البحث، منهم المستشار عبد الجواد ياسين في كتابه" السلطة في الإسلام- العقل الفقهيّ السلفيّ بين النصّ والتاريخ" [١]وقد قدّم فيه مقاربة جيدة بين سلطة النصّ ونصّ السلطة في العصرين الأمويّ والعباسيّ وعرض فيه لجملة من الأحاديث المتعلّقة بالفتنة والإمامة، ولكنه لم يستطع أن يخرج عن رؤيته الخاصة المسبقة التي حاول أن يبرهن عليها من خلال بحثه[٢].

ومنهم من حاول استيعاب جزئيّة من جزئيّاته كما فعل محسن عبد الناظر في بحثه " مسألة الإمامة والوضع في الحديث عند الفرق الإسلامية " [٣] ولكن دراسته كانت توصيفيةً، يعوزها النقد العلميّ للموضوعات من جهتي السند والمتن.

وإذا كان الأدباء والمؤرّخون المعاصرون قد سبقوا إلى ربط كتاباتهم بالعصور السياسيّة، فإنّ البحث يشقّ طريقه في حقلٍ بِكرٍ، فهو يمتاز بسبقه في دراسة أثر العصور السياسيّة للحضارة الإسلامية في ميدان الحديث النبويّ.

---

(١) الناشر المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، ط1 -1998م.

(٢) وهي قائمة على فكرة علمانية الدولة في الإسلام، ولذا يحاول أن يبرهن على أنّ السنة طرأ عليها زيادات بفعل العامل السياسيّ في العصرين الأمويّ والعباسيّ، وهي بزعمه التي رسمت السياسة الإسلامية وأعطتها الصبغة التشريعية.

(٣) الناشر: الدار العربية للكتاب -طبعة عام 1983م.

منهج البحث:

المنهج الذي اتبعته منهج استقرائيّ نقديّ يُعنى بجميع النصوص التي كان للأمويّين أثر فيها، أو زُعم أنّ لهم أثرًا فيها ، ولجميع الأحداث التي تكشف عن تدخّل سلطويّ أمويّ في الحديث يُسجّل لهم أو يُسجّل عليهم.

وسوف يعتمد النقد على محاكمة الروايات إلى منهج المحدِّثين في النقد، سندًا ومتنًا، ومناقشة جميع الخيارات وفق المنطق العقليّ والنسق التاريخيّ التي جاءت في سياقه.

وهذا النمط من الدراسات يحتاج إلى دراسة أكاديميّة محايدة تبتعد عن سخونة الجدل العقديّ والعصبيّة المذهبيّة وتناقش الأمور من جميع جوانبها لمعرفة دور الأمويّين في مجال السنّة النبويّة روايةً ودرايةً، والكشف عن مدى صدقيّة التّهم الموجّهة إليهم ، وذلك للوصول إلى تصور صحيح عن تلك الفترة المهمّة من تاريخنا، وعن أثر تلك العائلة القرشيّة في ما بين أيدينا من سنن وآثار .

وهنا لابدّ أن نذكّر بأنّ منهجنا في الدراسة والنقد مستمدٌّ من أوامر القرآن الكريم للمؤمنين بالتحريّ عند الاشتباه وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: 6]

وبالعدل مع من نُحب ومع من نكره وذلك في قوله تعالى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة: 8]

وقوله سبحانه: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى } [الأنعام: 152]

وأمّا منهجي التفصيليّ في هذه الأطروحة فقد حرصت لدى عرضي للأدلّة على تقديمها بأوضح صورة ، ومن أوثق المصادر المعتمدة عند المدارس الفكريّة والسياسيّة والمذهبيّة التي تناولها البحث.

وأدرس الأخبار التاريخيّة التي يحتجّ بها المخالفون، وفق منهج الحلدّثين، فأفصّل فيها حيث يقتضي الأمر البيان، وأجمل الحكم عليها في عموم البحث.

أمّا تخريج الأحاديث فالمرجع فيها الصحيحان أو أحدهما ، فإن لم أجد الحديث رجعت إلى كتب السنن، فإن لم أجده فيها ، فمسند أحمد، فإن لم أجده فمن مصنفات السنّة حيث وجدته .

وأبيّن الحكم على الحديث من المصادر المعتبرة، وإذا نقلت كلامًا لأحد أهل العلم دون تعقيب أو استدراك عليه، فهذا يعني تسليمي له بما قال، وإلّا ناقشت قوله وأثبتّ رأيي في الحديث، فإن لم أجد فيه حُكمًا درستُ سنده في ضوء القواعد المتّبعة في دراسة الأسانيد ، وأسجّل خلاصة الحكم على الحديث، ولا أدوّن تفاصيل الدارسة في البحث إلا حيث يوجب المقام ذلك .

كما أنّني أترجم ترجمةً لطيفةً للأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث، ممن لهم صلة بالمسألة المدروسة، وللأعلام الذين يمكن أن يلتبس أمرهم[(١)].

وفي مجال الجرح والتعديل فالعمدة عندي كلام ابن حجر في التقريب فإن كان لي اعتراض عليه ناقشت قوله وبيّنت الصواب فيه لديّ.

وقد قمت بإعداد فهارس فنيّة للآيات والأحاديث والآثار التي وردت في البحث، وفهرس لمراجع البحث ومصادر ه، وفهرس للأعلام المترجَم لهم، وأخيرًا ثمّة فهرس عامّ للمواضيع التي تضمّنها البحث .

صعوبات البحث:

أهمّ الصعوبات هي تشعّب مواضيع البحث لأنّ إضافة الأثر إلى عصر بأسره يجعل البحث مطالبًا بتغطية كثير من الجوانب التي تبتعد عن جوهر البحث كالجوانب الاقتصادية والاجتماعية في العصر الأمويّ.

---

(١)بعض الرموز المستعملة في التر اجم، والمستفادة من ابن حجر في التهذيب و التقريب، وهي: ع : أخرج حديثه أصحاب الأصول الستة، **4**: أخرج حديثه أصحاب السنن الأربعة، **خ** : أخرج حديثه البخاري، **خت**: البخاري معلقاً ، **بخ**: البخاري في الأدب المفرد ، **عخ** : البخاري في خلق أفعال العباد، **ر** : البخاري في جزء القراءة ، **ي**: البخاري في رفع اليدين، **م**: أخرج حديثه مسلم ، **د**: أبو داود، **مد** : أبو داود في المراسيل، **صد**: أبو داود في فضائل الأنصار، **خد**: أبو داود في الناسخ ، **قد** : أبو داود في القدر ، **ف** : أبو داود في التفرد ، **ل** : أبو داود في المسائل، **كد** : أبو داود في مسند مالك، **ت**: الترمذي في السنن، **تم**: الترمذي في الشمائل، **س**: النسائي في السنن، **عس**: النسائي في مسند علي، **كن**: النسائي في مسند مالك، **ق** : ابن ماجه في السنن ، **فق** : ابن ماجه في التفسير .

وقد تجاوزت هذا الأمر بالأخذ برأي الأستاذ المشرف في التركيز على المقصد الأساسيّ للدراسة، وهو الكشف عن أثر الحكم الأمويّ في الحديث، لأنّ العصر نُسب إليهم لحكمهم الدولة الإسلاميّة في ذلك العصر.

ومن الصعوبات التي واجهتني دراسةُ أسانيد الروايات التاريخيّة أو الأدبيّة وهي في الغالب تفتقر إلى الدقّة في ضبط الأسماء، وتعتمد في غالبها على الكنى، وقد يستعمل المؤرّخ أسلوب الإسناد الجمعيّ، وفيها كثيرٌ من الرجال ممن يتبيّن لاحقًا بعد طول تفتيش أنّهم مجاهيل لا ذكر لهم في كتب الرجال.

وكذلك فإنّ جدّة موضوع البحث، أوقفتني على شحّ الدراسات والمراجع المتخصصة في هذا الشأن، وقد تجاوزت ذلك بالجدّ في البحث مع التوكل على الله في أن يهديني السبيل الأمثل لإخراجه بصورة حسنة، ومضمون علميّ دقيق.

خطة البحث:

يقوم البحث على مقدّمة وتمهيدٍ وثلاثة أبواب وخاتمة.

المقدّمة: بيّنت فيها أهمية البحث وأسباب اختياري له، والجهود والدراسات السابقة مع الصعوبات التي واجهتني في أثناء إعداده، وهدف البحث، ومنهجه، وخطّة البحث.

والتمهيد: خصّصته لبيان مفهوم العصر الأمويّ.

وحيث إنّ البحث يتشعّب إلى شقّ تاريخيّ يضعنا أمام تصوّر عن العصر الأمويّ عمومًا وعن الأسرة الأمويّة الحاكمة خصوصًا، وشقّ حديثيّ يتناول أثر ذلك العصر بصبغته الأمويّة في الحديث روايةً ودرايةً .

فقد كان **الباب الأوّل بعنوان: الشبهات حول حقيقة إسلام الأمويّين، وإسلاميّة دولتهم في ميزان النقد العلمي** : وهو يهدف إلى تقديم إحاطة عن علاقة بني أميّة عمومًا، وخلفائهم وولاتهم خصوصًا بالإسلام، وعن إسلاميّة الدولة الأمويّة نفيًا أو إيجابًا، مع الإجابة عن جميع الشبهات المثارة في هذا الموضوع قديمًا وحديثًا.

وقد جاء هذا الباب في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: العصر الأمويّ في الرِّوايات والكتابات التاريخيّة: وهو يدرس المنهج الصحيح لدراسة التاريخ، ونقد الروايات، ويبيّن أسباب تشويه تاريخ الأمويّين.

الفصل الثاني:الأسرة الأمويّة في الجاهليّة والإسلام : وفيه تفنيدٌ للشبهات حول علاقة بني أميّة ببني عمومتهم بني هاشم في الجاهلية والإسلام، ثمّ دراسة دقيقة عن موقف الأمويّين من الإسلام.

الفصل الثالث: نقد الشبهات حول حقيقة إسلام الأمويّين وإسلاميّة دولتهم : وقد درستُ فيه رواياتٍ طعنتْ في إسلام كبار شخصيّات بني أميّة، وبيّنت الكذب فيها، ثمّ درست جملةً من الطعون التي قيلت في إسلاميّة حكمهم.

أمّا الباب الثاني : فكان بعنوان **أثر العوامل العقدية والسياسية في الحديث النبويّ في العصر الأمويّ:** وقد خصّصته لدراسة الأثر الذي تركه الأمويّون في عصرهم في الحديث. وجاء في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أثر العامل العقدي في الحديث في العصر الأمويّ: تعرّضت فيه للمذاهب العقديّة في العصر الأمويّ وتهمة الأمويّين بتأّييد مذهبي المرجئة والجبريّة، ومحاربة القدريّة، ثمّ بيّنت الموقف الدقيق للأمويّين منهم، مع أثر ذلك في الحديث.

الفصل الثاني: أثر العامل السياسيّ في الحديث درايةً: وقد تناولت فيه المباحث التالية:

المبحث الأوّل: الردّ السياسيّ للحديث .

المبحث الثاني : التأويل السياسيّ للحديث .

المبحث الثالث: التوظيف السياسيّ للحديث.

الفصل الثالث: أثر العصر الأموي في الحديث روايةً: تناولت فيه

المبحث الأوّل: دور الخلافة الأمويّة في الرواية الشفاهيّة.

المبحث الثاني: المشروع الرسمي الأوّل لتدوين الحديث.

المبحث الثالث: أثر السلطان الأمويّ في كتم الحديث.

الباب الثالث: الوضع والتبديل في الحديث والسنن العمليّة: وقد جاء في فصلين:

الفصل الأوّل: الوضع في العصر الأمويّ

المبحث الأوّل: الوضع في العصر الأمويّ ــ (أدلّة وقوعه، وأسبابه، ودوافعه، وأبوابه)

المبحث الأوّل: دراسة نقديّة لجملة من الأحاديث الموضوعة في هذه الأبواب ومدى صحّة نسبتها إلى العصر الأمويّ.

المبحث الثالث: مواقف مهمة لبعض المحدّثين من فضائل معاويةﷺ ومثالبه.

الفصل الثاني: تبديل الأمويّين في الجانب التطبيقي للسنة النبوية:

المبحث الأوّل: التبديل في المستوى النظريّ

المبحث الثاني: التبديل في الجانب التطبيقي للسنة النبويّة

خاتمة: بيّنت فيها نتائج البحث.

وأخيرًا: هذه الأطروحة الآن بين أيديكم، وقد استغرق إنجازها ما يزيد على أربعِ سنواتٍ، كانت حافلةً بالأحداث والابتلاءات التي كادت –لولا لطف الله تعالى وعونه– تذهب بالبحث إلى خزانة الإهمال وأدراج النسيان.

سنوات سرى إليّ فيها فتور في الهمّة وضعف في العزيمة، وشتات في الذهن، مع طول الطريق، وبعد الغاية، ولكنّ الله تعالى أعان على ذلك بروح منه جدد النشاط، وبارك باليسير، واختصر المراحل في الزمن القصير، فو الله لو أسلمني لنفسي لكنت الآن أندب عاثر حظي، لكنّه إذا أراد أمرًا هيّأ أسبابه، فله الحمد في الأولى وفي الآخرة.

وإذا كان العلماء الأجلاء لا يُنــــزّهون عن الخطأ والنسيان، فما الظنّ بمن هو على شاكلتي في الجهل وضعف الخبرة والدراية؟! فلا غرو حينئذٍ أن يكون ما في هذا البحث من صواب هو فضلٌ وتوفيق الله تعالى، وأمّا ما سوى ذلك من خطأ أو زلل فمن نفسي

والشيطان.

والله أرجو أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يكافئ بخير كلّ من كان له يدٌ في إنجاز هذه الدراسة، وأخصّ بالذكر فضيلة الدكتور بديع السيّد اللحام الذي تكرّم بالإشراف على رسالتي، وهو في الأصل من قبل مني فكرة البحث وشجعني عليها ثمّ عادت بعد حين إليه ليكون المشرف عليها، فكان -والله- نعم المرشد والمشرف والدليل.

ثم أسأل ربي -جلّ في علاه- أن يتقبّل مني هذا العمل ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعل ثوابه في صحيفتي والديّ حفظهما الله وأسبغ عليهما من فضله وبركاته.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: 41]

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: 19]

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: 15]

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: 74]

والحمـــد لله ربّ العـــالمين

***

تمهيد

العصر الأمويّ: هو تلك المدّة الزمنيّة(١) التي بدأت عامَ الجماعة (41هـ) بتنازل الحسن ابن علي رضي الله عنهما لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما عن الخلافة، واستمرّت إلى أن تقوّضت دولة بني أمية سنة 132 هـ على أيدي خصومهم العباسيّين .

وقد دام واحدًا وتسعين عامًا هجريًّا (41-132هـ) - تسعةً وثمانين عامًا ميلاديًّا (661-750 م). وتولى الخلافة خلالها أربعة عشر خليفة: أوّلهم معاوية بن أبي سفيان، وآخرهم مروان بن محمد الجعديّ.(٢)

وهذا مسرد لخلفاء بني أميّة :

من الفرع السفياني:

١ -معاوية بن أبي سفيان: ومدّة حكمه من سنة 41 إلى سنة 60 للهجرة.

٢ -يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: ومدّة حكمه من سنة 60 إلى سنة 64 للهجرة.

٣ -معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية: ومدّة حكمه دون ثلاثة أشهر سنة 64 للهجرة.

ومن الفرع المرواني:

٤ - مروان بن الحكم:ومدّة حكمه من سنة 64إلى سنة 65 للهجرة نحو عشرة أشهر.

٥ - عبد الملك بن مروان: ومدّة حكمه من سنة 65 إلى سنة 86 هـ.

٦ - الوليد بن عبد الملك: ومدّة حكمه من سنة 86 إلى سنة 96 هـ.

٧ - سليمان بن عبد الملك: ومدّة حكمه من سنة 96 إلى سنة 99 هـ.

٨ - عمر بن عبد العزيز: ومدّة حكمه من سنة 99 إلى سنة 101 هـ.

٩ - يزيد بن عبد الملك: ومدّة حكمه من سنة 101 إلى سنة 105 هـ.

---

(١)يُطلق العصر عند العرب على الدّهر، ويُثنّى العصر فيُقال عصران؛ والعَصْران: اللّيل والنهار ؛ والعصران الغداة والعشيُّ، وكذلك صلاة الفجر وصلاة العصر من باب التغليب، وجمعه أَعْصُرٌ وأَعْصار وعُصْرٌ وعُصورٌ. فالعصر مُدّة زمنيّة تقصرُ وتطول بحسب استعمالها في سياق الكلام أو بحسب إضافتها. يُنظر مقاييس اللغة - (4 / 274-275) ، تحقيق عبد السلام هارون - طبعة اتحاد الكتاب العرب 1423هـ/2002م، ولسان العرب (4 /575)، لمحمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر - بيروت، ط1.

(٢)تاريخ الدولة الأموية- د. محمد سهيل طقّوش، دار النفائس- بيروت ، ط2 - 1418هـ / 1998م. ص15 .

١٠ -هشام بن عبد الملك: ومدّة حكمه من سنة 105 إلى سنة 125 هـ.
١١ -الوليد بن يزيد بن عبد الملك: ومدّة حكمه من سنة 125 إلى سنة 126 هـ.
١٢ -يزيد بن الوليد بن عبد الملك المعروف بالناقص: ومدّة حكمه بضعة أشهرٍ من سنة 126 هـ.
١٣ -إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك: ومدّة حكمه سبعون يومًا.
١٤ -مروان بن محمد بن مروان بن الحكم: ومدّة حكمه من سنة127إلى سنة132هـ.

والمهم أن نعلم أنّ العصر الأمويّ يمثّل بيئة البحث والظرف التاريخيّ له.

استعمال مصطلح العصر الأمويّ في الدراسات التاريخيّة والحديثيّة:

لقد أشرت في مقدمة البحث إلى أنّه من أهمّ مقومات الجدّة في هذا البحث أنّه يقدّم دراسة حديثيّة لمدّة زمانيّة تمّ تحديدها على أساس سياسيّ بحت.

ولكنّ اللّافت حقًّا أنّ الأمر مُحدث حتى على مستوى المصنّفات التاريخيّة عند مؤرخي الإسلام، وهذا يطرح علينا السؤال التالي: **متى بدأت دراسة التاريخ الإسلامي بطريقة العصور السياسيّة؟**

وللجواب: علينا أن نعلم أنّ الأقدمين درسوا التاريخ الإسلامي بطرائق مختلفة أهمها:

١ -الحوليات : وهي تؤرّخ للأحداث التاريخية سنةً سنةً:

ويُعد كتاب التاريخ أو ما يُعرف "بتاريخ خليفة" (١) لخليفة بن خياط اللّيثيّ العصفريّ (ت نحو 240هـ) أقدم كتاب بين أيدينا للتاريخ الإسلامي مرتّب على الحوليات (٢)، وهو أوّل من سلك هذا المنهج حيث بدأ بتأريخ أحداث السنة الأولى للهجرة ، ثم الثانية، والثالثة، وهكذا .. إلى سنة تسع وعشرين ومائتين.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ.

(٢)يُنظر التاريخ العربي والمؤرخون(235/1-236) لشاكر مصطفى، دار العلم للملايين- بيروت ،ط3-1983م.

ثمّ نسج كثير من المؤرخين على منوال خليفة في تاريخه، وأهمّهم شيخ المؤرخين ابن جرير الطبريّ (ت 310هـ) في تاريخه الشهير [(١)]حيث رتّب تاريخ الإسلام على الحوليّات سنةً سنةً إلى أحداث آخر سنة في كتابه فيقول: « ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثمائة» . [(٢)]
وكذلك فعل كلّ من:
-عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزيّ أبو الفرج (ت597 هـ)في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)[(٣)] الذي أرّخ إلى سنة 574هـ.
- والحافظ ابن كثير (ت 774 هـ) في كتابه (البداية والنهاية) حيث أرّخ إلى سنة 767هـ.
- وابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكريّ الحنبليّ (ت 1089هـ) في كتابه (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)[(٤)] على هذه الطريقة مبتدئًا بالسنة الأولى لهجرة النبيّ ﷺ إلى سنة ألفٍ للهجرة.

2-الطبقات[(٥)]: وهي تؤرّخ للرجال اعتمادًا على صفةٍ معيّنةٍ تجمعهم. والمشهور عند المُحدِّثين تقسيم الرواة إلى طبقات بقطع النظر عن العصر السياسيّ الذي عاشوه فقد تمّ تقسيمهم إلى صحابة وتابعين وتابعي تابعين وهكذا..

وهذا التقسيم يظهر واضحًا في كتب الإمام ابن حبّان البستيّ (ت354 هـ) حيث

---

(١)تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢)تاريخ الطبري (679/5).

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر - بيروت ،ط1: 1358هـ.

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، دار بن كثير - دمشق – 1406هـ، ط1، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط.

(٥) الطبقات جمع مفردها طبقة وهي لغةً بمعنى المنـــزلة والرتبة، يُنظر الفائق في غريب الحديث (235/1) للزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – لبنان ، ط2.
واصطلاحاً: قوم تقاربوا في السن والإسناد أو في الإسناد فقط؛ بأن يكون شيوخ هذا هم شيوخ الآخر، أو يقاربوا شيوخه، أو قد تجمع بينهم صفة يشتركون فيها مثل الصحبة. يُنظر علوم الحديث لابن الصلاح (ص 357) تحقيق نور الدين عتر ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، ط2: 1972م ،وفتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي (367/3) دار الكتب العلمية - لبنان ، ط1: 1403هـ.

قسّم الرواة في كتابيه " الثقات " [١]، و " مشاهير علماء الأمصار"[٢] إلى ثلاث طبقات هم: الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين، فصارت الطبقة هنا تعني الجيل أو القرن.[٣]

أمّا **الصحابة** – وهم الطبقة الأهمّ في دراسة العهد الراشدي والعصر الأموي – فقد اختلف العلماء في عدد طبقاتهم ما بين مقلّ و مكثر، واختلافهم في ذلك مبنيٌّ على اختلاف أنظارهم فيما يتحقق به معنى الطبقة عندهم .

وكان لهم في ذلك مسلكان:

المسلك الأول:اعتبار الصحابة جميعًا طبقة واحدة، مثل ما فعل خليفة بن خياط العصفريّ(ت240 هـ) في كتابه (الطبقات) حيث ذكر الصحابة بحسب درجة قرابتهم من النبيّ ﷺ ، وأسلم بن سهل الواسطيّ المعروف ببحشل (ت 292 هـ)محدّث (واسط) في عصره وذلك في كتابه " تاريخ واسط "، والإمام أبو حاتم ابن حبّان البستيّ (ت 354 هـ) في كتابه " الثقات "، والحاكم النيسابوريّ (ت 405 هـ) في كتابه " تاريخ نيسابور ".

و**المسلك الثاني**: تقسيم الصحابة ﷺ إلى طبقات وفق اعتبارات عدّة؛ وقد تنوعت تقسيّماتهم لذلك:

١. منهم من جعل الصحابة **خمس طبقات**، و ممن جرى على هذا القول محمّد بن سعد(ت 230 هـ) في كتابه" الطبقات الكبرى " وقلّده ابن الجوزيّ ت(597 هـ) في كتابه صفة الصفوة .

٢. ومنهم من جعل الصحابة **اثنتي عشرة طبقة**: :وهو الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوريّ ت(405 هـ) في كتابه "معرفة علوم الحديث".

---

(١)الثقات، تأليف: محمد بن حبّان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر، ط1،1395هـ/ 1975م.

(٢)مشاهير علماء الأمصار، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: م. فلايشهمر ، دار الكتب العلمية – بيروت – 1959م.

(٣)يُنظر تقديم الدكتور بشار عواد معروف على سير أعلام النبلاء – (1 / 98) تحقيق:مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3: 1405 هـ / 1985 م.

٣. ومنهم من جعل الصحابة **سبع عشرة طبقة:** وهذا ما فعله الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغداديّ، في كتابه أصول الدِّين [١].

وأما التابعون وأتباع التابعين فقد تمّ تصنيفهم إلى طبقات متنوّعة بحسب المعيار الذي يعتمده المصنِّف.

والظاهر أنّ خليفة بن خياط (ت 240هـ) في طبقاته وابن سعد (ت230 هـ) في "الطبقات الكبرى" هما أوّل من درس التاريخ على أساس الطبقات.

- أمّا خليفة فكان قصده استيعاب تراجم من حفظ حديث الرسول ﷺ فيذكر أسماءهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم وأوطانهم وسنيّ وفياتهم [٢]، فبدأ كتابه بنسب الرسول ﷺ، ثمّ عطف على قريش فبدأ ببني هاشم مفتتحًا بالعباس عمّ النبي ﷺ، ثم أتمّ ببقيّة الهاشميين ومواليهم وحلفائهم ، ثم بني المطلب بن عبد مناف، ثمّ بني نوفل بني عبد مناف، ثمّ بني عبد شمس بن عبد مناف؛ فهذه البطون هي الأقرب نسبًا لرسول الله ﷺ إذ يلتقي بهم في جدّ جده عبد مناف، ثم تناول سائر بطون قريش بطنًا بطنًا؛ ثم ألمّ بسائر القبائل المضريّة فالعدنانيّة ؛ وبعد ذلك بدأ بالصحابة من القبائل اليمانيّة، وهذا يعني أنه رتّب الصحابة وفق أنسابهم وقرابتهم من رسول الله ﷺ؛ وكذلك فعل في التابعين في التقسيم حسب القبائل والنسب والأمصار .[٣]

  وقد خصص خليفة الجزء الأخير من طبقاته ليستوعب طبقات النساء ممن حفظن حديث الرسول ﷺ فذكر نساء بني هاشم مبتدئًا بالسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ثم ذكر النساء من بني عبد شمس بن عبد مناف ثم سائر بطون قريش ثم باقي القبائل المضريّة ثمّ اليمانيّة[٤].

- وأمّا ابن سعد فقد قسّمهم وفق سابقتهم ومنازلهم في الإسلام حيث بدأ كتابه بأنْ

---

(١) يُنظر أصول الدين، عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ، مطبعة الدولة – استانبول ، ط 1، 1346هـ/1928م . (ص 298-303).

(٢) يُنظر طبقات خليفة (ص 25).تحقيق: د.سهيل زكار، دار الفكر- بيروت- لبنان -1993م- 1414هـ.

(٣) يُنظر طبقات خليفة - (1 /12- 13)- مقدّمة المحقق د. سهيل زكار.

(٤) يُنظر طبقات خليفة (ص 619- 643)

خَصص المجلد الأول والثاني في السيرة والشمائل ، وجعل الثالث لتراجم أهل بدر ونقباء الأنصار وهم الطبقة الأولى من المهاجرين والأنصار؛ والرابع للحديث في ذكر الصحابة والتابعين وقسّمهم على الأمصار التي نزلوها حسب طبقاتهم ،فبدأ بالطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار ممن لم يشهد بدرًا ولهم إسلام قديم ، ثم الصحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة [١]، وجعل الخامس لتابعي المدينة ثم للصحابة والتابعين في مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين [٢]؛ والسادس للصحابة والتابعين من أهل الكوفة ، والسابع للصحابة والتابعين في البصرة والشام ومصر وخراسان وبقية الأمصار الإسلاميّة[٣]، والثامن للنساء الصحابيات.[٤]

وبالنظر في تعداد الطبقات عند ابن سعد و عند خليفة نجد أنّها مختلفة ، فطبقات أهل البصرة مثلًا عند ابن سعد ثماني طبقات، وعند خليفة اثنتا عشرة طبقة، وأهل الكوفة عند ابن سعد تسع طبقات، وعند خليفة إحدى عشرة طبقة ، وأهل الشام عند ابن سعد ثماني طبقات، وعند خليفة ست طبقات .

وهذه التقسيمات في كتابي خليفة وابن سعد جمعت مفهوم الطبقة كمدّة زمنية تمّ تخصيصها إما بالنسب القبليّ أو السابقة في الإسلام أو الأمصار والمدن التي نزلوها.

ويعدّ الإمام الذهبيّ رحمه الله في طليعة من صنّف في كتب التاريخ والرجال متبعًا نهج الطبقات غير أنّه لم يلتزم وحدةً زمنيّةً صارمةً في طبقاته، بل قد تتفاوت تفاوتًا كبيرًا من طبقة إلى أخرى، وهذا واضح في كتبه (تذكرة الحفاظ) ، و (المُعين في طبقات المُحدِّثين)، و غيرها..

3- التأريخ بحسب المدن والأقاليم أو ما يُعرف بالتقاويم:

هذه الطريقة في التأريخ للرجال بحسب أمصارهم والتي بدأها خليفة وابن سعد في

---

(١) يُنظر الطبقات الكبرى لابن سعد (5/4) . طبعة دار صادر- بيروت.

(٢) يُنظر المرجع السابق (5/5).

(٣) يُنظر المرجع السابق (3/7).

(٤) يُنظر المرجع السابق(3/8).

طبقاتهما ستصبح فيما بعد طريقةً مستقلةً متخصصة بمدينة بعينها أو إقليم بعينه، فقد صنّف على هذه الطريقة أسلم بن سهل الرزاز الواسطيّ المعروف بــ **بحشل** (ت 292 هـ) في كتابه " تاريخ واسط"، والحاكم النيسابوريّ [1](ت 405هـ) في كتابه" تاريخ نيسابور"، وحمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجانيّ (ت 427هـ) في كتابه " تاريخ جرجان"، وأبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران المهرانيّ الأصبهانيّ (ت 430هـ) في كتابه " تاريخ أصبهان "، وأجمع هذه الكتب وأنفعها كتاب " تاريخ بغداد" لأحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغداديّ (ت 463 هـ)،ثمّ تابعه على ذلك ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي(ت 571 هـ) في كتابه الشهير "تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل".

4- التأريخ بالعهود:

بدأت هذه الطريقة في العصر العباسيّ، وكان أوّل من أشار إليها اليعقوبيّ في تاريخه فمع أنّ كتابه كسائر كتب الحوليّات التي تبدأ بقصة بدء الخليقة، ثم قصص الأنبياء وقصص الأمم السابقة، ولكن الجديد فيه أنّ اليعقوبيّ عندما يدخل في تاريخ الإسلام يشرع بتقسيم التاريخ تقسيمًا يعتمد على رأس الهرم السياسيّ في الدول الإسلاميّة، فمثلًا بعد أن يذكر اليعقوبيّ سيرة النبي ﷺ يعقبها بذكر أيام أبي بكر ثم أيام عمر ثم أيام عثمان بن عفّان ثم خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ثم خلافة الحسن بن علي [2]، ثمّ يعود ليعنون فصول كتابه بأيام معاوية، ثمّ أيام يزيد...إلى أن يستوفي خلفاء بني أميّة دون أن يُلقّبهم بالخلفاء، ثم يشرع في ذكر خلافة بني العباس فيبدأ بأيام أبي العباس السفاح ثم أيام أبي جعفر المنصور وهكذا..

وأسماء فصول الكتاب تعطي انطباعًا عن عدم اعتراف الرجل بشرعية خلافة أحد من

---

(١) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، أبو عبد الله: من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. يُنظر سير أعلام النبلاء (17 /162)، الأعلام لخير الدين الزركلي (6 /227). دار العلم للملايين – بيروت ، ط5-1980م.

(٢)تاريخ اليعقوبي ، دار صادر – بيروت . يُنظر مثلاً أيام أبي بكر (127/2 وما بعدها)، أيام عمر بن الخطاب (139/2 وما بعدها)، خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (2/ 178وما بعدها)، أيام معاوية بن أبي سفيان (216/2 وما بعدها).

الراشدين أو الأمويين أو العباسيين إلا خلافة عليٍّ والحسن رضي الله عنهما، وهذه نزعة سوف أناقشها لاحقًا.

وقد نسج المسعوديّ على منوال اليعقوبيّ في تاريخه الموسوم بـــ "مروج الذهب" .

كما ظهرت كتب متخصّصة بتاريخ الخلفاء عامة دون تخصيص بعصر معين مثل:

-" تاريخ الخلفاء" لمحمد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغداديّ أبو جعفر الهاشميّ المعروف بابن حبيب (ت 245هـ)(١).

-وكتاب "أسماء الخلفاء والولاة" . لابن حزم – علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ) .

-وكتاب "الإنباء في تاريخ الخلفاء" . لمحمد بن علي بن محمد ، المعروف بابن العمرانيّ (ت نحو 580هـ) .

-كتاب "الاكتفاء من تاريخ الخلفاء" لابن نباتة المصري محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن صالح بن علي بن نباتة جمال الدين أبو بكر الفارقيّ (ت768هـ)(٢).

-و "تاريخ الخلفاء" – لكمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد النويريّ القاهريّ الخطيب المالكيّ (ت 857هـ). التزم فيه الوفاة واسم الأب والأم والولد والنسب والمذهب ونقش الخاتم ومن كان في دولته ومن مات في أيامه إلى قريب الثلاثمائة(٣).

-وكتاب "نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك " لعبد الرحمن بن علي بن أحمد بن محمد البسطاميّ زين الدين الأنطاكيّ الحنفيّ نزيل بروسه المتوفى بها سنة 858هـ.(٤)

-وكتاب "فرائد السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك " للباعونيّ: شمس الدين محمد بن

---

(١) الفهرست (155/1) لمحمد بن إسحاق أبي الفرج النديم، دار المعرفة - بيروت – 1398هـ/ 1978م.

(٢) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغداديّ (164/6)، دار إحياء التراث العربي – لبنان– بيروت، أوفست عن طبعة استانبول سنة 1951م.

(٣) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغداديّ 214/1، دار إحياء التراث العربي – لبنان– بيروت.

(٤) هدية العارفين (1/ 276).

أحمد بن محمد بن أحمد بن ناصر الدمشقي المعروف بالباعونيّ أبو الفضل الشافعيّ (ت871هـ)، من أوّل الخليقة إلى الأشرف قاتباي[١].

-وكتاب "تاريخ الخلفاء" للسيوطيّ – عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ) .

وقد ظهرت بواكير النـــزعة للتخصص بدراسة حكام دولة مُعيّنة في العصر العباسيّ مثل " أخبار الدولة العباسيّة وفيه أخبار العباس وولده " لمؤلِّف مجهول من القرن الثالث الهجريّ[٢]، ثمّ كتب تتحدث عن الدول في أواخر العصر العباسيّ أو ما يُسمى بالعصر المملوكيّ مثل: كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النوريّة والصلاحيّة " لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسيّ الدمشقيّ[٣] .

وأمّا تقسيم التاريخ الإسلاميّ إلى عصور متعدّدة فهو تقسيم سياسيّ معاصر .

وهو يقوم على تقسيم تاريخ الحضارة الإسلاميّة إلى عصر النبوة، وعصر الخلفاء الراشدين، وقد يجمعان في ما يسمى عصر صدر الإسلام، ثمّ العصر الأمويّ، ثمّ العصر العباسيّ ،وهكذا إلى العصر العثمانيّ وصولاً إلى العصر الحديث والمعاصر .

وقد تبيّن لي أنّ الأدباء هم من ابتكروا هذا التقسيم بغية تيسير دراسة تاريخ الأدب فقسّموه إلى أعصار توافق الأعصر السياسيّة في تاريخ الإسلام.[٤]

«وقد تتبع الدكتور شكري الفيصل الرّعيل الأول من مؤرخي الأدب العربيّ في هذا

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1243/2)، تأليف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرّومي الحنفي المعروف بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية – بيروت – 1413هـ/1992م، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ج6/ص205.

(٢) (عن مخطوط فريد من مكتبة مدرسة أبي حنيفة – بغداد) تحقيق د. عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت.

(٣)تحقيق: إبراهيم الزيبق، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط1، 1418هـ/ 1997م.

(٤)يُنظر تاريخ الأدب العربي (58/1) للدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين – بيروت ،ط5 -1984م.

العصر، فوجد أنّ أسبق الدارسين، وهو حسن توفيق العدل [(١)]ربط الأدب بالسياسة، وقسّم التاريخ الأدبي إلى أعصر تعدل الأعصر التاريخيّة السياسيّة، وصنع أحمد حسن الزيات مثل صنعه)[(٢)]، وكذلك الدكتور شوقي ضيف[(٣)]، ثمّ تتابع الأدباء على هذا المنهج [(٤)].

وأخذه عنهم المؤرخون المعاصرون، وأصبح الأسلوب الأكثر اتباعًا في الدراسات الأدبية والتاريخيّة، ولكن في مجال الدراسات الحديثيّة أظنّ أنّ بحثي هذا يمثل الدراسة الأولى من نوعها.

وأخيرًا: لا بدّ من التذكير بأنّ البحث لا يُعنى بدراسة العصر الأمويّ بمختلف جوانبه الفكريّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة إلا بقدر ما يتصل بالفعل السلطويّ للأمويين بوصفهم حكّام ذلك العصر.

---

(١)حسن توفيق بن عبد الرحمن العدل (1278 - 1322 هـ = 1862 - 1904م): أستاذ للعربية، باحث، مُترجم. ولد بالإسكندرية، وتعلّم بالأزهر وبدار العلوم في القاهرة، عمل معلمًا للعربية في المدرسة الشرقية ببرلين، وأستاذاً للعربية في كمبردج ، وتخرّج على يديه عدد من المستشرقين.وأصدر في برلين مجلة (التوفيق المصريّ) ، ومن كتبه (رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا – ط) و (أصول الكلمات العامية – ط) رسالة، و (تاريخ آداب اللغة العربية – ط) و (سياسة الفحول في تثقيف العقول – ط). يُنظر الأعلام للزركلي - (2 / 186).

(٢)الأدب الجاهلي ص 18، للدكتور غازي طليمات، وعرفان الأشقر، دار الإرشاد بحمص، ط 1.

(٣)وقد صنّف في كل عصر من هذه العصور مصنفاً خاصّاً يُعدّ من أفضل الدراسات الأدبية في هذا الشأن،وأشار إلى طريقته في التقسيم في كتابه (الأدب الجاهلي) ص14، دار المعارف بمصر، ط7.

(٤)وقد اعترض د.طه حسين على هذا التقسيم رافضاً جعل السياسة مقياساً للحياة الأدبيّة، ولأنّ هذا التقسيم بزعمه يفقد الدراسات الأدبية عمقها ويكسبها صفة السطحيّة. يُنظر كتابه "من تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي والعصر الإسلامي " (1/37-42) دار العلم للملايين – بيروت ط1- 1970م.

الباب الأول:

الشبهات حول حقيقة إسلام الأمويّين وإسلاميّة دولتهم في ميزان النقد العِلميِّ

الفصل الأول: العصر الأمويّ في الرِّوايات والكتابات التاريخيّة

الفصل الثاني: الأسرة الأمويّة في الجاهليّة والإسلام

الفصل الثالث: شبهات حول موقف الأمويّين ودولتهم من الإسلام

الفصل الأوّل:

العصر الأمويّ
في
الرِّوايات والكتابات التاريخيّة

تمهيد:

عندما ندرس العصر الأمويّ فإننا سوف نصطدم بركامٍ كبيرٍ من الرِّوايات التاريخيّة تشفّ في غالبها عن صورة قاتمة لذلك العصر .

وهذا الفصل يعرض لأزمة المصداقية في الرواية التاريخيّة ولاسيما تلك الرِّوايات التي تناولت أحداث العصر الراشديّ والعصر الأمويّ بما اكتنفته من فتنٍ داخليّة تركت آثارها على الإرث التاريخيّ للأمّة.

وهو يحاول أن يقدّم منظومة نقديّة متكاملة لغربلة الركام الكبير من الرِّوايات المتضاربة، والتي فيها الكثير من التجنّي على شخصيات تاريخيّة كبيرة، وفيها تشويه لتلك الفترة الذهبيّة من تاريخ أمتنا العربيّة والإسلاميّة.

وهذه المنظومة النقديّة مستمدّة من منهج المحدِّثين في نقد الرِّوايات الحديثيّة ولكنها تبدأ بكشف الأوهام التي تحرف الباحث عن المسار العلميّ الدقيق، ثمّ تتوزع على ثلاثة محاور توضّح إشكالية الرواية التاريخيّة فيما يتعلق بأركانها الثلاثة: الكتاب التاريخيّ والمؤرّخ والرّاوي.

ويسعى البحث لرصد مواضع الخلل في تلك الأركان الثلاثة، وفتح هوامش من الشكّ العلميّ الموصل إلى الحقيقة، وتقديم رؤية منطقيّة ذات معايير تستند إلى الحقائق القرآنيّة والمتواتر من السنّة النبويّة والأحاديث الصحيحة، وإلى طبيعة ذلك العصر بما فيه من بساطة وسماحة .

كما يعرض البحث للعوامل التي أسهمت في تشويه تاريخ العصر الأمويّ، ويقدّم منهجًا علميًّا لنقد الرِّوايات التاريخيّة التي حفلت بها كتب الأدب العربيّ، فضلًا عن مصادرها التاريخيّة الرئيسة.

وهو بالتالي يقدّم إضاءات نقديّة للروايات التاريخيّة عن العصر الأمويّ على ضوء منهج المحدِّثين في النقد.

المبحث الأوّل: مصادر تاريخ العصر الأمويّ في ميزان النقد الحديثيّ

المطلب الأوّل: مقدّمات مهمّة

أولًا– علامات فارقة بين الرِّوايات الحديثيّة والرِّوايات التاريخيّة:

إنّ علم التاريخ وعلم الحديث ينتميان إلى أصول مشتركة، فالتاريخ الإسلاميُّ كان يُعنى في بداية ظهوره بنقل أحداث السيرة النبويّة والمغازي والفتوح، وكلاهما اعتمد على الرواية الشفهيّة في بداياته[١].

ولكن بين الرِّوايات التاريخيّة والرِّوايات الحديثيّة عموم وخصوص مطلقٌ [٢]، فكلّ رواية حديثيّة هي رواية تاريخيّة توثّق قول النبيّ– ﷺ– أو فعله أو تقريره، وليس كلّ روايةٍ تاريخيّةٍ داخلةً في مفهوم الحديث.

ولاشكّ أنّ قسمًا من الرِّوايات الحديثيّة قامت –في مجال التاريخ الإسلاميّ– بوظائف تأريخيّة مهمّة لعصر النبوّة، والعصرين الراشديّ والأمويّ إضافةً إلى وظيفتها الرئيسة في حفظ أقوال النبيّ ﷺ وأفعاله وتقريراته...، ولكنّها غير قادرة وحدها على تلبية الاحتياجات التأريخيّة المتخصصّة للعصور الإسلاميّة، ولذا فإنّه لا غناء عن الرِّوايات التاريخيّة، مع وجوب مراعاة المعطيات التاريخيّة التي قدّمها القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

وقد أولى المحدّثون أهميّة بالغةً للتاريخ خدمةً للحديث وصونًا له من الكذب؛ قال سفيان الثوريّ(ت161هـ) :((لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ))[٣] .

ولذا قرر المحدّثون أنّ التاريخ فنٌّ مهمّ يُعرف به اتصال الحديث وانقطاعه ، وقد ادّعى قوم روايةً عن ناس فنُظر في التاريخ، فظهر أنّهم زعموا الرواية عنهم بعد سنين[٤].

---

(١) يُنظر مصادر التاريخ الإسلاميّ ومناهج البحث فيه د. سيدة كاشف ص 25، دار الرائد العربي –بيروت –لبنان –1403هـ/1983م، الدولة الأمويّة المفترى عليها – حمدي شاهين ص78.

(٢) يُنظر مفهوم العموم والخصوص المطلق في "ضوابط المعرفة وأصول المناظرة والاستدلال" عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص48–49، دار القلم –دمشق،ط5: 1419 هـ/1998م.

(٣) الكفاية في علم الرواية (ص 119)

(٤) المنهل الروي (ص 140)

والمراد بالتاريخ هنا معرفة تواريخ الغزوات والأحداث المهمّة، ومعرفة تواريخ وفيات الرّواة.

و مما يميّز الرواية الحديثيّة من الراوية التاريخيّة ذلك الاعتناء الرائع الذي حظيت به في مجال النّقد والتمحيص.

فقد حظيت بالنقد الخارجيّ والداخليّ للسند والمتن، ولذا انقسمت الأحاديث إلى قسمين كبيرين هما: المقبول والمردودُ، وفُرِّع على كلّ منهما أنواعٌ عدّة أحاطت بجميع الاحتمالات المنطقيّة النقديّة لهذه الرِّوايات بما يؤلّف بمجموعه المفاهيم التي انضوت تحت ما عُرف بمصطلح الحديث الذي يُمثّل المنظومة النقديّة المتكاملة لنقد الحديث.

وكذلك فإنّ المحدّثين تفنّنوا في طرائق جمع الحديث، فكانت ثمرة هذه الجهود العظيمة أنّهم دوّنوا المصنّفات المرتّبةَ على أسماء الصحابة ومنها المسانيد كمسند الحُميديّ أبي بكر بن عبد الله بن الزبير(ت 219هـ)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ)، والمعاجم التي رتّبت مسانيد الصحابة على حروف المعجم كالمعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(ت360هـ)، أو معاجم مرتّبة على أسماء شيوخ المصنِّف كالمعجم الأوسط والصغير للطبراني أو الأجزاء في أحاديث راوٍ معين مثل " جزء أحمد بن عاصم الثقفيّ الأصفهاني"(ت262 هـ).

ودوّنوا مصنّفاتٍ أخرى مرتّبة على الأبواب والموضوعات: **كالجوامع**: مثل جامع سفيان الثوريّ(ت 161هـ) وجامع عبد الرزاق بن همّام الصنعانيّ (ت 210هـ) [1]، **والمصنّفات**: كمصنّف عبد الرزاق ومصنّف ابن أبي شيبة(ت235هـ)، **والموطآت**: وأشهرها موطأ مالك ابن أنس (ت179هـ)، ومنها الموطأ لابن أبي ذئب محمّد بن عبد الرحمن المدني(ت 185هـ)، ومنها الموطأ لعبد الله بن محمّد المروزيّ المعروف بـــ " عَبدان"(ت 293هـ) .

وكتب السنن: كسنن أبي داود (ت 275هـ) وهو أوّل من صنّف في السنن، وسنن النسائي (ت303هـ).

---

(١)الرسالة المستطرفة (ص 43)

وكالأجزاء في أحاديث باب معيّن مثل جزء" الجهاد "، لعبد الله بن المبارك(ت 181 هـ)، و" فضائل بيت المقدس " لضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسيّ الحنبليّ (ت 643 هـ).

وبعض هذه المصنّفات مختصٌّ بالصحيح كالصحيحين والمستدرك عليهما للحاكم(ت 405هـ)، وكالمستخرجات على الصحيحين أو أحدهما [١] كمستخرج الإسماعيليِّ (ت 371هـ) على البخاريّ، ومستخرج أبي عوانة الإسفرايينيِّ (ت 310هـ) على مسلم، ومستخرج أبي نُعيم الأصبهانيّ(ت 430هـ) عليهما معًا [٢]. وبعضها مختصٌّ بالمقبول الصالح للاحتجاج كالسنن المرتّبة على الأبواب الفقهيّة مثل سنن أبي داود(ت 275هـ) وسنن الترمذيّ(ت 279هـ) وسنن النسائيّ(ت 303هـ) والمستخرجات عليها، واختصّ بعضها بالضعيف أو الموضوع مثل «الموضوعات»، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي ابن الجوزي(ت 597هـ)، و«اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة »، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ(ت 911هـ).

كما صنّف علماء الجرح والتعديل كتبًا في رواة الحديث وتراجمهم، ونصّوا فيها على رتبة كلّ واحدٍ جرحًا أو تعديلًا، فمنها ما كان جامعًا للفريقين العدول والمجروحين مثل كتب «التاريخ الكبير» لمحمد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ (ت256هـ)، أو كتاب «الجرح والتعديل» لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبي محمد الرازي التميمي(ت 327 هـ).

ومنها ما اختصّ بالثقات من الرواة فحسب ككتاب «الثقات» لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستيّ (ت 354 هـ)، وكتاب «تذكرة الحفاظ» لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبيّ(ت 748هـ).

---

(١) موضوع الاستخراج: أن يأتي المصنف إلى الكتاب - كصحيح البخاري أو صحيح مسلم- فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه ، وشرطه أن لا يصل إلى شيخ حتى يفقد سندًا يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علوّ أو زيادة مهمّة . وقد اعتنى كثير من الحفاظ بالاستخراج لما فيه من الفوائد المهمة وقصروا ذلك غالبًا على صحيح البخاري وصحيح مسلم لكونهما العمدة في هذا العلم يُنظر تدريب الراوي - للسيوطي (1 /112) تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، توجيه النظر إلى أصول الأثر (1 /346).

(٢) يُنظر أصول التخريج ودراسة الأسانيد، د محمود الطحان ص 101-102-مكتبة المعارف- الرياض،ط 2: 1412هـ/1991م.

ومنها ما اختصّ بالضعفاء من الرواة فحسب مثل كتاب «الضعفاء والمتروكين»، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائيّ (ت 303 هـ)، وكتاب«الكامل في ضعفاء الرجال»لابن عدي بن عبد الله الجرجانيّ (ت 365 هـ)[١].

ومن المؤسف حقًّا أنّ الرِّوايات التاريخيّة لم تصب حظًّا كافيًا من التدقيق والتوثيق اللازم لتمحيص صحيحها من سقيمها، ولم ينشأ لدى المؤرّخين علم خاص بتراجم رواة الأخبار والأحداث التاريخيّة، وجرحهم وتعديلهم وفق شروط خاصة بالتاريخ؛ ولكن لحسن الحظّ فإنّ كثيرًا من رواة التاريخ كانت لهم مشاركة في رواية الحديث فشملتهم كتب الرجال والتراجم وقد تكلّم في توثيقهم وجرحهم علماء الجرح والتعديل.

وبقيت غالب الرِّوايات التاريخيّة خلوًا من النقد إلا النـــزر اليسير مما أشار إليه بعض النقاد المتأخرين كالقاضي ابن العربيّ [٢](ت543هـ) في «العواصم من القواصم» أو ابن خلدون(ت 808 هـ) في مقدمته لكتابه في التاريخ«العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر» حيث أشار إلى المغالط التي يقع فيها المؤرِّخون نتيجة النقل بدون النقد الداخليّ للروايات والأخبار[٣]، علمًا أنّ المؤرِّخين الأوائل كانت لهم معرفة بوجود كثيرٍ من الكذب في الروايات التي جمعوها مما نصّ عليه ابن جرير الطبريّ في مقدّمة تاريخه بقوله: «فما يكن في كتابي هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنّه لم يعرف له وجهًا في الصحَّة، ولا معنًى في الحقيقة، فليعلمْ أنّه لم يؤتَ

---

(١) يُنظر في كلّ ما سبق من المؤلفات والمصنّفات الحديثيّة كتاب "الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة" لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط4 ، 1406 هـ- 1986م.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافريّ الأندلسيّ الحافظ أحد الأعلام، ولد سنة (468هـ)،كان من أهل التفنن في العلوم مقدمًا في المعارف كلها، بلغ رتبة الاجتهاد، صنّف التفسير وأحكام القرآن وشرح الموطأ وشرح الترمذي وغير ذلك، وولي القضاء ببلده، وكانت وفاته سنة (543هـ) . يُنظر(شذرات الذهب (4 /308).

(٣) تاريخ ابن خلدون- المقدمة (9/1).

في ذلك من قبلنا؛ وإنما أُتِيَ من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنّا إنما أدَّينا ذلك على نحو ما أُدّيَ إلينـــا »[1] وسوف نتوقف في المطلب القادم مع هذا الأمر بمزيد من التفصيل.

ولهذا فإنّ المادة التاريخيّة تراكمت تراكمًا كبيرًا واختلط الغثّ بالسمين والصحيح بالمزيَّف اختلاطًا يعوزه النقد والفرز ويتطلَّب جهودًا مُضنيةً.

ثانيًا: تصوّرات مغلوطة لمؤرّخين وكتاب معاصرين:

أودّ أن أكشف بعض الأوهام التي تجعل كثيرًا من الرِّوايات التاريخيّة الزائفة تجد رواجًا لها في سوق المشتغلين بالشأن التاريخيّ والأدبيّ والدينيّ أحيانًا، وهي إن كانت لا تخفى على المحدّثين لأنّها من أبجديات علوم الحديث إلّا أنّها رائجة في أوساط أنصاف المثقفين وبعض من يؤثرون أن يلقبوا بـــ"المفكرين الإسلاميّين".

١ –الوهم الأول:الإسناد شرط لازمٌ وكافٍ للحكم بالصّحة:

إذا كانت الروايات اللّقيطة– التي لا سند لها– لا يُعوّل عليها في إثبات أو نفيٍ في الوقائع التاريخيّة، فإنّ من المشتغلين بعلوم التاريخ والأدب من يرى أنّه متى عثر على رواية مسندة بالرواة، فإنها حجّة في موضوعها، وهذا وهم كبير ناتج عن الجهل بعلوم نقد الرِّوايات.

والحقيقة أنّ الإسناد في الأخبار هو من أهمّ خصائص هذه الأمّة ابتكرته عقول علمائها في المراحل المبكّرة من تاريخها لصيانة الأحاديث النبويّة الشريفة من الوضع، حيث أدّت الفتن دورًا كبيرًا في نشوئه و اتساع رقعته ، وأخذت كلّ فرقة تنتصر لمواقفها بأحاديث اختلقها من كلّ فرقة أقوام لا خلاق لهم. وقد أخرج مسلم في مقدّمة صحيحه عن ابن سيرين أنّه قال: « كانوا لا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنّة فيُؤخذ حديثهم، وإلى أهل البدع فلا يُؤخذ حديثهم. »[2].

(١)تاريخ الطبري (1 /13) أو ((تاريخ الأمم والملوك)) لمحمد بن جرير الطبريّ، دار الكتب العلمية – بيروت–ط1 ، 1407هـ.

(٢) مسلم – المقدمة(1 /12)، ويُنظر العلل ومعرفة الرجال (2 /559)، توجيه النظر إلى أصول الأثر(2/ 559).

وقد اتبعت سائر العلوم النقليّة طريقة المحدّثين في الإسناد، فأسند المؤرّخون وكذلك الأدباء أخبارهم، ولكن دون نقدٍ لأسانيد هذه الأخبار لأنّها كانت في الغالب مادة سمر وطرفة لا يُعوّل عليها في العلم .

ولذا فإنّ الباحث حينما يريد أن يستدّل برواية تأريخيّة لتقرير حادثة تاريخيّة ، فلابدّ حينئذٍ أن يسلك المنهج العلميّ في ذلك، وهو أنّ الإسناد شرط لا بدّ منه لدراسة الرواية وصولًا إلى الحكم عليها، فكلّ رواية وردت بغير إسناد فهي سراب خادع لا يعوّل عليه، وكلّ رواية مسندة لابدّ لها من النقد والتمحيص في السند من جهة الاتصال والانقطاع وعدالة الرواة وضبطهم، ولابدّ من النقد والتمحيص في السند و المتن كذلك من جهة الشذوذ [١] أو النكارة[٢] أو العلل القادحة [٣]، وبناءً على تلك الاختبارات النقديّة يحكم للرواية بالقَبول أو الردّ.

2- الوهم الثاني: الثقة بكتابات تاريخيّة تعتمد المذهب التوسميّ :

فقد شاع في بدايات القرن التاسع عشر مذهب جديد في كتابة التاريخ، ألا وهو المذهب التوسميّ أو ما يسمى بالمذهب الذاتيّ [٤]. ولا يرى أقطاب هذا المذهب ضيرًا في أن يُقحم المؤرّخ نزعته الذاتيّة، أو اتجاهه الفكريّ، أو الدّينيّ أو رؤيته السياسيّة في تفسير

---

(١) الشُّذوذُ: هو مُخالَفةِ الثِّقةِ مَن هو أَوثقُ منهُ . يُنظر تدريب الراوي (1 /246)، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (ص 13)

(٢) النّكارة: هي مخالفة الضعيف للثقة في الرواية. يُنظر تدريب الراوي (1 /238)، الشذا الفياح لإبراهيم بن موسى ابن أيوب البرهان الأبناسي (1 /185) تحقيق : صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد - الرياض – السعودية، ط1: 1418هـ - 1998م.

(٣) العلة القادحة: هي سبب غامضٌ خفيٌّ قادح في صحة الحديث مع أنّ الظاهر السلامة منه، وتكون في المتن، وقد تكون في السند أيضًا.يُنظر تدريب الراوي (1 /251-252)، الشذا الفياح (1 /202-203).

(٤) يُعد (فرويد) من أكبر المتحمسين له، وسيغمونت فرويد (1856م – 1939م) هو طبيب نمساوي، يُعدّ مؤسّس مدرسة التحليل النفسي ،درس أهميّة العواطف والعوامل الجنسيّة في طور الطفولة، من أشهر كتبه " تفسير الأحلام"، " قلق في الحضارة". يُنظر المنجد في الأعلام ص 413- تأليف مجموعة من المؤلفين- دار المشرق- بيروت، ط19 -1992م- مطبوع في مجلد واحد مع المنجد في اللغة- بعنوان المنجد في اللغة والأعلام. وقد أعدّه في طبعته الأولى سنة1956م فرديناند توتل.

الأحداث التاريخيّة وتعليلها والحكم على أبطالها، بل إنّهم يرون أنّ هذا واجب المؤرّخ، لا مجرد وصف الأخبار وتجميع الوقائع العارية.

وهذه الطريقة تجعل الكتابة التاريخيّة لا تعدو أن تكون عملًا أدبيًّا فنيًّا، لا توثيقًا علميًّا تاريخيًّا؛ وهذا المذهب كفيل بأن يمزّق جميع الحقائق والأحداث التي يحتضنها الزمن بفعل الأهواء والشهوات والعصبيّات التي تحاول صياغة التاريخ كما يروق لها. وكم من حقيقة طُمست، وأحداث نُكست، وأمجاد دثرت، وبُرَآء ظلموا تحت سلطان هذه المحكمة الوهميّة الجائرة(١).

وأمثلة ذلك تتجلى بأقبح صورها في كتابات سلمان رشدي في آياته الشيطانيّة، وفي كتابات جرجي زيدان الذي « جعل من أعظم أبطالنا في التاريخ رجالًا يركضون وراء شهواتهم ومكاسبهم الخاصة، وقلل من روعة الانتصارات التي أحرزناها على أعدائنا، ووضع لها أسبابًا تهوّن من شأنها» (٢).

والجدير بالذكر أنّ هذا المذهب في كتابة التاريخ ليس طارئًا على التاريخ الإسلاميّ، بل له جذور واضحة في كتابات ومرويّات بعض أهل الأهواء ممن يروق لهم محاولة تحريك النصوص التاريخيّة لتكون أشبه ما تكون بالأعمال الدراميّة التراجيديّة (٣)، وهي ظاهرة اليوم في محاولات تقديم النماذج القصصية والمسرحيّة لحوادث تاريخيّة لم يصحّ من أخبارها التي تنقل تفاصيلها إلا القليل، ومع ذلك تشهد تضخيمًا في تلك التفاصيل مما لا يعلمه إلا الله، وأشهر مثال لذلك هو قصّة مقتل سيّدنا الحسين ﵁ التي تتضمّن قصصًا وحكايات تاريخيّة لعبت في تفاصيلها مخيّلات كثيرٍ من الرّواة والقصّاص والشعراء حتى آلت إلى ما هي عليه اليوم.

---

(١) يُنظر فقه السيرة النبوية للدكتور محمّد سعيد رمضان البوطي ص30-31 .

(٢) "غروب الأندلس"و "شجرة الدر" دراسة نقدية وتطبيقية مبسطة للمسرحية الشعرية والقصة التاريخية.. الدكتور عبد الكريم الأشتر ص 58 - المكتبة الحديثة بدمشق. ط1 سنة 1965م.

(٣) (الدراما) حكاية لجانب من الحياة الإنسانية يعرضها ممثّلون يقلّدون الأشخاص الأصليّين في لباسهم و أقوالهم و أفعالهم و رواية تعدّ للتمثيل على المسرح. المعجم الوسيط (1 / 282) إبراهيم مصطفى وآخرون ، مجمع اللّغة العربية في القاهرة ، دار الدعوة – استانبول ، ط3..

و(التراجيدية) مسرحيّة عنيفة التأثير بليغة الأسلوب سامية المغزى تقتبس غالبا من التاريخ أو الأساطير و تنتهي بخاتمة محزنة. المعجم الوسيط (1 / 19) مادة (المأساة).

المطلب الثاني:نقد مصادر الرواية التاريخيّة

يعود الإشكال في تناول الرِّوايات التاريخيّة عمومًا وروايات تاريخ صدر الإسلام خصوصًا إلى ثلاثة محاور رئيسة :

1-الكتاب التاريخيّ

2- المؤرّخ

3- الراوي

أولًا- الكتاب التاريخيّ:

إنّ مجرّد شهرة الكتاب التاريخيّ لا تعني بحال من الأحوال صحّة كلّ ما ورد فيه؛ وللأسف نجد في الباحثين المعاصرين من يعزو إلى بعض مؤلّفات الأقدمين الشهيرة ثم يصفها بأنّها مصادر موثوقة[1]. والمشكلة في كتب الأقدمين ترجع إلى الأمور التالية:

١. **وجود كتب تروي الأخبار التاريخيّة بلا أسانيد** : مثل كتاب «الإمامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة(ت 276هـ)، وكما هو الحال في تاريخ اليعقوبيّ(ت 292هـ) الذي اكتفى بذكر مصادره في المقدّمة ثم اعتمد أسلوب وصل الأخبار بحذف أسانيدها وإعادة صياغتها [٢]، وكذلك تابعه المسعوديّ(ت 345هـ) على طريقته في تاريخه « مروج الذهب» وفي « التنبيه والإشراف» [٣]. أمّا المؤرّخ ابن الأثير (ت 630هـ) فإنّه في تاريخه الموسوم بــ«الكامل في التاريخ» ينقل غالبًا أخبار العصر الراشديّ والأمويّ من تاريخ ابن جرير الطبري[٤]، وذلك بعد حذف الأسانيد ثقةً منه بصحّة مصادر ابن جرير، فيقول في مقدّمة تاريخه: « وإنّما اعتمدت عليه من بين المؤرّخين إذ هو الإمام المتقن حقًّا الجامع علمًا

---

(١) كما فعل د.خليل عبد الكريم في غير موضع من كتابه شدو الربابة في أحوال مجتمع الصحابة في سفر" الصحابة والصحابة" ص18 . والأصح أن يقال: موثوق بها.

(٢) يُنظر علم التاريخ ومناهج المؤرخين لصائب عبد الحميد ص 151، ص 174 .

(٣) يُنظر " التاريخ العربي والمؤرخون" للدكتور شاكر مصطفى (51/2)، علم التاريخ ومناهج المؤرِّخين لصائب عبد الحميد ص 196.

(٤) يقول ابن الأثير في مقدمة تاريخه: « فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري إذ هو الكتاب المعوّل عند الكافة عليه والمرجوع عند الاختلاف إليه فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها» الكامل في التاريخ (6/1)، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2،1415هـ.

وصحّة اعتقاد وصدقًا »[1]، وهو غلط شنيع لا أدري كيف يقع فيه مثله مع تنبيه ابن جرير على أنّه ناقل والعهدة على الرواة كما سبق بيانه .

وبنظرة سريعة في كتاب «الأخبار الطوال»[2] لأبي حنيفة الدينوريّ (ت 282هـ) والذي يُعدّ مصدرًا من مصادر التأريخ للعصر الأمويّ نجد أنّ موارده التي أخذ عنها غير واضحة كثيرًا، وهو يهمل الأسانيد، ويُؤْثِرُ السّردَ الرّوائيّ المتّصل مقحمًا فيه كثيرًا من الشعر، لدرجة أنّه قد تتبادل الفرق والأحزاب الرسائل عنده شعرًا، أو سجعًا متكلّفًا[3]، وهذا مؤشّر واضح على التوليد والصنعة التي ظهرت في وقت لاحقٍ في العصر العباسيّ.

٢. كتب لا تصحّ نسبتها إلى أصحابها[4]:

وأشهر هذه الكتب التي تعرّضت للرّوايات القبيحة عن عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأمويّ كتاب« الإمامة والسياسة» ، ويُسمى أيضًا « تاريخ الخلفاء» ،وهو كتاب محشوٌ بالتزييف والقصص القبيحة عن حال الأمّة في عصرها الأزهر، وقد نُسب الكتاب إلى الإمام ابن قتيبة[5].

وكذلك كتاب « نهج البلاغة» المنسوب إلى سيّدنا عليّ ﷺ فالخطب والرسائل التي ذكرها الكتاب تعطي تصورًا تاريخيًّا عن علاقة الأمويّين بالهاشميّين وعلاقته برموز الأسرة الأمويّة وموقفه منهم، وهو يعطي انطباعًا عن علاقة سيئةٍ مبنيّة على أحقادٍ جاهليّة.

---

(١) الكامل في التاريخ (7/1).

(٢) الأخبار الطوال- أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوريّ، تحقيق:عبد المنعم عامر، ومراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة الحلبي، سنة 1960م.

(٣)يُنظر" التاريخ العربي والمؤرخون " للدكتور شاكر مصطفى (249/1)، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص 424 . لمحمد بن صامل العلياني السلمي ، دار طيبة – الرياض ، ط1، 1406هـ/1986م .

(٤) الأمر الذي يفقدها مصداقيتها التاريخية لأنّها تكون إنّما وضعت خصيصًا للمغالطة والتضليل، لذلك على المؤرّخ أن يتأكّد أولًا من أصالة الأصول ، ويتثبّت من خلوّها من كل دسّ وتزوير .(يُنظر مصطلح التاريخ للدكتور أسد رستم ص16) المكتبة العصرية- بيروت، ط3.

(٥) ابن قتيبة (213 – 276 هـ): العَلاَّمَةُ، الكَبِيْرُ، ذُو الفُنُوْنِ، أَبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ بنُ مُسْلِمِ بنِ قُتَيْبَةَ الدِّيْنَوَرِيُّ من أئمة الأدب، ومن المصنِّفين المكثرين.ولد ببغداد وسكن الكوفة ، ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها ، وتوفي ببغداد. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ: كَانَ ثِقَةً دَيِّناً فَاضِلاً . يُنظر تاريخ بغداد (168/10)، سير أعلام النبلاء (13 /296-302)، الأعلام للزركلي (4 /137).

وكذلك يدخل في هذا الصنف كتاب " السّقيفة " المعروف بـــ "كتاب سليم بن قيس" وهو حجة عند الشيعة وفيه روايات تعطي انطباعًا سلبيًّا عن الأمويين وحكمهم.

ويجدر بي أن أحقّق في صحّة نسبة هذه الكتب كلّ إلى صاحبه المزعوم.

١ - تحقيق نسبة كتاب (الإمامة والسياسة) إلى ابن قُتيبة:

شكّك كثير من العلماء في نسبةهذا الكتاب إلى ابن قُتيبة [١]، والأدلّة على بطلان نسبة الكتاب إلى ابن قُتيبة كثيرة **منها ما يلي**:[٢]

1-إنّ الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكروا هذا الكتاب بين ما ذكروه له، اللهم إلا القاضي أبا عبد الله التوزري المعروف بابن الشباط[٣]، فقد نقل عنه في الفصل الثاني من الباب الرابع والثلاثين من كتابه «صلة السمط» .

2-إنّ الكتاب يذكر أنّ مؤلِّفه كان بدمشق وابن قتيبة لم يخرج من بغداد إلا إلى

---

(١) يقول علي الشيري محقّق كتاب الإمامة والسياسة- دار انتشارات الشريف الرضي،المطبعة: أمير- قم، ط 1- في مقدمته على الكتاب (8/1) : أوّل من تزعم التشكيك بنسبته إلى ابن قتيبة المستشرق غانيغوس المجريطي ثم تبعه الدكتور دوزي في صدر كتابه تاريخ الأندلس وآدابه. ويشير د. بيضون في صدر كتابه (الحجاز و الدولة الإسلامية) إلى استبعاد انتسابه إلى ابن قتيبة، أيضًا السيد أحمد صقر في مقدمته لكتاب تأويل مشكل القرآن المطبوع بالقاهرة سنة 1973م حيث يقول:وقد نسب إلى ابن قتيبة كتاب مشهور شهرة بطلان نسبته إليه، وهو كتاب الإمامة والسياسة.

ويقول د.عمر عبد الله كامل: جزم بوضع الكتاب على ابن قتيبة غير واحد من الباحثين من أشهرهم : محبّ الدين الخطيب في مقدمة كتاب ابن قتيبة " الميسر والقداح " (ص 26-27) وثروة عكاشة في مقدمة كتاب ابن قتيبة " المعارف " (ص56) ، وعبد الله عسيلان في رسالة صغيرة بعنوان "كتاب الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي" ساق فيها اثني عشر دليلًا على بطلان نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة، وعبد الحليم عويس في كتابه " بنو أمية بين الضربات الخارجية والإنهيار الداخلي " (ص 9-10)، وسيدة إسماعيل الكاشف في كتابه ا "مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه " (ص 33)، والسيد أحمد صقر في مقدمة تحقيقه لـــ " تأويل مشكل القرآن " (ص 32)، وشاكر مصطفى في "التاريخ العربي والمؤرخون"(241/1-242) وآخرون غير هؤلاء. (دفاع عن الرسول والصحابة ص 73-74).

(٢) ذكرها الأستاذ ثروت عكاشة في تحقيقه لكتاب (المعارف) لابن قتيبة في (مقدمة التحقيق) بعد ذكره لكثير من مؤلفاته ابن قتيبة (ص56) وكذلك ذكرها شاكر مصطفى في "التاريخ العربي والمؤرخون"(241/1-242)، و يُنظر مقدمة الإمامة والسياسة تحقيق علي الشيري 8/1 ،و دفاع عن الرسول والصحابة لعمر عبد الله الكامل 71-72 .

(٣) ابن الشباط التوزري : (618 - 681 هـ) محمد بن علي بن محمد بن علي بن عمر، أبو عبد الله، المصري التوزري: أديب مؤرِّخ، ولد بتوزر من بلاد قسطيلة بأقصى إفريقية، وولي بها القضاء، ودرس مدّة بتونس وتوفي بتوزر، من تصانيفه: صلة السمط وسمة المرط في الأدب والتاريخ في أربعة أجزاء كبيرة، والغرة اللائحة. يُنظر الأعلام للزركلي (6 /283)، معجم المؤلفين (11 /57).

الدينور.

3-إن الكتاب يروي عن أبي ليلى، وأبو ليلى كان قاضيًا بالكوفة سنة (148هـ) أي قبل مولد ابن قتيبة بخمس وستين سنة.

4-إن المؤلِّف نقل خبر فتح الأندلس عن امرأة شهدته، وفتح الأندلس كان قبل مولد ابن قتيبة بنحو مائة وعشرين سنة.

5- إن مؤلّف الكتاب يذكر فتح موسى بن نصير لمراكش مع أن هذه المدينة شيّدها يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين سنة 455 هـ، وابن قتيبة توفي سنة (276هـ).

6- أسلوب الكتاب يختلف كثيرًا عن أسلوب ابن قتيبة المعروف في كتبه.

7- لم يرد في الكتاب ذكر لأيٍّ من شيوخ ابن قتيبة.

وأمام كلّ هذه الانتقادات لنسبة الكتاب إلى ابن قتيبة، وكلّ هذه التناقضات والمغالطات التي نجدها في متن الكتاب، فإنّ الكتاب يفقد مصداقيّته التاريخيّة ولا يجوز لأحد أن يحتجّ به على آخر.

ولا يبعُد أن تكون أيدي الشعوبيّة الحاقدة هي التي سوّدت صفحاته، إمعاناً في تشويه تاريخ الأمّة وهزّ ثقتها بتاريخها المجيد.

٢ – تحقيق نسبة نهج البلاغة إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

ومن أشهر الكتب المشكوك في صحّة نسبتها إلى أربابها كتاب « نهج البلاغة » الذي يُنسب إلى عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه كثير من الطعن على الصحب الكرام بالتصريح حينًا والتلميح بالغمز واللّمز أحيانًا، ويُعدّ عند الشيعة مرجعًا رئيسًا، وفيه تناول لشخصيات مهمّة من الأسرة الأمويّة.

وقد اختلف العلماء في نسبة هذا الكتاب إلى عليّ رضي الله عنه .

والتحقيق يدلّ على أن الكتاب جُمع في عهد متأخِّر ولا شكّ، واختلف فيمن جمعه، الشريف الرضيّ أم أخوه الشريف المرتضى(١)؟

---

(١) وممن نصّ على الخلاف في ذلك ابن خلكان في وفيات الأعيان ترجمة الشريف المرتضى(274/3) طبعة دار الكتب العلمية .

ففي حين ذهب الذهبيّ وابن حجر إلى أن واضع هذا الكتاب هو الشريف المرتضى [١]حيث قالا في ترجمته : «وهو المتّهم بوضع كتاب نهج البلاغة» [٢] إلا أنّ التحقيق الذي قام به الدكتور إبراهيم صبري السيّد في مقدمته لتحقيق كتاب نهج البلاغة أثبت بأدلّة عديدة أنّ الراجح من القولين هو أنّ واضع الكتاب هو الشريف الرضيّ[٣] وليس أخاه المرتضى [٤].
والمهمّ بعد هذا : ما مدى صحّة نسبة النصوص الواردة في الكتاب إلى الإمام عليّ؟

لدى الرجوع إلى كتب المتقدمين نجد أن عددًا من المحققّين قد شكّكوا بنسبة الكتاب إلى عليّ رضي الله عنه. وكان ابن خلكان[٥] أوّل من أثار الشكوك في قلوب الباحثين بقوله : " وقد قيل إنّه ليس من كلام عليّ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو من وضعه "[٦] .
ويقول الذهبي : « ومن طالع كتابه – يعني نهج البلاغة – جزم بأنّه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه » [٧] .
ومما يعزز الشكوك المثارة حول الكتاب ملاحظات مهمة في متن الكتاب منها[٨]:

(١) الشريف المرتضى (355 – 436 هـ) علي بن الحسين بن موسي بن محمد بن إبراهيم، أبو القاسم، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب: نقيب الطالبيّين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر ولكنّه إِمَامِيٌّ جَلْدٌ يقول بالاعتزال.يُنظر سير أعلام النبلاء (17 /588–589)، الأعلام للزركلي (4 /278).

(٢) ميزان الاعتدال(124/3) ، لسان الميزان(223/4) .

(٣) الشريف الرضيّ (359 – 406 هـ) محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي: أشعر الطالبيين، على كثرة المجيدين فيهم.مولده ووفاته في بغداد ،انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، وكان شيعيًّا. يُنظر سير أعلام النبلاء (17 /285–286) الأعلام للزركلي (6 /99).

(٤) يُنظر نهج البلاغة تحقيق الدكتور إبراهيم صبري السيد ص 14– 19 .

(٥) ابن خلكان (608 – 681 هـ): أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكيّ الإربليّ، أبو العباس: المؤرخ الحجة، والأديب الماهر، صاحب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ، ولي قضاء دمشق و التدريس في كثير من مدارسها ، وتوفي فيها فدفن في سفح قاسيون. يُنظر طبقات الشافعية ج2/ص166–167 لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب - بيروت – 1407هـ، ط1، ويُنظر الأعلام للزركلي (1 /220)،معجم المؤلفين (2 /59).

(٦) وفيات الأعيان(274/3) طبعة دار الكتب العلمية .

(٧) ميزان الاعتدال(124/3) .

(٨) يُنظر نهج البلاغة تحقيق الدكتور إبراهيم صبري السيد (ص20–28) .

١. النيل من أعراض سادات الصحابة (الخلفاء الراشدين) تصريحًا وتعريضًا مما لا يصحّ صدوره عن مثل الإمام عليّ ﷺ وهذا ما لفت نظر الذهبيّ وابن حجر كليهما، فقال الحافظ الذهبيّ في ميزان الاعتدال : « ففيه السبّ الصراح والحطّ على السيّدين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما » [١]، بل نجد في النهج موقفين متناقضين:

موقفًا يتجلى فيه النبل وكرم الخلق : كقوله وقد سمع قومًا من أصحابه يسبون أهل الشام : « **أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر ، وقلتم مكان سبكم إياهم . اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به** »[٢] .

وموقفًا فيه عصبيّة شديدة وألفاظ نابيةٌ: مثل قوله لرجل اعترضه : «**ما يدريك ما عَلَيَّ مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين. حائك بن حائك ، منافق بن كافر ، والله لقد أسرك الكفر مرّة والإسلام أخرى. فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك**» [٣] ، وقال لرجل يومًا : « **يا ابن اللّعين الأبتر، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع** » [٤] .

وإذا رجعنا البصر في أمثال هذه الشتائم، وجب علينا أن نرفع قدر الإمام عليٍّ، وأن ننـــزه لسانّه الكريم عن أن ينطق بها، وأكثر من ذلك أن بعض الخطب كالخطبة المعروفة بالشقشقية تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافي ما عرف عنه من التوقير لهم، وتنضح بحقدٍ دفين لا يمكن أن يعشش في صدر شرحه الله للإيمان، وملأه بالحكمة والبيان .

٢. فيه من السجع والتنميق اللفظيّ وآثار الصنعة ما لم يعهد في عصر عليّ، وإنّما ذلك شيء طرأ على العربيّة بعد الجاهليّة وصدر الإسلام، وافتتن به أدباء العصر العباسيّ

(١) ميزان الاعتدال(124/3) .

(٢) نهج البلاغة – ص 385 .

(٣) نهج البلاغة ص 61-62.

(٤) نهج البلاغة ص 241 ، والرجل كما في النهج هو المغيرة بن الأخنس .

والشريف الرضيّ منهم، ولذلك قال الذهبيّ ووافقه ابن حجر: « وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفـة بنفَس القرشيّين الصحابـة، وبنفَس غيرهم ممن بعدهم من المتأخِّرين جزم بأنّ الكتـاب أكثره باطـل » [(١)].

٣. فيه من دقّة الوصف واستفراغ صفات الموصوف، كما تراه في الخفاش والطاووس والنملة والجرادة [(٢)] ؛ وكلّ ذلك مما لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول ولا أدباؤه ولا شعراؤه وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبيّة والحِكميّة.

٤. إنّ فيه بعض الألفاظ الاصطلاحيّة التي عرفت في علوم الحكمة من بعد كالأين والكيف ونحوهما، وكاصطلاحات المتكلّمين وأصحاب المقولات مثل (المحسوسات) و(الصفات الذاتيّة والجسمانيّة) و(الكلّ والبعض). وهذه مصطلحات لم تعرفها العرب إلا بعد أيام عليّ رضي الله عنه .

٥. إنّ في عبارات الكتاب ما يُشم منه ريح ادعاء صاحبه علم الغيب، وهذا أمر يجلّ عن مثله مقام عليّ، ومن كان في مرتبته رضي الله عنه ، ممن حضر الرسالة ورأى نور النبوة .

أمّا من ناحية الإسناد فتبدو الأمور أوضح:

١. لأنّ الشريف الرضيّ لم يذكر في صدر كتابه المصادر التي رجع إليها، أو الشيوخ الذين نقل عنهم.

٢. ولعدم وجود أسانيد للخطب والأقوال المنسوبة إلى عليّ رضي الله عنه ليتمكّن الباحث من تمحيص المقبول من المردود منها، و بين الرضيّ وبين عليّ رضي الله عنه [(٣)] على أقلّ تقدير سبع طبقات من الرواة وقد حذفهم وقطع كتابه منهم :

« وكلّ ما لم يتصل بحال إسناده منقطع الأوصال» [(٤)].

---

(١) لسان الميزان(223/4) .

(٢) يُنظر مثلًا في الخفّاش ص 265، وفي الطاووس ص 286وفي الجرادة ص 327 .

(٣) بين وفاته ووفاة علي بن أبي طالب أربعمائة سنة إلا أربعًا.

(٤) والبيت من منظومة البيقوني في المصطلح، يُنظر منظومة أمهات المتون– إعداد يوسف علي بديوي ص 33، مكتبة دار الفجر–دمشق– 1425هـ/2002م.

ولئن حاول بعضهم ردّ الشبه المتعلقة بالمتن، فإنّهم لن يستطيعوا أن يقدِّموا أسانيد تثبت بها صحّة هذه النصوص إلى عليّ ﷺ ؛ وعليه فنسبة الخطب إلى عليّ ﷺ نسبة ظنيّة من الدرجة الضعيفة التي لا يصحّ أن يُدفع بها ما عُرف عنه من صلة طيّبة بالخلفاء الراشدين من قبله، ومن نُبل قدره وحسن سيرته فيمن قاتله من الصحابة الكرام، سواءٌ في معركة الجمل أو في حرب صفين .

وقد قدّم الدكتور إبراهيم صبري السيد طبعة محقّقة زعمَ أنّه جمع فيها الخطب والرسائل والحكم والأقوال الثابتة عن سيدنا عليّ ﷺ ، وذهب إلى أنّها تمثل 44.5 % من الخطب، و65.8 % من الرسائل ، و26.9 % من الحكم ، و44.4 % من الغريب من مجموع ما نسب إلى سيّدنا عليّ ﷺ .

وهذا الذي ذكره محلّ نظر لأنّ الثبوت الذي زعمه مداره- وفق منهجه- على مجرّد ورود الرواية في كتب أهل السنّة، سواء كان ذلك في كتب التاريخ أو الأدب أو التراجم أو السنن...وهذا لا يصحّ لأنّ معظم هذه الكتب لا تعبأُ بصحّة ما تروي، ولأنّ أهل السنن والآثار جمعوا الصحيح والسقيم، ومجرد وجود رواية في مصنَّف من مصنَّفات المحدِّثين لا يكفي لإثبات صحتها بل لابدّ من دراسة الرواية سندًا ومتنًا .

ومع التسليم الافتراضيّ لما ذهب إليه الدكتور صبري فهذا يعني أنّ زهاءَ 50 % من مجمل ما ورد في الكتاب لا يثبت عن عليّ ﷺ . وحسبك بهذا دليلًا على عدم ثبوت ما ورد فيه من طعن في أعراض الصحابة ﷺ وذمّ شنيعٍ يقدح في دين بعض بني عمومته من الأمويّين الذين عرفوا بحسن إسلامهم كأبي سفيان ومعاوية فضلًا عن السابقين كعثمان ﷺ.

٣ – تحقيق صحّة نسبة كتاب " السّقيفة " المعروف بـــ "كتاب سليم بن قيس" إلى سليم بن قيس الهلاليّ:

هو أوّل كتاب ظهر للشيعة، كما يقول ابن النديم (ت438هـ) (١)، وهو من الأصول المعتبرة عندهم(٢)، حتى عُدّ أبجد الشيعة كما روى شيوخهم عن الإمام جعفر الصادق بإسناد منقطع: « من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم بن قيس الهلاليّ فليس عنده من أمرنا شيءٌ ولا يعلم من أسبابنا شيئًا وهو أبجد الشيعة وهو سرٌّ من أسرار آل محمد صلى الله عليه وآله » (٣).

و الكتاب فيه أخبار تُسيءُ للصحابة عمومًا ولبني أُميّة خصوصًا كنقله عن عليّ رضي الله عنه قوله: « أمَا إنّ معاوية وابنه سليمان بعد عثمان، ثم يليهما سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص، واحدًا بعد واحدٍ تكملة اثني عشر إمام ضلالة، وهم الذين رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله على منبره يردّون أمته على أدبارهم القهقرى، عشرة منهم من بني أميّة ورجلان أسسا ذلك لهم، وعليهما مثل أوزار هذه الأمّة. »(٤).

ونقله عن عليّ أيضًا قوله: «إنّكم ستجدون بني أميّة أرباب سوءٍ بعدي كالنّاب الضروس(٥) تعضّ بفيها، وتخبط بيديها، وتضرب برجليها، وتمنع دَرَّها »(٦).

---

(١) يُنظر: الفهرست ص 307، لمحمد بن إسحاق أبي الفرج النديم - دار المعرفة - بيروت – 1398هـ /1978م، الذريعة إلى تصانيف الشيعة : (152/2)، تأليف: آقا بزرگ الطهرانيّ ، دار الأضواء- بيروت، ط 3، 1403هـ/1983م.

(٢) يُنظر جملةً من كلام علماء الشيعة في قيمة " كتاب سليم بن قيس" ذكرها محقق الكتاب محمد باقر الأنصاري في مقدّمته على الكتاب ص32-33.

(٣) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل - الميرزا النوريّ (17 / 298) – تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط2: 1409هـ، ويُنظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة - آقا بزرگ الطهراني:(152/2) .

(٤) كتاب سليم بن قيس- تحقيق محمد باقر الأنصاري ص 212

(٥) والنَّابُ المُسِنَّة من النُّوق .لسان العرب (1 /776)، وناقة ضَرُوسٌ عَضُوضٌ سيّئة الخُلُق ، وقيل: هي العَضُوض لتَذُبَّ عن ولدها.لسان العرب (6 /116)

(٦) كتاب سليم بن قيس ص 258، والدَّرُّ : اللَّبن - لسان العرب (4 /279).

والكتاب يُنسب إلى سليم بن قيس الهلاليّ العامريّ الكوفيّ (ت نحو 85هـ وقيل 90هـ)، و لم أجد لسليم هذا ذكرًا في كتب أهل العلم إلا ما ذكره ابن أبي حاتم الرازيّ عن أبيه: «سليم بن قيس العامريّ روى عن سحيم بن نوفل [١] روى عنه أبان[٢] » [٣]، فله إذن حكم المجهول من الرواة .

ولكن ترجم له قوم من الشيعة على أنّه من أصحاب عليّ رضي الله عنه، فقد ذكر النديم وداود الحليّ في رجاله وغيرهما في ترجمته أنّه خرج هاربًا من الحجاج لأنّه طلبه ليقتله فلجأ إلى أبان ابن أبي عيّاش فآواه، فلما حضرته الوفاة قال لأبان: إنّ لك عليّ حقًّا، وقد حضرتني الوفاة يا ابن أخي إنّه كان من أمر رسول الله ﷺ كيت وكيت، وأعطاه كتابًا وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور رواه عنه أبان بن أبي عيّاش (ت138هـ). لم يروه عنه غيره[٤].

وقد شكّك بعض الشيعة كذلك في سليم بن قيس لأنّه لا يُعرف ولا ذِكر له في خبر [٥]، فهذا يكفي في ردّ الكتاب جملةً وتفصيلًا، ومع ذلك فثمّة مشكلةٌ لا يُمكن تجاهلها وهي أنّ أبان بن أبي عيّاش-فيروز-تفرّد بروايته عن سليم بن قيس، وأبان وهو متروك الحديث متّفق على ضعفه بل قيل فيه: كذّاب.

قال الإمام أحمد فيه: متروك الحديث ترك الناس حديثه منذ دهر، وقال: لا يُكتب حديثه كان منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء، وقال ابن المديني: كان ضعيفًا، وقال شعبة: ابن أبي عيّاش كان يكذب في الحديث[٦].

---

(١) سحيم بن نوفل الأشجعيّ: روى عن عبد الله بن مسعود، وكانت لأبيه صحبة، وكان قليل الحديث. روى عنه هلال بن يساف. يُنظر الثقات لابن حبان (4 /343)، والطبقات الكبرى لابن سعد (6 /198).

(٢) أبان بن أبي عياش فيروز البصري أبو إسماعيل العبديّ متروك مات في حدود مئة وأربعين للهجرة. يُنظر تقريب التهذيب (ص 87)

(٣) الجرح والتعديل (4 /214)، ولكنّ صاحب الجرح والتعديل عندما ترجم لسحيم لم يذكر فيمن روى عنهم إلا هلال بن يساف. يُنظر الجرح والتعديل (4 /303).

(٤) يُنظر رجال ابن داود الحلي ترجمة سليم بن قيس رقم (226) ص249،الفهرست (ص 307)، الأعلام للزركلي (3 /119).

(٥) نقد الرجال للتفريشي 355/2، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط1- شوال 1418 هـ ،المطبعة : ستارة – قم .

(٦) يُنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (1 /85-86)، ميزان الاعتدال (1 /10-15)، تهذيب الكمال (2 /19-24)

قلتُ: وعلماء الشيعة أنفسهم يضعّفون أبان بن أبي عيّاش [١]، بل يتهمونه بوضع كتاب سليم بن قيس. يقول ابن المطهر الحليّ: « أبان بن أبي عيّاش ضعيف جدًا، وينسب أصحابنا وضع كتاب سليم بن قيس إليه»[٢]، ومثل ذلك قال الأردبيليّ وغيره[٣].

وعليه فكتاب " السقيفة" إمّا لمؤلّف مجهول لا يُعرف، أو هو من وضع أبان بن أبي عيّاش ولا تصحّ نسبته إلى سليم بن قيس، وأيًّا يكن فلا يصحّ الاعتماد على هذا الكتاب لا في أحاديثه عن النبيّ ﷺ ولا في أخباره عن الصحابة الكرام أو عن بني أميّة على وجه الخصوص.

ثانيًا– المؤرِّخ:

إذا كان جمع الرِّوايات هو المرحلة الأولى وتُعرف بـــ (التقميش) ، فلا بدّ في المرحلة اللاحقة من نقد هذه الرِّوايات قبل اعتمادها فيما يُعرف بـــ(التفتيش) ، فبعد التأكّد من صحّة الأصول التاريخيّة بصحّة نسبتها إلى مصنِّفيها بأن لا تكون منحولة أو مزوَّرة، لا بدّ من التعرف على المؤرّخ المصنّف، بالتعرّف على شخصيّته والظرف الذي عاش فيه زمانًا ومكانًا، وصلته بالحوادث التي يروي أخبارها، ونتثبّت من ميوله ونزعاته ودرجة علمه وذكائه[٤].

ويتجلّى أثر المؤرّخ في الرِّوايات التاريخيّة التي يوردها من خلال أمرين متناقضين:

آ – **مؤرِّخ يتعمَّد العبث بالمادة التاريخيّة** استجابة لنزعة شعوبيّة أو لهوىً مذهبيٍّ من خلال الانتقائيّة في تقديم الرِّوايات، أو باختلاق الأكاذيب التاريخيّة ليعطي لأهوائه وميوله مستندًا تاريخيًّا؛ ولكنّ الناس يغفلون عن كلّ هذه الأمور، ويأخذون من مؤلفاته التاريخيّة،

---

24)

(١) قال الطوسي في رجاله (ص126): تابعي ضعيف ، وكذا قال التفريشي في نقد الرجال (39/1) .

(٢) رجال داود الحلي، ترجمة أبان بن أبي عياش رقم (2) ص 225-226.

(٣) يُنظر جامع الرواة : (9/1) لمحمد بن علي الأردبيلي (ت 1101هـ) ، مكتبة المحمدي – قم ، معجم رجال الخوئي (129/1)– معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، أبو القاسم الموسوي الخوئي، تحقيق: لجنة التحقيق، ط5 ، 1413 هـ - 1992 م .

(٤) يُنظر مصطلح التاريخ للدكتور أسد رستم ص32-33 .

وكأنّها حقائق تاريخيّة؛ ولقد نبَّه العلماء من قبل على ضرورة توخي الحذر عند الأخذ عن هؤلاء والنقل من كتبهم.ومثالهم:

١ -نصر بن مزاحم(ت 212 هـ):

هو نصر بن مُزاحم بن سيّار المنقريّ التميميّ الكوفيّ، أبو الفضل: مؤرِّخ، من غُلاة الشيعة،كان عطّارًا بالكوفة، ووليَ سوقها،ثم سكن بغداد.

ترجمت له كتب الشيعة في رجالها العدول فقالوا فيه:«مستقيم الطريقة صالح الأمر» ولكن علّته عندهم أنّه يروي عن الضعفاء ومع ذلك فكتبه حسان وفق تعبيرهم[١] .

و من تصانيفه[٢]:" مقتل حجر بن عدي"، و" مقتل الحسين بن علي "، و"كتاب الغارات"، و " الجمل "، و " أخبار المختار الثقفيّ " ، و " المناقب " ، و " أخبار محمد بن إبراهيم وأبي السرايا "، و " النهروان "، و لم أجد له في المطبوع غير " وقعة صفين"[٣].

ومجمل هذه الكتب -كما ترى- تؤرّخ لأحداث في العصر الأمويّ، ولئن كانت هذه الكتب قد ضاعت بوصفها كتبًا تامة التأليف والتصنيف، فإنّ في كتب التاريخ منها رواياتٍ متناثرة، فهذا ابن أبي الحديد مثلًا يعتمد كتب نصرٍ مصدرًا له في بعض الأحداث بعد أن يزكّيه تزكية عجيبةً فيقول:« فهو ثقة ثبت ، صحيح النقل ، غير منسوب إلى هوى ولا إدغال ، وهو من رجال أصحاب الحديث» [٤].

قلت: هذه مجازفة من أبي الحديد المعتزليّ الشيعيّ، قاده إليها تعاطفه المذهبيّ من جهة، وربما غرّه ذكر ابن حبّان له في كتاب الثقات [٥] وابن حبّان جلب له التساهل هَناتٍ في ثقاته.

---

(١) رجال ابن داود- للحلي ص 282، نقد الرجال – للتفرشي(11/5)، معجم رجال الحديث ،للسيد الخوئي (20/ 157) .

(٢) يُنظر الأعلام للزركلي (8 /28)، ومعجم المؤلفين (13 /92).

(٣) " وقعة صفين"، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، ط2 ، 1382 هـ .

(٤) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد (2 /206) . طبعة دار إحياء الكتب العربية.

(٥) الثقات لابن حبان (9 /215) ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر - بيروت ، ط 1 ، 1395هـ – 1975م.

والحقّ أنّ الرجل صاحب هوىً مستحكم فقد قال الذهبيّ: «رافضيٌّ جلد، تركوه.   »، ونقل جملةً من أقوال العلماء في جرحه وتركه [١].

والمهمّ أنّ مثل هذا المؤرّخ لا يُطمأنُّ إلى كتبه ولا رواياته ولا يُوثق بها، ولاسيما في شأن الأمويّين، لتشيّعه من جهة، ولتهمته بالكذب من جهة أخرى.

٢ – اليعقوبيّ في تاريخه[٢] :

اليعقوبيّ: هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، مولى بني هاشم، مؤرِّخ شيعيّ إماميّ، كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسيّة ، حتى لُقّب بالكاتب العباسيّ، وتاريخ مولده غير معروف ، أمّا وفاته فقد ذكر ياقوت أنّها سنة284هـ، وقال غيره: سنة 282هـ ، ورجّح الزركليّ في الأعلام أن وفاته كانت بعد سنة292هـ.

وكتابه في التاريخ ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول : في التاريخ القديم، وقد تحدّث فيه عن بدء الخليقة، آدم عليه السلام وأولاده من بعده حتى عهد نوح وحدوث الطوفان، ثم ساق تاريخ الأنبيا ء على ترتيب بعثتهم إلى عيسى بن مريم –عليه السلام–؛ وبعد ذكر الأنبياء تحدَّث في إيجاز عن تاريخ الممالك التي قامت في الزمن القديم، مثل السريانيين، والبابليين، والهنود، واليونانيين، والروم، والفرس، والصين، ... ، ثم ذكر ولد إسماعيل وتسلسلهم، ثم ذكر أخبارًا عن حكّام العرب الذين يرجع إليهم، وشعراء العرب وأسواقهم وأزلامهم.

أمّا القسم الثاني من الكتاب فهو يبدأ من مولد النبيّ ﷺ إلى ذكر سيرته ومغازيه وسراياه في إجمال موجز مركّز، وقد سرد أخبار التاريخ الإسلاميّ على حسب توالي الخلفاء، فذكر الحوادث المهمة في حياة كلّ خليفة.

وقد ذكر في مقدّمة هذا القسم من تاريخه شيئًا من منهجه ، فقال : «ألّفنا كتابنا هذا على

(١) يُنظر ميزان الاعتدال (4 /253)، وفيه قال العقيلي: شيعيّ في حديثه اضطراب وخطأ كثير.وقال أبو خيثمة: كان كذّابًا، وقال أبو حاتم: واهي الحديث، متروك، وقال الدارقطني: ضعيف. ويُنظر الجرح والتعديل (8 /468).

(٢) يُنظر منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، للدكتور محمّد بن صامل السلمي ، ص 521 .

ما رواه الأشياخ المتقدّمون من العلماء والرواة وأصحاب السير والأخبار والتأريخات، و لم نذهب إلى التفرّد بكتاب نصنفه لكنا ذهبنا إلى جمع المقالات والرِّوايات، لأنّا وجدناهم قد اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمال» فكأنّه أراد أن ينتقي على هواه من مجموع ما وصله، و لم يكلّف نفسه ذكر رواياتهم واختلافاتها ومحاولة الترجيح ، ليكون القارئ على بيّنة من كيفية الترجيح، ومعرفة بالراويات وأسماء رواتها، وإنما اختار هو وسجل اختياره .

وقد سمّى مصادره في هذا القسم من الكتاب وهم أحد عشر أخباريًّا ومنجّمان اثنان [1]. وقد أخذ عنهما الطوالع والنجوم التي يذكره عند تولي كلّ خليفة أو وفاته، وعند ولادة كلّ شخص عظيم أو وفاته، كما فعل عند ولادة الحسين بن عليّ، وعند مقتله، وكذلك بقيّة الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإماميّة، وقد اعتنى بإبراز وفياتهم وذكر أبنائهم وجمل من أقوالهم وحكمهم.

أمّا تاريخ الفترة التي عاصرها فقد يأخذ عن مصادر مباشرة ذكر بعضها، ومن عادته أن يذكر في ترجمة كلّ خليفة، من كان أكثر حظوة عنده، ومن هو صاحب شرطته، كما يقدّم قوائم بأسماء من أقاموا الحجّ للناس، وقوائم بأسماء الفقهاء والعلماء الذين كانوا في عهد الخليفة، ويحرص على ذكر اسم أمّ الخليفة، وعدد أولاده ويسميهم، كما أنّه يذكر الحوادث الشاملة، كالمجاعات، والأمراض، والزلازل. وقد اقتصر اهتمامه على التركيز على تاريخ الخلافة في المشرق و لم يذكر الدولة الأموية في الأندلس.

وأسماء فصول الكتاب تعطي انطباعًا عن عدم اعتراف الرجل بشرعية خلافة أحد من الراشدين أو الأُمويِّين أو العباسيين إلا خلافة عليٍّ والحسن رضي الله عنهما، وهذا ما تقول به الإماميّة من فرق الشيعة.

نزعة اليعقوبيّ: عرض اليعقوبيّ تاريخ الدولة الإسلاميّة من منظور الشيعة الإماميّة، فقد سمى عليًّا بالوصيّ، وعندما أرّخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان ﵃ لم يضفِ عليهم لقب الخلافة، وإنّما قال: تولى الأمر فلان؛ ثم لم يترك واحدًا منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار الصحابة، فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أخبارًا سيئة، وكذلك عن خالد بن

---

(١) هم : موسى الخوارزمي المنجم ، وما شاء الله الحاسب. يُنظر تاريخ اليعقوبي (6/2).

الوليد وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ، وعرض خبر السقيفة عرضًا مشينًا [١]، ادّعى فيه أنّه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من عليّ بن أبي طالب الذي هو الوصيّ في نظره، وبلغ به الغلو إلى أن ذكر أن قول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة:3]قد نزلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم النفر زاعمًا أنّها الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة[٢].

وطريقته في سروق الاتهامات إمّا اختلاق الخبر بالكليّة، أو التزيّد في الخبر، والإضافة عليه، أو عرضه في غير سياقه ومحلّه حتى يتحرف معناه. ومن الملاحظ أنّه عندما ذكر الخلفاء الأُمويّين وصفهم بالملوك ، وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتهم في كتابه البلدان ، بالدولة المباركة مما يعكس نفاقه وتزلّفه للعباسيّين.

وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابة التاريخ الإسلاميّ، وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين –الذين طعنوا في التاريخ الإسلاميّ وسيرة رجاله– مع أنّه لا قيمة له من الناحية العلميّة، إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثاني كتب من زاوية نظر متحزّبة لفكر ومدرسة خاصّة، كما أنّه يفتقد من الناحية المنهجيّة لأبسط قواعد التوثيق العلميّ.

ونزعته في الكتاب واضحة حملت بعض من صنف في كتب الشيعة على عدّ الكتاب من مصنفات الشيعة[٣].

ولذا لن تعجب من الروح العدائيّة لبني أميّة في تضاعيف أخباره، وشرّها زعمه أنّ عبد

---

(١) تاريخ اليعقوبي (126-123/2) .

(٢) تاريخ اليعقوبي (43/2) .

(٣) قال آقا بزرگ الطهراني في كتابه الذريعة إلى تصانيف الشيعة (296/3- 297):(تاريخ اليعقوبيّ) للمؤرخ الرحالة أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المكنى بابن واضح والمعروف باليعقوبيّ المتوفى سنة 284هـ صاحب كتاب البلدان المطبوع في ليدن قبلا وفي النجف سنة 1357هـ وتاريخه كبير في جزأين أولهما تاريخ ما قبل الإسلام والثاني فيما بعد الإسلام إلى خلافة المعتمد العباسيّ سنة 252 هـ طبع الجزءان في ليدن سنة 1883 م كما في معجم المطبوعات وفيه أنّ ابن واضح شيعيّ المذهب، وفي " اكتفاء القنوع " أن اليعقوبيّ كان يميل في غرضه إلى التشيّع دون السنيّة .ا هـ.

الملك بن مروان منع أهل الشام الحجّ وأنّه بني قبة الصخرة في القدس ليحجّ الناس إليها بدل الحجّ إلى الكعبة وذلك زمن ثورة ابن الزبير- رضي الله عنهما-(١).

ومنها زعمه أنّ عمر بن عبد العزيز دفن سليمانَ بن عبد الملك وفيه بقيّة من حياة (٢).وغير ذلك من الأخبار المشوّهة لصورة الأمويّين في التاريخ.

٣ – المسعوديّ في "مروج الذهب"

أمّا المسعوديّ: (ت 346 هـ) :فهو عليّ بن الحسين بن عليّ، أبو الحسن المسعوديّ، من ذريّة عبد الله بن مسعود : مؤرّخٌ، رحالةٌ، بحاثةٌ، صاحب فنون، من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها . من تصانيفه: " مروج الذهب ومعادن الجوهر " و " التنبيه والإشراف ". (٣)

وقد اختلف في مذهب المسعوديّ على أقوال:

الأوّل: أنّه شافعيّ المذهب فقد ذكره السبكيّ في طبقات الشافعيّة لأنّه علّق على أبي العباس بن سريج- الشافعيّ- في رسالة صغيرة(٤)، على أنّ ابن العماد الحنبليّ لم ينسبه إلى مذهب، و ميّز بين المسعوديّ المؤرّخ وبين المسعوديّ الفقيه (٥)، فلعله اختلط على السبكيّ.

الثاني: أنّه كان معتزليًّا شيعيًّا،ذكره السبكيّ (٦)، ورجحّه ابن حجر العسقلانيّ مستنبطًا ذلك من كتبه الطافحة بالدلالة على ذلك(٧).

الثالث: أنّه كان شيعيًّا إماميًّا صريحًا، وهذا ما يؤكّده علماء الشيعة أنفسهم، بل يعدونه من أشياخهم. يقول المجلسيّ في سياق تعداده للمنجمين: «ومنهم الشيخ الفاضل الشيعيّ

---

(١) يُنظر تاريخ اليعقوبي (261/2).

(٢) يُنظر تاريخ اليعقوبي (300/2).

(٣) يُنظر سير أعلام النبلاء (569/15) ، وطبقات أعلام الشيعة ص 182، والأعلام – خير الدين الزركلي(5 / 74) ، معجم المؤلفين لعمر كحالة(80/7).

(٤) يُنظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكيّ (456/3)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2- 1413هـ.

(٥) يُنظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب (371/2)، لعبد الحيّ بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير - دمشق، ط1 : 1406هـ.

(٦) يُنظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكيّ (456/3).

(٧) يُنظر لسان الميزان لابن حجر (4 /224)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، ط3- 1406هـ/1986م.

عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ مصنف كتاب مروج الذهب » [١]. وقد كان النجاشيّ ذكره في رجاله [٢] والتفريشيّ في كتابه (نقد الرجال) [٣] و آقا بزرگ الطهرانيّ في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) [٤] .

ومراجعة أسماء مصنّفات المسعوديّ فحسب تشفُّ عن توجهات الرجل ونزعته المذهبيّة، فله كتاب:(إثبات الوصية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام)، و له (كتاب الصفوة في الإمامة)، و (الاستبصار في الإمامة)، و(كتاب الهداية إلى تحقيق الولاية) [٥]، وهذه المصنفات في الإمامة مع ما ذكرت من ترجمته لدى علماء الشيعة يرجّح كون المسعوديّ شيعيًّا صريحًا [٦].

وممّا يوهم كونه معتزليًّا: الترضي في كتابه عن الخلفاء الراشدين ، والذّم لبني أميّة من جهة ومدح خلفاء بني العباس من جهة أخرى،إلا أنّ هذا يُحمل على التقيّة والتزلّف للعباسيّين في زمنه.

و لما كان المسعوديّ يرى أنّ الإمامة إنّما تكون بالنصّ على مذهب الإماميّة، فقد تأثّر بمذهبه في كتاباته جميعها، ومنها (مروج الذهب) [٧]. فقد ظهر انحرافه بشكل واضح عند التأريخ لعصر الصحابة ﷺ فأساء في تاريخه إلى كثير من الصحابة الذين كانت لهم مواقف مع عليّ ﷺ، ووصفهم بما لا يليق بمكانتهم، كطلحة والزبير، وعائشة، ومن باب الأولى أن يقع في معاوية وعموم بني أميّة وولاتهم .

---

(١) بحار الأنوار (299/55).

(٢) رجال النجاشي ص 254 .

(٣) نقد الرجال للتفريشي(252/3) .

(٤) 110/1 و في كتابه (طبقات أعلام الشيعة) ص 182 .

(٥) ذكر هذه المصنفات معظم من ترجم له من علماء الشيعة كالنجاشي والتفريشي والطهراني وغيرهم في المواضع السابقة الذكر.

(٦) وهذا ما ترجّح أيضًا لدى صائب عبد الحميد- المعاصر المتشيّع- يُنظر علم التاريخ ومناهج المؤرخين ص193 .

(٧) وهو مختصر كتاب التاريخ له، وهو تاريخ كبير ، أجمله في كتاب الأوسط، ثم رأى اختصار ما وسطه في كتاب سماه (**مروج الذهب**) ورتّب أخبار الزمان على ثلاثين فنًا . يُنظر كشف الظنون (1 / 27) ، والطبعة التي اعتمدتها: مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي علي بن الحسين، تحقيق: شارل يلا ، منشورات الجامعة اللبنانية – بيروت، سنة 1973م.

كما يلاحظ أن نزعة المسعوديّ الشيعيّة قد أثّرت على كتابته في تاريخ الخلفاء الراشدين والأُمويِّين، و لم يستطع أن يكتب تاريخًا مجردًا عن الهوى.

فمع أنّه لم يستطع أن يكتم إعجابه بسياسة معاوية في رعيته وطريقة تنظيمه لحياته اليوميّة(١) إلا أنّه يتّهم معاوية بدسّ السّم للحسن بن عليّ(٢)، ويذكر خبر الوليد بن يزيد في تمزيق المصحف(٣).

ولقد حذّر منه ابن العربيّ «وأمّا المبتدع المحتال فالمسعوديّ، فإنّه بما يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك، وأما البدعة فلا شكّ فيه »(٤) .وقال ابن تيميّة: «وفي تاريخ المسعوديّ من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى»(٥).

٤ –دور الأدباء في تشويه تاريخ الأمويّين:

ممّا لا يخفى أن عددًا من الأدباء تعرضوا في كتبهم للأخبار فخلطوا الغث بالسمين؛ وأمثل لهم بالجاحظ (عمرو بن بحر): " فكتبه مليئة بالأخبار طافحة بالآثار، وهو أشبه ما يكون بصحفيّ فيها، ينوّع مادته ويعرضها بأسلوب أخّاذ شيّق (٦)، ولكن ينبغي الحذر من الآثار والأخبار التي يوردها، وقد حذّر من كتبه بعامّة تلميذه ابن قتيبة(٧)."(٨).

وأخصّ من كتبه كتاب المحاسن والأضداد إذ فيه من التندر بأقدار الشرفاء ما لا يليق .

وكذلك بعض ما ورد في كتب أبي حيّان التوحيديّ المعتزليّ من إلصاق للقبائح بأعلام الصحابة(٩)، ومع أنّ علماء الجرح والتعديل كشفوا أمره، وفضحوا خبيئته، ونسبوه إلى

---

(١) يُنظر مروج الذهب(3/220–222).

(٢) يُنظر المصدر نفسه (3/182) .

(٣) يُنظر مروج الذهب (4/53–54) .

(٤) العواصم من القواصم ص262 .

(٥) منهاج السنّة (4/84) .

(٦) الصحيح (شائق) بدل شيّق، يُنظر مادة شوق، وشيق في لسان العرب(10/192–193).

(٧) في كتابه تأويل مختلف الحديث ص 62–63 ، ومن كلامه فيه:(وهو –مع هذا– من أكذب الأمّة و أوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل).

(٨) دفاع عن رسول الله ﷺ والصحابة ص76.

(٩) يُنظر سير أعلام النبلاء 120/17.

الزندقة والانحلال والكذب وقلة الدِّين[١]؛ وقد شكك في نزاهته العلميّة صنوه في الاعتزال ابن أبي حديد، وذلك بعد ذكره لقصة الرسالة التي وجهها أبو بكر مع أبي عبيدة إلى عليّ ورده عليها في سياق تداعيات أخبار السقيفة فقد قال فيه وهو أخبر الناس به:(قلت : الذي يغلب على ظنيّ أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع ، وأنّه من كلام أبي حيّان التوحيديّ، لأنّه بكلامه ومذهبه في الخطابة والبلاغة أشبه، ... ومن تأمّل كلام أبي حيّان عرف أنّ هذا الكلام من ذلك المعدن خرج ، ويدلّ عليه أنّه أسنده إلى القاضي أبي حامد المروروذي [٢] ، وهذه عادته في كتاب البصائر يُسند إلى القاضي أبي حامد كلّ ما يريد أن يقوله هو من تلقاء نفسه ، إذا كان كارها لأن ينسب إليه)[٣].

وبعض روايات العقد الفريد لابن عبد ربّه وغيرها من كتب الأدب التي لا عناية لأصحابها بنقد الأخبار وإنما همهم أن يأتوا بما يغرب على الناس ويكون مادة للسمر والتندر.

ب – موثوقية المؤرّخ لا تعني موثوقية كلّ ما يصنّف، بل قد يحدّث الثقة عن غير الثقة لكنه يبيّن الإسناد : « ومن أسند إليك فقد أحالك »[٤] والطريق إلى معرفة موثوقية محتوى الكتاب الذي يؤلفه المؤرّخ الثقة أن ننظر في شرطه في مقدمة كتابه فإن كان قد اشترط أن لا يخرج إلا الصحيح فما أخرجه في كتابه هو الصحيح على شرطه ويمكن أن يركن إليه[٥]. إليه[٥].

وإن بَيَّنّ أنّه لا يلتزم بإخراج الصحيح فحسب، وترك العهدة على الباحثين بعد أن ساق الإسناد فقد برئت ذمّته وعلينا معرفة الصحيح من السقيم بالبحث والتمحيص؛ و أشهر

---

(١) ميزان الاعتدال – الذهبي (4 / 518) ، سير أعلام النبلاء(17/ 119) وما بعدها .

(٢) هو أحمد بن عامر بن بشر بن حامد أبو حامد المروروذ ي، أحد فقهاء الشافعية ، توفى سنة 362 ه، ترجم له ابن خلكان (1 / 18 – 19)

(٣) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد (166/10)، و لم يفت المحدثين تعقب التوحيدي في هذه الرواية فكشفوا زيفها وبينوا كذبها ، يُنظر سير أعلام النبلاء 17/ 122–123، ولسان الميزان – ابن حجر(38/7) .

(٤) يعني فقد أحالك على إسناده والنظر في أحوال رواته والبحث عنهم، يُنظر جامع التحصيل للعلائي(1 / 34)، و التمهيد لابن عبد البرّ (1/ 3)، وتدريب الراوي (1 /198)

(٥) وذلك بعد معرفة شروط الصحة عنده ،حيث لا يُكتفى بزعمه التزامها ، كما ينبغي التحقق من التزامه بشرطه في جميع كتابه.

الأمثلة في ذلك ما ألّفه العالم الجليل ابن جرير الطبريّ إمام المفسرين وشيخ المؤرّخين المجمع على فضله وعلمه في كتابه «تاريخ الأمم والملوك» هو من أهمّ المراجع في التاريخ حتى اليوم لأسباب من أبرزها:

1-طول الفترة الزمنيّة التي يغطيها.

2- لأنّه جمع روايات المؤرّخين والأخباريّين الذين سبقوه.

3- حفاظه على السند فهو يروي بالأسانيد الأمر الذي يمكن الباحث من نقد الرِّوايات.

4- أكثر كتب التاريخ تنقل عنه ولاسيّما في الأخبار المتعلقة بتاريخ الإسلام كما فعل ابن الأثير في"الكامل في التاريخ"(١) وابن خلدون في تاريخه(٢) ، وابن كثير في "البداية والنهاية" ، ونقولهم عنه ظاهرة لمن طالع كتبهم .

5- جلالة الإمام ومنــــزلته العلمية(٣) .

ومع ذلك فكتابه الشهير مشحون -إلى جانب الرِّوايات الصحيحة والمقبولة- بالرِّوايات المشوّهة والمزوّرة لتاريخ صدر الإسلام عمومًا والعصر الأمويّ خصوصًا. لذلك بَيَّنّ في مقدّمته شرطه: « فما يكن في كتابي هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنّه لم يعرف له وجها في الصحَّة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلمْ أنّه لم يؤتَ في ذلك من قبلنا ؛ وإنّما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وإنا إنّما أدّينا ذلك على نحو ما أدّى إلينا »(٤). لذلك برأت عهدة الطبريّ مما روى وعلى الباحثين تحقيق الأسانيد للكشف عن حال مروياته(٥). والتسليم برتبة الطبريّ السامقة في التاريخ والتفسير لا

---

(١) يُنظر علم التاريخ ومناهج المؤرخين لصائب عبد الحميد ص 222 .

(٢) يُنظر علم التاريخ ومناهج المؤرخين ص188-190

(٣) يُنظر علم التاريخ ومناهج المؤرخين ص 191 ، و"إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري" لــ علي بن عبد العزيز الشبل ص68.

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري 8/1 .

(٥) وقد اجتهد أحد المعاصرين وهو (محمد بن طاهر البزرنجي) ببيان الصحيح والضعيف من مرويات تاريخ الطبريّ في في كتابه (صحيح وضعيف تاريخ الطبريّ) بإشراف ومراجعة المحقق محمد صبحي حسن حلّاق وهو صادر عن دار ابن كثير – دمشق- بيروت، ط1: 1428هـ/2007م وقد جاء في عشرة أجزاء، حيث قسّم تاريخ الطبري إلى قسمين : قسم صحيح انتخبه من جميع تاريخ الطبري وأعاد سبكه في خمسة مجلدات على طريقة الطبريّ من قصص الأنبياء إلى الخلافة العباسية ، وقسم الضعيف والمسكوت عنه سبكه كذلك على طريقة الطبري وجاء في

لا تعني قبول كلّ مروياته، بل لابدّ من التمحيص والنقد للكشف عن رواة وأخباريّين ليسوا محلّ ثقة، ولا موضع أمانة في نقل الأخبار. ولذلك كان لا بدّ من الوقوف على أحوال الرواة لا سيّما رواة أحداث الفتنة وأحداث العصر الأمويّ لأنّ مجمل الطاعنين في الأُمويِّين يعتمدون على مرويّات هؤلاء.

ثالثًا – الرواي:

دراسة الرواة من أهم الأمور التي يجب على الباحث في كتب التاريخ الاضطلاع بها، ذلك أنّ معظم البلاء إنما يأتي من قبلهم، ومن ثمّ فلابدّ من وضعهم تحت مجهر النقد والتمحيص وفق منهج علماء الجرح والتعديل الذي كان ولا يزال أعظم منهج علميّ توصلت إليه عقول الباحثين في دراسة الأخبار بشهادة عظماء المؤرّخين [١] .

ولقد سبق إلى ذلك المرحوم الدكتور يوسف العش في كتابه الدولة الأموية [٢] حيث درس الرِّوايات التي تناولت أخبار الفتنة ومقتل عثمان ﷺ ، و بَيَّنّ الراجح منها والضعيف المردود.

ولكي لا أخوض في بحث تاريخيّ محض فقد آثرت أن أترجم لأشهر الرواة الذين نقلوا أخبار الأمويّين والعصر الأمويّ لكشف أحوالهم :

١ -سيف بن عمر التميميّ(ت حوالي 180هـ):

هو سيف بن عمر التميميّ البرجميّ السعديّ ويقال: الضبيّ، ويقال: الأسديّ والأسيديّ

ثمانية أجزاء.

(١) يقول د . أسد رستم: (التاريخ دراية ورواية كما أن الحديث دراية ورواية ، والقواعد التي وضعها الأئمة منذ قرون عديدة للتوصل إلى الحقيقة تتفق في جوهرها واتجاهها والأنظمة التي اكتشفها علماء أوربة فيما بعد في بناء علم المثودولوجيةِ. ولو أن مؤرخي أوربة في العصور الوسطى والعصور الحديثة اطلعوا على مصنفات المحدثين ، لما تأخروا في تأسيس علم المثودولوجية حتى أواخر القرن الثامن عشر؛ وبإمكاننا أن نصارح زملاءنا في الغرب، فنؤكد لهم بأنّ ما يفخرون به من هذا القبيل نشأ وترعرع في بلادنا . ونحن أحقّ الناس بتعليمه والعمل بأسسه وقواعده.) مصطلح التاريخ ص (ز) .

(٢) يُنظر الدولة الأموية ص32 وما بعدها .

الكوفيّ صاحب كتابي: " الردّة "، و"الفتوح" أرّخ الذهبيّ وفاته في زمن الخليفة العباسيّ هارون الرشيد في حدود 180هـ، وتابعه الصفديّ في الوافي بالوفيات[١] .

وقد روى عن جماعة كثيرة، منهم علماء ورواة ثقات، ومنهم غير ذلك، فقد ذكر المزيّ ممن روى عنهم سيف نيفًا وستين.[٢]

وأخرج له الترمذيّ رواية واحدة[٣] ،و **الأهمّ أنّ له في تاريخ الطبري 230 رواية**[٤].

أما كلام علماء الجرح والتعديل فيه فيدور على ثلاث مراتب :

١ - الأولى: رميه بالوضع واتهامه بالزندقة[٥].

٢ - الثانية : جرحه بتضعيفه تضعيفًا شديدًا أو القول بتركه في الحديث و غيره[٦].

٣ - الثالثة : عدّه ضعيفًا في الحديث عُمدةً في التاريخ[٧] .

والتحقيق أنّ رمي الرجل بالزندقة مبالغةٌ عظمية في التضعيف ، ومن جاء عنه اتهام سيف بهذا، لم يقدم دليلًا عليه، لا من سلوكه، ولا من مرويّاته .

ولذلك قرّر الحافظ ابن حجر أنّ ابن حبّان أفحش القول في سيف ، ولهذا علّق فضيلة الدكتور نور الدِّين عتر، على تهمة سيف بالزندقة بقوله: « وليس ثمّة دليل على زندقته، بل

---

(١) يُنظر ميزان الاعتدال(353/3) ، والوافي بالوفيات (66/16).

(٢)منهم: حجاج بن أرطأة وسعيد بن عبيد الطائي وسعيد بن أبي عروبة والأعمش وسفيان الثوري وعبد الملك بن جريج وعبيد الله بن عمر العمري وفيصل بن غزوان ومحمّد بن إسحاق بن يسار وموسى بن عقبة وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد الأنصاري وغير هؤلاء ممن اختلفت مراتبهم بين جرح أو تعديل أو جهالة. تهذيب الكمال للمزي (12/)326.

(٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ محمّد بْنُ نَافِعٍ حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا سَيْفُ بْنُ عُمَرَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَسُبُّونَ أَصْحَابِي فَقُولُوا :لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى شَرِّكُمْ ». قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَالنَّضْرُ مَجْهُولٌ وَسَيْفٌ مَجْهُولٌ (الترمذي (5 /697) في المناقب عن رسول الله – باب فيمن سبّ الأصحاب رقم3866).

(٤) جمعها أحمد راتب عرموش في كتابه "الفتنة ووقعة الجمل" طباعة دار النفائس، ط7: 1413هـ / 1993م.

(٥) يُنظر المغني في الضعفاء للذهبي ص 292 ، وقال أبو حاتم بن حبان : يروي الموضوعات عن الأثبات . قال: وقالوا إنّه كان يضع الحديث يُنظر المجروحين لابن حبان (345/1)، و تهذيب الكمال (12/ 324).

(٦) نصّ على ضعفه الشديد يحيى بن معين و غيره. يُنظر تهذيب الكمال (12/ 324).

(٧) ذهب إلى ذلك ابن حجر. يُنظر تقريب التهذيب (ص262) .

الرِّوايات تدل على خلاف ذلك»[١]، و من اتهمه بالوضع لم يقدّم دليلًا على ذلك أيضًا.

أمّا من أطلق القول بتضعيفه فالغالب أنّه مقيّد بالحديث دون التاريخ.

والخلاصة أنّ ضعفَ سيفٍ عند المحدِّثين مجمعٌ عليه. أمّا في التاريخ فمختلف فيه، والراجح أنّه عمدةٌ فيه فمرويّاته مقارنةً بغيرها تنسجم في غالب الأحيان مع ما تقتضيه طبيعة العصر، وتتفق مع النصوص القرآنية والنبويّة في شأن الصحابة الكرام، ولذلك اعتمدها الدكتور يوسف العش .

ومع ذلك ينبغي عدم الركون إلى كلّ ما يأتي به سيفٌ، فلابدّ من مقارنته بأخبار الثقات فإن تفرّد برواية عن أحداث الفتنة، فلا تعتمد إلا أن يستأنسَ بها في حال كانت موافقة لروح ذلك العصر، وإن كانت في غير الفتنة فلا أرى بأسًا في اعتمادها بعد ما عرفنا رتبته في التاريخ .

٢ -أبو مخنف لوط بن يحيى (ت157هـ):

هو لوط بن يحيى بن مخنف بن سليمان الأزديّ الكوفيّ أخباريّ راويةٌ له تصانيف كثيرة في تاريخ عصره وما كان قبله بيسير، منها " فتوح الشام " و " الردّة " و " فتوح العراق " و " الجمل " و " صفين " و " النهروان " و " الأزارقة " و " الخوارج والمهلّب "و " مقتل عليّ " و " الشورى " و " مقتل عثمان " و " مقتل الحسين – ط " و " مصعب ابن الزبير والعراق" و " أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفيّ – ط " ويسمى أخذ الثار ، و"كتاب وفاة معاوية وولاية (ابنه) يزيد ووقعة الحرة وحصار ابن الزبير " ، و " كتاب مرج راهط وبيعة مروان ومقتل الضحّاك بن قيس" وغيرها[٢].

و لم يصل إلينا منها إلا كتابا " أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفيّ – ط " و " مقتل الحسين عليه السلام"[٣] ، ولكنّ مضامين هذه الكتب تناثرت في كتب التاريخ اللاحقة، فيما يُعرف بروايات أبي مخنف، وقد روى عنه هشام بن محمّد الكلبيّ، ونصر بن مزاحم.

---

(١) حاشية المغني في الضعفاء للذهبي تحقيق الدكتور نور الدين عتر(293/1).

(٢) الفهرست ص 105، هدية العارفين(841/1-842)، الأعلام للزركلي (5/ 245)، معجم المؤلفين (8/ 157).

(٣) صدر بتحقيق: الحاج ميزا حسن الغفاري، الناشر مكتبة العامة للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي، المطبعة العلمية- قم، سنة 1398هـ.

وأبو مخنف في نظر علماء الجرح والتعديل: أخباريّ تالف، لا يُوثق به[١] .

قال ابن عدي: شيعيّ محترق، صاحب أخبارهم[٢]، وذكره العقيلي في الضعفاء وقال: ليس بشيء[٣].

وترجمة أبي مخنف عند علماء التراجم والرجال تكشف عن ثلاثة أمور، تستحيل خطرًا عظيمًا عند اجتماعها في شخص ما.

الأوّل: كثرة روايات الرجل واعتمادها على الطابع القصصي حيث تتجاوز الرواية نقل مشهد تاريخيّ ما شهده الراوي إلى سرد لقصّة قد تتكون من عشرات المشاهد، والتي لا يشكّ القارئ في أنّ الراوي لم يشهدها جميعًا وإنما جمعها من الرواة قبله وأعاد صياغتها من جديد. وإذا علمنا أنّ للرجل /**587**/ روايةً عند الطبريّ في تاريخه تغطي مساحةً زمنيّةً تبدأ من وفاة النبيّ ﷺ إلى انتهاء خلافة يزيد بن معاوية علمنا خطورة مروياته.

الثاني: أبو مخنف متشيّع غالٍ في تشيعه، وثّقه علماء الشيعة وعدّوه من رواتهم [٤]، وقال محمّد صادق بحر العلوم محقق كتاب الفوائد الرجاليّة : « ولوط بن يحيى أبو مخنف لا ينبغي الشكّ في كونه شيعيًّا إماميًّا كما صرّح به جماعة من أرباب المعاجم »[٥].ولذا فإنّ رواياته معتمدة عند الإمامية وعامّة الشيعة، ومشكوك فيها لدى المحقّقين لأنّ هذه النزعة المذهبيّة في الرجل تقدّم تفسيرًا لتحامله الشديد على الأمويّين بل وعلى عدد من الصحابة الذين حاربوا عليًّا رضي الله عن الجميع مما جعله متّهمًا في أخباره عن الصحابة .

قال ابن عدي: « لوط بن يحيى معروف بكنيته وباسمه حدّث بأخبار من تقدّم من السلف الصالحين ولا يبعد منه أن يتناولهم، وهو شيعيّ محترق صاحب أخبارهم» [٦].

الثالث: جرح العلماء له وتضعيفه، قال الذهبيّ: «أخباريّ تالف، لا يوثق به، تركه أبو

---

(١) يُنظر ميزان الاعتدال (3 / 419–420) - لسان الميزان(4 / 492 – 493)

(٢) الكامل في الضعفاء (6 /93)

(٣) ضعفاء العقيلي (4 /18)

(٤) فقد ذكره النجاشي في رجاله ص 320 ، والطوسي في رجاله ص 95 ،275 ، وقد وثّقه الحليّ في خلاصة الأقوال ص233 ، وكذلك التفريشي في نقد الرجال ص 75، والأردبيلي في جامع الرواة(33/2) وقالوا فيه : (شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم ، وكان يسكن إليه).

(٥) هامش الفوائد الرجالية للسيد محمّد مهدي بحر العلوم(288/1) .

(٦) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي الجرجاني(93/6) .

حاتم وغيره وقال الدار قطني : ضعيف» [١]. بالإضافة إلى ذلك فإنّ معظم شيوخه مجاهيل لا يُحتج بهم وإن كانوا معروفين فهم أضعف منه[٢].

فكيف يحتجّ بهذا وبأمثاله في تاريخ أصحاب رسول الله ﷺ، وتاريخ الإسلام في عصورها الذهبيّة!

يقول الدكتور حمدي شاهين: «ولا ريب أنّ اعتماد أبي مخنف كأحدِ الرواة أو المؤرِّخين المبكّرين الموثوق بهم سوف يقود إلى نتائج وخيمة على نزاهة البحث العلميّ، وسوف يمرر ذلك روايات شيعيّة صرفة ومكذوبة تدين مسالك الصحابة والتابعين في صدر الإسلام » [٣].

٣ -الواقدي:(120-207)هـ .

قال الذهبي: «محمّد بن عمر بن واقد الأسلميّ مولاهم الواقديّ، القاضي المدنيّ، صاحب التصانيف، وأحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه» [٤].

والحقّ أنّ الواقديّ مختلف فيه فقد وثّقه قومٌ كأبي بكر الصَغَاني [٥]، ومحمّد بن أحمد الذهلي[٦]، ومصعب الزبيريّ[٧]، وسئل أبو عامر العقدي عن الواقديّ فقال:« نحن نُسأل عن عن الواقدي؟! وإنما يُسأل الواقدي عنا، فما كان يفيدنا الشيوخ والأحاديث إلا الواقدي» [٨] . [٨]

وجرحه أكثرُ علماء الجرح والتعديل: قال أحمد بن حنبل: «هو كذّاب يقلب الأحاديث،

---

(١) ميزان الاعتدال(419/3) .

(٢) يُنظر سير أعلام النبلاء (7 /301)

(٣) الدولة الأمويّة المفترى عليها ص 47.

(٤) سير أعلام النبلاء(454/9)، ويُنظر شذرات الذهب (96/2-97) .

(٥)محمد بن إسحاق الصغاني أبو بكر نزيل بغداد ثقة ثبت توفي سنة 270هـ .تقريب التهذيب (ص 467)

(٦)محمد بن أحمد بن جعفر بن الحسن الذهلي أبو العلاء الوكيعي الكوفي نزيل مصر ثقة ثبت ، (ت300هـ) وله ست وتسعون سنة .تقريب التهذيب (ص 466)

(٧)مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، صدوق عالم بالنسب، مات سنة 236هـ. تقريب التهذيب (ص 533).

(٨) تاريخ بغداد (3 /9)، ويُنظر تاريخ دمشق (54 /441)، وسير أعلام النبلاء (9 /458)، و تهذيب التهذيب (9 /325).

يلقي حديث ابن أخي الزهري على معمر ونحو ذا))، وقال ابن معين: ((ليس بثقة)) ، وقال ابن راهويه: ((هو عندي ممن يضع الحديث))، وقال البخاريّ وأبو حاتم: ((متروك))، وقال أبو حاتم أيضًا والنسائي: ((يضع الحديث))، وقال الدارقطني: ((فيه ضعف)). وقال ابن عدي: ((أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه)). وقال ابن المدينيّ: ((الواقديّ يضع الحديث))، وقال أيضًا: ((لا أرضاه في الحديث، ولا في الأنساب، ولا في شيء))، وقال البخاري: ((سكتوا عنه ما عندي له حرف))[1].

ومعظم ما ورد فيه من جرح معلل يمكن اختصاره بالأسباب الآتية:

١ - **جمعه الأسانيد:** وهو مما أنكره عليه أحمد بن حنبل، وأجيب بأنّه لا يعيبه وقد فعله من قبله ابن إسحاق والزهريّ وغيرهما[2].

٢ -**قلبه الأحاديث**: وهو مما أنكره عليه أحمد بن حنبل لروايته حديث «أفعمياوان أنتما؟» من طريق معمر عن الزهريّ، مع أنّه مما تفرّد به يونس بن يزيد عن الزهريّ [3]، وأجيب بأنّه ثبت من طريق آخر أن يونس لم يتفرّد به عن الزهريّ، بل رواه كذلك عُقيل ابن خالد الأيليّ[4] عنه[5].

وقد ظُلم الواقدي بهذا الجرح[6]. قال ابن سيّد الناس: ((فقد ظهر في هذا الخبر أنّ يونس لم ينفرد به وإذ قد تابعه عقيل فلا مانع من أن يتابعه معمر وحتى لو لم يتابعه عقيل لكان ذلك محتملًا، وقد يكون فيما رُمي به من تقليب الأخبار ما ينحو هذا النحو))[7].

---

(١) يُنظر كتاب المجروحين(290/2)، وتهذيب الكمال للإمام المزي (26/ 280 وما بعدها)، وميزان الاعتدال (7/ 521)، وتهذيب التهذيب(323/9) .

(٢)يُنظر تاريخ بغداد (3 /16)

(٣) الحديث أخرجه أحمد (44 /159) رقم(26537)، وأبوداود (2 /462) في اللباس، باب في قوله تعالى { وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن } رقم (4112)، و الترمذي (5 /102) في الأدب، باب: ما جاء في احتجاب النساء من الرجال رقم (2778)،

(٤)عُقيل بن خالد بن عَقيل الأيلي أبو خالد الأمويّ مولاهم ثقة ثبت (ت:144هـ). تقريب التهذيب (ص 396)

(٥) المرجع السابق (3 /18)

(٦) قال الرَّمَادِيَّ: هَذَا مِمَّا ظُلِمَ فِيْهِ الوَاقِدِيُّ. تاريخ بغداد (3 /19)، سير أعلام النبلاء (9 /456).

(٧)عيون الأثر (1 /30)

٣ -**كثرة الغرائب في أخباره:** وعُلل هذا بسعة علمه واطلاعه، ولكنه خلط الغث بالسمين، والخرز بالدرّ الثمين[١]، فزهد الناس بعلمه، وكسدت بضاعته.

٤ -**كثرة أخباره عن المجاهيل:** وعلّل بأنّ ذلك لشدّة تتبعه لأخبار الصحابة الكرام وسيرهم ومغازيهم من طريق أبناء الصحابة وأحفادهم ومواليهم وأكثر هؤلاء لم يشتهروا بالرواية حتّى يُعلم حالهم، و لم يكن ذلك عن جهالة من الواقديّ، بل كان منهجًا تأريخيًّا اختطه وسار عليه فقد كان يقول: ((ما أدركت رجلًا من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا وسألته: هل سمعت أحدًا مِن أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه..))[٢].

والتحقيق في حال الرجل أنّ حديثه لا يصلح إن انفرد وإنّما يكتب حديثه ويعتضد به [٣]، به[٣]، ولا أراه يتعمّد الوضع، وهو ذو باع طويل في المغازي والأخبار [٤]، ولكن ذلك لا يجعل أخباره أكثر من مادة أوليّة —خام– تحتاج للنقد وتخضع للاختبار قبل اعتمادها ولا سيما إذا تعلّقت بأحوال الصحابة الكرام وما شجر بينهم.

قال الذهبيّ [٥]: ((وقد تقرر أنّ الواقديّ ضعيف، يحتاج إليه في الغزوات، والتاريخ، ونورد ونورد آثاره من غير احتجاج، أمّا في الفرائض، فلا ينبغي أن يذكر، فهذه الكتب الستة، ومسند أحمد، وعامة مَن جمع في الأحكام، نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس ضعفاء، بل ومتروكين، ومع هذا لا يخرجون لمحمّد بن عمر شيئًا[٦])).

---

(١) يُنظر سير أعلام النبلاء (9/ 454)

(٢)تاريخ بغداد (3/ 6)

(٣) يُنظر منهاج السنة النبوية (1 / 56)

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان(158/4) .

(٥)سير أعلام النبلاء 455/9، وفرق كبير بين الاحتياج إلى مرويّات الرجل و الاحتجاج بها.

(٦) لم يخرّج له من أصحاب الكتب الستة أحدٌ غير ابن ماجة، ذكره مبهمًا فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا شيخ لنا عن عبد الحميد بن جعفر ...سنن ابن ماجه (1/ 348) - باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة رقم (1095). فلم يجسر أن يسميه وحسبك ضعفًا بمن لا يجسر أن يسميه ابن ماجه . يُنظر شذرات الذهب (18/2)- العكري الحنبلي، دار ابن كثير - دمشق – 1406هـ، ط1.

٤ -الكلبيّ [١]:

الأخباريّ، أبو النضر محمّد بن السائب بن بشر الكلبيّ المفسر . وكان أيضًا رأسًا في الأنساب إلا أنّه شيعيّ متروك الحديث. يروي عنه ولده هشام وطائفة، وقال ابن حجر:متّهم بالكذب ، ورمي بالرفض. قال البخاريّ: " محمّد بن السائب أبو النضر الكلبيّ تركه يحيى بن سعيد وابن مهدي . وقال لنا عليّ : حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال : قال لي الكلبيّ ، قال لي أبو صالح: كلّ شيءٍ حدّثتك فهو كذب"[٢]. وقال أبو حاتم الرازي: الناس مجمعون على ترك حديثه لا يشتغل به، هو ذاهب الحديث[٣] . وقال النسائيّ: متروك الحديث[٤].

٥ -ابن الكلبيّ[٥]:

الأخباريّ النسّابة أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب بن بشر الكلبيّ الكوفيّ الشيعيّ أحد المتروكين، كأبيه . روى عن أبيه كثيرًا، وعن مجالد، وأبي مخنف لوط، وطائفة .

حدّث عنه: ابنه العباس، ومحمّد بن سعد، وخليفة بن خياط، وابن أبي السري العسقلاني، وأحمد بن المقدام العجليّ . قال أحمد بن حنبل : إنّما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحدًا يحدّث عنه[٦]. وقال الدارقطني وغيره : متروك الحديث[٧] .

وهو يروي العجائب والأخبار التي لا أصول لها ، وكان غاليًا في التشيع ، وأخباره في الأغلوطات أشهر من أن يُحتاج إلى الإغراق في وصفها[٨].

وبذلك يتبيّن القارئ أنّه لا تتوفر في هؤلاء الرواة أدنى شروط الراوي المقبول، وأنّهم لو رووا في السنّة النبويّة أحاديث لما قبلت مرويّاتهم، وأنّ العلماء تساهلوا في رواياتهم في التاريخ

---

(١) يُنظر سير أعلام النبلاء(248/6) وما بعدها ، وتقريب التهذيب ص 479 .

(٢) التاريخ الكبير (1 /101)

(٣) الجرح والتعديل (7 /270)

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين (ص 90)

(٥) يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء – الذهبي (10/ 101 – وما بعدها) .

(٦) الكامل في الضعفاء (7 /110)

(٧) لسان الميزان (6 /196)

(٨)المجروحين (3 /91)

لبعد ذلك عن أحكام الشريعة ومسائل الدِّين؛ ولكن لمّا كانت رواياهم التاريخيّة بخصوص أحداث الفتنة ذات صلة وثيقة بعدالة الصحابة، وهي مسألة ذات أبعاد عقديّة بالإضافة إلى أثرها في التشويش على ما تقرر من عدالة الصحابة الكرام ﷺ، لذا كان لا بدّ من التشدد في قبول المرويّات، فلا نقبل الرِّوايات التي تخالف الأدلة القطعيّة من كتاب وسنّة.

والخلاصة: أنّه مع وفرة مصادر البحث التاريخيّ عن العصر الأمويّ فإنّ طرائق البحث التقليديّة والرائجة بين المؤرّخين اليوم تعطي نتائج مزوّرة عن ذلك العصر، وهذه نماذج للمؤرّخين والأخباريين الذين نقلوا كثيرًا من أحداث العصر الأمويّ، تمّ دراستهم وفق منهج المحدّثين فتبيّن أنّ معظمهم متّهمٌ، متأثّر بأهوائه فلا يصحّ عقلًا أن نسلّم لهؤلاء بمرويّاهم من غير أن نخضعها للنقد الداخليّ والخارجيّ.

وسوف نلقي في المبحث القادم الضوء على العوامل التي أسهمت في تشويه التاريخ الأمويّ ونناقش دعوى تلميع تاريخهم من قبل بعض محبيّهم.

المبحث الثاني: الأُمويّون بين التشويه والتلميع التاريخيّ

المطلب الأوّل: تشويه تاريخ الأُمويّين:

لا يشكّ دارسٌ منصفٌ أنّ تاريخ الأُمويّين قد تعرّض للتشويه، وأنّ الكتابات التاريخيّة عن هذه الأسرة في الجاهليّة والإسلام قد رسمت لها في الأذهان صورة مظلمةً قاتمةً بما ألصقته بهم من مثالب وما أحاطت به دولتهم من معايب.

وقد تركّزت تلك الكتابات التاريخيّة المشوِّهة حول الموضوعات الآتية[1]:

١ –سوء العلاقة بين الأُمويّين والهاشميّين:

فقد حرصت روايات التّشويه على تقديم انطباعٍ سيّءٍ عن العلاقة بين الأُمويّين والهاشميّين، ويبدو أنّ هذه الرِّوايات تكفّلت باختلاق أصول للعداوة بين الأسرتين تردّ إليها جميع النّـــزاعات التي وقعت بينهما لاحقًا.

و لم تخلُ تلك الرِّوايات مع تكريسها لمفهوم العداوة بين الأُمويِّين والهاشميِّين من الحطّ من قدر الأُمويِّين والغمز في أنسابهم في مقابل مدح الهاشميِّين والتركيز على مناقبهم، لتظهر هذه العداوة حتميّة قدريّة كصراع الخير والشر والفضيلة والرذيلة والمبدأ والمصلحة وتناقض النور والظلمة .

فقد حفلت كتب التاريخ بقصص العداء والتنافر بين رجالات بني هاشم ورجالات بني أميّة، والتي كانت تنتهي حتمًا لصالح الهاشميِّين، وقد ابتدأت العداوة بينهما– بزعم هذه

---

(١) أذكرها هنا مجملةً وسوف يأتي تفصيل هذه المواضيع في الفصول القادمة من هذا الباب مع بيان الروايات والمؤرخين الذين ذكروا ذلك أو تبنوا هذه الآراء.

الرِّوايات- بقطرات الدّم التي سالت بفصل الأخوين التوأمين عبد شمس وهاشم، والتي كانت نذير شؤم للدّماء التي ستسيل بين أولادهما .

٢ -التشكيك في صدق إسلام الأُمويِّين:

لقد طعنت كثير من الرِّوايات التاريخيّة بصدق إيمان كبار رجالات الأُمويِّين كأبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة-سيّد قريش، وعميد بني أُميِّة، وكذلك في إيمان ولده معاوية بن أبي سفيان- كاتب رسول الله ﷺ، وعامل عمر وعثمان- رضي الله عنهم- على الشام، والتركيز على أنّهما ما أسلما إلا بعد انتصار الإسلام بدوافع دنيويّة صرفة .

وكذلك تعرّض عثمان بن عفان ﷺ إلى الطعن في دينه، ولم يشفع له سبقه إلى الإسلام ولا هجرته ولا إنفاقه في سبيل الله ولا إصهاره إلى النبيّ ﷺ في ابنتيه رقيّة وأمّ كلثوم رضي الله عنهما.

وطُعن في إسلام مروان بن الحكم ووالده الحكم بن العاص، وطُعن في دين يزيد بن معاوية، ودين عبد الملك بن مروان، وجمعٍ من خلفاء بني أميّة وأمرائهم وولاتهم كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والنعمان بن بشير ﷺ.

٣ -التشكيك في إسلاميّة دولتهم:

إنّ التشكيك في إسلاميّة دولة بني أميّة قديم بقدم الرِّوايات التي تطعن بإسلام رجالات هذه الأسرة وخلفائها، ولكن ظهرت كتابات معاصرة- لمستشرقين وغيرهم- تشكّك في إسلاميّة نظام الحكم الأمويّ، إذ اعتبروه ردّة إلى الجاهليّة ونزعةً قبليّة، وانقلابًا على المفاهيم التي أرساها الإسلام من العدل والشورى، وأنّه كان حكم استبداد على عامة الشعب وبطش وسفك دماء للمعارضين لحكمهم، وفسق وفجور لخلفاء وأمراء وولاة بني أميّة، وشكّكوا في مقاصد الفتوحات الإسلاميّة الواسعة التي تمّت في عصر بني أميّة فهي بنظر بعضهم لا

تعدو أن تكون احتلالًا مسلحًا شأن الاحتلال الروماني قديمًا، والاحتلال الإنجليزيّ حديثًا، هدفه أن يمتصّ العرب خيرات البلاد المفتوحة ليعيشوا عالة على شعوب البلدان المفتوحة(١).

المطلب الثاني:العوامل التي أسهمت في تشويه تاريخ العصر الأمويّ:

تقسم العوامل التي أسهمت في تشويه تاريخ العصر الأمويّ إلى:

- عوامل تأريخيّة محضة.
- وعوامل ذات طبيعة سياسيّة وعقديّة.

أولًا: العوامل التأريخيّة المحضّة:

١. **ضياع كثيرٍ من النتاج التاريخيّ للقرن الهجري الأوّل** وذلك يرجع إلى:

- اعتماد طريقة التلقي الشفويّ للآثار في ذلك العصر والإعراض عن الكتابة والتدوين عمومًا، حيث لم يكن أكثر من وسيلة مساعدة على التذكر والحفظ، ولا يصحّ الاعتماد عليها لما يعرض لها من التغير والتصحيف والتحريف والتزوير وغير ذلك من الآفات التي يمكن أن تعرض للأسلوب الكتابيّ للتأريخ في حدود الإمكانات المتاحة في ذلك العصر.
- قيام الثورات المعارضة للأمويين بإتلاف وإحراق كثير من الوثائق التاريخيّة، مثلما حدث بقيام الدولة العباسيّة، ثمّ قيام الدويلات المستقلة عنها، مما أتلف كثيرًا من الوثائق السياسيّة للعصر الأمويّ(٢).
- وكذلك فقد حدثت عدّة حرائق لأسباب مجهولة منها الحريق الذي وقع في فتنة ابن الأشعث حيث قام أناسٌ بحرق ديوان الكوفة بما فيه من وثائق سنة 82هـ ، وكذلك تعرّض ديوان الفسطاط في مصر للحريق أيضًا،وقد تركّز اهتمام المؤرّخين على ذكر

---

(١) يُنظر أبحاث في السيطرة العربيّة، لفان فلوتن، ترجمة بيضون ص77-ص81.

(٢) يُنظر الدولة الأمويّة المفترى عليها لحمدي شاهين ص 28. دار القاهرة للكتاب، 2001م

السجلات التي تنظم الضياع والإقطاعات في الكوفة وسواد العراق [١]،ولكن في اعتقادي أنّ المراسلات بين الخلفاء والولاة لو سلمت لكانت الأقدر على توثيق الواقع التاريخيّ وتقديم تصورٍ دقيقٍ عن نظام الحكم وطبيعته في العصر الأمويّ بما تمتلكه تلك الوثائق من قيمة تاريخيّة عظيمة سوف تتكفل بدفع مزاعم الطاعنين والمشوّهين لتاريخ بني أميّة.

-وإذا كان سلطان الأمويّين تحوّل من الشرق إلى الغرب في الأندلس فإنّه كان ينبغي أن نجد فيها ما فاتنا في الشرق، إذ كانت خزانة بني أميّة بالأندلس وكانت من أجلِّ خزائن الكتب ولكن لما انقرضت دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس ذهبت كلّها[٢]. وهذه خسارة كبيرة في الحقول المعرفيّة جميعها، ولاسيما في الشأن التاريخيّ.

٢. **فقر المدرسة التأريخيّة الشاميّة في تغطيّة أخبار الأقاليم الأخرى وأحداث الفتن الداخليّة:** مع أنّ هذه المدرسة التأريخيّة هي أقدم المدارس التأريخيّة في العالم الإسلاميّ حيث بدأت مع معاوية بن أبي سفيان الذي طلب من عبيد بن شريّة[٣] أن يكتب له كتابًا في التاريخ[٤]، ومع أنّها أشهر المدارس في التأريخ للفتوح حتى أشار العلماء إلى تخصص أهل الشام بالفتوح والمغازي[٥]، إلا أنّ نشاط حركة

---

(١) يُنظر كتاب الخراج لأبي يوسف ص 68، دار المعرفة – بيروت، وفتوح البلدان للبلاذري (272/1) تحقيق: رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية – بيروت – 1403هـ، وضياع بني أميّة في عصر الخلافة ص 21–22 د. صفاء حافظ عبد الفتاح- كلية آداب بنها- 1991م، والدولة الأمويّة المفترى عليها لحمدي شاهين ص 28.

(٢) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم (2 /529)- صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية – بيروت – 1978م.

(٣) عبيد بن شَريّة الجرهميّ: جاهليٌّ معمّرٌ راوية، من الحكماء الخطباء في الجاهليّة، أدرك النبيّ ﷺ واستحضره معاوية من صنعاء إلى دمشق، فسأله عن أخبار العرب الأقدمين وملوكهم، فحدّثه، فأمر معاوية بتدوين أخباره فأملى كتابين سمي أحدهما " كتاب الملوك وأخبار الماضين " طُبع مع كتاب " التيجان وملوك حمير " تحت عنوان " أخبار عبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها " ، والثاني " كتاب الأمثال "، وعاش إلى أيام عبد الملك ابن مروان وتوفي نحو 67 هـ. يُنظر الإصابة في تمييز الصحابة (115/5)،الأعلام للزركلي (4 /189).

(٤) يُنظر التاريخ العربي والمؤرخون –شاكر مصطفى (135/1).

(٥) يُنظر المرجع نفسه(120/1-121).

التدوين التاريخيّ في مدرستي الحجاز والعراق وهما مصران شهدا أحداث المعارضة التقليديّة للأمويين من شيعة وخوارج وزبيريين جعل غالب روايات المؤرّخين القدماء تتأثر بهذا العداء القديم، فالطبريّ شيخ المؤرّخين يروي عن مشاهير رواة العراق معظم أخبار ثورة الحسين ﷺ ، وثورات الشيعة والخوارج، ومعظم أخبار الولاة كزياد بن أبيه، والحجاج بن يوسف الثقفي، وخالد القسريّ.وكذلك جاءت معظم أخبار ثورة أهل المدينة زمن يزيد بن معاوية وأخبار ابن الزبير رضي الله عنهما وأخبار ولاة الحجاز زمن الأمويّين متأثرة برواة مدرسة الحجاز التاريخيّة، ومن المؤسف إغفال حركة التدوين في تلك المرحلة في مدرسة الشام تأريخَ هذه الأحداث من منظور أهل الشام بما يعكس التصوّر الأمويّ للأحداث والذي يمكن أن يساعد في تقديم تصوّرٍ أكثر دقّة عن الأمويّين ودولتهم[١]. والذي يظهر أنّ المدرسة الشاميّة كانت منشغلةً بالتأريخ للمغازي والفتوح على حساب أحداث الصراع الداخليّ في الدولة الأمويّة، ومن المؤسف كذلك ضمور هذه المدرسة وانقطاع نشاطها بنهاية الخلافة الأمويّة في دمشق[٢] الأمر الذي ترك فراغًا تأريخيًّا خطيرًا تمّ شغله والتعويض عنه بروايات المدرسة العراقيّة التي أصبحت الأشهر والأقوى في العصر العباسيّ الجديد.

ومع أنّ المدرسة الشاميّة استعادت نشاطها في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريّ وأنتجت كتاباتٍ متعصّبة للأمويين بوصفها ردّة فعل على التشويه المتعمّد لتاريخ الأمويّين في مدرسة العراق في العصر العباسيّ. إلا أنّ معظم هذه الكتابات لم تصل إلينا، ومما يدلّ على التجييش العام ضد الأمويّين أنّه قد وضع كتابان في فضائل الأمويّين هما:

كتاب" البراهين في إمامة الأمويّين ونشر ما طوي من فضائلهم " لمؤلف مجهول رآه المسعوديّ في حوزة بعض موالي بني أميّة من العثمانيّة في طبريّة سنة 324هـ

(١) يُنظر الدولة الأمويّة المفترى عليها لحمدي شاهين ص 42.

(٢) يُنظر التاريخ العربي والمؤرخون – شاكر مصطفى (134/1).

وكان في نحو 300 ورقة [١].

وكتاب "مغازي معاوية" لمؤلف مجهول أيضًا [٢] ، وأظن أن هذه الجهالة تتصل بالخوف من سطوة بني العباس بمن يشير إلى فضائل الأمويين .

وقد كان من المفيد حقًّا أن نقاطع تلك الكتب المنقرضة التي صنّفت في مناقب الأمويّين مع تلك التي بقيت وحوت الكثير من مثالبهم، حتى نستطيع الموازنة بينهما ونصل إلى مقاربات تضعنا في مضمار الحقيقة أو في هوامشها على الأقلّ.

ثانيًا: العوامل ذات الطبيعة السياسيّة والعقديّة[٣]:

١. **الحزبيّة السياسيّة**: من أسباب ذلك التشويه الذي أصاب التاريخ الأمويّ تأثير الحزبيّة السياسيّ في عملية تدوينه، فقد كانت الرواية التاريخيّة من أدوات الحرب الإعلاميّة التي استعملها كلّ من الشيعة والخوارج والزبيريين ضدّ الأُمويِّين، وقد كان لهذه الأحزاب جهود بارزة في تشويه صورة بني أمية. وكان للشيعة الدور الأبرز في ذلك المجال؛ إذ وضعوا الأحاديث في فضائل علي وبنيه ﵃، ووضعوا الأخبار الكاذبة على خصومهم الأُمويِّين، حتى قال مؤرّخهم ابن أبي الحديد: "واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من وجهة الشيعة؛ ف إنّهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة الخصوم"[٤]. وكان الإمام الشعبيّ يقول عنهم: « لو أردتُ أن يعطوني رقابهم عبيدًا وأن يملئوا بيتي ذهبًا على أن أكذب لهم على عليٍّ -﵁- لفعلوا، ولكن والله لا كذبت أبدًا[٥] ».

---

(١) يُنظر التنبيه والإشراف للمسعودي ص 291 -تحقيق:عبد الله بن إسماعيل الصاوي، دار الصاوي - مصر- 1357هـ/1938م، والتاريخ العربي والمؤرخون -شاكر مصطفى (132/1).

(٢) نقل عنه البلاذريّ نصًا يتعلق بغزو معاوية للمصيصة - فتوح البلدان(169/1) ط دار الكتب العلمية.

(٣) يُنظر الدولة الأمويّة المفترى عليها لحمدي شاهين ص 29-40.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (11/48-49) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، منشورات مكتبة المرعشي النجفي .

(٥) السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد للخلال (3/ 496) تحقيق: د.عطية الزهراني ، دار الراية - الرياض- ط1: 1410هـ- 1989م.

٢. **الفرق العقديّة:** فقد ظهرت فرقة المعتزلة في الفترة الأخيرة من عمر الدولة الأمويّة، وكان موقف المعتزلة من الأُمويِّين سافر العداء؛ إذ يعدّوهم فاسقين مجروحي العدالة التي يجب توافرها في الخلفاء، وهم يرون أنّ الفاسق في مترلة بين الإيمان والكفر -وهو ما يعبّرون عنه في أحد أصولهم الخمسة بالمترلة بين المترلتين- وهو على ذلك في النار، إذ لا توجد في الآخرة إلا الجنة والنار(١).

ومعروف أن الصّلة وثيقة بين التشيع والاعتزال؛ فقد تأثّر المعتزلة كثيرًا ببعض آراء الشيعة، مما أدى إلى كراهية مشتركة للأمويّين وتحامل عليهم. وكان جماعة من أبرز المؤرّخين والأدباء يدينون بالاعتزال، وقد ظهر ذلك واضحًا في كتاباهم المعادية للأمويين، والتي يُخرج بعضها الأُمويِّين عن دائرة الإسلام إلى د ائرة الكفر؛لا الفسوق فحسب!

ومن أشهر هؤلاء وأشدهم عداءً للأمويّين: عمرو بن بحر الجاحظ في سائر كتبه، وخاصةً في كتابه المحاسن والأضداد، فلا يكاد يجد فرصة للطعن في الأمويّين إلا انتهزها، وأبو حيّان التوحيديّ في مواضع من كتابه البصائر والذخائر، وابن أبي الحديد في شرحه نهج البلاغة..

٣. **أثر الشعوبيّة:** الشعوبيّة فرق من العجم تتعصبُ على العرب وتحتقرهم، وهي لم تظهر بمفهومها الدقيق إلا في العصر العباسيّ (٢)، وقد مثّلت الشعوبيّة ردّة فعلٍ لجماعات من شعوب البلدان التي فتحها الإسلام، وخاصّةً الفرس الذي هدم الإسلام أركان ملكهم، فحقدت جماعات منهم على العرب وأورثتها أبناءها. والشعوبيّة لم تُطبع بطابع التنظيم، وإنما كانت آراء وحركات متفرّقة متناثرة، نشأت عنها حركات بعضها أدبيّ، وبعضها دينيّ، وبعضها ثوريّ، وقد اتخذت

---

(١) يُنظر الفرق بين الفرق: ص 97- 98 ، الملل والنحل: ص 42 ، وأصول الدين : ص335، والعقيدة الإسلامية والفكر المعاصر: ص46

(٢) يُنظر الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسيّ في الحياة الإسلاميّة في العصر العباسيّ الأوّل- د.زاهية قدّورة ص20 المكتب الإسلاميّ- بيروت- ط 1: 1408هـ/1988م.، وقال المقريزيّ: ((وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر أمر العرب شعوبيٌّ)). التراع والتخاصم بين بني أميّة وبني هاشم ص 111- تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف – القاهرة.

من الدين ستارًا لها حتى يُقال إنّها بدأت مطالبها تحقيقًا لمبدأ المساواة بين الناس الذي كرّسه الإسلام ولكنها انتهت لدى الكثير منهم بالقول: إنّ العرب أحطّ من غيرهم من الشعوب[١].

وقد برع عددٌ من المؤرّخين الموالي –من المسلمين غير العرب– في التاريخ وروايته، مثل: الواقديّ والمدائنيّ وابن إسحاق وأبي معشر السنديّ وأبي عبيدة والبلاذريّ والطبريّ والدينوريّ وغيرهم. واحتفظ بعض هؤلاء الموالي بقوميتهم الفارسيّة وأحقادهم على العرب واستعلائهم عليهم، وشمل ذلك العداء الدولة الأمويّة التي مثّلت عندهم الرفعة العربيّة والانتصار الإسلاميّ؛ مما كان له أثره في تلوين كتاباتهم عن الأُمويِّين بألوان التعصّب والعنصريّة والبغضاء. وبرع بعض هؤلاء الموالي في تأليف كتب "المثالب" يجمعون فيها كلّ ما يشتهون من مساوئ العرب وقبائلهم ورجالهم، وقد ينسبون بعض هذه الكتب إلى رجال من قادة العرب أنفسهم؛ ليخفى غرضهم، ويشيع وضعهم، ومن أبرز هؤلاء المؤرّخين الموالي: أبو عبيدة معمر بن المثنى، وغيلان الشعوبيّ، والهيثم بن عدي. وقد ضاعت كتب المثالب فلم تصلنا، ولكن وصلتنا روايات أصحابها في كتب التاريخ. وما أحرانا أن نقف عليها وقفة متريّثة، وقد عرفنا اتجاهات أصحابها ونواياهم.

ومع المبالغات الكبيرة للمستشرقين وغيرهم – ستدرس في حينها– في توصيف حالات الظلم والحيف التي وقعت على الموالي في العصر الأمويّ، فإنّ ذلك قد يبرر للموالي وقوفهم في صفّ كلّ الثورات المناهضة للأمويين ويبرر كذلك دورهم في حسم المعركة لصالح العباسيّين وإنهاء خلافة الأمويّين[٢]، غير أنّ الحالة الشعوبيّة لم تكن لتشمل الموالي جميعهم ، بل أكثر الموالي كانوا مسلمين صادقين في إسلامهم، والظلامات التي وقعت عليهم لا تسوّغ الافتراء الذي نهضت به الشعوبيّة لذمّ العرب عمومًا والأمويّين خصوصًا.

(١) يُنظر الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسيّ - د.زاهية قدّورة ص21-23.

(٢) تاريخ الدولة الأمويّة د. محمد سهيل طقّوش: ص8 ، دار النفائس – بيروت، ط2، 1418هـ/ 1998م.

٤. **كتابة تاريخ الأمويّين في العصر العباسيّ:**

لقد كان من سوء حظ الأُمويِّين ، أن تاريخهم دوّن في عصر خصومهم العباسيين ، وقد أدّت تلك الخصومة دورًا بارزًا في تشويه هذا التاريخ وطمس معالمه[(١)].

وأيّ شيءٍ أسوء من أن يُكتب تاريخ بني أميّة كتاريخ دولة مهزومةٍ في ظلّ دولة خصومهم العباسيّين، يحيط بتدوين تاريخها مناخ فكريّ معادٍ لها، ومناخ سياسيّ متسلّط ضدها، وقديمًا قيل: ويلٌ للدولة المهزومة حين يكتب تاريخها المنتصرون[(٢)].

على أن أمر الأُمويِّين لم ينتهِ بانهيار دولتهم، بل انبعث أحدهم -عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)- قاطعًا المفاوز والبحار ليصل إلى بلاد الأندلس، فيقيم بها دولةً ظلّت تنافس العباسيّين، وتهددهم أحيانًا.

ونتيجة لهذا الخوف من الخطر الأمويّ في الأندلس واحتمالات امتداده عبر ما تبقّى من عصبيّة للأمويّين في المشرق، مع ما يغذّي هذه المخاوف من ماضٍ مؤلم من الحروب والصراع بين الأُمويِّين وخصومهم إبّان حكمهم ، نتيجة هذه العوامل جاء الانتقام المريع من الأُمويِّين على يد العباسيّين وأعوانهم، وقصص هذا الانتقام تملأ صفحات من التاريخ، ورغم ما قد يكون فيها من مبالغة وافتعال فـإنّها تظلّ حيّة الدلالة على مشاعر الكراهيّة التي حكمت سنوات من خلافة العباسيّين ضد الأُمويِّين، فقد أعمل العباسيون القتل الذريع فيمن اشتهر من رجالهم[(٣)]، حتى إنّه كان بنو عوف بن حرب بن خزيمة يسكنون

---

(١) تاريخ الدولة الأمويّة د. محمد سهيل طقّوش: ص 8 ، يقول أحمد أمين: ((وكان من أهم ما حارب به العباسيّون الأمويّين التأثير في المؤرّخين حتى يصبغوا لون الأمويّين بلون قاتم مظلم ، ولون العباسيّين بلون زاهر ناضر)). ضحى الإسلام ص41. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1998م.

(٢) يُنظر الدولة الأمويّة المفترى عليها لحمدي شاهين ص 35.

(٣) كما فعلوا بـــ سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأمويّ ؛ يُنظر تاريخ دمشق (22 /400) ، ويعيش بن الوليد بن هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة بن أبي معيط ، يُنظر تهذيب الكمال (32 /404)، وسالم الأفطس بن عجلان مولى محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص قتله عبد الله بن عليّ أوّل ما دخلت المسوّدة الشام سنة اثنتين وثلاثين ومائة. يُنظر الطبقات الكبرى (7 /481)

قريةً من قرى الشام؛ فمرّ بهم المسوِّدة [١]؛ فقيل لهم: "هذه قرية بني حرب ". فأغاروا عليهم، فقتلوهم؛ وحسبتهم المسودة من بني حرب بن أميّة بن عبد شمس[٢].

ولذا اضطر من بقي منهم إلى الاختفاء عن العيون والتسمّي بغير أسمائهم، والانتساب إلى غير جدودهم، بل فعل ذلك مواليهم أيضًا كما كان من يحيى بن مرزوق وهو مولًى لبني أميّة كان يكتم ذلك لخدمته الخلفاء من بني العباس خوفًا من أن يجتنبوه ويحتشموه فإذا سُئل عن ولائه انتمى إلى قريش و لم يذكر البطن الذي ولاؤه لهم[٣].

كلّ هذه السياسات الدمويّة كانت بغرض التخلّص من الخطر الأمويّ على دولة العباسيين الناشئة، ولكن بموازاة ذلك كان لهم نشاطٌ كبير في هدم مكانة الأمويّين في نفوس العامة من الناس ولاسيما في الشام، ولذا فإنّ الخليفة المنصور أرسل المستهلّ بن الكميت خطيبًا إلى الشام يذكر مناقب بني هاشم، ومثالب بني أميّة[٤].

ولذا راجت الأفكار المعادية للأمويّين في العصر العباسيّ، ووجد من يروّج لها من الحاقدين عليهم، خاصة ألدّ خصومهم العبّاسيّين، الذين أخذوا يضخّمون الأخطاء الصغيرة، ويختلقون الأكاذيب ويلفقون الرِّوايات[٥].

و لم يكن ذلك العداء مقصورًا على الفترة التي تلت نجاح العباسيّين في إقامة دولتهم ، بل ظلّ يثور ويخبو حينًا بعد حين، حتى إننا نجد الخليفة المعتضد العباسيّ (ت 289هـ) يصدر منشورًا سنة 284هـ يُقرَأ على العامة يقول فيه: "اللّهم العن أبا سفيان بن حرب ومعاوية ابنه ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده، اللّهم العن أئمة الكفر، وقادة الضلال، وأعداء الدين ومجاهدي الرسول ومغيري الأحكام وسفاكي الدم الحرام، اللّهم إنا نبرأ إليك من موالاة أعدائك..." إلخ في خطبة طويلة حفلت بذمّ الأمويّين وطفحت

---

(١) هم العباسيون، وكان شعارهم السواد في راياتهم وعمائمهم.

(٢) نسب قريش للزبيري(ص 479)تحقيق:إ. ليفي بروفنسال– دار المعارف – القاهرة– ط3.

(٣) الأغاني (6 /183). أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت،ط2.

(٤) يُنظر التاريخ المظفري لابن أبي الدم (288/1)– تحقيق: د. حامد غانم، دار الثقافة – القاهرة، سنة 1985م.

(٥) يُنظر تاريخ الدولة الأمويّة د. محمد سهيل طقّوش: ص8 .

بالثناء على العبّاسيّين ذُكر أنّ المعتضد قرأها بعد صلاة الجمعة(١).

ولاحقًا خَفَتَ دورُ العبّاسيّين السياسيّ في إذكاء نار العداء للأمويّين بضعف سلطانهم وذهاب قوّة الخلافة وهيبتها.

وأصبحت السلطة في يد المتغلِّبين من الجند، و فتح الباب على مصراعيه لقيام دويلات مستقلّة اتخذ بعضها التشيع الغالي مذهبًا، كالفاطميين والبويهيّين ، وهذا ما سوف يوجه حركة التدوين التاريخيّ مرّة أخرى ضدّ الأمويّين بدوافع مذهبيّة تمتلك مرجعيّة سياسيّة حاضنة لها.

في هذا العصر ظهر شيخ المؤرّخين الطبريّ (ت310هـ) وجماعة من كبار المؤرّخين في التاريخ الإسلاميّ، ولكنّهم لم يجدوا مندوحةً عن تدوين ما وجدوه من تركة ضخمة لرواة ومؤرّخين متزلفين إلى العباسيّين أو حاقدين على الأمويّين بدوافع مذهبيّة أو تحزّبيّة أو شعوبيّة سبق ذكرها.

وهكذا استقرّت الرواية التاريخيّة إلى حدٍّ كبير بشأن الدولة الأمويّة؛ وترسّخت قناعات سلبيّة عن الأمويّين بفعل الكم الكبير من الروايات المشوّهة لتاريخهم، ولاسيما مع قصور منهج النقد التاريخيّ إن لم نقُل غيابه عن الروايات التاريخيّة حيث غلبت طريقة الجمع والتقميش، في حين تأخرت الصنعة النقديّة إلى عصور متأخّرة.

وللأسف فهذه التركة الضخمة هي المادة التاريخيّة التي سيعتمدها المتأخّرون من المؤرّخين في العصر العباسيّ الثاني وما تلاه إلى يومنا هذا(٢).

(١) تاريخ الطبري ج 5/ص624، بدون إسناد، وقد رواه بصيغة تمريض بقوله: وذُكر... والخبر والله أعلم ضعيف لأنّ الطبري عاصر المعتضد في بغداد، وكان أولى بالسماع للمعاصرة ووحدة الموطن واجتماع الناس في خطبة الجمعة.. وإغفاله لناقل الخبر المعاصر مع أنّه يروي الأخبار القديمة بالأسانيد الطويلة مؤشّر على عدم اقتناعه بصحة الخبر.

(٢) يُنظر الدولة الأمويّة المفترى عليها لحمدي شاهين ص 37-38.

المطلب الثالث: شواهد على تحريف تاريخ بني أُميّة:

-ثمّة قصّة ذكرها المؤرّخون تؤكّد وقوع الكذب على بني أميّة في عصرهم : وهي أنّ خالد بن يزيد بن معاوية تزوّج رملة بنت الزبير بن العوام أخت مصعب لأمّه فقال فيها: (من الطويل)

أحنّ إلى بنت الزبير وقد علتْ ... بي العيس خرقاً من تهامة أو نقبا

إذا نزلت ماءً تحبّب أهله ... إلينا وإن كانت مسابقةً حربا

وإن نزلت ماءً وكان قليبها ... مليحًا وجدنا شربه باردًا عذبا

قال ابن الجوزيّ: وقد ازداد بعض أعدائه في هذه الأبيات:

فإن تُسْلِمي نُسْلِم وإن تتنصَّري ... تخطّ رجالٌ بين أعينهم صُلبا

وقيل: قال له عبد الملك تنصّرت يا خالد ؟ قال: وما ذاك فأنشده هذا البيت ، فقال له خالد: على من قاله ومن نحلنيه لعنة الله .

أو قال : على قائله لعنة الله يا أمير المؤمنين(١).

فهذه القصّة إن ثبتتْ تدلّ دلالة واضحة على وقوع الكذب على الأُمويِّين في عصرهم، وهو كذب كما ترى يطعن في عقيدتهم ويشكّك في صدق إسلامهم.

فإذا كان هذا في عصرهم ودولتهم فما الظنّ بالكذب عليهم في ملك أعدائهم؟

(١) يُنظر تاريخ دمشق لابن عساكر 129/69-130، تحقيق: علي شيري، دار الفكر ، 1415هـ ، 1995م، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج6/ص237، ، دار النشر: دار صادر - بيروت - 1358هـ، ط1، وذكره أبو الفرج في الأغاني (17 /346).

- وكذلك فقد ذكر خليفةُ في تاريخه(١) أنّ ابن الأشعث لما أجمع المسير إلى العراق دعا ذرًّا أبا عمر بن ذرّ الهمدانيّ، فكساه ووصله وأمره أن يحضّض الناس، فكان يقصّ كلّ يوم وينال من الحجاج بن يوسف الثقفيّ. فهذه رشوة ظاهرة من ابن الأشعث لذرّ بن عمرَ كي يطعن في الحجاج عامل الأمويّين على العراق، وقد استجاب ذرٌّ لذلك؛ فالله أعلم بالأكاذيب التي اختلقها على الحجاج ليشوّه صورته ويحرّض عليه، والله أعلم كم رشح من تلك المطاعن إلى كتب التاريخ التي طفحت بمثالب الحجاج بن يوسف(٢).

-ومن الأمثلة التي تشهد بوقوع الكذب على حكم بني أميّة وعمّالهم في الأمصار أنّ أغلب المصادر التاريخيّة لا تقدّم صورةً طيبةً عن " قُرّة بن شريك العبسيّ" عامل الأمويين على مصر (90-96هـ)(٣) حيث تسرف في الحديث عن لهوه وجشعه وظلمه وشدّته على رعيته في مصر (٤).في حين تظهره أوراق البرديّ التي عُثر عليها في " كوم أشقا " بمصر بصورة الوالي العادل الحريص على رعيته، والحازم الذي لا تخدعه ألاعيب ولاته، والحريص على بيت المال، فبعض البرديات تَذكُر رسالته لعاملٍ له يوصيه بالعدل بين الناس، وأخرى يطلب من عامل آخر سداد الدين عن أحد رعيته، وثالثة تَذكُر طلبه إلى عامل له بردّ غرامة فرضها على بعض القرى، ورابعة يُحدد فيها أجور الصنّاع الذين يعملون في بناء السفن، لأنّه يخشى أن يترك ذلك لصاحب الكورة التي منها الصناع فيجور أو يحابي(٥).

فشتّان بين الصورتين؛ صورة الغشوم الظلوم الفاجر اللاهي، وصورة الوالي الحازم العادل الحريص على الرعيّة، ولذا أجدني أؤكّد مجددًا أنّ ضياع الآثار التاريخيّة عن الحقبة الأمويّة

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (ص 362) تحقيق: سهيل زكار، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ.

(٢) يُنظر كتاب الحجاج المفترى عليه، د محمود زيادة ص5، دار السلام- مصر، ط1: 1415هـ/1995م.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط (ص 416).

(٤) يُنظر المنتظم (34/7)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي (1 /587)- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه — مصر، ط1،1387 هـ - 1967م، شذرات الذهب (111/1)، تاريخ الإسلام للذهبي (456/6).

(٥) يُنظر أوراق البردي العربيّة بدار الكتب المصريّة لأدولف جروهمان (23/3-24)ترجمة حسن ابراهيم، ومراجعة عبد الحميد حسن، طبعة دار الكتب المصرية 1955م، ويُنظر مصر في فجر الإسلام للدكتورة سيدة كاشف ص 30، دار الفكر العربي — طبعة سنة 1947م، الدولة الأموية المفترى عليها ص29.

أسهم في تشويه تاريخهم، إذ استبدّ بتدوينها الخصوم في العصور اللاحقة، ولو كتب لهذه الوثائق السلامة لأسهمت في إنصاف الأمويين وتجلية تاريخهم بعيدًا عن الظلم والتشويه.

وإذا كان ذلك الكذب كلّه قد تمّ في العصر الأمويّ، وفي أثناء سيطرة الأُمويِّين، وفي الحديث الشريف والتاريخ معًا، فـإنّه قد ظهر جماعة في العصر العباسيّ من كبار المؤرّخين الذين ترجموا تلك العداوة المتأصلة إلى تَزَيُّدٍ في روايات التاريخ الأمويّ، واختلاق لبعض الأخبار التي تسيء إلى بني أميّة وتشوّه سيرهم، وتلوينٍ لأخبار ثورات الشيعة ضد بني أمية بألوان البطولة والتعاطف مع الثائرين، والاتهامِ والتشنيع على الأُمويِّين، ومن هؤلاء المؤرّخين البارزين: أبو مخنف لوط بن يحيى، وهشام بن الكلبيّ، وأبوه محمد بن السائب الكلبيّ، ثم الأصفهانيّ، واليعقوبيّ، والمسعوديّ، وغيرهم.

المطلب الرابع: تلميع تاريخ الأمويّين

يرى بعض المشكّكين أنّ تاريخ الأُمويِّين تمّ تلميعه من قبل بعض الرواة والمؤرّخين [1]، ويستشهدون لذلك بالمبالغات الكبيرة في فضائل ومناقب معاوية بن أبي سفيان أوّل خلفاء الدولة الأمويّة، وتلك أيضًا التي حُكيت في فضائل عمر بن عبد العزيز وزهده وعدله وورعه[2].

وأحاديث الفضائل تعرّضت للتضخيم بفعل الوضع في الحديث، وحظُّ الخلفاء الأمويّين من هذا التضخيم يسيرٌ جدًا إذا ما قيس بتضخيم مناقب أئمة العلويّين والخلفاء العباسيّين، وهذا الأمر سوف يخضع لدراسة مفصّلة في الباب الثالث لأنّه جزء مهمٌّ من الدراسة الحديثيّة التي ينهض بها الباب الثالث من البحث.

وهذا لا ينفي أنّ الأمويّين كانوا يستميلون القلوب بالعطايا وبذل الأموال، ويصلون مادحيهم من الشعراء والخطباء بعظيم النوال، فإنّ تلك الأمور تندرج في السياسة السلطانيّة، وإن كانت - ولاشكّ — تترك أثرها في التاريخ، ولكن لا يمكن أن نعدّ ذلك تلميعًا بالمفهوم التزويريّ الذي يقدّمه مصطلح التلميع.

---

(١) يُنظر الطريق إلى مذهب أهل البيت- أحمد راسم النفيس ص71، مركز الغدير للدراسات الإسلامية –قم، ط1- 1418هـ، والسيف والسياسة – صالح الورداني ص136، دار الجسام- القاهرة، ط1 -1415هـ.

(٢) يُنظر الدولة الأمويّة المفترى عليها لحمدي شاهين ص 41.

وقد أشرت في المطلب السابق إلى ضياع جهود تاريخية كبيرة في عصر بني أميّة بفعل الحرائق والتخريب الذي تعرضّت له دواوينهم ووثائقهم، فلم يرشح لنا من ذلك إلا النـــزر اليسير .

ومراسلات الأمويّين التي حفظتها أوراق البردي المكتشفة في مصر- والتي سبق الإشارة إليها- مع تلك التي حفظتها كتب التاريخ، دليلٌ على بساطة المراسلات وبعدها عن التكلّف والتصنّع، بل فيها من الوضوح بما يجعلها شفافةً عن مراميها حقًّا كان ذلك أم باطلًا، وقد شهد بذلك بعض كتّابهم بين يدي يحيى بن خالد البرمكيّ[١] وزيرِ هارون الرشيد فقال: « إنّ بني أُميّة كانت لا تكتب في الباطل أنّه حقٌّ ، ولا في الحقّ أنّه باطل ، ولا تُعقب أمرًا قد نفذ بخلافه أمرٌ، فلا يحتاجون إلى الإطالة وطلب المعاذير والتلبيس وأنتم تكتبون في الش يءالحقِّ أنّه باطل، والباطل أنّه حقٌّ، ثم تُعقبون ذلك بخلافه، فلا بدّ لكم من الإطالة »[٢].

وقد بحثت مليًّا في تراجم رواة التاريخ علّني أعثر على أولئك الذين وضعوا القصص والأخبار لتجميل صورة بني أميّة، فلم أعثر إلا على راوٍ واحدٍ اتُّهم بوضع الأخبار لبني أميّة. وهو عوانة بن الحكم الكوفيّ(ت 147هـ) [٣]بعض أقدم رواة التاريخ الإسلاميّ من طبقة سيف بن عمر التميميّ، وأبي مخنف الكوفيّ.

وهذه التهمة لقيت رواجًا في المؤلفات المعاصرة [٤]، ولكن ما هو مصدر هذه التهمة وما دليلها؟.

---

(١) يحيى بن خالد بن برمك (ت 190 هـ) سيّد بني برمك ، مؤدّب الرشيد العباسيّ ومعلمه ومربيه وزير ه. مَاتَ فِي سِجْنِ الرَّقَّةِ، بعد نكبة البرامكة، وَلَهُ سَبْعُوْنَ سَنَةً. يُنظر سير أعلام النبلاء (9 /89-91)، والأعلام للزركلي (8 /144).

(٢) تاريخ دمشق (68 /220-221).

(٣) عَوَانَةُ بنُ الحَكَمِ بنِ عِيَاضِ بنِ وِزْرٍ الكَلْبِيُّ :العَلاَّمَةُ، الأَخْبَارِيُّ، أَبُو الحَكَمِ الكُوْفِيُّ، الضَّرِيْرُ، أَحَدُ الفُصَحَاءِ.لَهُ كِتَابُ (التَّارِيْخِ)، وَكِتَابُ (سِيَرُ مُعَاوِيَةَ، وَبَنِي أُمَيَّةَ)، وَغَيْرُ ذَلِكَ.يَرْوِي عَنْهُ: هِشَامُ بنُ الكَلْبِيِّ، وَغَيْرُهُ.وَكَانَ صَدُوقاً فِي نَقْلِهِ. سير أعلام النبلاء (7 /201)، ويُنظر لسان الميزان (4 /386)، والأعلام للزركلي (5 /93).

(٤) يُنظر التاريخ العربي والمؤرخون –شاكر مصطفى (128/1)، الخوارج والحقيقة الغائبة- ناصر السابعي ص 41- دار المنتظر –بيروت –لبنان- طبعة سنة 1420هـ/2000م.

لقد ترجم ابن حجر العسقلانيّ في لسان الميزان لعوانة فذكر أنّه «كثير الرواية عن التابعين قلّ أن روى حديثًا مسندًا، وأكثر المدائنيّ[١] عنه، وقد رُوي عن عبد الله بن المعتز عن الحسن ابن عُليل العنزي عن عوانة بن الحكم أنّه كان عثمانيًّا فكان يضع الأخبار لبني أميّة»[٢] .

وقد سبق إلى نقل هذا الخبر ياقوت الحمويّ (ت 626 هـ) في معجم الأدباء[٣]، وكلاهما يروي الخبر بصيغة تمريض وبانقطاع ظاهر بين المصنفيّن وبين عبد الله بن المعتز (ت 296 هـ)، فهو خبر منقطع الإسناد، وابن المعتز راوي الخبر أديب أخباريّ مستور الحال، وهو كذلك عباسيّ المحتد بل هو خليفة يوم وليلة، وهذا أدعى للشكّ في خبره .

ثمّ ظاهر الخبر أنّ كلام عوانة عن نفسه هو أنّه -كان عثمانيًّا - فحسب، وقوله: «كان يضع الأخبار لبني أميّة» هو من كلام الحسن بن عُليل أو من كلام ابن المعتز إذ لا يتصوّر من عوانة أن يرمي نفسه بالكذب، ولا يلزم من كونه عثمانيًّا أن يكذب للأمويّين. والرجل مشهود له بالصدق فقد ترجم له الذهبيّ في السير وقال : « كَانَ صَدُوقاً فِي نَقْلِهِ. »[٤] فهذا يردُّ تهمته بالوضع.

وكنت أرجو لو حفظ كتابه في "سيرة معاوية وبني أميّة"، أو كتابه " التاريخ" ولكن لم يبقَ منهما إلا نتفٌ تناقلتها الرواة عنه كالمدائنيّ وهشام بن الكلبيّ والهيثم بن عدي ليتلقّفها الطبريّ عن طريقهم[٥]، وبعد النظر في مرويّات الرجل عند الطبري والبلاذريّ في أنساب الأشراف نجد له روايات في صالح الزبيريّين وأخرى ضد الحجاج بن يوسف، وروايات في صالح العلويّين وأخرى ضد الكوفة، ولا نجد له روايةً يمكن أن تشهد له بالعثمانيّة فضلًا عن الكذب لبني أميّة. إلا إذا كانت روايته مثلًا عن سكينة بنت الحسين قولها: « ما رأيت رجلًا

---

(١) المَدَائِنِيُّ (135 - 225 هـ):هو أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ ، المَدَائِنِيُّ، الأَخْبَارِيُّ: رواية مؤرّخ، كثير التصانيف، من أهل البصرة.سكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن توفي. قيل في تاريخه أنّه أحسن التواريخ وعنه أخذ الناس تواريخهم . يُنظر سير أعلام النبلاء (10 /400-402)، و الأعلام للزركلي (4 /323).

(٢) لسان الميزان (4 /386).

(٣)معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي (512/4)، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 1411هـ- 1991م.

(٤) سير أعلام النبلاء (7 /201).

(٥) يُنظر التاريخ العربي والمؤرخون —شاكر مصطفى (180/1).

كافرًا بالله خيرًا من يزيد بن معاوية » [١]، فهل هذا من التسامح؟ ولعمري إن يزيد لم ينسب إلى شرٍّ أعظم من نسبته إلى الكفر، ولكنّ هذه الرواية مشكوك فيها لورودها من طريق هشام الكلبيّ وقد علمت ضعفه وكذبه وتشيّعه.

ولذا فدعوى كذب عوانة لصالح الأمويّين أو تسامحه معهم لا تصحّ، ولا يقوم لها دليل ثابت، بل استقراء روايات عوانة تشعر باعتداله مع الأمويّين بمعنى أنّه لم يكن متحاملًا عليهم، ولذا جاءت معظم رواياته بنَفَس أقلّ عداوة من غيره وأقرب إلى الإنصاف من باقي الرواة والأخباريّين.

ولا نعلم بوجود كتب تاريخيّة ترجع إلى العصر الأمويّ متخصصة بمدح الأمويّين وتخليد مآثرهم، بل جلّ ما وصل إلينا أنّه وضع في فضائل الأمويّين كتابان –سبق ذكرهما– كُتبا في العصر العباسيّ كردّة فعلٍ على الحملة العباسيّة على الأمويّين، غير أنّهما لم يصلا إلينا وهما:

كتاب" البراهين في إمامة الأمويّين ونشر ما طوي من فضائلهم " لمؤلِّف مجهول [٢]، وكتاب "مغازي معاوية" لمؤلِّف مجهول أيضًا[٣].

دور المدرسة الأندلسيّة في إظهار فضائل بني أُميّة:

فُتِحَتْ الأندلس على أيدي الأمويّين، ودانت بالولاية لدمشق حاضرة الأمويّين طوال مدّة حكمهم، فلما أفل سلطانهم بالشرق بقيت الأندلس لهم في الغرب بعد فرار الأمير الأمويّ عبد الرحمن بن هشام الداخل إليها حيث أقام فيها إمارةً أُمويّةً، تحوّلت لاحقًا إلى خلافةٍ أمويّةٍ نافست خلافة العباسيّين في الشرق.

وفي الأندلس موالي الأُمويّين وحلفاؤهم، وإليها فاءت كذلك بقيّة من الأمويّين الذين نجوا من سيوف المسوّدة، فلا غرو إذًا أن نجد في الأندلس عصبيّة للأمويّين وحماسةً لهم يوازي التجيش العباسيّ ضدهم في الشرق.

ولكن هل كان هذا حاضرًا على مستوى الكتابة التاريخيّة؟

---

(١) تاريخ الطبري (341/3) من رواية هشام الكلبيّ عن عوانة بن الحكم.

(٢) يُنظر التنبيه والإشراف للمسعودي ص 291–تحقيق:عبد الله بن إسماعيل الصاوي، دار الصاوي – مصر– 1357هـ/1938م،و يُنظر التاريخ العربي والمؤرخون –شاكر مصطفى (132/1).

(٣) نقل عنه البلاذريّ نصًا يتعلق بغزو معاوية للمصيصة – فتوح البلدان (169/1)–ط دار الكتب العلمية.

يرى الدكتور حسين مؤنس أنّ الأخبار في فضائل بني أميّة تُمثّل ظاهرةً تأريخيّةً طفحت بها كتب التاريخ التي كُتبت في الأندلس، مثل كتابات ابن حزم وأبي بكر بن العربي اللذين دافعا عن بني أميّة دفاعًا عظيمًا، وكذلك في كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب الفقيه الأندلسيّ، الذي ملأ كتابه بفضائل الأمويّين والتعصّب لهم(١).

ولكن هذه الدعوى منتقضة بأمورٍ لا يسعنا تجاهلها:

الأوّل: أنّ من ذكر من العلماء الأندلسيّين ليسوا من المؤرّخين وإنما هم من الفقهاء والعلماء الذين لهم مشاركة في التاريخ.

الثاني: هؤلاء الذين ذُكروا مع غيرهم ممن لم يذكرهم كالقاسم بن أصبغ (٢) الذي ألّف كتابًا في فضائل بني أميّة (٣)، لم يمثّلوا ظاهرةً واسعة تمتدّ لتشمل غيرهم من المؤرّخين والأدباء الأندلسيّين، وبالتالي فالتعميم الذي أطلقه الدكتور حسين مؤنس كان مجازفةً، ولاسيما إذا علمنا أنّ عامة مؤرّخي الأندلس وأدباءهم ساروا على نهج المشارقة في التاريخ والأدب كما فعل ابن عبد ربّه الأندلسيّ- من موالي بني أميّة- في كتابه الشهير " العقد الفريد" وهو مملوءٌ بالروايات التي تشنّع على بني أميّة(٤).

فالحقّ أنّ غالب الكتابات الأندلسيّة في هذا المضمار كانت تتحرك لتقويم الكتابات المتعصّبة ضد الأمويّين وردّها إلى مسار الإنصاف، وقد نشأت في المشرق مدرسة تبنت – كذلك- الدفاعَ عن بني أميّة وإنصافهم من دعاوى الكفر والفجور في رواياتٍ روّجتها فرق تُعرف بكراهيتها للأمويّين، فكان على رأس هذه المدرسة ابن تيمية الحرّاني، وتلاميذه ابن كثير والذّهبي، ثم ابن حجر العسقلاني، وابن حجر الهيتميّ وغيرهم..

---

(١) يُنظر كلامه على هامش كتاب"تاريخ التمدّن الإسلاميّ" لجرجي زيدان(91/4)، دار الهلال –مصر،سنة 1958م.

(٢) قاسم بن أصبغ (ت 340 ه): الإِمَامُ، الحَافِظُ، مُحدِّثُ الأَنْدَلُسِ، أَبُو مُحَمَّدٍ القُرْطُبِيُّ، مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، ذو التصانيف، سكن قرطبة ومات بها، يُنظر سير أعلام النبلاء (15 /472-474)، و نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (2 /47) لأحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان، والأعلام للزركلي (5 /173).

(٣) وله كتاب في فضائل بني هاشم لم يصل إلينا كذلك،يُنظر الدولة الأمويّة المفترى عليها- د. حمدي شاهين ص 86. ولعلهما في "فضائل قريش وكنانة" إيضاح المكنون (2 /197).

(٤) يُنظر الدولة الأمويّة المفترى عليها- د. حمدي شاهين ص 86.

فهؤلاء من المشارقة الذين ما دخلوا تحت سلطان بني أُميّة، وليسوا من سلالاتهم ولا من مواليهم، ولكن حملهم الإنصاف على ردّ كثيرٍ مما أُلصق ببني أميّة زورًا وكذبًا.

ولكن مع ذلك تبقى المدرسة الأندلسيّة تاريخيّة كانت أو أدبيّةً مصدرًا مهمًا في حفظ تاريخ الأمويّين ليس في المغرب فحسب بل في المشرق أيضًا، فمن الجدير بالذكر أنّ خليفة ابن خياط العصفريّ (ت 240هـ) وضع كتابه في التاريخ وهو من أكثر الكتب اعتدالًا في تاريخ بني أميّة، وقد اختفت نسخه فلم نجده إلا من رواية أندلسيّة عن بقيّ بن مخلد المحدّث الأندلسيّ الشهير في مخطوط في الخزانة العامة للمخطوطات في الرباط[1].

والخلاصة أنّ حفظ التاريخ مهمّة نبيلة وكذلك نقد الروايّات بغرض إنصاف الأمويّين، وقد اضطلع بها علماء من الأندلس ومن المشرق أيضًا، وأمّا التلميع فهو تزوير للتاريخ وعملٌ لا يمتُّ بصلةٍ إلى العلميّة ولا إلى الأخلاقيّة.

وأخيرًا فدعوى تلميع تاريخ الأمويّين من قبل الأمويّين أنفسهم أو من حلفائهم ومواليهم، لا تجدُ مستندًا تاريخيًّا ينصرها، ولا دليلًا علميًّا عليها، وهي تغرق في بحار الرِّوايات التاريخيّة التي تنهض بمهمة تشويه تلك الحقبة من التاريخ الإسلاميّ.

وإذا كان التاريخ الأمويّ قد تكاثرت حوله الافتراءات، ولم يعط حقّه من الإنصاف، فليس معنى ذلك أنّ المسؤولين عن حكم الدولة الأمويّة، كانوا مثاليّين ، فلكلّ دولة مزايا تذكر لها ومآخذ تسجل عليها [2]، المهم أن تكون الدراسة منصفة تتوخى الدقّة وتعتمد المنطق التاريخيّ بعيدًا عن التعصّب والهوى.

(١) يُنظر تاريخ خليفة – مقدمة المحقق د سهيل زكار ص : (ل).

(٢) تاريخ الدولة الأمويّة د. محمد سهيل طقّوش: ص9 .

جهود العلماء في إنصاف تاريخ الأمويّين:

لقد رفض العلماء قديمًا وحديثًا تلك الرِّوايات القبيحة التي تشوّه تاريخ أمتنا في عصرها الأزهر ولاسيّما في حقّ الصحابة الكرام وخيار التابعين والتي شُحنت بها كُتب التاريخ و الأدب ، وقد كان دأب علماء السلف إهمالها، ولا تعدّ عندهم من العلم في شيء [1]، ولكن مع تطاول العهد أفرزت هذه الرِّوايات أثرها السيئ في نفوس بعض من أفراد الأمّة، وكان لابدّ من التصديّ لها ، فكان من فضلِ اللهِ وتوفيقِهِ أنْ قَيَّضَ مجموعةً من العلماءِ النُّقَّادِ الذين قامُوا بجهد في نقدِ الرُّواة والمرويّات؛ فبيَّنوا الزَّائفَ من الصَّحيحِ، ودافعُوا عن عقيدةِ الأمّة وتاريخِها.

وساعد على ذلك ما بذله علماء السنّة من جهد عظيمٍ في بيانِ الأحاديثِ المكذوبةِ بالنَّصِّ عليها، وبيان الرُّواةِ الضِّعافِ والمتهمينَ وأصحاب الأهواء وفي رسم المنهج العلميّ لنقد الرِّوايات وقبولها؛ وهو جهد كبير وموفَّقٌ.

فلولا كتب الرجال والتراجم لما استطعنا بعد تقادم العصور تمييز الرواة العدول من سواهم، ولا معرفة أهل الأهواء ومشاربهم وما لهم وما عليهم.

---

(١) قال الميموني سمعت أحمد بن حنبل يقول :((ثلاثة كتب ليس لها أصل المغازي والملاحم والتفاسير)) قال الخطيب البغداديّ بعد نقله كلام الإمام أحمد :((المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها ولا موثوق بصحتها لسوء أحوال مصنفيها وعدم عدالة ناقليها وزيادات القصاص فيها)) . الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي: 162/2 تحقيق : د. محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض، 1403هـ. وقال أبو اليسر عابدين:ينبغي أن يضاف إليها الفضائل. فهذه أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة..أغاليط المؤرخين ص 19 مكتبة الغزالي – دمشق، ط2 ، 1410هـ/1989م.

ومن أبرز من تصدَّى لإيضاحِ المغالطات التاريخيّة وردِّ زِيُوفِ الرِّوايات المكذوبةِ القاضي ابنُ العربيِّ (ت: 543هـ) في كتاب"العواصم من القواصم ".

وابن تيميّة(ت728هـ) في كثيرٍ من كتبِهِ ورسائِلِهِ، وبخاصة كتابه " منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة والقدرية"[١].

وكذا الحافظ الناقد الذهبيّ(ت748هـ) في كثير من مؤلّفاته التاريخيّة مثل كتاب " سير أعلام النبلاء " و" تاريخ الإسلام ومشاهير الأعلام" ، و" ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، وكذلك الحافظ ابن كثير(ت774هـ) المفّسر المؤرّخ في كتابه " البداية والنهاية "، و الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت852هـ) في كتابه "فتح الباري شرح صحيح البخاري " [٢]، وكتاب "لسان الميزان"، و" تهذيب التهذيب"، و"الإصابة في معرفة الصَّحابَة ".

و لم تزل كتب المحدِّثين والعلماء المحققين طافحة بالمنهج الصحيح للتعامل مع هذه الرِّوايات التاريخيّة السقيمة ونقدها سندًا ومتنًا حتى تاريخنا المعاصر، فقد ألّف أبو اليسر عابدين كتابه (أغاليط المؤرّخين) تصحيحًا لكثير من الرِّوايات التاريخيّة المزوّرة أو المحرّفة، وقدّم له بمقدمةٍ تنسجمُ مع منهج المحدِّثين في قبول الرِّوايات وردّها، والملاحظ أن أسد رُستم أقرّ بعد اطلاعه على منهج المحدِّثين أنّه لابدّ للمؤرخين من سلوك المنهج نفسه، لذلك سمّى كتابه في علم نقد التاريخ بــ (مصطلح التاريخ) تأثرًا بمصطلح الحديث.

كما كان للدكتور يوسف العش منهج سديد في لفت نظر المؤرّخين إلى ضرورة دراسة أسانيد روايات الفتنة واختبارها بناء على موثوقية الرواة أو عدم موثوقيتهم وقربهم من

---

(١) وقد صنّفه ردًّا على كتاب "منهاج الكرامة" للحليّ، وقد ردّ فيه كثيرًا من المطاعن التي وجهها للخلفاء الراشدين وعموم الصحابة، ومنهم عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان ووالده أبو سفيان وعمرو بن العاص وغيرهم، وناقش كثيرًا من الروايات التي تشوّه صورة العصر الأمويّ، وغالبًا ما امتازت ردوده بالتحليل العلميّ للرواية، وبالموضوعيّة في الطرح في منهج متكامل يعتمد في الحكم على العلم والعدل، ويرى أن الجهل والظلم هما أساس الداء ومكمن البلاء.يُنظر منهاج السنة النبوية ج 2/ص71-: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مؤسسة قرطبة – 1406، ط: 1، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

(٢) حيث ناقش في فتح الباري عددًا كثيرًا من الروايات التاريخية جمعها ودرسها د. يحيى بن إبراهيم علي اليحيى . في رسالة للدكتوراه وسمت بعنوان : (الروايات التاريخية في "فتح الباري في عصر الخلافة الراشدة والدولة الأموية").

الحدث أو بعدهم عنه، مع انسجام الرواية مع روح العصر، وهذه النقطة الأخيرة كان ابن خلدون أوّل من نادى بها في مقدمته الشهيرة [١].

وأخيرًا: أمام هذه الملاحظات النقدية على الروايات التاريخية التي نقلت أخبار عصر الصحابة الكرام، وبعد الاطلاع على تلك الثغرات الخطيرة في أركان الرواية التاريخية لا بدّ للباحثين المعاصرين من إعادة النظر في الدراسات الاستشراقية والعربية التي نسجت على منوالها في اعتماد مصادر مشكوك في نسبتها إلى أصحابها، أو روايات لم تعطَ حقّها من النقد الخارجيّ والداخليّ، مع الاهتمام بميول المصنفين وتأثرهم السياسيّ والمذهبيّ، ودقّة الموارد وتوثيق الرواة مع مراعاة القرب الزمانيّ والمكانيّ من الأحداث التي نقلوا أخبارها.

ولاشكّ حينئذٍ أنّ المنهج النقديّ الذي اتبعه المحدّثون سيكون الخيار الأفضل بوصفه نموذجًا يُحتذى به في تأسيس منهج نقديّ تاريخيّ يجعلنا نبحر بأمان في أمواج التاريخ المتلاطمة.

(١) يُنظر تاريخ بن خلدون(15/1).

الفصل الثاني:

الأسرة الأمويّة

في

الجاهليّة والإسلام

مطلب في نسب بني أميّة:

ينتسبُ الأمويون إلى عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر(١)، وهم من بطون قريش الصرحاء (٢) .

وأُميّة اسم مُشتقٌّ من الأَمة وهي الجارية، واختُلف في النسبة إلى أُميّة على أقوال(٣):

الأوّل: أنه يُنسب إليه أُمويّ، بضم الهمزة جرياًعلى لفظ أُميّة.

والثاني: أَمويّ، بفتح الهمزة لأنّ أُمية تصغير أَمَة، وأصل أَمَة أَمَوَة، فإذا نسبتَ ردّدته إلى الأصل.

والثالث: أُمَيِّيٌّ أَجروه مُجْرى نُمَيْريّ وعُقَيْليّ، وهو اشتقاق ثقيلٌ على اللسان لأنّه يجمع بين أَربع ياءَات متوالية ولذا لم يشتهر في كلام العرب .

وانتصر ابن دريد(٤) للقول الأوّل فقال:" **أُميَّة: تصغير أَمَة ، والنَّسبُ إليه أُمويٌّ بضم الهمزة؛ فأمّا من قال: أَمَويٌّ فقد أخطأ، وفي بني كِنانة أو في بني نصر بن معاويةَ بطنٌ يقال لهم بنو أَمَةَ، والنَّسب إلى أولئك أَمَويٌّ**"(٥).

والتحقيق أنّه كان لعبد شمس ولدان لهما الاسم نفسه، أُميّة الأكبر وأُميّة الأصغر **أولاد علّة**(٦) ، فمن أميّة الأكبر عشرة أولاد ويقسمون إلى العنابس والأعياص .

---

(١) يُنظر تاريخ دمشق - (23 / 431)

(٢) جمهرة أنساب العرب – ص433، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق لجنة من العلماء دار الكتب العلمية – بيروت ، 1418ه/1998م

(٣) يُنظر لسان العرب (14 /44)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري 2272/6،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4،1407ه.

(٤) ابن دريد (ت 321 ه): العَلاَّمَةُ، شَيْخُ الأَدب، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ بنِ دُرَيْد بنِ عَتَاهِيَة الأَزْدِيُّ، البَصْرِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ: من أئمة اللغة والأدب. كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. له كتاب الاشتقاق وغيره. يُنظر سير أعلام النبلاء (15 /96)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص 62)،الأعلام للزركلي (6 /80)

(٥) يُنظر الاشتقاق (ص 54)لابن دريد في باب اشتقاق أسماء العشرة- عثمان بن عفان رضي الله عنه - تحقيق: عبد السلام هارون- دار الجيل – بيروت، ط1- 1411ه/1991م ، لسان العرب - (14 / 44).

(٦) أوْلاَدُ العَلّات : الذين أمَّهاتُهم مُخْتَلفةٌ وأبوهم واحِدٌ . النهاية في غريب الحديث و الأثر لابن الجزري (3/ص291، المكتبة العلمية - بيروت – 1399ه /1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي

فالعنابس: حرب، وأبو حرب، وسفيان، وأبو سفيان، وعمرو، وأبو عمرو، يُقال لهم " العنابس " وسبب ذلك يرجع إلى التغليب لأنّ اسم أبي سفيان عنبسة[١]، وقيل سبب ذلك أنّهم كانوا يوم عكاظ مع أخيهم حرب، قاتلوا قتالًا شديدًا؛ فشبّهوا بالأُسد، فقيل لهم: " العنابس " ، والأَسَد يُقال له: " العنبسة "[٢] .

والأعياص: العاصي وأبو العاصي والعيص وأبو العيص.

ومن الأعياص عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعتَّاب بن أُسيد رضي الله عنه عامل النبيّ ﷺ على مكّة، وآل سعيد بن العاصي. ومن العنابس آل أبي سفيان بن حرب مُعاوية وولده وإخوته[٣].

وأمّا أُميّة الأصغر فمنه ثلاثة أخوة لأمّ اسمها عبلة[٤] يُقال لهم العَبَلَات بالتحريك[٥] .

والأمويّون الذين اشتهروا بهذا الاسم هم بنو أميّة الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف.

ومنهم الخلفاء الأمويّون، فمن العنابس الخلفاء الأمويّون الثلاثة الأوائل معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد ومعاوية بن يزيد، والباقي من الأعياص.

ويلتقي بنو أُميّة جميعًا في عبد شمس والنسبة إليه عبشميّ[٦] ، فكلّ أمويٍّ عبشميٌّ وليس كلّ عبشميٍّ أمويًّا، لأنّ لعبد شمس من الأولاد الذكور ثمانية [٧]: حبيب، وأميّة الأكبر، وأميّة الأصغر، وعبد أميّة، ونوفل، وعبد العزى، وربيعة، وعبد الله الأعرج ليس له عقب، وإنّما اشتهر فيهم أميّة الأكبر لأنّه كان أعظمهم ذريّةً، ولكن درج المؤرّخون الأوائل الواقديُّ وابن سعد وابن إسحاق وخليفة بن خيّاط [٨] على عدم التفريق بينهم في الاعتبار الأسريّ ونسبتهم جميعًا إلى عبد شمس وذلك عند تسمية مَن هاجر أو مَن شهد بدرًا أو غيرها من

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري (4 / 7) تحقيق محمود الفردوس العظم ، دار اليقظة العربية – دمشق ، (د.ط) .

(٢) يُنظر نسب قريش (ص 100).

(٣) نسب عدنان وقحطان لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد ص 2،تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتيّ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة1354هـ/1936م.

(٤) وعبلة هذه هي بنت عبيد بن جاذل من بني تميم وأولادها : أمية الأصغر، وعبد أمية، ونوفل.يُنظر نسب قريش ص98، أنساب الأشراف 5/4 .

(٥) أنساب الأشراف 5/4 .

(٦) لسان العرب (6 /113) مادة شمس.

(٧) نسب قريش (ص 100)، جمهرة أنساب العرب (ص 67)

(٨) يُنظر مثلًا مغازي الواقدي (ص 154)، الطبقات الكبرى لابن سعد (3 /53)، طبقات خليفة (ص 39).

المغازي.

ويبدو أنّ ذلك يرجع إلى المقابلة بين بني عبد مناف جميعًا، فكما يُقال بنو هاشم وبنو نوفل وبنو المُطَّلِب فالصحيح أن يُقال بنو عبد شمس؛ ويشهد لصحّة هذا الصنيع قول معاوية ﷺ لما بلغه موت عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس: « بِمَنْ نُفَاخِرُ؟ وَبِمَنْ نُبَاهِي بَعْدَهُ؟! »(١) وإنّما يجتمع معاوية معه في عبد شمس.

ويجتمع الأمويّون مع بني هاشم في عبد مناف - واسمه المغيرة- وكان يدعى القمر لجماله(٢)، وله أربعة أولاد ذكور: عبد شمس وهاشم واسمه — عمرو- والمُطَّلِب ونوفل(٣).

وأمُّ هاشمٍ وعبد شمس والمُطَّلِب وهي عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمية. وأمُّ نوفل وهي واقدة من بني مازن بن صَعْصَعة السُّلمية(٤).

والرابطة النسبيّة بين هؤلاء جميعًا يُقال لها " المنافيّة" نسبةً إلى عبد مناف(٥).

"ولا يخفى أنّه كان لبني عبد مناف في قريش محلّ من العدد والشرف لا يناهضهم فيه أحد من بطون قريش، وكان فخذاهم: بنو أميّة وبنو هاشم حيًّا جميعًا يباهون بعبد مناف وينتمون إليه، وجميع قريش تعرف ذلك وتسلّم لهما الرياسة عليهما؛ إلّا أنّ بني أميّة كانوا أكثر عددًا من بني هاشم وأوفر رجالًا، والعزّة إنما هي بالكثرة؛ قال الشاعر(٦):(من السريع)

وَلستَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى ... وَإِنّمَا العِزةُ لِلْكَاثِرِ "(٧) .

(١) يُنظر الطبقات الكبرى لابن سعد (5 /49)، وسير أعلام النبلاء (3 /21).

(٢) أنساب الأشراف (1 /60)

(٣) نسب عدنان وقحطان (ص 2)

(٤) جمهرة أنساب العرب (ص 12)

(٥) قال الجوهري: والنسبة إلى عبد مناف. منافي، قال: وكان القياس عبديّ ألا أنهم عدلوا عن القياس لإزالة اللبس. الصحاح للجوهري 1436/4.

(٦) البيت من قصيدةٍ للأعشى ميمون، فضّل فيها عدو الله عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة الصحابي قبل إسلامه. ديوان الأعشى الكبير ص 193، شرح وتعليق: محمد محمد حسين ،دار النهضة —بيروت، 1972م، ويُنظر خزانة الأدب (3 / 184) لابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال - بيروت —ط1 1987م.

(٧) سمط النجوم العوالي (3/ص105 لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت — 1419هـ- 1998م.

المبحث الأوّل: العلاقة بين الأمويّين والهاشميّين في الجاهليّة:

المطلب الأوّل: أخبار مُنافرات ومنازعات الجاهليّة على محكّ النقد العلميّ:

مع قوّة الرابط النسبيّ — وهو أقوى الروابط عند العرب في الجاهليّة- والذي يجمع بني عبد مناف الأمويّين والهاشميّين، فإننا نجد رواياتٍ تاريخيّةً تحاول أن تعطيَ انطباعًا خاصًا عن عداوة دمويّة حتميّة سوف تحدث بين بني هاشم وبني أميّة، و قد اضطلع بهذه المهمّة كتاب يُنسب إلى المقريزيّ[١] يُسمى" النزاع والتخاصم بين بني أميّة وبني هاشم" وقد أورد عددًا من الأخبار تكرّس مفهوم العداء المبكر بين الأمويّين والهاشميّين، ولذا سوف أقوم بدراسة تلك الأخبار من هذا الكتاب مع البحث عن أصولها في كتب التاريخ القديمة للوقوف على أسانيدها ونقدها سندًا ومتنًا.

أولًا: خبر فصل التوأمين :

وهو ما أصّل به المقريزيّ المنافرة [٢] بين الفريقين في كتابه إذ يقول: «يُقال : إنّ هاشمًا وعبد شمس ولدا توأمين، وخرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم، وقد لصقت إصبع أحدهما بجبهة الآخر، فلما نُزعت دَمي المكان، فقيل: سيكون بينهما أو بين بنيهما دم ،فكان ذلك»[٣].

وقد ذكر ابن جرير الطبريّ الخبر بغير سندٍ وجاء بصيغة تمريض فقال: «وقيل إنّ عبد شمس وهاشمًا توأمان، وإنّ أحدهما وُلد قبل صاحبه وإصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه فنُحّيت عنها، فسال من ذلك دم فتُطيِّر من ذلك، فقيل تكون بينهما دماء»[٤].

---

(١) هو أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزيّ: مؤرخ الديار المصرية (766 – 845 ه) ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، له مصنّفات تاريخيّة كثيرة وشهيرة. يُنظرالأعلام للزركلي (1 /177-178)

(٢) المُنافَرَةُ المفاخرة والمحاكمة، والمُنافَرَةُ المحاكمة في الحَسَبِ قال أَبو عبيد : المُنافَرَةُ أَن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ثم يُحَكِّما بينهما رجلاً.لسان العرب (5 /224).

(٣) النزاع والتخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم، للمقريزي ص 37-38 ، تحقيق:د.حسين مؤنس،دار المعارف- القاهرة.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري: (1/ 504)، دار الكتب العلمية – بيروت،ط 1 ، 1407ه.

وقيل: بل كانت جباههما مُلتصقة بعضها ببعض فأُخذ السيف ففرق بين جباههما، فقالت العرب: ألا فُرّق ذلك بالدّرهم فإنّه لا يزال السيف بينهم وفي أولادهم إلى الأبد[١].

وهذه روايات لا تمتلك من الناحية الإسناديّة أدنى مقومات القبول إذ لا إسناد لها أصلًا، وإنّما هي بضاعة القصّاص حيث لا أسانيد ولا رواة، وكلّ ذلك يُختصر بـــ"حُكي" و"قيل" و"زعموا " .

ويكذّبها كذلك من جهة المتن ما رواه ابنُ إسحاق أنّ عبد شمس كان أسنّ بني عبد مناف[٢]، ويدعم ذلك أنّ عبد مناف كان يُكنّى أبا عبد شمس [٣] وعادة العرب أن تُكنيَ الرجل بأكبر بنيه.

وأعتقد أنّ هذه الأخبار لا تعدو أن تكون مما يرويه القصّاص والأخباريّون بقصد إضفاء نوع من الإثارة، وهي كما قال الدكتور حمدي شاهين :رواية لقيطة تفوح منها رائحة الأسطورة والخيال[٤].

ثانيًا: خبر منافرة أميّة عمّه هاشم:

ويروي المقريزيّ أيضًا خبر المنافرة بين أميّة وعمّه هاشم على خمسين ناقة سود الحدق، تنحر بمكّة وعلى جلاء عشر سنين، وذلك حين تكّلف أميّة أن يفعل كما فعل عمّه هاشم في إطعام قريش، فعجز عن ذلك؛ فشمِتَ به ناس من قريش وعابوه لتقصيره. فغضب، فنافر هاشمًا إلى الكاهن الخزاعيّ، وهو جد عمرو بن الحمق[٥]، فحكم لهاشم على ابن أخيه، فأخذ هاشم الإبل ونحرها بمكّة وخرج أميّة إلى الشام فأقام بها عشر سنين.

فكان هذا أوّل عداوة وقعت في بني هاشم وبني أميّة [٦].

---

(١) يُنظر النزاع والتخاصم ص38 .

(٢)يُنظر السيرة النبوية لابن هشام(262/1). تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل - بيروت - 1411هـ، ط1.

(٣) أنساب الأشراف 66/1.

(٤) الدولة الأموية المفترى عليها ص 122.

(٥) يُنظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة (4 /623)، ولكن ثمة ما يثير الريبة في اختيار جد عمرو بن الحمق الخزاعي لهذه ، بالنظر إلى موقف الكاهن المؤيد لعبد المُطَّلِب على حرب بن أمية، وموقف عمرو بن الحمق الثائر على عثمان بن عفان، والخارج على معاوية بن أبي سفيان، والمؤيد لعلي بن أبي طالب.

(٦) يُنظر أنساب الأشراف للبلاذري (69/1-70)، والنزاع والتخاصم ص 39-41 .

وهذه الرواية ساقطة أيضًا من الناحية الإسناديّة لأنّ المقريزيّ يذكرها بغير سند، في حين يرويها البلاذريّ بسندٍ مظلمٍ " عباس بن هشام عن أبيه هشام الكلبيّ "[١] وفيه انقطاع بعد هشام لا يُدرى له أصلٌ، وعباس هذا مجهول الحال لم أجد له ترجمة في كتب المحدّثين وإنّما ينقل عنه أصحاب الأخبار والأنساب لأنّه يروي عن أبيه هشام، وهشام هو ابن الكلبيّ محمد بن السائب، وابن الكلبيّ ووالده أخباريان نسابتان شهيران إلا أنّهما متروكان[٢].

وقد ذكر الطبريّ القصّة في تاريخه [٣] بسنده عن ابن سعد الذي ذكرها بدوره في طبقاته[٤] فقال: أخبرنا هشام بن محمد قال: حدثني معروف بن الخَرَّبُوذ المكيّ[٥] قال: حدّثني حدّثني رجل من آل عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه ، فذكر القصّة..

قلت: علّة هذا السند هشام بن محمد هو ابن الكلبيّ متروك كما سبق بيانه، وكذلك فيه مجهول وهو الرجل من آل عديّ [٦] الذي يروي عن أبيه عدي بن الخيار وهو مُختلف فيه هل مات كافرًا يوم بدرٍ أم إنّه من الطلقاء[٧]، وأيًّا يكن فالرجل لم تُعرف له رواية لا من من طريق أولاده ولا من غيرهم.

ثالثًا: خبر منافرة حرب بن أميّة عبدَ المُطَّلِب بن هاشم:

يذكر المقريزيّ دليلًا آخر على الخصومة القديمة بين بني هاشم وبني أميّة وهو منافرة

---

(١)أنساب الأشراف للبلاذري (1/69-70).

(٢) يُنظر سير أعلام النبلاء (10 /101)، ويُنظر مبحث الرواية التاريخية.

(٣) تاريخ الطبري – (1 / 504).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (1 /76)

(٥) معروف بن خَرّبُوذ بفتح المعجمة وتشديد الراء وبسكونها ثم موحدة مضمومة واو ساكنة وذال معجمة المكي مولى آل عثمان صدوق ربما وهم، وكان أخباريًّا علّامة من الخامسة خ م د ق .تقريب التهذيب (ص 540)

(٦) وجدت في آل عديّ راويين هما عبد الرحمن وأخوه عبيد الله بن عدي بن الخيار ،وعبد الرحمن يروي عن أبي هريرة ويروي عنه محمد بن المنكدر تهذيب الكمال (17 /279)، وكذلك عبيد الله لم يروِ عن والده عدي و لم يروِ عنه معروف بن خَرّبُوذ. يُنظر تهذيب الكمال (19 /112-115).

(٧) يُنظر سير أعلام النبلاء (3 /515)، تهذيب الكمال (19 /114).

حرب بن أميّة عبدَ المُطَّلِب بن هاشم غير أنّه لم يُسند و لم يعزُ إلى مصدره الذي نقل عنه[١].

وقد ذكر محمد بن حبيب البغداديّ تفاصيل هذه المنافرة وأسبابها، يقول:

((قال أبو المنذر[٢]: كان رجل من اليهود من أهل نجران يُقال له أذينة في جوار عبد المُطَّلِب بن هاشم، وكان يتسوّق في أسواق تهامة بماله، وإنّ حرب بن أميّة غاظه ذلك فألّب عليه فتيانًا من قريش وقال لهم: هذا العلج الذي يقطع الأرض إليكم ويخوض بلادكم بماله من غير جوار ولا أمان! والله لو قتلتموه ما خفتم أحدًا يطلب بدمه، قال : فشدّ هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي عليه ، وصخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة فقتلاه، وكان معهما ابن مطرود بن كعب الخزاعي، قال: فجعل عبد المُطَّلِب لا يعرف له قاتلًا حتى كان بعد، فعلم من أين أُتي، فأتى حرب بن أميّة ، فأنّبه لصنيعه وطلب بدم جاره، فأبى حرب ذلك عليه وانتهى بهما التماحك[٣] واللجاج إلى المنافرة، فجعلوا بينهما النجاشيّ النجاشيّ ملك الحبشة، فأبى أن ينفذ بينهما ، فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب فأتياه ، فقال لحرب بن أمية: يا أبا عمرو ! أتنافر رجلًا هو أطول منك قامة ، وأوسم منك وسامة ، وأعظم منك هامة ، وأقلّ منك لامة، وأكثر منك ولدًا وأجزل منك صفدًا[٤]، وأطول منك مذودًا[٥]، وإنّي لأقول هذا وإنّ فيك فيك لخصالًا : إنّك لبعيد الغضب ، رفيع الصيت في العرب، جلد المريرة[٦] تحبّك العشيرة، ولكنك نافرت مُنَفّرًا[٧] . قال: فنفرَ عبدَ المُطَّلِب على حرب، فغضب حرب من ذلك وأغلظ لنفيل وقال: من انتكاس الدهر أن جعلناك حكمًا[٨].)).

---

(١) يُنظر النزاع والتخاصم ص42.

(٢) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي.متروك سبق بيان حاله.

(٣) التماحك النزاع والخصام.

(٤)الصَّفَدُ والصَّفْدُ العَطاءُ لسان العرب (3 /256)

(٥)المِذْوَدُ اللسانُ لأَنّه يُذاد به عن العِرض لسان العرب (3 /167)، والمعنى أنّ عبد المُطَّلِب أكثر دفاعًا عن عرضه وشرفه من حرب بن أميّة.

(٦) جلد المريرة: قوي العزيمة. والمريرة العزيمة يُنظر كتاب العين (8 /262).

(٧) نافرتَ مُنفّرًا يعني: فاخرت من هو الغالب عليك في الحسب والشرف.

(٨) كتاب المنمق في أخبار قريش لمحمد بن حبيب البغدادي ، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق . عالم الكتب: ص 90-92، وللخبر تتمة فيها أبيات شعر يقولها نفيل في مدح عبد المُطَّلِب.

وقد بحثت عن سندٍ لهذه القصة فلم أجده إلا عند البلاذريّ في أنساب الأشراف يرويها عن العباس بن هشام، عن أبيه، عن جده محمد بن السائب الكلبي وغيره[١].

وهذا من شرّ الأسانيد لما علمت من حال الكلبي وابنه[٢].

و يبدو واضحًا أنّ الأخباريّين والقصّاص حاولوا عبر هذه الروايات أن يجعلوا لما حدث بعد الإسلام من صراع بين الأمويين والهاشميين أصلًا تاريخيًّا ثابتًا[٣].

المطلب الثاني: البعد المذهبيّ لأخبار المنافرة والخصومة بين بني هاشم وبني أميّة:

بالنظر في كتب الشيعة[٤] نجد أنّ كلّ هذه الروايات إنّما جاءت لتأصيل الخصومة التي وقعت بين علي بن أبي طالب ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان، وبين يزيد بن معاوية والحسين بن عليّ رضي الله عنهما.

وهكذا تظهر الحبكة القصصية لتُظهر أنّ ما وقع بين الهاشمّيين والأمويّين في الإسلام ليس خلافًا سياسيًّا وإنّما هو حصيلة أحقاد تاريخيّة طويلة، تبدأ بزعمهم من قطرات الدم التي نزفت عند فصل عبد شمس عن أخيه التوأم هاشم.

ثمّ تظهر في منافرة أميّة بن عبد شمس لعمّه هاشم

ثمّ منافرة حرب بن أميّة لابن عمّ أبيه عبد المُطَّلِب بن هاشم

ثمّ في حرب أبي سفيان صخر بن حرب للرسول محمد بن عبد الله بن عبد المُطَّلِب ﷺ.

---

(١) أنساب الأشراف (1 /84)

(٢) يُنظر مبحث الرواية التاريخية، وقد سبق بيان حالهما.

(٣) يُنظر كلام د. حسين مؤنس في مقدمته لكتاب النزاع والتخاصم ص 8، والدولة الأموية المفترى عليها حمدي شاهين 122.

(٤) يُنظر مثلًا ما نقله الشيخ محمد مهدي الحائري – في كتابه- شجرة طوبى (2 /394-395) عن (أنوار النعمانية) للسيد الجزائري : إنّه كان بين الحسين " ع " وبين يزيد عداوة أصلية وعداوة فرعية : أمّا العداوة الأصلية فلأنّه ولد لعبد مناف ولدان :هاشم ، وعبد الشم س ملتزقان ظهر كل واحد منهما بالآخر ففرق بينهما بالسيف، فلم يرتفع السيف من بينهما وبين أولادهما حتى وقع بين حرب بن أميّة وعبد المُطَّلِب بن هاشم، وبين أبي سفيان بن حرب وبين رسول الله ﷺ، وبين معاوية بن أبى سفيان وبين علي بن أبي طالب " ع " وبين يزيد ابن معاوية وبين الحسين بن علي " ع " ...ثم يذكر أنّ العداوة الفرعية لأنّ الحسين تزوّج امرأة كان يزيد بن معاوية يحبّ أن تكون زوجته في قصّة غريبة عجيبة. ويُنظر نهج البلاغة ص 438-439.

ثمّ في حرب معاوية بن صخر بن حرب لعليّ بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِب
ثمّ في حرب يزيد بن معاوية للحسين بن عليّ .

وبالنظر الدقيق نجد أنّ هذه المنافرات مرتّبة وفق النسب الأمويّ وليس الهاشميّ.

فالطرف الأمويّ في مراحله جميعها متسلسل حسب النسب الأمويّ للعنابس من يزيد حتى جدّ جده أميّة؛ في حين تبدو بعض الحلقات النَّسَبيّة فارغة في الطرف الهاشميّ فلا نجد ذكرًا لعبد الله بن عبد المُطَّلِب والد الرسول ﷺ ، مع الانزياح الأفقيّ ما بين محمّد ﷺ وابن عمّه عليّ رضي الله عنه.

وهذا يؤكّد بالضرورة أنّ هذه الروايات اخترعت متأخّرة لإعطاء مُقابلات بين رموز بني هاشم ورموز بني أميّة، وليُقال إنّ الحروب والمصادمات بين الأمويّين والعلويّين كانت لأحقاد جاهليّة كما سبق، وهي في الوقت نفسه تستهدف إظهار نبل الهاشميّين وعراقتهم في المجد والسؤدد، والغمز في الأمويين بل الحطّ من أقدارهم، ولاسيما يزيد ووالده وجده ووالد جدّه وجدّ جدّه.

وفي نهج البلاغة نصّ لرسالة جوابيّة من عليّ إلى معاوية تُظهر المقابلات بين الأسرتين:

« وأما قولك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن ، وليس أميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المُطَّلِب ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا الطليق كالمهاجر، ولا الصريح كاللصيق، ولا المُحقُّ كالمُبطل، ولا المؤمن كالمُدغِل»[١] .

وهذا مما لاشكّ في وضعه على لسان عليّ رضي الله عنه لأنّه يخالف منهج الإسلام الذي أمر بترك الفخر بالآباء، وجعل الفضل بالتقوى.

فقد قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: 13]

وأخرج أحمد بسند صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « لَا تَفْتَخِرُوا بِآبَائِكُمِ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَمَا يُدَهْدِهُ الْجُعَلُ

(١) نهج البلاغة ص 438-439. والمدغل: المفسد، يُنظر لسان العرب (11 /244)

بِمَنْخَرَيْهِ[١]، خَيْرٌ مِنْ آبَائِكُمِ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ»[٢].

وعليّ ﷺ أولى من يتبع منهج الإسلام ويلتزم بقيمه النبيلة .

وقد سبق الحديث عن القيمة العلميّة لنهج البلاغة في مبحث الرواية التاريخية.

وهكذا نجد أنّ هذه الروايات لم تصمد أمام النقد العلميّ، ونجد أنّ مدارها جميعًا على هشام بن محمد الكلبيّ وأحيانًا عليه وعلى أبيه وهما كذّابان متروكان.

وقد يُقال إنّهما أخباريّان نسّابتان فلا ينبغي أن نتشدّد في ردّ أخبارهما عن العرب، ولاسيما في الجاهليّة، كما نفعل في الحديث النبويّ.

والجواب: إنّ من يحمله التعصّب والهوى على الكذب على النبيّ ﷺ فإنّه أولى أن يُتهم بالكذب عمن دون النبيّ ﷺ، ولاسيما إن كان مذهبه ينطوي على بدعة تغريه بالكذب وتسوّغ له التخرّص بما ينصر به نحلته، وهذه الأخبار ذات أبعاد مذهبيّة وسياسيّة لا تخفى على المتأمّل.

ولذا فكلّ عاقل متجرّد عن الهوى سوف يحكم على هذه الروايات بالوضع، فلا غرو أن يكتشف ذلك مستشرقٌ غربيّ مثل (**هنري لامانس**) المستشرق الفرنسيّ الذي خَلُصَ إلى أنّ مثل هذه القصص عن العداوة المبكرة بين عبد شمس وهاشم اختُرعت في عصور متأخّرة لكي تشرح الانقسام الذي حدث بعد الإسلام بين الحَيّين، لأنّه في السنوات الأولى من حياتهما كانت العلاقات طيّبة [٣].

---

(١) قوله: "لَما يدهده الجعلُ"، قال: بفتح اللام، و"ما" موصولة، ويُدَهدِه: أي: يُدير ويدحرج، والجُعَلُ: دُوَيبَة سوداء معروفة (كالخنفساء) تدير الخراء بأنفها. يُنظر لسان العرب (11 /110)، غريب الحديث لابن الجوزي (1 /160) دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق : د.عبدالمعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى ، 1985م.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (4 /470)رقم (2739). قال الهيثمي في مجمع الزوائد 85/8 : رواه أحمد والطبراني في "الأوسط" و"الكبير" بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) يُنظر النزاع والتخاصم ص 38 تعليق المحقق حاشية رقم (4)، وهو منقول عن كتاب لامنس:
Etude sur le Regne due Cslif Moawiya - pp15

المبحث الثاني: الأدلّة على تلاحم الأسرتين الأمويّة والهاشميّة:

مهما قيل في العداوة والبغضاء بين فرعي عبد مناف: الأمويين والهاشمّيين فإنّ الرّوايات التاريخيّة المنسجمة مع روح ذلك العصر تضعنا أمام علاقة قويّة متناسقة بين الفرعين لا تخلو من منافسة على الشرف والسؤدد بينهما .

ويدلّ على ذلك إرثهم العائلي المشترك وعلاقات الصداقة والمصاهرة بين الأسرتين.

المطلب الأوّل: العصبيّة والتحالف بين الأسرتين في الجاهليّة

لقد كان هاشم وإخوته الثلاثة: عبد شمس والمُطَّلِب ونوفل أربعتُهم جميعًا يَدًا على من سواهم حتى اشتهر ذلك فيهم وعُرف بين العرب، ويشهد لذلك أمران:

١. **المثل العربيّ**: إذ فيهم قيل المثل المشتهر: « أَقْرَشُ مِنَ الْمُجَبِّرِينَ »[١]. وهذا دليل على تجمّعهم وقوّة الرابطة بينهم. قال ابن إسحاق : ويقال : إنّما سُمِّيتْ قريش قريشًا لتجمّعها من بعد تفرُّقها ويقال للتجمّع : التقرُّش[٢].

ولقد اشترك عبد شمس و نوفل والمُطَّلِب أولاد عبد مناف مع أخيهم هاشم في أخذ العِصَم[٣] من ملوك الشام والعراق واليمن والحبشة [٤]، وهي عهود أخذوها تضمنُ سلامة

(١) القَرْش : الجَمْعُ والتجارة والتقرش التجمّع ،ومن هذا سميت قريش قريشاً ؛ زعم أبو عبيدة أهم أربعة رجال من قريش وهم أولاد عبد مناف بن قصي أوّلهم هاشم ثم عبد شمس ثم نَوْفَلْ ثم المُطَّلِب بنو عبد مناف ، سادوا بعد أبيهم، لم يسقط لهم نَجْم ، جَبَرَ الله تعالى بهم قريشاً فسُمُّوا المجبرين ، وذلك أهم وفَدُوا على الملوك بتجارهم ، فأخذوا منهم لقريش العصم؛ أخذ لهم هاشم عهدًا من ملوك الشام حتى اختلفوا بذلك السبب إلى أرض الشام وأطراف الروم وأخذلهم عبدُ شمس عهدا من النجاشي الأكبر حتى اختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة ، وأخذلهم نوفل عهدًا من ملوك الفرس حتى اختلفوا بذلك إلى أرض فارس والعراق ، وأخذ لهم المُطَّلِب عهدًا من ملوك حمير حتى اختلفوا بذلك السبب إلى بلاد اليمن .يُنظر مجمع الأمثال – (2 / 127) دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد.

(٢) السيرة النبوية– لابن هشام (219/1)

(٣) العِصَم: جمع مفردها عصمة أو عصام، وهو رباط كل شيء، ومنه قوله تعالى:{ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ } (الممتحنة : 10) وهي عقود الزواج يُنظر لسان العرب – (12 / 403)؛ و يراد به هنا العقود التي عاقدوا عليها الملوك بشأن تجارهم في بلدانهم .

(٤) يُنظر أنساب الأشراف (68/1).

مرور قوافل قريش في الأقاليم الخاضعة لسلطان أولئك الملوك ولذا سمّوا المجبّرين(١).

وهذه العصم من النعم العظيمة التي امتنّ الله بها على قريش في قوله عزّ وجلّ:

{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)}.[قريش]

وقد أكسبتهم هذه العهود مكانةً كبيرة عند العرب وعدّ ذلك في مفاخرهم الكبيرة التي استحقّوا عليها الثناء والمدح (٢).

ولم يكن الثناء خاصًّا بهاشم وبنيه ولا بعبد شمسٍ وبنيه بل كان عامًّا في بني عبد مناف لأنّهم توارثوه واحدًا بعد الآخر. قام به هاشم، فلّما مات قام بذلك المُطَّلِب، فلّما مات المُطَّلِب قام بذلك عبد شمس، فلّما مات عبد شمس قام بذلك نوفل، وكان أصغرهم.

ويشهد لذلك أنّ مطرود بن كعب الخزاعي الشاعر لجأ إلى عبد المُطَّلِب بن هاشم بن عبد مناف لجناية كانت منه ، فحماه وأحسن إليه ، فأكثر مدحه فلم يمدح بني هاشم وإنّما مدح بني عبد مناف جميعًا، فقال(٣) – من الكامل-:

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رِحْلَهُ ... هَلاَّ نَزَلْتَ بآلِ عَبْدِ مَنافِ

الآخِذُونَ العَهْدَ مِن آفاقِها ... والرَّاحِلُونَ بِرِحْلَةِ الإِيلافِ

٢. **حلف المُطَيَّبين:** المعروف أنّ آثار التلاحم الأسريّ تظهر في الأزمات التي تختبر قوّة العلاقة ومتانتها وبالفعل فإنّ كتب السير والتاريخ (٤) تحدّثنا عن خصومة وقعت بين

---

(١) المستقصى في أمثال العرب (1 /279) للزمخشري ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2-1987م.

(٢) يُنظر أنساب الأشراف - (1 / 68).

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ج 1/ص116،لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار المعارف – القاهرة، وتُنظر القصيدة في أنساب الأشراف - (1 / 68)، والمزهر في علوم اللغة (2 /287) للسيوطي ، تحقيق : فؤاد علي منصور ،دار الكتب العلمية - بيروت،ط1 ، 1998م.ومنها:

والمطعمون إذا الرّياح تناوحت ... حتى تغيب الشّمسُ في الرّجّافِ

والمفضلون إذا المُحول ترادفتْ ... والقائلــون هلّم للأضيــاف

والخالطون غنيّهم بفقيره ـــم ... حتى يكــون فقيرُهُم كالكــافي

(٤) يُنظر السيرة النبوية لابن هشام (262/1)، الطبقات الكبرى لابن سعد (1 /77)، تاريخ ابن خلدون (2 /336) طبعة دار إحياء التراث العربي –بيروت، ، البداية والنهاية لابن كثير (2 /266) تحقيق: علي شيري طبعة دار إحياء التراث العربي.

بني عبد مناف وأبناء عمومتهم بني عبد الدار فيما تركه جدّهم قُصَيٌّ من الحجابة والرفادة والسقاية واللواء والندوة، فانقسمت بطون قريش فرقتين: فرقة بايعت بني عبد مناف وحالفوهم على ذلك، ووضعوا أيديهم عند الحلف في جفنةٍ فيها طيب ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة تأكيدًا للحلف، فسموا حلف المُطيّبين. وفرقة بايعت عبد الدار وحالفتهم وغمسوا أيديهم في جفنة من دم جزور، فسموا الأحلاف أو لعقة الدم . فكان مع بني عبد مناف(بني أميّة وبني هاشم ، وبني المُطَّلِب، وبني نوفل) من قبائل قريش بنو أسد بن عبد العزى بن قصي، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر؛ وكان مع بني عبد الدار بنو مخزوم، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو عدي؛ واعتزلت بنو عامر بن لؤي، ومحارب بن فهر الجميع فلم يكونوا مع واحد منهما؛ ثم اصطلحوا واتفقوا على أن تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف وأن تستقرّ الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار فانبرم الأمر على ذلك واستمرّ.

المطلب الثاني: الصداقات والمصاهرات بين الأسرتين

لو كانت العلاقات بين الأسرتين بهذا السوء الذي تصوّره روايات المنافرة لما شهدت العلاقات بينهما صداقاتٍ متينة، ومصاهرات حميمة. وفي هذا المطلب نثبت بالدليل قيام علاقات صداقة ومصاهرة بينهما في الجاهليّة، وقد استمرّت وتطوّرت في الإسلام.

أولًا: الصداقات المتينة: حتى مراحل قريبة من بعثة النبيّ ﷺ شهدت العلاقات الأمويّة الهاشميّة فضلاً عن القرابة القريبة نماذجَ لعلاقات وصداقات متينةٍ بين بعض كبار رجالاتهم:

فقد كان عبد المُطَّلِب جدُّ النبي ﷺ نديمًا[١] لحرب بن أميّة جدّ معاوية[٢].

- وكان الحارث بن حرب بن أميّة نديمًا للحارث بن عبد المُطَّلِب[٣].
- وكان العباس صديقًا للوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس[٤].
- وكان أبو سفيان بن حرب نديمًا للعباس بن عبد المُطَّلِب[٥].

ولقد حرص العباس على إسلام أبي سفيان و طلب من النبيّ ﷺ أن يخصّه بمفخرة، تنسجم مع طبيعته المحبّة للفخر، ومكانته الرفيعة في قريش، وفي ذلك ما يُعدّ أكبر شاهد على تلك العلاقة الوثيقة بينهما[٦].

ثانيًا: المصاهرات بين الأسرتين:

مما لاشكّ فيه أنّ المصاهرات بين الأسر عادة ما تقوم على أساس متين من الروابط

---

(١) النَّدِيمُ الذي يُرافِقُك ويُشارِبُك ، ويقال المُنادَمةُ مقلوبةٌ من المُدامَنةِ لأَنه يُدْمِنُ شُرْبَ الشراب مع نَدِيمه . يُنظر لسان العرب (12 /572).

(٢) المحبر ص173، لمحمد بن حبيب البغدادي(المتوفى سنة 245 هـ / 859 م) تحقيق محمد حميد الله ،طبعة 1361هـ ، المنمق (ص 364) لمحمد بن حبيب البغدادي تحقيق : خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب- بيروت،الطبعة: تصوير طبعة حيدرآباد الهند، ويُنظر سير أعلام النبلاء (2 /80).

(٣) المحبر ص177، المنمق (ص 365)، ويُنظر - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد (15 / 218) .

(٤)السيرة النبوية لابن هشام (154/3)

(٥) المحبر ص177، البداية والنهاية (3 /54).

(٦) يُنظر الحديث في سنن أبي داود (2 / 177)في الخراج والفيء والإمارة- باب ما جاء في خبر مكّة رقم (3021)،(3022).

والكفاءة والثقة المتبادلة، ثمّ لا تلبث هذه المصاهرات أن تؤتي ثمارها فتتشابك هذه الأسر لوجود الرحم بينها، وفي حالة كالحالة التي ندرسها بين أبناء العمومة فإنّ العلاقة الاجتماعيّة تتطور مع المصاهرة لتتداخل الخؤولة بالمصاهرة مع العمومة النسبيّة فتزيدها متانة وقوّة، وهذا ما حصل بالفعل بين بني هاشم وبني عبد شمس في الجاهليّة والإسلام، بما ينفي مزاعم التباغض والتحاسد والتنافر بين الأسرتين، ولذا سوف أورد عددًا من المصاهرات بينهما في الجاهلية ثمّ في الإسلام بما يكشف عن متانة العلاقة بينهما .

أولًا: في الجاهليّة:

١ -أبو لهب واسمه عبد العزى بن عبد المُطَّلِب تزوّج أمَّ جميل بنت حرب بن أميّة بن عبد شمس[١] .

٢ - وأمّ حكيم البيضاء بنت عبد المُطَّلِب - وهي الحصان لا تُكلّم والصَناع لا تُعلّم [٢] - توأمة عبد الله — والد رسول الله ﷺ- تزوّجها كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف [٣].

٣ -صفيّة بنت عبد المُطَّلِب تزوجها الحارث بن حرب بن أميّة، فولدت له الصفياء، ثم خلف عليها العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فولدت له الزبير، والسائب، وعبد الكعبة[٤].

٤ -أميمة بنت عبد المُطَّلِب تزوّجها جحش بن رئاب الأسديّ حليف حرب بن أميّة[٥] . وأميمة هي أمُّ زينب بنت جحش - أمّ المؤمنين- وقد رُوي أنّ جحشًا .

---

(١) نسب قريش (ص 98).

(٢) امرأة صَناعٌ أي حاذقةٌ بالعمل، وتتقن ما يلزم من حرف البيت. يُنظر لسان العرب (8 /208)

(٣) أنساب الأشراف 100/1 ، نسب قريش (ص 18)، الثقات لابن حبان (1 /36)، ولكون بني عبد المُطِّلِب خؤولة عامر بن كريز فإنّ روي أنّه لما فإنّ رسول الله ﷺ لما عُرض عليه عبد الله بن عامر بن كريز قال لبني عبد شمس: " هذا أشبه بنا منه بكم " . يُنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج3/ص932، تحقيق: علي محمد البجاوي دار الجيل – بيروت، ط1: 1412هـ، عيون الأثر (2 /379).

(٤) أنساب الأشراف (1 /103)

(٥) أنساب الأشراف (1 /101)

حلف أن يحالف أعزّ أهل مكّة؛ وأن يتزوج بنت أكرمهم فحالف حرب بن أميّة، وتزوّج أميمة بنت عبد المُطَّلِب بن هاشم [١] .

٥ –أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ﷺ زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، وإنّما ذكرته في الجاهلية لأنّ النبي ﷺ زوّجه ابنته قبل البعثة [٢]، وقد أَثْنَى النَّبِيُّ ﷺ عليه فِي مُصَاهَرَتِهِ خَيْرًا وَقَالَ:«حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَى لِي»[٣].

ثانيًا: في الإسلام:

١. أمّ المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس الأمويّة، هي زوج النبي ﷺ سيّد بني هاشم[٤]. ولها خصائص ليست لغيرها من أزواج النبيّ ﷺ منها أنّها أقربهنّ إليه نسبًا؛ قال الذهبيّ: « وَهِيَ مِنْ بَنَاتِ عَمِّ الرَّسُوْلِ ﷺ لَيْسَ فِي أَزْوَاجِهِ مَنْ هِيَ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَيْهِ مِنْهَا، وَلاَ فِي نِسَائِهِ مَنْ هِيَ أَكْثَرُ صَدَاقًا مِنْهَا، وَلاَ مَنْ تَزَوَّجَ بِهَا وَهِيَ نَائِيَةُ الدَّارِ أَبْعَدُ مِنْهَا.[٥]»

٢. أمّ المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب الأسديِّ حليف حرب بن أميّة زوج النبيّ الكريم ﷺ فخر العوالم وسيّد بني هاشم.

٣. عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ﷺ : زوّجه النبي ﷺ ابنته رقيّة رضي الله عنها فماتت عنده في أيام بدر ، فزوّجه بعدها أختها أمّ كلثوم فلذلك كان يلقب ذا النورين[٦].

٤. خديجة بنت عليّ بن أبي طالب كانت عند عبد الرحمن بن عقيل، ثمّ خلف عليها أبو السنابل عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس [٧].

---

(١) أنساب الأشراف (1 /521-522)-أزواج رسول الله، والجوهرة في نسب النبيّ ﷺ وأصحابه العشرة (49/2).

(٢)يُنظر سنن البيهقي الكبرى (7 /70) رقم (13201) ،أنساب الأشراف (1 /480-481).

(٣) أخرجه البخاري(3 /1364) في فضائل الصحابة: باب ذكر أصهار النبيّ ﷺ رقم (3523)، ومسلم (4 /1902) في فضائل الصحابة: باب من فضائل فاطمة رقم(2449). من حديث المِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ.

(٤) يُنظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (7 /651) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، ط1، 1412هـ/1992م .

(٥) سير أعلام النبلاء (2 /219).

(٦) يُنظر الإصابة في تمييز الصحابة (4 /456) .

(٧) يُنظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص 68)

٥. رملة بنت علي بن أبي طالب كانت عند أبي الهياج واسمه عبد الله، بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المُطَّلِب، ثمّ خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية(١).

٦. الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خلف على لبابة بنت عبد الله بن عباس بن عبد المُطَّلِب بعد العباس بن علي بن أبي طالب(٢).

٧. نفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب تزوّجها الوليد بن عبد الملك بن مروان توفيت عنده، وأمّها لبابة بنت عبد الله بن عباس (٣).

٨. رملة بنت محمّد بن جعفر -الطيار- بن أبي طالب ﷺ تزوّجت سليمان بن هشام بن عبد الملك ثم تزوّجت أبا القاسم بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان(٤).

٩. أبان بن عثمان بن عفان ﷺ تزوّج أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر (الطّيار) بن أبي طالب شقيق علي رضي الله عنهما(٥).

١٠. سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما زوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ﷺ(٦).

١١. فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما متزوجة من عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ﷺ (٧).

١٢. أمّ أبيها بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كانت عند عبد الملك بن مروان؛

---

(١) يُنظر جمهرة أنساب العرب ص 87 ، نسب قريش (ص 45)

(٢) يُنظر المحبر ص 441 ، النسب والمصاهرة ص205، لعلاء الدين المدرس ، مؤسسة المختار – القاهرة ، ط 1 ، 1426هـ/2005م.

(٣) يُنظر تاريخ دمشق376/19 ، عمدة الطالب..في انساب آل أبي طالب ص 70 . لابن عنبة(ت 828 هـ) ، تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف، ط2، 1380 هـ / 1961 م

(٤) كتاب المحبر ص 449 .

(٥) المعارف للدنيوري ص 86 .

(٦) يُنظر: المحبر ص 438 ، طبقات ابن سعد 475/8 .

(٧) يُنظر:مقاتل الطالبيين للاصفهاني ص 148 تحقيق: كاظم المظفر، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر- قم، ط2 ، 1385 هـ - 1965م ، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام(409/7) ، لزين الدين بن علي العاملي الشهيد الثاني ،مؤسسة المعارف الإسلامية – قم ، ط1 ، 1413هـ، سير أعلام النبلاء (213/6).

فطلّقها، وهو خليفة؛ فتزوّجها عليّ بن عبد الله بن العباس، فولدت له، وهلكت عنده[١].

١٣. أمّ القاسم بنت الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهما تزوّجت مروان بن أبان ابن عثمان بن عفان ﷺ فولدت له محمّد بن مروان[٢].

١٤. نفيسة بنت عبيد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب زوجة عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب؛ فولدت له: علياًّ، وعبّاسًا[٣].

١٥. زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وهي زوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ففي جمهرة أنساب العرب: «وولد معاوية بن مروان بن الحكم : الوليد بن معاوية: أمّه زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب » [٤].

١٦. وكانت أمّ كلثوم بنت الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند إسماعيل بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن العاصي، ولدت له مسلمة، وإسحاق، ومروان، ومحمدًا، وحسينًا، بني إسماعيل[٥].

وهكذا نجد أنّ المصاهراتِ بين الأسرتين التي بدأت في الجاهليّة و لم تنتهِ بظهور الإسلام، بل تعمّقت وازدادت في عصر الصحابة الكرام، و لم تنقطع رغم من نشب بينهما، بل استمرّت حتى أجيال متعاقبة من الأسرتين.

وهذه المصاهرات المتبادلة تكشف عن أمرين :

الأوّل: رسوخ العلاقة الاجتماعيّة بين الأسرتين رغم ما شابها من نزاعات .

الثاني: كفاءة الأمويّين للهاشميّات، وكفاءة الهاشميّين للأمويّات- وهو أمرٌ لا شكّ فيه- لأنّ بني هاشمّ هم أشرف العرب والعجم رجالهم ونساءهم.

---

(١) نسب قريش (ص 83)

(٢) يُنظر: المحبر للبغدادي 438 .

(٣) نسب قريش (ص 79)

(٤) يُنظر :نسب قريش 52 ، جمهرة أنساب العرب ص 108 .

(٥) نسب قريش (ص 51)

بل كان للأمويّين غيرة على الهاشميّات أن يُزوّجن غير الأكفاء، ولو كانوا من أقرب الناس إليهم ويصدّق ذلك أنّه لما زُفّت أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر - وكانت هاشميَّةً جليلةً - إلى الحجاج بن يوسف، ونظر إليها في تلك الليلة وعبرتُها تجول في خديها، فقال لها: بأبي وأُمّي،ممّ تبكين؟

فقالت: **من شرفٍ اتّضع، ومن ضعةٍ شرفت.**

فلمّا كتب إليه عبد الملك بن مروان بطلاقها، قال لها: إنّ أمير المؤمنين أمرني بطلاقك.

قالت: **هو والله أبرّ بي ممّن زوّجنيك**[١].

(١) بلاغات النساء -ص (109)، ويُنظر جمهرة أنساب العرب (ص 82-83)، أنساب الأشراف (8/ 82) تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت،ط1، 1417 هـ / 1996 م ، و الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج11/ص311، يقول ابن تيمية: وكان الحجاج قد تزوّج بنت عبد الله بن جعفر ، فلم يرض بذلك بنو عبد مناف ولا بنو هاشم ولا بنو أمية حتى فرّقوا بينه وبينها حيث لم يروه كُفؤًا. الفتاوى الكبرى - (3 / 446).

المطلب الثالث: سيرة النبيّ في التطبيق العمليّ لأمر الله تعالى لنبيّه ﷺ في قوله عزّ وجلّ:{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214].

قريش كلّها عشيرة النبيّ ﷺ ولكن فيها البعيد والأبعد، والقريب والأقرب؛ فمن قام النبيّ ﷺ بإنذارهم بعد تنـــزّل هذه الآية الكريمة على قلبه الشريف، فهم دون شكّ من عشيرته الأقربين؛ ونصوص الأحاديث النبويّة سوف تكشف لنا مكان بني عبد شمس من النبيّ ﷺ .

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – : قال : قام رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم حين أنزل اللّه عز وجل { وأنْذِرْ عشِيرتَكَ الأقربينَ } قال : « يا معْشر قُريشٍ – أو كلمةً نحوها – اشْتَرُوا أَنفسكم ، لا أُغني عنكم من اللّه شيئًا. يا بني عبد منافٍ، لا أغني ﷺ عنكم من اللّه شيئًا.

يا عباسُ بنَ عبْد المُطَّلِب ، لا أغني عنك من اللّه شيئًا.

ويا صفِيَّةُ عمَّةَ رسُولِ اللّه ، لا أغني عنكِ من اللّه شيئًا.

ويا فاطمةُ بنْتَ محمَّدٍ ، سَلِيني ما شِئْتِ مِنْ مالي ، لا أغني عنْكِ من اللّه شيئًا »[١].

هذه رواية البخاري ، وللبخاري و مسلم من حديث أبي هريرة أيضًا أنّ النبي ﷺ قال: « يا بني عبدِ منافٍ، اشْتَرُوا أنْفُسَكُمْ من اللّه، يا بني عبدِ المُطَّلِب، اشتروا أنفسكم من اللّه، يا أُمَّ الزُّبَيْرِ عَّمةَ رسولِ اللّه، يا فاطمةُ بنتَ مُحمَّدٍ، اشْتَرِيا أَنفُسَكُما من اللّه، لا أملك لَكُما من اللّه شيئًا، سَلاني مِنْ مالي ما شِئْتما »[٢] .

والأمويّون هم أبناء عبد شمس وهم يندرجون في بني عبد مناف كما سبق فذكرهم في الحديث يدلّ على أنّهم من عشيرة النبيّ ﷺ الأقربين.

و دلالة الحديث الثاني أقوى في الدلالة على قرب الأمويّين من الرسول ﷺ حيث بدأ ببني عبد مناف وهم بنو عبد شمس الجدّ الأعلى للأمويين، وبنو هاشم، وبنو المُطَّلِب، وبنو نوفل.

وبنفس قوّة الدلالة جاءت رواية قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو – رضي الله عنهما–

---

(١) صحيح البخاري(4 /1787) في التفسير باب سورة الشعراء رقم (4493)

(٢) صحيح البخاري (3 /1298) في المناقب باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية رقم (3336)، مسلم (1 /192) في الإيمان باب في قوله تعالى { وأنذر عشيرتك الأقربين } رقم (351).

قالا : لما نزلت {وأنْذِرْ عشِيرتَكَ الأَقْربينَ } انطلقَ نبيُّ اللّهِ ﷺ إلى رَضْمَةِ جَبلٍ، فعَلا أعْلاها حَجَرًا ، ثم نادى: « يا بني عبدِ منافٍ إني نَذِيرٌ لكم، إنما مَثَلي ومَثَلُكُم كمَثَلِ رَجُلٍ رأَى العَدُوَّ ...»[١].

وكذلك ما أخرجه الترمذيّ عن أبي موسى الأشعري – ﷺ– قال : لما نزلت: { وأنْذِرْ عشِيرتَكَ الأقْربينَ } وضعَ رسولُ اللّه ﷺ أصبعيهِ في أُذنَيْهِ ، فرفع صوتهُ ، فقال : « يا بني عبد منافٍ ، يا صَباحاهُ »[٢].

وقد نصّ رسول الله ﷺ على ذكر بني عبد شمس في بعض ألفاظ حديث أبي هريرة عند مسلم قال :«.. يا بني عبدِ شمسٍ، أنقِذُوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ، يا بني عبدِ المُطَّلِب ، أنقِذُوا أنفُسَكم مِنَ النَّارِ.. »[٣].

وفي هذا ردٌّ لما جاء في شرح نهج البلاغة الذي استدلّ على خروج الأمويّين من عداد عشيرة النبيّ ﷺ الأقربين بعدم دعوته أحدًا من بني عبد شمس بعد نزول هذه الآية [٤]، ومستند القوم في ذلك ما يُعرف بـــ " **حديث الدّار**" الذي يقصر الإنذار على بني عبد المُطَّلِب، ولذا من الواجب دراسة هذا الحديث دراسة نقديّة .

دراسة حديث الدّار:

رُوي عن عليّ ﷺ من طرق بألفاظ متقاربة أنّه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[الشعراء:214]، قال: (فجمع رسول الله ﷺ بني عبد المُطَّلِب في دار أبي طالب، وهم أربعون رجلاً وامرأتان، فصنع لهم طعامًا وكان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق من الشراب فأكلت الجماعة كلهم من ذلك اليسير حتى شبعوا و لم يتبين ما أكلوا، فبهرهم ذلك، وتبيّن لهم أنّه صادق في نبوّته، فقال: يا بَني عبد المُطَّلِب، إنّ الله بعثني إلى

---

(١) صحيح مسلم (1 /193)في الإيمان باب في قوله تعالى { وأنذر عشيرتك الأقربين } رقم (353).

(٢) الترمذي (5 /339) في تفسير القرآن، باب: سورة الشعراء رقم (3186) ، وقال : رُوي مرسلاً، و لم يذكروا فيه عن أبي موسى الأشعريّ ،وهو أصحُّ.

(٣) صحيح مسلم (1 /192) في الإيمان، باب: في قوله تعالى { وأنذر عشيرتك الأقربين } رقم (348).

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد(282/15) .

الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة، فقال: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار، شهادة أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه، يكن أخي ووصيّي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي، فقال علي: أنا يا رسول الله) ا. هـ.

ويستدلّ الشيعة الإماميّة بهذا الخبر في الأصل على أولويّة علي ﷺ بالخلافة بعد رسول الله ﷺ [١]، و استدلّ شارح نهج البلاغة بالخبر على خروج بني أميّة بن عبد شمس من مفهوم الآية أيضًا.

أولاً- دراسة إسناد الخبر:

خلاصة التحقيق في إسناد هذا الخبر أنّه رويَ من عدّة طرق[٢]:

الطريق الأولى[٣]: عن ابن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم عن المنهال ابن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن عليّ بن أبي طالب.

وشيخ ابن إسحاق هنا عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم- الذي قد أُبهم في بعض

---

(١) احتج به كل من ابن جبر في نهج الإيمان 238-241- تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، نشر : مجتمع إمام هادى عليه السلام - مشهد ، طبع : ستاره – قم ، ط1 ، 1418 هـ.، وعلي بن يونس العاملي في الصراط المستقيم 325-326- تحقيق: محمد الباقر البهبودي ، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، ط1 ، 1384هـ، ومحمّد رضا المظفر في السقيفة ص 61 - المطبعة : بهمن – قم ، ط 2 ، 1415 هـ. والمرعشي في شرح إحقاق الحق 560/3- تحقيق :شهاب الدين النجفي ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي –قم ، وعبد الحسين الموسوي في كتاب المراجعات- المراجعة 20 ص187-188، وعبد الله الغريفي في التشيع نشوؤه مراحله مقوماته ص 137 وما بعدها -مؤسسة العارف – بيروت ، ط7 ، 1421هـ/2000م . وقد جازف عبد الحسين شرف الدين في كتابه المراجعات حين حكم بصحة سند الحديث الأول حيث قال: " وكل واحد من سلسلة هذا السند حجة عند الخصم وكلهم من رجال الصحاح بلا كلام .. " وهذا ما سوف نتبيّنه من خلال دراسة الحديث بطرقه ورواياته.

(٢) يُنظر كتاب الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات لأبي مريم بن محمّد الأعظمي ص 105 وما بعدها- دار الضحى/ تونس ، ط1، 1417 هـ.

(٣) ابن جرير في تفسيره (148/19- 149)، و ابن كثير في (تفسيره) (169/6) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة ، ط:2 = 1420هـ / 1999 م، وفي (البداية والنهاية) (53/3)، وأخرجها البيهقي أيضًا في (سننه الكبرى) (7/9).

الروايات، ولم يصرح باسمه- كذاب، قال ابن المديني: كان يضع الحديث، وقال أبو حاتم والنسائي: متروك، وقال أحمد: ليس بثقة، وكذا قال الذهبي، وقال أبو داود: أشهد أن أبا مريم كذاب (١).

الطريق الثانية(٢): ما رواه ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو به.

وفيه أنّه قال: (أيُّكم يقضي عني ديني، ويكون خليفتي في أهلي)، وعبد الله بن عبد القدوس ضعّفه غير واحد من أهل العلم (٣) ، والأعمش ثقة حافظ غير أنّه يدلّس (٤)، وقد عنعنه ولم يصرّح بالتحديث.

لكن الملاحظ في لفظ هذا الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم أنه لم يذكر فيه الخلافة العامة التي تدّعيها الشيعة لعليّ، بل كل ما فيه أنه قال (يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي) فهو ﷺ خليفته في أهله فقط ﷺ، وهذا أمر لا ريب في قبوله- مع أن هذا الحديث أيضاً لا يثبت- فعليّ بن أبي طالب ﷺ أفضل من خلف رسول الله ﷺ من أهل بيته، وأما لفظ الوصاية والوراثة والخلافة العامة فلم يأت إلا في الحديث السابق المروي من طريق الكذاب عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم.

---

(١) أما أبو مريم ، عبد الغفار بن القاسم : الأنصاري الكوفي من رؤوس الشيعة ، قال فيه أبو داود : أنا اشهد أن أبا مريم كذاب، وقال يحيى : ليس بثقة ، وقال ابن حنبل : كان يحدّث بلايا في عثمان ، وكان يشرب حتى يبول في ثيابه ، وقال ابن المديني : كان يضع الحديث . وقال ابن حبان : كان ممن يروي المثالب في عثمان بن عفان ﷺ ، ويشرب الخمر حتى يسكر ، ومع ذلك يقلب الأخبار ، لا يجوز الاحتجاج به ، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وتركه أبو حاتم والنسائي والدارقطني . يُنظر الجرح والتعديل (53/6) ، لسان الميزان(42/4) ، الكامل في الضعفاء للجرجاني (5/ 327)

(٢) يُنظر تفسير ابن كثير (170/6) ، والبداية والنهاية (53/3) .

(٣) عبد الله بن عبد القدّوس التميمي السعدي الكوفي، صدوق رُمي بالرفض، وكان أيضًا يخطئ، قال يحيى: ليس بشيء رافضي خبيث، وقال النسائي وغيره: ليس بثقة، وضعفه الدارقطني. يُنظر التقريب ص 312 ، تهذيب التهذيب(5/ 265).

(٤) وهو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمّد الكوفي الأعمش:(ولد61هـ وتوفي 147أو148هـ) ثقة حافظ، عارف بالقراءات، ورع ، لكنّه يدلس أخرج له الجماعة. يُنظر تاريخ بغداد (4/9 وما بعدها)، التقريب ص254.

الطريق الثالثة[١]: من طريق شَرِيكٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ الْمِنْهَالِ عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ .

بلفظ: (من يضمن عني ديني ومواعيدي ، ويكون معي في الجنة ، ويكون خليفتي في أهلي) وهذا إسناد ضعيف أيضاً: **فشريك القاضي**[٢] ضعيف ؛ فمع أنّه ثقة في نفسه إلا أنّه سيء الحفظ جدًّا لا يحتج بما انفرد به، **والأعمش** ثقة حافظ غير أنه يدلّس كما مرّ وقد عنعنه في هذا الإسناد أيضاً، **وعباد بن عبد الله الأسدي** ضعيف الحديث كما قال ابن المديني. وقال البخاري: فيه نظر[٣]. ومتابعة شريك لعبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش هنا لا تغني شيئًا فضلًا عن ظهور علّةٍ أخرى في الإسناد ، وهي ضعف عباد بن عبد الله الأسدي. و فوق هذا ليس في لفظ الحديث ما يؤيّد ما ادعوه من النصّ أو الوصية .

وحسبك أنّ اللفظ الوحيد لهذا الحديث الذي فيه التصريح بالوصاية لعلي ووراثته وخلافته للنبي ﷺ من بعده لم يُروَ- كما بينته- إلا من طريق ذلك الكذّاب عبد الغفار بن القاسم بن أبي مريم.

الطريق الرابعة[٤]:**من طريق** عُثْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ أَبِي صَادِقٍ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ نَاجِذٍ عَنْ

---

(١) مسند أحمد (2/ 225) رقم 883 .قال الهيثمي (مجمع الزوائد : 146/9):" رواه أحمد وإسناده جيد". وليس كما قال بل هو ضعيف كما بينته في دراسة السند.

(٢) شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي بواسط ثم الكوفة أبو عبد الله ولد 95هـ وتوفي 177هـ : صدوق يخطىء كثيرًا تغيّر حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة وكان عادلًا فاضلًا عابدًا شديدًا على أهل البدع.يُنظر التقريب ص266، وشذرات الذهب (462/1).

(٣) عبّاد بن عبد الله الأسدي الكوفي ضعيف أخرج له النسائي في الخصائص وابن ماجة. يُنظر تهذيب التهذيب(86/5)، التقريب ص290.تنبيه: عبّاد بن عبد الله الأسدي هذا الذي في الإسناد هو غير عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي المدني، أما الأوّلُ فهو الضعيف وهو الذي له رواية عن عليّ وروى عنه المنهال ابن عمرو- كما في ترجمته من (التهذيب 86/5)- وهذا عين الإسناد هنا.

وأما الثاني منهما فهو ثقة لكن ليس له رواية عن عليّ ﷺ و لم يرو عنه المنهال بن عمرو، ثم إن الثاني وإن كان أسديًّا لكنّه لا يعرف به ، ومن راجع ترجمة كل منهما في (تهذيب التهذيب 85/5) وغيره علم أن الذي في إسناد حديثنا هذا هو الأول الأسدي الكوفي الضعيف ، وليس الثاني بخلاف ما زعمه هذا الموسوي عند ذكره لهذا الإسناد في (المراجعة- 22-) (ص148)، فأردت التنبيه على ذلك.

(٤) مسند أحمد (2/ 465) رقم 1371، قال الهيثمي :"رواه أحمد ورجاله ثقات" وفيما قال نظر في ضوء ما سيتبين من دراسة رجال السند ، ومتن الحديث نفسه.

عَلِيٍّ بلفظ مختصر أيضاً، وهو: (فأيُّكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي).

وهذه متابعة لعبّاد بن عبد الله الأسدي من رَبِيعَةَ بْنِ نَاجِذٍ ،ولكن ربيعة هذا أشدّ ضعفًا من عبّاد، قال الذهبي (١): لا يكاد يعرف، وعنه أبو صادق بخبر منكر فيه علي أخي ووارثي –يشير إلى هذا الحديث– .

وقال في (المغني) (٢) أيضاً: فيه جهالة.

قلت: وجهالته لأنّه لم يرو عنه سوى راو واحد وهو أبو صادق الأزدي – قيل إنّه أخوه(٣)– فلا يكفي ذلك في معرفته وتوثيقه إذ رواية الواحد لا ترفع جهالة العين فضلًا عن جهالة الحال. وقد وهم أيضاً ابن حجر بتوثيق ربيعة هذا(٤) ، مخالفا بذلك قاعدةً مهمة من القواعد التي بيّنها في مقدمة (التقريب)، فقال عن المرتبة التاسعة من مراتب الجرح والتعديل: (من لم يرو عنه غير واحد و لم يوثّق وإليه الإشارة بلفظ مجهول)(٥) ا. هـ.

قلت: وقد جعل هذه المرتبة دون مرتبة (الضعيف) التي هي الثامنة بدءًا من الأخفّ. وهذه أوصاف تنطبق تمامًا على "ربيعة بن ناجذ"، وقد صرّح ابن حجر رحمه الله في التهذيب باعتماده توثيق ابن حبان والعجليّ لربيعة هذا ، فقد نقل توثيقه عن ابن حبان والعجلي ، ثمّ ذكر أنه قرأ بخطّ الذهبي أنّه لايكاد يُعرف (٦) .

فهل ترجّح له توثيقه عندما صنّف التقريب؟ أم أنه اختزل ما قيل فيه من التوثيق ولكنه غفل عن كلام الذهبي فيه ؟ كلّ ذلك جائز.

على أنّ توثيق ابن حبان (٧) والعجلي(٨) غير معتبر هنا لأنّه يستند إلى رفع جهالة الراوي برواية واحد عنه .

---

(١) ميزان الاعتدال (70/3) .
(٢) المغني في الضعفاء ص 230 .
(٣) يُنظر تهذيب الكمال(33/ 412) .
(٤) التقريب ص 208 .
(٥) التقريب ص23 .
(٦) يُنظر تهذيب التهذيب (228/3) .
(٧) فقد ذكره في الثقات (229/4).
(٨) معرفة الثقات للعجلي (357/1) .

وعليه فربيعة هذا مجهول، وهي جهالة أشدّ من ضعف عباد بن عبد الله الأسدي الذي قال عنه ابن المديني: ضعيف الحديث، وضعّفه ابن حجر أيضًا [١]. فلا أرى أنّ هذا الإسناد يصلح شاهدًا لتقوية الأوّل .

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه القصة لا تثبت حتى عند الشيعة أنفسهم[٢] لأنها:

1- رُويت في كتاب سليم بن قيس من طريق أبان بن أبي عياش-فيروز-: وهو تابعي ضعيف من أصحاب عليّ زين العابدين والباقر والصادق ، ضعّفه علماء الرجال عندهم[٣] ، بل نسبوا إليه وضع كتاب سليم بن قيس[٤].

2- كما رواها الصدوق [٥] عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني قال : حدثني عبد العزيز بن يحيى الجلودي بالبصرة ، قال : حدثنا محمّد بن زكريا ، قال : حدثنا عبد الواحد بن غياث ، قال : حدثنا أبو عباية ، عن عمرو بن المغيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجذ عن عليّ ﷺ .

وهذه الرواية آفتها شيخ الصدوق ، الطالقاني ، قال فيه الخوئي بعد أن ذكر رواية فيه : " هذه الرواية دلالة واضحة على تشيع محمّد بن إبراهيم ، وحسن عقيدته وأما وثاقته فهي لم تثبت ، وليس في ترضي الصدوق [قده] عليه دلالة على الحسن فضلًا عن الوثاقة " [٦] ، وقال وقال فيه الأردبيلي : لا أعلم حاله [٧] .

---

(١) التقريب ص 290 .

(٢) يُنظر في دراسة أسانيد الشيعة ما كتبه الأستاذ فيصل نور في كتابه الإمامة والنص ، لكن يعوزه كثير من التحري قبل الحكم على الرجال ، إذ ربما حكم بالضعف على من وثّقه القوم ، أو بالجهالة على من هو معروف عندهم؛ ولعل ذاك ناتج عن قلة التحري في المصادر أو قلّة المصادر المتوفرة لديه .

(٣) قال الطوسي في (رجاله ص126): تابعي ضعيف ، وكذا قال التفريشي(نقد الرجال 39/1) .

(٤) يُنظر رجال ابن داود الحلي ص225، معجم رجال الخوئي (129/1).

(٥) رأس الإمامية، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق، يضرب بحفظه المثل. يقال: له ثلاث مئة مصنف، منها:كتاب "دعائم الاسلام "، كتاب "الملاهي"، كتاب"غريب حديث الأئمة"،كتاب "التوحيد"، كتاب "دين الامامية"، يُنظر سير أعلام النبلاء(303/1-304).

(٦) معجم الخوئي (231/15) .

(٧) جامع الرواة (530/2) . ويُنظر ترجمة الطالقاني في طبقات أعلام الشيعة لآغا بزرك الطهراني ص228 .

ومحمّد بن زكريا هو ابن دينار الجوهري الغلابي البصري المتوفى سنه 298 هـ [١] ، وعبد الواحد بن غياث لم أقع له على ترجمة أو ذكر في كل ما وقع لي من كتب الرجال عند القوم . و يبدو لي أنّ في السند انقطاعًا وتصحيفًا 0

3-أما الرواية الثالثة : روى الصدوق ، قال : حدثنا الطالقاني ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا المغيرة بن محمّد ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمّد بن عبد الرحمن الأزدي ، قال : حدثنا قيس بن الربيع وشريك بن عبد الله عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن علي بن أبي طالب ...

قد عرفنا حال **الطالقاني** من الرواية السابقة ، أما **المغيرة بن محمّد** فلم أقف على من ترجم له ، ولا يعرف من هو في الناس ، وكذا حال **إبراهيم الأزدي** ، وقيس بن الربيع من البترية وهو ضعيف الحديث عندهم [٢] .

4- والرواية الرابعة : روى الطوسي ، من طريق أبي المفضل عن محمّد بن جرير الطبري عن محمّد بن حيد الرازي عن سلمة بن الفضل الأبرش عن محمّد بن إسحاق عن عبد الغفار ابن القاسم بن أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن عليّ ابن أبي طالب

أمّا أبو المفضل[٣] وإن كان كثير الرواية إلا أن الأكثر على تضعيفه ، فقد كان ثبتًا ثم

(١) جامع الرواة (114/2) ، طبقات أعلام الشيعة ص271 . وعدّ شيوخه فلم يذكر فيهم عبد الواحد بن غياث.

(٢) قيس بن الربيع الأسدي أبو محمّد الكوفي من أصحاب الباقر ﷺ محدث بتري ضعيف الحديث توفي سنة 168ه وقيل سنة 167ه وقيل سنة165ه . يُنظر رجال الطوسي ص 143،272 ، رجال ابن داود ص 267، معجم الخوئي (92/14)، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق لعبد الحسين الشبستري(601/2-602) - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، ط1 : 1418 هـ .

(٣) وهو محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن البهلول أبو المفضل . كان سافر في طلب الحديث عمره ، أصله كوفي ، وكان في أوّل عمره ثبتًا ثم خلط ، وجلّ أصحابنا يغمزونه ويضعّفونه ، وقيل فيه: وضّاع ، كثير المناكير. يُنظر خلاصة الأقوال للحلي ص 403 ، نقد الرجال للتفرشي (4 /253)، طبقات أعلام الشيعة ص280-281 .

خلط ، وترك بعضهم الرواية عنه ، وقال آخرون إنه وضاع ، كثير المناكير [١] .

وبقيّة السند من طرق أهل السنّة ، فالطبريّ هو صاحب التاريخ [٢] ، والرازيّ إنّما هو محمّد بن **حميد** الرازيّ ، وليس محمّد بن **حيد** كما في الأمالي والبحار، و لم يترجم له أحد من القوم ، بل كل من جاء باسم محمّد بن حميد في كتب الرجال عند الشيعة، مجهول الحال ، ولكني وجدت الخوئي في معرض كلامه عن شريك ، ذكره وقال عنه ليس بثقة[٣] .

ثانيًا- دراسة متن الحديث:

متن الحديث منتقد بأمور منها[٤]:

١ -إنّ بني عبد المُطَّلِب لم يبلغوا أربعين رجلًا وقت نزول الآية، ولا كانوا أربعين في حياة الرسول ﷺ أبدًا، وجميع بني عبد المُطَّلِب هم من أولاد العباس وأبي طالب والحارث وأبي لهب، فكان لأبي طالب: علي وجعفر وعقيل وطالب، فطالب لم يدرك الإسلام، والعباس كان أولاده رضّعًا أو لم يولد له بعد. والحارث كان له ثلاثة: أبو سفيان وربيعة ونوفل، وأبو لهب كان له ولدان أو ثلاثة، فكلّ أولاد عبد المُطَّلِب إذ ذاك لم يبلغوا بضعة عشر فأين الأربعون؟!

٢ -ثم قوله في الحديث: كلّ رجل منهم يأكل الجذعة ، ويشرب الفرق من اللبن، كذب إذ لم يكن بنو هاشم معروفين بكثرة الأكل، بل لم يُحفظ عن واحد منهم هذا الأمر.

٣ -لفظ الحديث ركيك يشهد القلب ببطلانه، فإنّه عرضه- كما زعمت الرواية- على أربعين رجلًا، فلو فرضنا أنّهم أجابوه كلّهم أو عددٌ منهم- قلت: مع حرصه الشديد ﷺ على هدايتهم جميعًا- فمن الذي يكون الخليفة منهم؟!

وهكذا يتبيّن أنّ طرق هذه القصّة كلّها ما بين موضوعٍ -في إسناده كذّاب- أو

---

(١) نقد الرجال للتفرشي(4 /253)، معجم رجال الحديث للخوئي (17 /260)، طرائف المقال لعلي البروجردي 140/1 - تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي النجفي- قم ، ط1، 1410هـ.

(٢) وقد أورده الطبري في تاريخه (62/2) بالسند المذكور.

(٣) - معجم الخوئي (27/10) .

(٤) يُنظر منهاج السنّة(304/7 -308) .

ضعيفٍ جدًا لا يثبت مع ما في متنها ولفظها من النكارة، فلا حجّة فيها لا على النصّ المزعوم في إمامة عليّ ﷺ ولا يقوى على ردّ الأحاديث الصحيحة في إنذاره ﷺ لبني عبد مناف عمومًا وبني عبد شمس خصوصًا.

والخلاصة : أنّ العلاقة بين بني هاشم وبني عبد شمس لم تكن في الجاهليّة علاقة تحاسد وتباغض كما يريد بعضهم تصويرها، إنّما كانت علاقة تضامن وتحالف ربّما شابها شيء من التنافس على المكارم، والرياسة وهو أمر طبيعيّ في شتى البيوتات الرفيعة في العرب والعجم .

ويشهد لذلك التنافس الشريف بينهم ما روي أنّ معاوية قيل له:أيّكم كان أشرف أنتم أو بنو هاشم؟ قال: كنّا أكثر أشرافًا، وكانوا هم أشرف؛ فيهم واحد لم يكن في بني عبد مناف مثله هاشم، فلما هلك كنّا أكثر عددًا وأكثر أشرافًا، وكان فيهم عبد المُطَّلِب لم يكن فينا مثله، فلما مات صرنا أكثر عددًا وأكثر أشرافًا، ولم يكن فيهم واحد كواحدنا، فلم يكن إلا كقرار العين حتى قالوا: منّا نبيٌّ، فجاء نبيٌّ لم يسمع الأولون والآخرون بمثله محمّد ﷺ فمن يدرك هذه الفضيلة وهذا الشرف.(١)

(١) تاريخ دمشق(189/59)، البداية والنهاية - (8 / 147) كلاهما من رواية أبي الحسن عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ المدائني وهو ثقة، يُنظر سير أعلام النبلاء (10 /400)، عن سلمة بن محارب، قلت: هو الزياديّ، وقد ذكره البخاريّ في التاريخ الكبير (7 /387) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكره ابن حبّان في الثقات (7 /490)، والإسناد منقطع بين سلمة ومعاوية، ولكن غالب رواية سلمة عن أبيه محارب وهو أيضًا في ثقات ابن حبان (5 /452)، والآخر لا يروي إلا عن أبيه سلم بن زياد بن أبيه ذكره ابن حبان في الثقات (4 /334) عن زياد بن أبيه معاوية. وظاهر هذه الرواية أنّها من قبيل المأثور من الأبناء عن الآباء.

المبحث الثاني : الأمويّون في الإسلام حتى العصر الأمويّ

المطلب الأوّل: موقف الأمويّين من الدعوة الإسلاميّة

ثمة كتابات معاصرة تؤكّد أنّ الأمويّين كانوا أشدّ قريش عداوةً للإسلام، وأنّهم كانوا أكثر قريش أذيّةً وتكذيبًا للنبيّ ﷺ(١).

وهذه الدعوى لم تأتِ من فراغ بل لها جذور قديمة فهي عريقة في الفكر الشيعيّ (٢)، وقد نصرها المقريزيّ في كتابه النزاع والتخاصم(٣)، ولكنْ ما قيمة هذه الدعوة أمام النقد العلميّ؟

في الحقيقة لا يوجد في الرّوايات الحديثيّة والتاريخيّة التي تؤرّخ للعصر النبويّ ما يدعم هذه الفكرة، بل على العكس فالتحقيق في شأن موقف بني أميّة من الدعوة الإسلامية أنّه كان شبيهًا بمواقف أحياء قريش منها .

ولهذا الغرض سوف أعقد مقارنةً بين موقف بني أميّة وموقف بني هاشم من الدعوة الإسلاميّة .

ونظرًا لندرة المصادر الإحصائية في أسماء جميع الأمويّين والهاشميّين وموقف كلّ واحد منهم من الإسلام، والتزامًا بالمنهج العلميّ في النقد فقد آثرت بعد البحث عن مرتكزات إحصائيّة في كتب السير أن أعقد مقارنةً بين موقف بني هاشم – قوم النبيّ ﷺ- من الإسلام وموقف بني أميّة بن عبد شمس، وذلك عبر نقطتين معياريّتين في تاريخ الدعوة النبويّة يمكن أن تعطيَ كل واحدة منها تصوّرًا عن الحراك داخل هاتين الأسرتين تجاه الإسلام في سنواته الأولى في مكّة وفي سنواته الأولى في المدينة.

النقطة الأولى: تتمثّل في أعداد المهاجرين إلى الحبشة في بداية الدعوة.

والنقطة الثانية: تتمثّل في أعداد من شهد معركة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة.

---

(١) يُنظر قراءة في المسار الأموي لمروان خليفات – مركز الغدير للدراسات – قم – ط1 -1419هـ، ص5 وما بعدها.

(٢) يُنظر شرح الأخبار في مناقب الأئمة الأطهار للقاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي(ت 363هـ) (145/2)، تحقيق محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي –قم، ويُنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد(25/9) .

(٣) يُنظر كتاب النزاع والتخاصم للمقريزي ص 43 وما بعدها .

أولًا: أعداد المهاجرين إلى الحبشة :

أخرج ابن سعد في " الطبقات الكبرى" عن الزهريّ قال: لما كثر المسلمون، وظهر الإيمان وتُحدِّث به، ثار ناس كثير من المشركين من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم، فعذّبوهم وسجنوهم، وأرادوا فتنتهم عن دينهم، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « تفرّقوا في الأرض» فقالوا: أين نذهب يا رسول الله؟ قال: «ها هنا» وأشار إلى الحبشة، وكانت أحبّ الأرض إليه أن يُهاجر قِبَلَها(١).

وكانت الهجرة إلى أرض الحبشة مرّتين فكان عدد المهاجرين في المرّة الأولى اثني عشر رجلًا وأربع نسوة، ثم رجعوا عندما بلغهم إسلام قريش، فعادوا إلى مكّة غير أنّهم وجدوا خلاف ذلك، ولقوا من المشركين أشدّ مما عهدوا فهاجروا ثانية، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلًا، بما فيهم عمار بن ياسر،لأنّ فيه خلاف بين أهل النقل، وثماني عشرة امرأة إحدى عشرة قرشيّات وسبعًا غرباء(٢).

الهجرة الأولى: لم يكن فيها أحدٌ من بني هاشم إلا السيّدة رقيّة بنت رسول الله ﷺ وإنّما هاجرتْ مع زوجها عثمان بن عفان الأمويّ ﷺ وكانا أوّل من هاجر من المسلمين(٣).

في حين كان من بني عبد شمس:

-عثمان بن عفان وزوجته رقيّة رضي الله عنهما.

-وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو(٤).

أمّا الهجرة الثانية:

فكان فيها من بني هاشم :

جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (1 /204).

(٢) يُنظر السيرة النبويّة لابن هشام (173/2)، عيون الأثر لابن سيد الناس (1 /151) مؤسسة عز الدين – طبعة عام 1406هـ.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (4 /457) ترجمة عثمان بن عفان ﷺ.

(٤) يُنظر السيرة النبوية لابن هشام (164/2) ، زاد المعاد لابن القيم (3 /20) مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت ،الطبعة الرابعة عشر ، 1407 – 1986م،تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط ، البداية والنهاية (3 /66).

وكان من بني عبد شمس[1]:

١ – عُثْمَانُ بْنَ عَفّانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ رُقَيّةُ ابْنَةُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ .

٢ – وَعَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيّةَ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيّةَ الكنانيّة.

٣ – خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيّةَ مَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمَيْنَةُ بِنْتُ خَلَفِ الخُزاعيّة .

٤ – وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو.

وَمِنْ حُلَفَائِهِمْ:

٥ – عَبْدُ اللّهِ بْنُ جَحْشِ بْنِ رِئَابِ من بني أسد بن خُزيمة.

٦ – وَأَخُوهُ عُبَيْدُ اللّهِ بْنُ جَحْشٍ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيّةَ.

٧ – وَقَيْسُ بْنِ عَبْدِ اللّهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ بَرَكَةُ بِنْتُ يَسَارٍ مَوْلَاةُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيّةَ .

٨ – وَمُعَيْقِيبُ بْنُ أَبِي فَاطِمَةَ من موالي سعيد بن العاص.

٩ – وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللّهِ بْنُ قَيْسٍ حَلِيفُ آلِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بن عبد شمس[2].

وبالمقارنة: نجد فرقًا عدديًّا واضحًا لصالح بني عبد شمس في أعداد المهاجرين إلى الحبشة . علمًا أنّني عددت السيدة رقيّة مع بني هاشم لنسبها ومع بني أميّة لأنّ المرأة تعدُّ مع زوجها لأنّها تابعة له.

---

(١) آثرت المقابلة بين بني هاشم وبني عبد شمس لأنّ معظم المصنفيّن درجوا على عدم إفراد بنيّ أميّة عن بني عبد شمس، ولأنّ الأوفق أن يقارن بين هاشم وعبد شمس والد أميّة، لأنّهما من طبقة واحدة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٢) يُنظر أسماء المهاجرين إلى الحبشة في السيرة النبوية لابن هشام (2/164-173)، البداية والنهاية (3 /67) .

الهجرة الأولى	الرجال	النساء	الموالي والحلفاء مع نسائهم
بنو هاشم	0	1	0
بنو عبد شمس	2	2	0

الهجرة الثانية	الرجال	النساء	الموالي والحلفاء مع نسائهم
بنو هاشم	1	2	0
بنو عبد شمس	4	3	7

ولو أحببنا أن نقارن نسبة المهاجرين من بني عبد شمس وحلفائهم إلى مجموع المهاجرين الكليّ وهو ثلاثة وثمانون رجلاً، وثماني عشرة امرأة(١) .

أعداد المهاجرين	الرجال	النساء	الرجال والنساء
بنو عبد شمس	9	6	15
جميع المهاجرين	83	18	101
النسبة المئويّة لبني عبد شمس	10,84	33,33	14,85

ثانيًا: شهود معركة بدر الكبرى

شهود بدرٍ:

يُعدّ شهود معركة بدرٍ علامة فارقة في الإسلام ولذلك دأب العلماء على عدّ البدريين طبقةً مميزة من طبقات الصحابة الكرام وذلك للأحاديث الصحيحة في مناقب من شهدها ومنها:

- ما أخرجه البخاريّ ومسلم واللّفظ للبخاريّ :عَنْ عَلِيٍّ ﵁ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ. قَالَ: « انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ(٢)، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنْ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى

---

(١) يُنظر الطبقات الكبرى لابن سعد (1 /207)، السيرة النبوية لابن هشام (173/2)، عيون الأثر لابن سيد الناس (1 /151).

(٢) موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة يُنظر معجم البلدان (383/2) .

الْمُشْرِكِينَ»، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْنَا : الْكِتَابُ ؟ فَقَالَتْ : مَا مَعَنَا كِتَابٌ . فَأَنَخْنَاهَا فَالْتَمَسْنَا، فَلَمْ نَرَ كِتَابًا؛ فَقُلْنَا مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ ، فَأَخْرَجَتْهُ ؛ فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ حَاطِبٌ : وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : صَدَقَ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا . فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلأَضْرِب عُنُقَهُ ، فَقَالَ :« أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟! فَقَالَ: لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ »، فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. (١)

- وأخرج البخاريّ في صحيحه: عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: « جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ ؟ قَالَ : مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا . قَالَ : وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ. » (٢)

- وفي مسلم عَنْ جَابِرٍ أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ».(٣)

- وأخرج مسلم وابن ماجه واللفظ له :عَنْ حَفْصَةَ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ. » قَالَتْ: قُلْتُ :يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾ [مريم:71] قَالَ: « أَلَمْ

---

(١) البخاري (4/ 1463) في المغازي فضل من شهد بدرًا رقم 3762، ومسلم (4/ 1941) في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة رقم 2494 .

(٢) البخاري (4/ 1467) في المغازي ، باب فضل من شهد بدرًا رقم3771 .

(٣) مسلم (4/ 1942) في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة رقم 2495، و الترمذي (5/ 697) في المناقب عن رسول الله ﷺ باب في من سب أصحاب النبيّ ﷺ رقم3864 .

تَسْمَعِيهِ يَقُولُ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:72]. » [١]

ونذكر فيما يلي **من شهد بدرًا مسلمًا من بني هاشم** كما أوردهم ابن هشام[٢]:

١. مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ

٢. وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ

٣. وَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ

وشهد بدرًا من حلفاء وموالي بني هاشم:

٤. زَيْدُ بْنِ حَارِثَةَ مولى رسول الله ﷺ

٥. وَأَنَسَةُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٦. وَأَبُو كَبْشَةَ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٧. وَأَبُو مَرْثَدٍ كَنَّازُ بْنُ حِصْنِ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ خَرَشَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ جِلَّانَ بْنِ غَنْمِ بْنِ غَنِيّ بْنِ يَعْصُرَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ .

٨. وَابْنُهُ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ ، حَلِيفَا حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

٩. وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ

١٠. وَأَخَوَاهُ الطُّفَيْلُ بْنُ الْحَارِثِ

١١. وَالْحُصَيْنُ بْنُ الْحَارِثِ

١٢. وَمِسْطَحٌ ، وَاسْمُهُ عَوْفُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ .

وهم كما ترى اثنا عشر رجلاً:

- ثلاثة من رجال بني هاشم: النبيّ ﷺ وحمزة وعليّ.
- وثلاثة من موالي النبيّ ﷺ: زيد وأنسة وأبو كبشة.
- واثنان من حلفاء حمزة : أبو مرثد وابنه مرثد
- وأربعة من بني الْمُطَّلِب بن عبد مناف: عبيدة والطفيل والحصين أبناء الحارث بن عبد

(١) مسلم (4/ 1942) في فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رقم 2496،و ابن ماجه (2/ 1431)في الزهد باب البعث رقم 4281 ، واللفظ له . ولفظ مسلم (مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا) عن أمّ مبشّر .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (233/3).

المُطَّلِب ورابعهم مسطح.

قلت: كان من المفترض أن يصنّف بنو المُطَّلِب بوصفهم أسرةً مستقلّة شأنهم شأن بني عمومتهم بني عبد شمس وبني عبد نوفل كما فعل الواقديّ في مغازيه [١] ولكنّ بعض العلماء[٢] ألحقوهم ببني هاشم لعلّة ذكرها النبيّ ﷺ حينما ألحقهم بالخمس على ما سنبيّنه لاحقًا.

أمّا من شهد بدرًا مُسلمًا مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ فهم كما ذكر ابن هشام أيضًا[٣]:

١ عُثْمَانُ بْنُ عَفّانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، تَخَلّفَ عَلَى امْرَأَتِهِ رُقَيّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِسَهْمِهِ قَالَ: وَأَجْرِي يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ: وَأَجْرُك .

٢ وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ .

وَشَهِدَ بَدْرًا مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، ثُمّ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ :

٣ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسْمُ أَبِي حُذَيْفَةَ مِهْشَمٌ .

٤ وَزَعَمُوا أَنّ صُبَيْحًا مَوْلَى أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ تَجَهّزَ لِلْخُرُوجِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، ثُمّ مَرِضَ فَحَمَلَ عَلَى بَعِيرِهِ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ ، ثُمّ شَهِدَ صُبَيْحٌ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَشَاهِدَ كُلّهَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ.

٥ عَبْدُ اللّهِ بْنُ جَحْشِ بْنِ رِئَابِ بْنِ يَعْمُرَ بْنِ صَبْرَةَ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَبِيرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ دُودَانَ ابْنِ أَسَدٍ .

٦ وَعُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ بْنِ حُرْثَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ مُرّةَ بْنِ كَبِيرِ بْنِ غَنْمِ بنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ.

٧ وَشُجَاعُ بْنُ وَهْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ صُهَيْبِ بْنِ مَالِكِ بنِ كَبِيرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدِ .

---

(١) مغازي الواقدي (ص 154).

(٢) كابن إسحاق وهو التقسيم الذي اعتمدته في التصنيف.

(٣) يُنظر السيرة النبوية لابن هشام (3/233-234).

٨ وَأَخُوهُ عُقْبَةُ بْنُ وَهْبٍ .

٩ -وَيَزِيدُ بْنُ رُقَيْشِ بْنِ رِئَابِ بْنِ يَعْمُرَ بْنِ صَبْرَةَ بْن مُرَّةَ بْنِ كَبِيرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ .

١٠ - وَأَبُو سِنَانِ بْنُ مِحْصَنِ بْنِ حُرْثَانَ بْنِ قَيْسٍ ، أَخُو عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ.

١١ - وَابْنُهُ سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ .

١٢ - وَمُحْرِزُ بْنُ نَضْلَةَ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَبِيرِ بْنِ غَنْمِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ .

١٣ - وَرَبِيعَةُ بْنُ أَكْثَمَ بْنِ سَخْبَرَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ لُكَيْزِ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ.

وَمِنْ حُلَفَاءِ بَنِي كَبِيرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ :

١٤ - ثَقْفُ بْنُ عَمْرٍو

١٥ - وَأَخَوَاهُ مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو(١).

١٦ - وَمُدْلِجُ بْنُ عَمْرٍو .

وَحَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ طَيِّئٍ هو:

١٧ - سُوَيْدُ بْنُ مَخْشِيّ(٢)

فعددهم سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا سوى صُبيحٍ (٣).

المقارنة:

بملاحظة العدد الإجمال لمن شهد بدرًا من بني عبد شمس وهم (16) رجلًا نجد أنّهم أكثر ممن شهدها من بني هاشم وهم (12) رجلًا ، علمًا أنّ بني هاشم انضمّ إليهم بنو المُطَّلِب وهم (4) رجالٍ وبذلك نحن نقارن أسرة بأسرتين فتأمّل.

وبلغة الأرقام يمكن أنّ تتحصّل لدينا نسبة كلّ من الهاشميين والعبشميين إلى المهاجرين

---

(١) مالك بن عمرو السلمي ويقال العدواني حليف بني أسد ، وكانوا حلفاء بني عبد شمس ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدرًا واستشهد باليمامة .الإصابة في تمييز الصحابة (5 /738)

(٢) وقيل اسمه: أَرْبَدُ بْنُ حُمَيْرَةَ وَأَنّهُ يُكَنّى أَبَا مَخْشِيّ وَأَنّهُ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ . يُنظر مغازي الواقدي (ص 154).

(٣) يُنظر السيرة النبوية لابن هشام (234/3) ، مغازي الواقدي (ص 154).

جميعًا الذين كانوا ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلًا[١]من مجموع جيش المسلمين.

	العبشميّون	الهاشميون	المهاجرون
عدد من شهد بدرًا مسلمًا منهم	16	12	73
النسبة إلى عدد المهاجرين	21.9	16.4	100

وهكذا فإنّ في بني أميّة مَن بادر إلى الإسلام فكان من السابقين ومنهم من بالغ في عداوته، وهذا العدد من السابقين إلى الإسلام ومن المهاجرين والمجاهدين من بني أميّة وأزواجهم وحلفائهم ومواليهم، يجعلنا نشكّك في دعوى أنّ بني أميّة كانوا الأكثر عداوة والأقلّ إسلامًا.

بل كان قوم أبي جهل **بنو مخزوم** أكثر قريشٍ مشاركة في معركة بدر، فبلغ عدد من شارك منهم مِائَةً وَثَمَانِينَ نفرًا[٢]، وكان زعيمَ قريش في هذه المعركة عدوٌّ الله أبو جهل عمرو بن هشام، وبلغ عدد من قتل منهم سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا [٣]، ومن أُسر تِسْعَةُ نَفَرٍ [٤].

ولو اعتمدنا نسبة المشاركة في جيش قريش مقياسًا للعداوة، ففي قريش من كان أقلّ عداوة للنبيّ من بني أميّة ومن بني هاشم أنفسهم؛ فبنو عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ، لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ إلى بدرٍ[٥]، وكذلك بنو زهرة خرجوا ثم انسحبوا من الجيش بعد الذي بلغهم من نجاة العير فقفلوا عائدين إلى مكّة عملًا بنصيحة حليفهم الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثّقَفِيّ [٦].

في حين اشترك من بني هاشم العباس بن عبد المُطَّلِب، و عقيل بن أبي طالب في جمع منهم، والسائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المُطَّلِب صاحبَ راية بني هاشم يوم

---

(١) مغازي الواقدي (ص 157).

(٢) مغازي الواقدي (ص 42).

(٣) يُنظر السيرة النبويّة لابن هشام (269/3).

(٤) المصدر السابق (274/3).

(٥) المصدر السابق (166/3).

(٦) يُنظر المصدر السابق الجزء والصفحة نفسهما.

بدر مع المشركين، وإن كانوا كارهين للقتال. حتى أنّه أُسر منهم العباس بن عبد المُطَّلِب [١] و عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ؛ وَنَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ . وَأسر مِنْ بَنِي الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاف : السَّائِبُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، وَنُعْمَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ [٢] ، وقد قبل الرسول ﷺ فداءهم فيمن افتدى من أسرى قريش[٣].

فالحقّ أنّ الإسلام خاطب عقول القوم ودمغ شُبهاتهم وأبطل مزاعمهم ، فكان أن استجاب فريقٌ منهم لدعوة الإسلام مُتغلّبين على مقدّسات الآباء، ومتجاوزين عُنْجُهِيَّة الجاهليّة، وهذه مسألة عسيرة على أشراف مكّة من شتى البطون ومنهم بنو أُميّة بل وبنو هاشم أنفسهم.

فإنّ أوّل من جاهر بالعداوة لرسول الله ﷺ عمّه الهالك المُتَبّب أبو لهب، وهو الذي نزلت فيه وفي زوجه سورة «المَسَد»، ومن العجيب أنّ أبا لهب هاشميٌّ وامرأته أمّ جميل أُمويّة[٤]، فهو عمّ عليّ وهي عمّة معاوية . «وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ ذَمٌّ مَنْ كَفَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاسْمِهِ إلَّا هَذَا وَامْرَأَتَهُ ؛ فَفِيهِ أَنَّ الْأَنْسَابَ لَا عِبْرَةَ بِهَا ، بَلْ صَاحِبُ الشَّرَفِ يَكُونُ ذَمُّهُ عَلَى تَخَلُّفِهِ عَنْ الْوَاجِبِ أَعْظَمَ» [٥].

وهذا يعني أنّ في بني هاشم أيضًا من حارب الإسلام في بداية الدعوة، واستمرّ عليها إلى

---

(١) سير أعلام النبلاء (2 /81)، ومن العجيب أنّ الواقديّ محمد بن عمر (ت 207هـ) قد غضّ الطرف عن ذكر اسم العباس بن عبد المُطَّلِب ضمن أسارى بدر يُنظر مغازي الواقدي (ص 138)، وقد حُمل ذلك على مراعاة رضا خلفاء بني العباس وثمّة ردود على ذلك؛ يُنظر الدولة الأمويّة المفترى عليها لحمدي شاهين ص 39، ويُنظر الواقدي وكتابه المغازي منهجه ومصادره (1/149-151) للدكتور عبد العزيز بن سليمان بن ناصر السلومي ط1: 1425هـ-2004م مطبوعات الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة- وهي في الأصل رسالة دكتوراه.

(٢) يُنظر السيرة النبوية لابن هشام (272/3).

(٣)يُنظر تاريخ الطبري (2 /41)،الاستيعاب (2/ص574 في ترجمة السائب بن عبيد.

(٤) أم جميل بنت حرب بن أمية وهي حمالة الحطب امرأة أبي لهب. يُنظر الاستيعاب (1430/3).

(٥)مجموع الفتاوى (16/ص602)-مكتبة ابن تيمية، ط2، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

ما بعد الهجرة، بل فيهم من تأخّر إسلامه إلى فتح مكة كعُتبة ومُعتب ابني أبي لهب[١]، وكأبي سفيان بن الحارث بن عبد المُطَّلِب بن الهاشم، وهو ابن عمّ النبي ﷺ، وكان أخاه من الرضاعة، أرضعتهما حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وكان من أكثر الناس شبهًا برسول الله ﷺ، وكان له فيه هجاء ثم إنّه أسلم عام الفتح[٢] .

وكذلك كان حال المُطَّلِبيّن، فمنهم من آمن وصدّق في بداية الدعوة كعبيدة بن الحارث بن المُطَّلِب الذي استشهد في بدرٍ [٣]، ومنهم من جحد وحارب الإسلام ثمّ منّ الله عليه بالإسلام كالسائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المُطَّلِب بن مناف كان صاحب راية بني هاشم يوم بدر مع المشركين، فأُسر ففدى نفسه، ثم أسلم وهو- جدّ الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب الشافعي -[٤].

وربما حملت العصبيّة بعض رجالات بني هاشم على نصرة النبي ﷺ كما كان حال أبي طالب عمّ النبي ﷺ والذي مات على ملّة الأشياخ من قريش [٥]، وكحال عموم بني هاشم والمُطَّلِب الذين دخلوا مع النبي ﷺ الشِّعب على إثر مقاطعة قريش لهم، وكحال العبّاس عمّ النبي ﷺ الذي شهد معه مشركًا بيعة العقبة، وخرج إلى بدر مُكْرَها .

وإذا كان بنو هاشم فيهم السابقون إلى الإسلام كعليّ بن أبي طالب و أخيه جعفر وعمّهما حمزة ، وفيهم المعادون له كأبي لهب وأبنائه، وفيهم من الطلقاء، كان حالهم كحال أبناء عمومتهم من بني عبد شمس، وهي حالة عامة في بطون قريش جميعها.

---

(١) يُنظر الإصابة في تمييز الصحابة (6 /175)، نسب قريش ص90.

(٢) يُنظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة (7 /179).

(٣) يُنظر تاريخ خليفة (ص 32).

(٤) يُنظر الاستيعاب (574/2).

(٥)البداية والنهاية (3/ 124).

درجة عداوة كفّار بني عبد شمس للنبيّ محمّد ﷺ:

إذا استسلمنا لحقيقة أنّ العبشميّين عمومًا والأمويّين منهم خصوصًا كانوا كسائر بطون قريش في الاستجابة للدعوة الإسلاميّة، أو في عداوتها فإنّ الروايات التاريخيّة تكشف لنا أنّ عداوة أكثر بني عبد شمس للنبيّ ﷺ كانت مُعتدلة إذا ما قيست بعداوة أبي جهل المخزوميّ وأبي لهب الهاشميّ والحارث بن النضر بن كلدة العبدريّ فمثلًا:

- كان رأي عتبة وشيبة ابني ربيعة بن عبد شمس أن تُخلّي قريش بين محمّد- ﷺ- والعرب، فإذا انتصر كان عزّه عزّهم، وإذا انتصروا عليه كان ذلك خلاصًا لهم دون كبير مؤونة(١).
- وهما من تحركت رحمهما لرسول الله ﷺ بعد أن لجأ لحائط لهما فارًّا من أذيّة صبيان ثقيف وسفهائها، فأمرا غلامًا نصرانيًّا لهما يقال له عدّاس أن يحمل له قطفًا من عنب في طبق ليأكل منه(٢).
- وكانا ممن بطّؤوا في الخروج يوم بدر فقد ذكر الواقديّ والبلاذريّ أنّ عتبة بن ربيعة،كره الخروج، وقال لأخيه شيبة بن ربيعة: إنّ ابن الحنظليّة - يعني أبا جهل ابن هشام- رجل مشؤوم، وليس يمسّه من قرابة محمد ما يمسّنا. فقال له شيبة: إن فارقنا قريشاً ورجعنا كان ذلك علينا سبّة، يا أبا الوليد، فامض مع قومك(٣).
- وكانا لا يحملان أحدًا — أي يجهزان بالسلاح والدابة- لقتال المسلمين يوم بدر، حتى عرفت قريش منهم ذلك (٤)، وعندما سُئل عُتبة بن ربيعة عن مسير قريش لقتال المسلمين في بدر قال:" لَا أَدْرِي وَاَللّهِ غُلِبْت"(٥) .
- ولقد كان صهر النبي ﷺ أبو العاص بن الربيع العبشميّ خيرًا من عتبة وعتيبة ولدي أبي لهب وهما ابنا عمّ النبي ﷺ، فلقد طلقا بنتيه بعد بعثته ﷺ بغرض أذيّته وشغله

(١) يُنظر السيرة النبويّة لابن هشام (131/2-132).

(٢) يُنظر المرجع السابق (2/ص268،تاريخ الطبري (2 /81).

(٣)مغازي الواقدي (ص 42)، أنساب الأشراف(341/1).

(٤) يُنظر مغازي الواقدي ص60 وما بعدها ، مقدمة محقق كتاب النزاع والتخاصم للمقريزي للدكتور حسين مؤنس ص9-10.

(٥) مغازي الواقدي (ص 60).

ببنتيه، ورفض أبو العاص تطليقها رغم أنّه ما أسلم حتى عهدٍ متأخر، لذا أثنى النبيّ ﷺ على مصاهرته وقال:« حدّثني فصدقني ووعدني فوفّى لي »(١).

وبهذا ننتهي إلى خلاصة مهمّة، مفادها: أنّ الإسلام بمبادئه السامية وأخلاق نبيه الكريمة هو الذي جذب قلوب المؤمنين إليه هاشميين وعبشميّين وعبدريّين ومخزوميّين وتيميّين وعدويّين..وأنّ الكبر والجحود والاعتزاز بضلالات الآباء، والأجداد هو الذي صرف الكافرين عن الإسلام من شتى بطون قريش وبيوتاتها.

وأنّه في المرحلة المكيّة من الدعوة المحمديّة ما آمن مع رسول الله ﷺ إلا عدد يسير من الصحابة من سائر أحياء قريش، فلم تؤمن له قريش كلها، و لم يتبعه حيٌّ بأسره، بل كانوا قلّة من صلحاء بطون قريش، وهذا ما يُبرّئُ ساحة الإسلام من أن يكون نزعةً قرشيّة أو مُنافيّة أو هاشميّة وهي حكمة عظيمة لمن تأمّل واعتبر.

---

(١) البخاري(3 / 1364) في فضائل الصحابة، باب ذكر أصهار النبي ﷺ رقم (3523)؛ مسلم (4/ 1902) في فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺرقم(2449) .

المطلب الثاني:السابقون والسابقات إلى الإسلام من الأمويّين

تبيّن مما سبق أنّ الأمويّين لم يكونوا الأكثر عداءً للإسلام في قبائل قريش، بل كانت عدواة كفّارهم معتدلةً إذا ما قيست بغيرهم.

ولكن ما لا يجب أن يُغفل عنه أنّ عددًا معتبرًا من الأمويين كانوا من السابقين إلى الإسلام وقد أجملناهم في إحصاء من هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية.

فمنذ بداية الدعوة الإسلاميّة وفي مرحلتها السريّة انجذب لها شباب من بني أميّة حيث أسلم عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة، وكان إسلامه على يد أبي بكر الصديق في أيام الإسلام الأولى[١]، وكذلك كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أميّة [٢] الذي يُروى أنّه خامس من أسلم بعد خديجة بنت خويلد وعليّ وأبي بكر وزيد بن حارثة ، وأسلم في هذه المرحلة السريّة أيضًا أبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس [٣]، كما أسلم في مرحلة مبّكرة حليفان لبني أميّة وهما عبد الله بن جحش بن رئاب وأخوه عبيد الله بن جحش وهما ابنا عمّة النبيّ ﷺ أمهما أميمة بنت عبد المطلب[٤].

وقد أسهمت نساء بني أميّة وعبد شمس في صنع مسيرة الإسلام وفي إعطاء الأسوة وضرب المثل في نبل التضحية وعزيز العطاء، فقد أسلمت رملة بنت شيبة بن ربيعة زوجة عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى المدينة وثبتت معه على دينه رغم مقتل أبيها وعمّها وابنه في بدر مما أهاج عليها غضب هند بنت عتبة فقالت تعيبها : (من الوافر)

لحى الرحمن صابئةً بوجٍّ... .... ومكّة أو بأطراف الحجونِ
تدينُ لمعشرٍ قتلوا أباها ... . أقتلُ أبيك جاءكِ باليقينِ[٥]

وَهَاجَرَتْ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ أُمّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعِيطٍ فِي تِلْكَ الْمُدّةِ فَخَرَجَ أَخَوَاهَا عِمَارَةُ وَالْوَلِيدُ ابْنَا عُقْبَةَ إلى النبيّ ﷺ يَسْأَلَانِهِ أَنْ يَرُدّهَا عَلَيْهِمَا بِالْعَهْدِ الّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ

---

(١) يُنظر السيرة النبوية لابن هشام (90/2).
(٢) يُنظر المصدر نفسه (95/2).
(٣) يُنظر المصدر نفسه (95/2).
(٤) يُنظر المصدر نفسه (94/2).
(٥) نسب قريش ص 104–105 .

قُرَيْشٍ فِي الْحُدَيْبِيَةِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ[(١)] .

وأنزل الله تعالى فيها وفي أمثالها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [الممتحنة: 10][(٢)] .

على أن الصورة الأزهى والنموذج الأرقى في ذلك المجال هو إسلام أمِّ المؤمنين أمِّ حبيبة رملةَ بنتِ أبي سفيان، فقد أسلمت مبكراً مع زوجها ، وهاجرت معه إلى الحبشة غير أنّه تنصّر هناك وأخذ يدعو المسلمين إلى النصرانيّة، غير أنّ زوجه أمّ حبيبة رفضت ذلك وبقيت مستمسكةً بعروة التوحيد، وتركت لذلك زوجها المرتدّ، كما تركت من قبلُ والدها المشرك، فثبتت على دينها حتى أرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها سنة سبعٍ للهجرة، فأبدلها الله خيرًا فأصبحت إحدى زوجات النبيّ وواحدةً من أمّهات المؤمنين.

ومن مناقبها أنها أكرمت فراش رسول الله من أن يجلس عليه أبوها، لما قدم المدينة لعقد الهدنة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قريش ومنعته من الجلوس عليه لأنه كان يومئذ على الشرك ولم يكن قد أسلم، فقد روى ابن سعد بإسناده إلى محمد بن مسلم الزهريّ قال: لَمَّا قَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ الْمَدِيْنَةَ، وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرِيْدُ غَزْوَ مَكَّةَ، فَكَلَّمَهُ فِي أَنْ يَزِيْدَ فِي الهُدْنَةِ، فَلَمْ يُقْبِلْ عَلَيْهِ، فَقَامَ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيْبَةَ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَوَتْهُ دُوْنَهُ.

فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ! أَرَغِبْتِ بِهَذَا الفِرَاشِ عَنِّي، أَمْ بِي عَنْهُ؟

قَالَتْ: بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُوْلِ اللهِ، وَأَنْتَ امْرُؤٌ نَجِسٌ مُشْرِكٌ.

فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ! لَقَدْ أَصَابَكِ بَعْدِي شَرٌّ [(٣)] .

---

(١) يُنظر السيرة النبوية (4/ص294)، زاد المعاد (3 /265).

(٢) تفسير ابن كثير (8 /92).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (8 /99-100)، وسير أعلام النبلاء (2 /223) وهو من مرسلات الزهريّ رحمه الله.

فهل يمكن لأيّ باحث في موقف الأمويّين من الإسلام أن ينكر هؤلاء السابقين والسابقات من بني أميّة وعبد شمس الذين أثبتوا صدق إيمانهم في السبق إلى الدين والسبق إلى الهجرة والسبق إلى الجهاد مع رسول الله ﷺ ، وهل يمكن أن ينسى التاريخ موقف أبي حذيفة عندما نهض في بدرٍ ليجيب دعوة والده عتبة بن ربيعة إلى الْبِرَازِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: اجْلِسْ، فَلَمّا قَامَ إلَيْهِ النّفَرُ أَعَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ عَلَى أَبِيهِ بِضَرْبَةٍ[1] .

وأخيرًا فإنّه من الظلم للتاريخ أن يُقال إنّ بني أميّة تأخروا عن قافلة الإسلام، وفيهم هذه القامات السامقة في سماء الإيمان والفداء.

---

(١) مغازي الواقدي (ص 69).

المطلب الثالث: منزلة الأمويّين عند النبيّ ﷺ وبني هاشم:

لم يكن النبيّ ﷺ يُعير اهتمامًا لعصبيّات الجاهليّة، بل ذمّها وحضّ الناس على تركها، وكان أحبَّ الناس إليه أتقاهُم عربيًّا كان أو أعجميًّا.

ولذلك كان النبيّ ﷺ يُكرم عثمان بن عفان رضي الله عنه لسبقه إلى الإسلام، وعظيم بذله في سبيل الله ورسوله ﷺ، وقد زوّجه بنته رُقيّة رضي الله عنها ، فلمّا ماتت زوّجه أمّ كلثوم رضي الله عنها [١] .

ومع ذلك فإنّ النبيّ ﷺ حرصًا منه على هداية قومه، ربّما بذل لهم الدنيا ليستنقذهم من عذاب الآخرة، ولذا بذل لصناديد العرب، وسادة قريش الأموال الطائلة من غنائم حنين يتألّف بها قلوبهم [٢] ؛ وقد ذكّره عمّه العباس يوم فتح مكّة بمكان الفخر من نفس شيخ قريش أبي سفيان فأمر من ينادي : « مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن »[٣].

ولاشكّ أنّ المشركين بعد انتصار الإسلام في نهاية مسيرة حافلة بالدعوة والجهاد قد عَلِموا أنّه الحقّ ففاؤوا إليه رغبًا ورهبًا، ومَن بقي في نفسه شيءٌ، فقد استلّه النبيّ ﷺ بالعفو والعطاء .

مكانة الأمويّين بحكم الشرع

إنّ أحاديث خيريّة نسب النبيّ ﷺ تقف كالشوكة في حلوق المشكّكين في مكانة الأمويّين وفضلهم لأنّها تشهد لجميع بني عبد مناف- ومنهم بنو أُميّة- بالفضل على من سواهم من بطون قريش، وجميع قبائل العرب وفرق العجم، ومنها ما أخرجه الترمذيّ[٤] عن المُطَّلِب بن أبي وداعة قال : جاء العباس إلى رسول الله ﷺ فكأنّه سمع شيئًا فقام النبي ﷺ

---

(١) يُنظر الإصابة في تمييز الصحابة (4 /456)

(٢) صحيح مسلم (2 / 731وما بعدها)في الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم وتصبر من قوي إيمانه رقم(1059)،(1060).

(٣) صحيح مسلم - (3 / 1405) في الجهاد والسير باب فتح مكّة رقم(178) . وروي عن ثابت البنانيّ تعليل ذلك فقال:((إنّما قال النبي ﷺ: « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن »لأنّ النبيّ ﷺ كان إذا أوذي بمكة دخل دار أبي سفيان)) تاريخ دمشق (23 /441)، الإصابة في تمييز الصحابة (3 /413) وهو موقوف على التابعيّ ثابت البنانيّ. وفيه ردّ للجميل وتذكير بأنّ دار أبي سفيان كانت ملجأً آمنًا للنبيّ ﷺ من أذيّة قريش.

(٤) سنن الترمذي - (5 / 543) في الدعوات رقم (3532) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن . دار إحياء التراث العربي – بيروت،تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون.

على المنبر فقال : من أنا ؟ فقالوا : أنت رسول الله عليك السلام قال : « أنا محمّد بن عبد الله بن عبد المُطَّلِب إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقةً ، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلةً، ثم جعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا وخيرهم نسبًا».

ولكنّ مرتبة عموم بني أميّة بل بني عبد شمس وبني نوفل تأتي بعد مرتبة بني هاشم وبني المُطَّلِب، فقد قرّب النبيُّ بني المُطَّلِب وجعلهم في الإسلام بمترلة بني هاشم ، وكان يقسم سهم ذوي القربى في بني هاشم وبني المُطَّلِب، دون إخوهم من بني عبد شمس وبني نوفل مع أنّ لهم درجة القرابة نفسها من رسول الله ﷺ (١).

ففي الصحيح(٢) عن جبير بن مطعم قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله أعطيت بني المُطَّلِب وتركتنا، ونحن وهم منك بمترلة واحدة(٣) ؟ فقال رسول الله ﷺ :« إنّما بنو المُطَّلِب وبنو هاشم شيءٌ واحد(٤)» .

ويشهد لذلك أنّه لَمَّا كَتَبَتْ قُرَيْشٌ الصَّحِيفَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ وَحَصَرُوهُمْ فِي الشِّعْبِ دَخَلَ بَنُو الْمُطَّلِبِ مَعَ بَنِي هَاشِمٍ – مؤمنهم وكافرهم باستثناء أبي لهبٍ وبنيه (٥)– وَلَمْ تَدْخُلْ بَنُو نَوْفَلٍ وَبَنُو عَبْدِ شَمْسٍ(٦).

فدّل ذلك على أنّ بني المُطَّلِب كانوا أقرب إلى النبيّ ﷺ على وجه العموم، وقد جعلهم كبني هاشم في المنـــزلة منه وذلك لاجتماع القربى مع النصرة.

---

(١) قال ابن إسحاق : عبد شمس وهاشم والمُطَّلِب إخوة لأمّ ، وأمهم عاتكة بنت مرة ، وكان نوفل أخاهم لأبيهم . صحيح البخاري – (3 / 1143).

(٢) صحيح البخاري – (3 / 1143) في الخمس، باب: ومن الدليل على أنّ الخمس للإمام، وأنّه يعطي بعض قرابته دون بعض ، رقم 2971.

(٣) (بمترلة واحدة) أي لأن الجميع من بني عبد مناف ولكن عثمان ﷺ من بني عبد شمس وجبير ﷺ من بني نوفل .

(٤) (شيء واحد) في الاستحقاق لنصرهم له ﷺ قبل إسلامهم وبعده. وفي رواية الطبراني في المعجم الكبير – (2 / 140) مكتبة العلوم والحكم – الموصل،ط2 ، 1404هـ – 1983م-تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.قال : (إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام ،وإنما بنو هاشم و بنو المُطَّلِب شيء واحد) وشبّك بين أصابعه.

(٥) السيرة النبويّة لابن هشام (196/2).

(٦) يُنظر فتح الباري لابن حجر (9 /406)- رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، تصحيح محب الدين الخطيب ، دار المعرفة – بيروت ، 1379هـ .

عمّال النبيّ ﷺ من بني أميّة:

لقد عَلِم النبيّ ﷺ ما يمتلكه الأمويّون من ملكات قياديّة، فعمل على استثمارها في خدمة الدين، لذلك استعملهم ﷺ في حياته بل كانوا أكثر بطون قريشٍ عُمّالًا للنبي ﷺ.

وقد ذكر خليفة بن خياط في تاريخه أسماء عماله ﷺ، فذكر من بني أميّة رجالًا هم[١]:

١ – عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة استعمله على مكّة بعد فتحها فلم يزل عليها حتى مات النبيّ ﷺ ومات أبو بكر رضي الله عنه [٢].

٢ – وعمرو بن سعيد بن العاصي على قرى عربية خيبر ووادي القرى وتيماء وتبوك، وقبض رسول الله ﷺ وعمرو عليها [٣].

٣ – الحكم بن سعيد بن العاصي على قرى عرينة وهي فدك وغيرها[٤].

٤ – خالد بن سعيد بن العاصي بن أمية على صنعاء[٥].

٥ – وولّى أبان بن سعيد بن العاصي على البَحْرَيْن وقبض رسول الله ﷺ وهو عليها[٦] .

٦ – وولّى أبا موسى الأشعري – حليف بني عبد شمس- زَبيدَ [٧] ورِمَع [٨] وعدن والساحل[٩].

---

(١) يُنظر تاريخ خليفة ص 71-73، نظام الحكومة النبويّة (المسمى بالتراتيب الإدارية) لمحمد عبد الحيّ الكتاني (211/1)- تحقيق:د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم – بيروت، ط2

(٢) يُنظر تاريخ خليفة ص 72، يُنظر السيرة النبوية لابن هشام (178/5) ، ويُنظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة (4 /429).

(٣) تاريخ خليفة ص72، نظام الحكومة النبويّة (212/1).

(٤) الوافي بالوفيات (81/1)

(٥) تاريخ خليفة ص72، ويُنظر سير أعلام النبلاء (1 /260)، الوافي بالوفيات (81/1)، نظام الحكومة النبويّة (214/1).

(٦) تاريخ خليفة ص73، ويُنظر سير أعلام النبلاء (1 /261)، الوافي بالوفيات (81/1).

(٧) زَبِيد بفتح أوله وكسر ثانيه اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب ، ثم غلب عليها اسم الوادي ، فلا تعرف إلا به وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون وبإزائها ساحل غلافقة وساحل المندب .يُنظر معجم البلدان (3 /131) لياقوت الحموي، دار الفكر – بيروت.

(٨) رِمَع بكسر أوله وفتح ثانيه موضع باليمن ، وقيل هو جبل باليمن وهي قرية أبي موسى ببلاد الأشعريين من اليمن قرب غسان وزبيد. يُنظر معجم البلدان (3 /68).

(٩)الوافي بالوفيات (81/1)، نظام الحكومة النبويّة (214/1).

٧ – وولّى العلاء بن الحضرمي حليف بني سعيد بن العاصي على القطيف بالبحرين(١).

٨ – واستعمل أبا سفيان بن حرب بن أمية على نجران(٢) .

٩ – واستعمل يزيد بن أبي سفيان على تيماء(٣).

١٠ – وسعيد بن القَشب الأزديّ – حليف بني أميّة(٤)– على جرش وبحرها.

١١ – وروي أنّ رسول الله ﷺ استعمل على سوق مكّة حين افتتحها سعيد بن سعيد بن العاص بن أميّة، فلما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى الطائف خرج معه سعيد بن سعيد فاستشهد بالطائف(٥).

١٢ – وكان عثمان رضي الله عنه أحد كبار مستشاريه وذكره خليفة في تسمية رسله ﷺ فقد بعثه إلى أهل مكّة سنة الحديبية(٦).

١٣ – وجعل معاوية بن أبي سفيان على الكتابة عنده(٧).

١٤ – وولّى منهم على صدقات بني المصطلق الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأمويّ(٨).

ولاشكّ أنّ أحد عشر رجلًا من بني أميّة وثلاثة من حلفائهم يستعملهم رسول الله ﷺ على مختلف أعمال الدولة النبويّة يؤشرّ إلى كفاءة هذه الأسرة القرشيّة، وإلى ثقة النبيّ ﷺ بهم وهو دليل حسن إسلام من تأخر إسلامه منهم كمعاوية وعتّاب وأبي سفيان رضي الله عنهم.

موقف عليّ من بني أميّة:

شهد عليّ رضي الله عنه لبني أميّة برجاحة العقول فقد أخرج عبد الرزاق في مصنّفه عن معمر عن

---

(١) الوافي بالوفيات (81/1) .

(٢)نظام الحكومة النبويّة (214/1).

(٣) المحبر (ص 126)، الوافي بالوفيات (1/ص81، نظام الحكومة النبويّة (214/1)

(٤) يُنظر الاستيعاب (626/2)، وكذا في أسد الغابة (315/2) لابن الأثير- انتشارات اسماعيليان- طهران، وتفرّد ابن حجر فجعل حلفه لبني عبد مناف يُنظر الإصابة في تمييز الصحابة (3 /115).

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (2 /145).

(٦) تاريخ خليفة ص 74.

(٧) المصدر السابق ص77.

(٨) تاريخ خليفة ص75.

أيوب عن ابن سيرين قال: قال رجل لعليّ: أخبرني عن قريش؟

فقال: أوزننا أحلامًا إخواننا بنو أمية ، وأسخانا أنفسًا عند الموت ، وأجودنا بما ملكت يمينه فنحن بنو هاشم ، وريحانة قريش التي تُشم بنو المغيرة ، ثم قال للرجل : إليك عني سائر اليوم[1].

وانظر إلى قوله: «إخواننا بنو أميّة» ، فلم يقُل: «أبناء عمومتنا» ، بل قال: « إخواننا».

وفي رواية أخرى عند عبد الرزاق أنّ عليًّا رضي الله عنه شهد لبني أميّة فقال « وأما بنو أمية فقادة أدبة ذادة [2] » .

وظاهر الخبر أنّ تلك الشهادة كانت في أثناء خلافته رضي الله عنه بما شهدته من نزاع بينه وبين معاوية وسائر بني أميّة.

موقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

اللافت حقًّا موقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي ذكره البخاريّ في صحيحه [3] في خلاف ابن عباس مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما زمن عبد الملك بن مراون حيثُ أنصف ابن الزبير في مكانته وطيب محتده، ولكنّه صرّح بموقف عاطفي يكشف نزعة الرجل لبني عمّه وهم بنو أميّة فقال: « أَلاَ تَعْجَبُونَ لاِبْنِ الزُّبَيْرِ قَامَ فِي أَمْرِهِ هَذَا، فَقُلْتُ: لأُحَاسِبَنَّ نَفْسِي لَهُ[4] لَهُ[4] مَا حَاسَبْتُهَا لأَبِي بَكْرٍ وَلاَ لِعُمَرَ، وَلَهُمَا كَانَا أَوْلَى بِكُلِّ خَيْرٍ مِنْهُ، وَقُلْتُ ابْنُ عَمَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَابْنُ أَخِي خَدِيجَةَ، وَابْنُ أُخْتِ عَائِشَةَ ، فَإِذَا هُوَ يَتَعَلَّى عَنِّي[5] وَلاَ يُرِيدُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ: مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي أَعْرِضُ هَذَا مِنْ نَفْسِي، فَيَدَعُهُ، وَمَا أُرَاهُ

---

(١) مصنف عبد الرزاق (11 /56) رقم 19898. ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط2، 1403هـ،تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي؛ والحديث رجاله ثقات إلا أنّ فيه انقطاعًا بين ابن سيرين وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) مصنف عبد الرزاق (11 /57) رقم 19901 .بسند رجاله ثقات وفيه انقطاع بين قتادة بن دعامة وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. والأَدَبَةُ جمع آدِبٍ مثل كَتَبةٍ وكاتِبٍ وهو الذي يَدْعُو الناسَ إِلى المَأْدُبة وهي الطعامُ الذي يَصْنَعُه الرجل ويَدْعُو إِليه الناس .لسان العرب (1 /206)، الذادة جمع ذائد وهو الحامي الدافع قيل أراد أنهم يذودون عن الحُرَم. لسان العرب (3 /167).

(٣) صحيح البخاري – (4 / 1714) في التفسير ، باب تفسير سورة براءة التوبة رقم 4389.

(٤) أي :لأطالبنّها بحفظ حقه ومعونته ونصحه.

(٥) يتعلّى عني وورد بلفظ عليّ أي يترفع مُتنحيًا عني .فتح الباري – ابن حجر (1 /160)، (8 /330).

يُرِيدُ خَيْرًا [(١)]، وَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ **لأَنْ يَرُبَّنِي بَنُو عَمِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي غَيْرُهُمْ** » .

قال ابن حجر: « قوله **(لأَنْ يَرُبَّنِي)** أي يكون على ربًّا أي أميرًا أو ربّه بمعنى ربّاه وقام بأمره وملك تدبيره قال التيميّ[(٢)]: معناه لأن أكون في طاعة بني أميّة أحبّ إليّ من أن أكون في طاعة بني أسد لأنّ بني أميّة أقرب إلى بني هاشم من بني أسد » [(٣)].

وهذا التصريح من ابن عباس كان بعد صفين وكربلاء والحرّة، وبعد خلافة معاوية ويزيد ومعاوية الثاني وخلافة مروان بن الحكم وفي عهد عبد الملك بن مروان، فعبد الله بن عباس يرى إنْ كانت المسألة مسألة ملك ورياسة، فرياسة بني عمّه عليه أحبُّ إليه من رياسة ابن الزبير.

المطلب الرابع: منـــزلة الهاشميّين عند الأمويّين:

(١) قوله: ولا يريد ذلك أي لا يريد أن أكون من خاصته ، وقوله: ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي : أي أبدؤه بالخضوع له ولا يرضى مني بذلك ، وقوله: وما أراه يريد خيرًا أي : لا يريد أن يصنع بي خيرًا . فتح الباري(8 /330).

(٢) هو أَبُو القَاسِمِ إِسْمَاعِيْلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الفَضْلِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ طَاهِرٍ القُرَشِيُّ، التَّيْمِيُّ، ثُمَّ الطَّلْحِيُّ ، الأَصْبَهَانِيُّ (ت 535 هـ) المُلَقَّبُ: بِقِوَامِ السُّنَّةِ ، الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، كان إمامًا في التفسير والحديث واللغة.يُنظر سير أعلام النبلاء (20 /80)، والأعلام للزركلي (1 /323).

(٣) فتح الباري – ابن حجر (8 /330).

لقد كان للأمويّين – بعد الإسلام – عصبيّةٌ جعلتهم أكثر الناس حظًّا في الحكم بعد تبدل حال الناس عن العهد الراشدي، وهذا ما فسرّ به ابن خلدون التحوّل من الراشديّة إلى الملكيّة في الحكم(١).

غير أنّه كانت لهم عصبيّة أيضًا لأبناء عمومتهم الهاشميّين تجلّت في عدد من المناسبات زمن النبي ﷺ وبعده .

فمنها : ما سبق ذكره من حال عتبة وشيبة ابني ربيعة، ولاسيما عتبة الذي كانت نفسه تكره قتال رسول الله محمّد ﷺ.

ومنها ما أخرجه ابن عساكر بسند قويّ (٢) إلى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمدانيّ أنّ غلامًا من بني المغيرة شجّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهي جويرية فنادت : يا آل عبد مناف فخرج أبو سفيان يشتدّ أوّل الناس(٣).

ومنها كذلك ما رُوي عن ابن عباس أنّ أبا جهل لطم فاطمة بنت رسول الله ﷺ فشكت إلى أبيها فقال: ائتي أبا سفيان فأتته فأخبرته فأخذ بيدها ، وقام معها حتى وقف على أبي جهل وقال لها : الطميه كما لطمك ، ففعلت، فجاءت إلى النبي ﷺ فأخبرته فرفع يديه وقال: اللهم لا تنسها لأبي سفيان.

قال ابن عباس: ما شككت أنْ كان إسلامه إلا لدعوة النبيّ ﷺ (٤).

ويروى أنّ أبا جهل لما لطمته فاطمة **قال: أدركتكم المنافية يا أبا سفيان** (٥).

وكذلك كان حال أبي سفيان يوم اختار المسلمون أبا بكر، دخل على عليّ وكلّمه

---

(١) يُنظر تاريخ ابن خلدون (1/ 205) .

(٢) رجاله رجال البخاريّ من أحمد بن حنبل إلى أبي ميسرة.

(٣) تاريخ دمشق (23/ 440-441).

(٤) التدوين في أخبار قزوين (201/1) ، والقصّة ظاهرة التكلف وفي سندها محمد بن عبد الرحمن بن غزوان البغدادي وهو ضعيف له مناكير . ولعلها من الأخبار المولدة في العصور المتأخرة. التدوين في أخبار قزوين ، لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية – بيروت – 1987م.

(٥) أنساب الأشراف(4/13-14).

بمنطق العصبيّة القبليّة، وعرض عليه النصرة فرفض عليّ منطق الجاهليّة وردّه ردًّا قاسيًا .

فقد أخرج الحاكم وصحّحه الذهبيّ عن مرّة الطّيِّب قال جاء أبو سفيان بن حرب إلى عليٍّ فقال: ما بال هذا الأمر في أقلّ قُريش قلّة وأذلّها ذُلًّا؟! -يعني أبا بكر(١)- والله لئن شئت لأملأنّها عليه خيلًا ورجالًا. قال: فقال عليٌّ: لطالما عاديت الإسلام وأهله يا أبا سفيان فلم يضرّه ذلك شيئًا إنا وجدنا أبا بكر لها أهلًا (٢).

كلّ هذا سقناه لندلّل على أنّه كانت لبني أُميّة عصبيّة تجاه أولاد عمومتهم من بني هاشم، وأنّ الدماء التي سالت بينهم في معارك الإسلام الأولى لم تُمِت العصبية بينهما، ولكنّ منطق العصبيّة في الأمويّين كان أسمعَ وأقوى، ولاسيما في مَن كان منهم حديث عهد بإسلام- كآل أبي سفيان-.

وهذه النّمطية من التفكير غير مأمونة لأنّ الناصر لابن عمه على الآخرين، قد تجعله الظروف ينتصر لأخيه من ابن عمه وهنا تكون العداوة الأليمة .

ولكن لماذا لم يطلب أبو سفيان الخلافة لنفسه بعد وفاة النبي ﷺ ؟

لأنّ منطق العهد النبويّ والراشديّ جعل الخلافة بالسابقة والفضل، فأقصر عنها أبو سفيان، ولكن لما رآها خرجت إلى غير بني هاشم- الذين تجمعهم به المنافية (نسبتهم إلى عبد مناف) – قدّم عليًّا لأنّه يجمع السابقة مع قرابةٍ قريبةٍ من رسول الله ﷺ، فأرادها لعليّ لكونه ابن عمّ أبي سفيان وأبو سفيان كان فيه بقايا من جاهلية العرب يكره أن يتولى على الناس رجل من غير قبيلته.

وكذلك فإنّ خالد بن سعيد ﵁ لما قدم من اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ ؛ ثمّ تربّص ببيعته شهرين،كان يقول: قد أمّرني رسول الله ﷺ ، ثمّ لم يعزلني حتى قبضه الله. وقد لق ي عليّ بن أبي طالب وعثمان بن عفان - ﵄ -؛ فقال: يا بني عبد مناف؛ لقد طبتم نفسً ا عن أمركم يليه غيركم!(٣)

وفي رواية أنّه قال لهم: فقال: يا أبا الحسن، يا بني عبد مناف، أغلبتم عليها؟

---

(١) وكان من بني تَيْم من أقلّ بطون قريش عددًا.

(٢)المستدرك على الصحيحين للحاكم (83/3) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 – 1411هـ - 1990م،تعليق الذهبي قي التلخيص : سنده صحيح.

(٣) تاريخ الطبري (2 / 331).

فقال عليّ: أمغالبةً ترى أم خلافة.(١)

وكذلك فقد رُوي أنّه كانت بين عليّ ﷺ ورجلٍ آخر من المسلمين منازعة في حدّ فخرج عثمان ﷺ في موكب فيهم معاوية ليقفوا على الحدّ، فابتدر معاوية وسأل عن معلم من معالم الحدّ: هل كان هذا على عهد عمر؟ فقالوا: نعم ، فقال: لو كان هذا ظلمًا لغيّره عمر، فانتصر معاوية لعليّ في تلك الحكومة ولم يكن عليٌّ حاضرًا ، فلما رجعوا ذكروا ذلك لعلي فقال: أتدري لم فعل ذلك معاوية ؟ فعل لأجل المُنَافيّة -أي لأجل أنّا جميعًا من بني عبد مناف-(٢).

ثمّ لما تقادمت الأيام ومضى العصر الراشدي وآل الأمر إلى بني أمية كانت عصبيّتهم على بني عمومتهم وكلّ من ناهضهم شديدة .

((والمقصود أن بني عبد مناف كانوا متفقين في أوّل الأمر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، وإنما وقعت الفرقة بينهم بعد ذلك لما تفرقوا في الإمارة كما أن بني هاشم كانوا متفقين على عهد الخلفاء الأربعة وعهد بني أمية وإنما حصلت الفرقة لما ولي بنو العباس وصار بينهم وبين بعض بني أبي طالب فرقة واختلاف.

وهكذا عادة الناس؛ يكون القوم متفقين إذا لم يكن بينهم ما يتنازعون عليه من جاه أو مال أو غير ذلك، وإن كان لهم خصم كانوا جميعا إلبًا واحدًا عليه، فإذا صار الأمر إليهم تنازعوا واختلفوا))(٣)

ومع ذلك فإنّ النزاع بين الهاشميّين والأمويّين في العهدين الراشديّ والأمويّ لم يمت العصبيّة بينهما، بل كانت لهم عاطفة على بعضهم تثيرها المواجع والذكريات.

فإنّ معاوية حين استتبّ له الأمر – بعد مقتل عليّ ﷺ- كان يدخل عليه بعض أصحاب عليٍّ ﷺ فيسألهم عن صفاته وأحواله، وكان يتأثّر لذلك حتى تذرف عيونه.

---

(١) تاريخ الطبري (2 / 331)،الكامل في التاريخ (1 / 389).

(٢) يُنظر منهاج السنة النبوية (6 / 169- 170) ذكرها بغير سندٍ، وقريباً من هذه القصة في أنساب الأشراف – (5 / 106) بسندٍ ضعيف جدًا فيه الكلبيّ وابنه .

(٣) منهاج السنة النبويّة (6 / 170-171)

ومن أشهر الأخبار في هذا الشأن أنّ ضرار بن ضمرة [1] دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال له: صف لي عليًّا . فقال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين . قال: لا أعفيك. قال له: إذ لا بدّ فإنّه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلًا، ويحكم عدلًا، يتفجّر العلم من جوانبه يستوحش من الدنيا وزهرتها، يستأنس بالليل وظلمته...

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشّفها بكمّه ، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: هكذا كان أبو الحسن رحمه الله ، فكيف وجدك عليه يا ضرار ؟ قال: وجد من ذبح ولدها في حجرها [2] .

ومن ذلك موقف يزيد من خبر مقتل الحسين وفي معاملته لأهل البيت عليهم السلام لما سيّرهم إليه ابن زياد من العراق بعد استشهاد الحسين رضي الله عنه.

فقد ذكرت الأخبار أنّ يزيد بن معاوية حزن لمقتل الحسين، و لعن ابن مرجانة [3] على فعلته، وأنّه كان يرضى منه دون ذلك، وأنّه أكرم عليّ بن الحسين ومن معه من حُرم آل البيت

(١) ضرار بن ضمْرة ، الصُّدائيُّ أو النهشليّ أو الكنانيّ وفي بعض الكتب الكتّانيّ وهو تصحيف أيضًا ، وكان من خواص أصحاب عليٍّ ومن أصحاب ألوية عليٍّ بصفين على معاوية .ويُنظر الجوهرة في نسب الإمام عليّ وآله (ص 75)- الكتاب لمحمد بن أبي بكر التاهسانيّ – تحقيق: محمد التنوجي-مؤسسة الأعلم للمطبوعات- بيروت – ط1: 1402هـ.

(٢) هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (1 /84) دار الكتاب العربي – بيروت، ط4 ، 1405هـ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (24 /401) من رواية محمد بن السائب الكلبيّ وهو غير متّهم في معاوية لغلوّه في التشيع. ومع ذلك فقد ساق ابن عساكر الخبر من طريق آخر عن عمر بن شبّة النمريّ عن أبي الحسن علي بن محمد المدائنيّ عن محمد بن غسان الكنديّ وعمر بن شبة والمدائنيّ من أصلح من صنّف في التاريخ وهما معدودان في أهل الصدق. يُنظر ترجمة عمر في تقريب التهذيب (ص 413)، وترجمة المدائني في لسان الميزان (4 /253).

وكذلك فقد جاء الخبرُ من طريق ثالثٍ بسند ضعيف فيه انقطاع وفيه مجهول، رواه كلٌّ من أبي عليّ القالي في الأمالي في لغة العرب (149/2) دار الكتب العلمية – بيروت ، 1398هـ/ 1978م ، وابن عبد البرّ في الاستيعاب (1108-1107/3).

(٣) وهو عبيد الله بن زياد نسبةً إلى أمّه.يُنظر سير أعلام النبلاء (3 /545).

عليهم السلام، وأنّه تمثّل بقول حُصين بن الحُمام المُرِّي[1]: (من الطويل)

(نُفلِّقُ هَامًا مِنْ رِجالٍ أعِزَّةٍ ... عَليْنا، وَهُم كانُوا أعَقَّ وَأظْلَمَا)

ولا يخفى ما في هذا البيت من حزنٍ عميق وعتبٍ كبير، وإن كان يزيد –والله – الأعقَّ والأظلمَ.

وهذه الأخبار تعطي انطباعًا نفسيًّا بما تجرّه الخصومات بين القرابات من إضراب بين المبدأ السامي والمصلحة العاجلة، وبين الفعل الظالم والعاطفة الجياشة حتى يصدق عليها قول البحتري[2]: (من الطويل)

تَقتُّلُ من وِتْرٍ أعَزَّ نفوسِها ... عليها بأيدٍ ما تكادُ تُطِيعُها

إذا احْتَرَبَتْ يومًا ففاضَت دماؤُها ... تذكَّرَتِ القُرْبَى ففاضتْ دموعُهَا

شواجِرُ أَرْماحٍ تقطِّع بينها ... شواجرَ أَرْحامٍ مَلومٌ قَطوعها

والخلاصة: أنّ العلاقة بين الهاشميّين والأمويّين كانت في الجاهليّة والإسلام علاقةً متينة مع ما شابها من تنافس الأماجد على المكارم ومع الخصومات التي ورّثتها فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه وما أعقبها من تحزّب وتعصّب واقتتالٍ.

وقد بقيت هذه العلاقة في أوج الخصام مبنيّةً على العاطفة الصادقة والاحترام المتبادل.

---

(١) وهو شاعر جاهليّ مُقلّ من بني مرة، ويعدّ من أوفياء العرب، وبيته هذا من قصيدة له، ذكرها ابن قتيبة في الشعر والشعراء(634/2)، ويُنظرها في المفضليات ص 64-69 للضبي المفضل بن محمد بن يعلى الضبي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون – دار المعارف بمصر – ط2 سنة 1952م.

(٢) ديوان البحتري (1299/2) تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، دار المعارف– القاهرة ، ط3

الفصل الثالث:

نقد الشبهات

حول

حقيقة إسلام الأمويّين وإسلاميّة

دولتهم

لقد كثرت الشبهات المثارة حول موقف الأمويّين من الإسلام، وتراكمت تاريخيًّا حتى وصلت إلى المستشرقين الذين تلقّفوا جميع الأخبار المشوِّهة لصورة الحكم الأمويّ وأعادوا إنتاجها، مع مَن لفّ لفهم من أبناء جلدتنا، ليرسموا صورةً للأمويّين بأشخاصهم أو بنظام حكمهم تتناقض مع الإسلام بسمو منهجه وأحكامه، وهدفهم البعيد من ذلك الطعن في صلاحية الإسلام لكلّ زمان ومكان.

ويمكن أن نصنّف الشبهات المثارة في صنفين؛ الأوّل: يتعلّق بأخبار وروايات تطعن في إيمان عددٍ من كبار شخصيّات بني أميّة.

والثاني: يتعلّق بشبهات عامة يُطعن بها في إسلاميّة الحكم الأمويّ، وذلك على مستوى نظام الحكم أو مستوى الممارسات على أرض الواقع .

المبحث الأوّل: أخبار تطعن في إيمان بعض كبار شخصيّات بني أميّة:

شُحنت كتب التاريخ والأدب بكثير من الروايات التي تُظهر خلفاء بني أميّة بمظهر التنكر للدين الحنيف والعبث به، الأمر الذي يعطي انطباعًا برقّة دينهم؛ إن لم نقل بزندقة كثيرٍ منهم، وأنَّ تدينهم كان ظاهريًّا، وأمّا قلوبهم فكانت مملوءةً حقدًا على الإسلام الذي نال من زعمائهم الذين قضوا على الكفر في صراعهم مع الإسلام في عصر النبوّة، ولذا وسمت جميع صراعاتهم مع خصومهم ولاسيما مع عليّ وبنيه بأنّها أحقاد جاهليّة وثارات بدريّة[١].

وفي هذه الكتب رواياتٌ تكشف عن مضامين عقديّة لشخصيّات أمويّة شهيرة توحي للقارئ بأنّهم لم يعتنقوا الإسلام دينًا وإنّما تعاملوا معه بعقليّة جاهليّة محضة، وتدلّ فيما لو صحّتْ على جحودهم باليوم الآخر[٢].

---

(١) يُنظر: مناقب آل أبي طالب(2/ 49) لابن شهر آشوب، المطبعة الحيدرية- النجف- طبعة عام 1376هـ ، بحار الأنوار – للمجلسي (157/43) مؤسسة الوفاء – بيروت، ط3 /1403هـ-1983م، الغدير – الشيخ الأميني (371/9) دار الكتاب العربي- بيروت-طبعة عام 1379هـ ، معالم المدرستين – مرتضى العسكري(317/3) – مؤسسة البعثة مطبعة الاتحاد ، ط3 ، 1409هـ /1989م .

(٢) يقول محمد طاهر القمي الشيرازي في كتاب الأربعين – تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة الأمير، ط 1/ 1418هـ- ص 609: ((الظاهر من آثار عثمان وسائر بني أميّة أنهم كانوا دهريّين منكرين للثواب والعقاب)). ثمّ ساق بعض هذه المواقف التي سأشير إليها .

إلا أنّ احتجاج بعض الدارسين للعصر الأمويّ بهذه الأخبار، وكأنّها حقائق مسلّمة، يتطلّب منا الوقوف على حقيقتها من خلال دراسة مصادر هذه الروايات وأسانيدها دراسة تعطي الرصيد الحقيقيّ لقيمة هذه الروايات .

المطلب الأوّل: موقف لأبي سفيان:

أبدأ بعميد الأسرة الأمويّة في الإسلام وسيّد قريش في الجاهلية أبي سفيان صخر بن حرب، فقد ذكر صاحب كتاب الأغاني[1] أنّه « لما ولي عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني أميّة إنّ الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طُمِعَ فيها [٢]، وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تلقّف الكرة فوالله ما من جنة ولا نار . - هذا أو نحوه - فصاح به عثمان: قُم عني فعل الله بك وفعل » [٣] .

وهذا الموقف المزعوم لأبي سفيان لا ينتمي تاريخيًّا إلى الحقبة الأمويّة التي هي محلّ دراستنا، ولاسيما أنّ أبا سفيان لم يدرك عصر الدولة الأمويّة فقد توفي سنة (31 هـ)[٤] إلّا أنّه بحسب هذه الرواية رسم منهجًا للأمويّين من بعده في الحرص على السلطة وانتهاز الفرص المتاحة، ومبرره في ذلك بحسب الرواية مرةً أخرى هو أنّه لا يؤمن بجنة ولا بنار، ولذا فالمكتسب الحقيقيّ هو السلطان فحسب.

وهذا الكلام المنسوب إلى أبي سفيان كفرٌ بواحٌ، لذا لابدّ من دراسة الخبر دراسةً نقديّةً مع تقييم هذا الموقف قياسًا إلى جملة المواقف المشهورة عن أبي سفيان.

---

(١) وهو علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني الأمويّ شيعيّ، وهذا نادر في أمويّ كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء، يأتي بأعاجيب. كتبَ ما لا يوصف كثرة حتى لقد اتهم، والظاهر أنّه صدوق، وقد قال أبو الفتح بن أبي الفوارس: خلط قبل موته، قال: ومات سنة 356هـ وكان مولده سنة 284هـ تُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (16 /201-203)، لسان الميزان (4 /221).

(٢) في المطبوع حتى طمعت فيها. .. وأظنه تصحيف.

(٣) الأغاني (6 /371).

(٤) وقيل سنة 32 هـ، وقيل سنة 33 أو 34 هـ وله نحو التسعين سنة. يُنظر سير أعلام النبلاء (2 /107) .

أولًا:الدراسة الإسناديّة:

بالرجوع إلى سند صاحب الأغاني [١] نجد أنّ آفة هذه الرواية هو عمرو بن ثابت وهو ابن أبي المقدام الكوفيّ (ت 172هـ)، فقد أعلّ العلماء حديثه وطعنوا في عدالته لغلوّه في التشيّع، فقد كان عبد الله بن المبارك يقول: لا تحدِّثوا عن عمرو بن ثابت فإنّه كان يسبّ السلف، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة ولا مأمون لا يُكتب حديثه، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، يُكتب حديثه، كان رديء الرأي شديد التشيّع، وقال أبو داود: رافضيّ خبيث، وقال في موضع آخر : رجل سوء، وقال النسائيّ: متروك الحديث، وقال في موضع آخر : ليس بثقة ولا مأمون، وقال أبو حاتم بن حبان : يروي الموضوعات عن الأثبات [٢]، وقال العجليّ: شديد التشيع غال فيه واهي الحديث[٣].

ومن هذه حاله لا تقبل روايته، وقد نظرت في كتب الشيعة فوجدهم يختلفون في توثيقه وقد قال عنه التفريشي في نقد الرجال :ضعيف جدًّا[٤].

وقال ابن أبي الحديد(ت 656 هـ)في شرح نهج البلاغة روى أحمد بن عبد العزيز [٥] أنّ أبا سفيان قال لما بويع عثمان ....وساق الخبر [٦]. فالظاهر أنّه أخذ برواية الأصبهانيّ في الأغاني وقد علمت حالها.

وكذلك فعل المقريزيّ (ت 845هـ) فقد ساق الخبر بلا إسناد فقال: ورُوي عن الحسن أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: قد صارت إليكم بعد تَيمٍ وعدي، فأدرها كالكرة – وفي رواية فتزقّفوها تزقُّفَ[٧] الكرة– واجعل أوتادها بني أميّة وما وما أدري ما جنّة ونار!. فصاح به عثمان ﵁ :قم فعل الله بك وفعل.

والظاهر أنّ ابن أبي الحديد والمقريزيّ حذفوا إسناد الخبر لعلمهم بسقوطه، وهما على ما

---

(١) عن أحمد بن الجعد، قال: حدّثني محمد بن حميد، قال: حدّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن.

(٢) يُنظر ميزان الاعتدال (3 /249)، وتهذيب الكمال (21 /555-558).

(٣) معرفة الثقات للعجلي (173/2) مكتبة الدار بالمدينة المنورة ط2- 1405هـ.

(٤) نقد الرجال (323/3) للسيد مصطفى التفريشي تحقيق مؤسسة آل البيت، ستارة –قم ، ط1 -1418هـ.

(٥) وهو ابن الجعد الوشاء سبقت الإشارة إليه في حاشية سابقة.

(٦) شرح نهج البلاغة 44/2.

(٧) تَزَقّفُ الكرة كتلقفها، والتزقّف هو أخذ الكرة باليد.لسان العرب (9 /137).

علمت من سوء المعتقد في بني أميّة[١] .

وقد ذكر ابن أبي حديد الخبر مرّةً أخرى في قصّة طويلة [٢] عن عوانة- وهو ابن الحكم الكلبيّ-[٣] عن إسماعيل- وهو ابن أبي خالد[٤]- عن الشعبي[٥].

وهذا خبر معلّق فيه انقطاع طويل بين ابن ابن أبي الحديد(ت 656 هـ) وعوانة (ت 147 هـ) فلا يعوّل عليه.

وأورد البلاذريّ(ت 279هـ)[٦] في أنساب الأشراف هذه الحكاية عن هشام بن محمد محمد الكلبيّ عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم [٧] أنّ أبا سفيان دخل على عثمان وهو مكفوف، ثم خرج من عنده وهو يقول: تلقّفوها يا بني أميّة تلقُّف الكرة فما الأمر على ما يقولون.

وهشام بن محمد بن السائب الكلبي أخباريّ متروك الحديث[٨].

ثمّ إنيّ لم أجد من أثبت سماعًا للبلاذريّ من ابن الكلبيّ (ت 204هـ) فالظاهر أنّ بينهما

---

(١) فابن أبي الحديد كان معتزليًّا متشيّعًا، والمقريزيّ كان متعصّبًا للدولة العبيدية- الفاطمية- شديد الحملة على بني أميّة.

(٢) في الأحداث التي تلت استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ .

(٣) سبقت الترجمة له ص83، وناقشتُ في الصفحة نفسها اتهامه بالكذب لبني أميّة لأنّه كان عثمانيًّا، وهذا يتناقض مع مضمون الخبر فيما لوثبت أنّه من روايته، ولكن لم أجد من أسند الخبر إليه.

(٤) إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولاهم البجلي (ت:146هـ) ثقة ثبت، كان محدث الكوفة في زمانه ع. يُنظر سير أعلام النبلاء (6 /176-177). تقريب التهذيب (ص 107)

(٥) عامر بن شراحيل الشعبي بفتح المعجمة أبو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل مات بعد المائة ، وله نحو من ثمانين ع تقريب التهذيب (ص 287)، تهذيب التهذيب (5 /57).

(٦) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت279 هـ): مؤرّخ، جغرافي، نسّابة، له شعر.من أهل بغداد.جالس المتوكّل العباسيّ، ومات في أيام المعتمد، وله في المأمون مدائح. من كتبه فتوح البلدان ، وأنساب الأشراف . يُنظر سير أعلام النبلاء (13 /162-163)، الأعلام للزركلي (1 /267).

(٧) قيس بن أبي حازم البجلي أبو عبد الله الكوفيّ : ثقة مخضرم ، ويُقال له رؤية ، وهو الذي يُقال إنّه اجتمع له أن يروي عن العشرة. مات بعد التسعين أو قبلها وقد جاز المائة وتغيّر .ع .تقريب التهذيب (ص 456).

(٨) وفي " لسان الميزان "(6 / 196): قال يحيى بن معين: غير ثقة، وليس عن مثله يروى الحديث.وقال أبو حاتم: هو أحبّ إلي من أبيه.قلت (القائل ابن حجر): واتهمه الأصمعي، وذكره العقيلي وابن الجارود وابن السكن وغيرهم في الضعفاء. وقد سبق بيان حاله في ص 66.

انقطاعًا[١] .

وقد أوردها البلاذريّ بسند معلّق عن هشام بن حسان[٢] عن ابن سيرين قال : قال أبو سفيان حين قبض رسول الله ﷺ : تلقّفوها الآن تلقّف الكرة فما من جنّة ولا نار.

وهذا انقطاع في السند بين البلاذريّ وهشام بن حسان، ولم أجد من وصله في أيٍّ من كتب الأدب والتاريخ فحكمه حكم الحديث المنقطع فلا يعوّل عليه.

وقد ذكر الطبري في تاريخه نصّ كتاب المعتضد الذي عزم فيه على لعن معاوية رضي الله عنه على المنابر والذي ضمّنه مثالب معاوية وأبيه وهو كتاب طويل يقول في بعض أجزائه: « ومنه ما يرويه الرواة من قوله : **«يا بني عبد مناف تلقّفوها تلقّف الكرة فما هناك جنّة ولا نار»** وهذا كفر صراح يلحقه به اللّعنة من الله »[٣].

والطبريّ رحمه الله نقل مضمون كتاب المعتضد فحسب، وكتاب المعتضد خلو من الأسانيد وقد أحال إلى ما ترويه الرواة. وقد وجدناه مردودًا .

وقد نقل ابن أبي الحديد قصّة كتاب المُعتضد عن الطبريّ في شرحه لنهج البلاغة[٤] .

وقد تناقلت بعض كتب التاريخ هذا الخبر من دون أسانيد[٥] .

وهكذا نجد أنّ الخبر من الناحية الإسناديّة باطل لا قيمة له.

---

(١) يُنظر شيوخ البلاذري في ترجمته في تاريخ دمشق (6 /74).

(٢) هشام بن حسان الأزدي القردوسي أبو عبد الله البصري ، ثقة من أثبت الناس في ابن سيرين، وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال لأنّه قيل كان يرسل عنهما ، مات سنة(147هـ) أو سنة (148هـ) أخرج له الجماعة. يُنظر تقريب التهذيب (ص 572)

(٣) تاريخ الطبري (5 /622)

(٤) شرح نهج البلاغة(171/15).

(٥) مروج الذهب (1 /310) للمسعودي ، وكذلك ذكرها من المعاصرين محمد بن عقيل في كتابه النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ، دار الثقافة، ط1 1412هـ. ص261

ثانيًا: دراسة المتن: الخبر معلول من جهة المتن بأمور:

الأوّل: بما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه عقب الخبر مباشرة عن المغيرة بن محمّد المهلّبيّ[١] قال : ذاكرت إسماعيل بن إسحاق القاضي[٢] بهذا الحديث، وأنّ أبا سفيان قال لعثمان: بأبي أنت! أنفق ولا تكن كأبي حجر[٣]، وتداولوها يا بني أميّة تداول الولدان الكرة، فو الله ما من جنّة ولا نار ، وكان الزبير حاضرًا ، فقال عثمان لأبي سفيان: اعزب ، فقال : يا بنيّ أههنا أحد ؟! قال الزبير : نعم والله لا كتمتُها عليك .

قال: فقال إسماعيل: هذا باطل. قلت: وكيف ذلك ؟ قال : ما أنكر هذا من أبي سفيان، ولكن أنكر أن يكون سمعه عثمان، و لم يضرب عنقه [٤].

وهذا صحيح فهذا كفر بواح ولا يحلُّ لعثمان، ولا لغيره من سلاطين الإسلام أن يمرّها دون أن يمضي حكم الشرع فيمن ارتدّ بعد الإسلام[٥].

الثاني: بما هو مشتهر من حسن إسلام أبي سفيان رضي الله عنه حيث اشترك في فتوح الشام تحت إمرة ابنه يزيد رضي الله عنه فقد صحّ عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : رأيت أبا سفيان يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد يقاتل ويقول: **يا نصر الله اقتربْ.**

---

(١) هو المغيرة بن محّمد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبي صفرة ، كان أديبًا إخباريًّا ثقة وهو من أهل البصرة ورد بغداد وحدّث بها. يُنظر تاريخ بغداد (13 /195) .

(٢) هو الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو إِسْحَاقَ إِسْمَاعِيْلُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ مُحَدِّثِ البَصْرَةِ؛ حَمَّادِ بنِ زَيْدِ بنِ دِرْهَمٍ الأَزْدِيُّ، مَوْلاَهُمْ البَصْرِيُّ، المَالِكِيُّ، قَاضِي بَغْدَادَ، وَصَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. توفي ببغداد سنة 282هـ . يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (13 /339)و طبقات الفقهاء (ص 165).

(٣) أظنه كناية عن سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي تفيد البخل والضيق في النفقة، وحاشا عمر من ذلك إنّما كان وقّافًا عند حدود الله تعالى.

(٤) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد (2 / 45).

(٥) والعجيب حقًّا ما ذهب إليه محمد طاهر القمي الشيرازي في كتابه الأربعين ص 609 في الاستدلال على كفر عثمان على مذهبه في تكفير سائر الصحابة كما هو معروف من مذهب القائلين بالنّص على إمامة عليّ . يقول: هذا دليل واضح على كفر عثمان، لأنه لو كان مسلمًا مؤمنًا لم يكن يرضى بالتغافل عن أبي سفيان، بل لم يقل له اعزب إلا لحضور الزبير ، والعقل حاكم بأنّه لو لم يكن أبو سفيان عارفًا بموافقة عثمان له في الاعتقاد لما اجترأ بإظهار كفره.

وخبر أبي سفيان يوم اليرموك ذكره ابن عبد البرّ في الاستيعاب [١] بسند متّصل بالرواة الثقات العدول قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان [٢] قال: حدثنا قاسم بن أصبغ [٣] قال: حدّثنا أحمد بن زهير[٤] قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل [٥] قال: حدّثنا إبراهيم بن سعد [٦] قال: حدّثنا أبي[٧] عن سعيد بن المسيب[٨] عن أبيه[٩] قال: ...الخبر.

فهذا إسناد صحيح، وقد وجدت الحافظ ابن حجر حكم له بالصّحة في " الإصابة" في ترجمة أبي سفيان قال:

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (714/2).

(٢) عبد الوارث بن سفيان بن جبرون بضم الجيم ، المحدّث الثقة، العالم الزاهد، أبو القاسم القرطبي، الملقب بالحبيب. من كبار شيوخ ابن عبد البرّ .سير أعلام النبلاء (17 /84)

(٣)الإِمَامُ، الحَافِظُ، مُحدِّثُ الأَنْدَلُسِ .سبقت ترجمته ص86

(٤) أحمد بن أبي خيثمة صاحب " التاريخ الكبير "، قال الخطيب: كان ثقةً عالمًا متقنًا حافظًا بصيرًا بأيام الناس، راوية للأدب.أخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلم النسب عن مصعب الزبيري.وأخذ أيام الناس، عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني، والأدب عن محمد بن سلام الجمحي.وله كتاب " التاريخ " الذي أحسن تصنيفه، وأكثر فائدته.وذكره الدار قطني، فقال: ثقة مأمون.سير أعلام النبلاء (11 /492-493)

(٥) موسى بن إسماعيل المنقري مولاهم أبو سلمة التبوذكي البصري (ت223هـ)، مشهور بكنيته وباسمه ثقة ثبت ع . يُنظر تهذيب الكمال (29 /21)، تقريب التهذيب (ص 549).

(٦) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو إسحاق المدني نزيل بغداد (ت 185هـ) ثقة حجّة تُكلّم فيه بلا قادح ع. يُنظر سير أعلام النبلاء (8 /304)وما بعدها، وتقريب التهذيب (ص 89).

(٧) سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، الإمام الحجّة الفقيه، قاضي المدينة القرشيّ الزهريّ المدنيّ ، كان ثقة فاضلًا عابدًا، توفي سنة 125هـ، و قيل بعدها (ع). يُنظر تهذيب الكمال (10 /240)، سير أعلام النبلاء (5 /418)، تقريب التهذيب (ص 230) .

(٨) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار . قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين ع. يُنظر تقريب التهذيب (ص 241)

(٩) المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي أبو سعيد : له ولأبيه صحبة وكان هاجر مع أبيه حزن بن أبي وهب. وكان المسيب ممن بايع تحت الشجرة وقد عاش إلى خلافة عثمان خ م د س. يُنظر الاستيعاب (1400/3)، وتقريب التهذيب (ص 532).

" وروى يعقوب بن سفيان [١] وابن سعد [٢] بإسنادٍ صحيحٍ عن سعيد بن المسيب عن أبيه [٣] وذكر الخبر... ".

ومما يشهد بحسن إسلامه أنّه كان أوّل من قاتل المرتدين، فقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره [٤] بسند ضعيفٍ[٥] عن الزهريّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ عَلَى بَعْضِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ فَلَقِيَ ذَا الْخِمَارِ مُرْتَدًّا فَقَاتَلَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَاتَلَ فِي الرِّدَّةِ، وَجَاهَدَ عَنِ الدِّينِ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَهُوَ فِيمَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً} [الممتحنة: 7] .

وقد وصل ابن مردويه خبر الزهريّ فقال: عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : أوّل من قاتل أهل الردة على إقامة دين الله أبو سفيان بن حرب وفيه نزلت هذه الآية[٦].

وقد يُعذر المشككون في صحّة إيمان أبي سفيان بتناقض الأخبار عن حاله بعد الإسلام، ولكن منهج التحقيق العلمي للأخبار يقضي بترجيح حسن إسلامه لأنّ الروايات المثبتة لذلك

---

(١) وهو يعقوب بن سفيان الفسوي، توفي سنة 277هـ.صاحب التاريخ المسمى" المعرفة والتاريخ".

(٢) قال : أخبرنا سليمان أبو داود الطيالسي قال: أخبرنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال : خمدت الأصوات يوم اليرموك ....الجزء المتمم لطبقات ابن سعد (ص90-91) تحقيق ودراسة: د. عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق – الطائف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416 هـ.
وأبو داود الطيالسي هوسليمان بن داود بن الجارود البصري (ت: 204هـ) ثقة حافظ غلط في أحاديث . يُنظر تقريب التهذيب (ص 250)

(٣) يُنظر المعرفة والتاريخ (314/3)، دار الكتب العلمية – بيروت - 1419هـ/ 1999م، تحقيق: خليل المنصور ، الإصابة في تمييز الصحابة (3 /414)

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (3349/10)، المكتبة العصرية – صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

(٥) فيه محمد بن عُزيز عن عمّه سلامة بن روح عن عمّه عقيل بن خالد الأيلي . و محمد بن عُزيز فيه ضعف وقد تكلّموا في صحة سماعه من عمه سلامة. تقريب التهذيب (ص 496)،وسلامة صدوق له أوهام، وقيل لم يسمع من عمه وإنما يحدث من كتبه. تقريب التهذيب (ص 261).

(٦)الدر المنثور للسيوطي(8 /130)- دار الفكر – بيروت، سنة 1993م.

أصحّ وأكثر، في حين لا تخلو رواية تطعن في معتقده من مطعن في سندها أو متنها.

وحسبك دليلًا على حسن إسلامه أنّ رسول الله ﷺ استعمله في حياته، كما سبق ذكره في الفصل الثاني. وأنّ البخاريّ ومسلم أخرجا من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ عن قصّته معَ هِرَقْلَ حينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ...الحديث(١).

وهذا صريح بتعديل أبي سفيان إذ لو كان حاله خلاف ذلك لما قبل منه ابن عباس خبره ولرفض الشيخان إخراج هذا الحديث في صحيحيهما لاتفاق المسلمين على ردّ رواية الفاسق بله الكافر(٢).

---

(١)البخاري (1 /3) في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ رقم (7)،و مسلم(3 /1393) في المغازي (الجهاد والسير) باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل رقم(1773).

(٢) فقد أجمع العلماء على عدم قبول رواية الكافر الذي لا يكون من أهل القبلة سواء علم منه الاحتراز عن الكذب أو لا. توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري الدمشقي (1 /145)، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، ط1، 1416هـ - 1995م.

وقال الحليّ من علماء الإثني عشرية : ((الكافر لا تقبل روايته ، سواء كان مذهبه جواز الكذب أو لا ، لانه فاسق والفاسق مردود الرواية ، ولا تقبل رواية الفاسق)) مبادئ الوصول- ص 206 ، مكتب الإعلام الإسلامي- قم، تحقيق:عبد الحسين محمد بقال.

المطلب الثاني: موقف يزيد من قتل الحسين وموقعة الحرّة:

لقد شهدت ولاية يزيد بن معاوية أحداثًا مظلمةً ومآسي مؤلمةً جلبت له سبّةً الدّهر، وكان أشدَّها على الإطلاق قتلُ سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي رضي الله عنهما في جماعة من آل بيته وأنصاره في كربلاء السنّة الأولى لولايته بأمر عامله على العراق عبيد الله بن زياد.

وكذلك معركة الحرّة في السنّة الثانية لولايته التي قادها مسلم بن عقبة المسرف وأدّت إلى مقتل المئات من أبناء المهاجرين والأنصار في المدينة، مع ما لحق بأهل المدينة من ترهيب وحصار وإذلال.

ويزيد يتحمّل نتائج تلك الأحداث لا لكونه باشر فيهما القتل بنفسه، وإنّما لأنّه الخليفة الذي تصدر عنه الأوامر والنواهي.

ولذلك حكم أكثر العلماء بفسقه وظلمه وبعضهم أجاز سبّه ولعنه[١]، وقد مال بعضهم إلى تكفيره على خلفية بعض العبارات التي يُزعمُ أنّه أطلقها فرحًا بمقتل الحسين، والتي تكشف حقدًا دفينًا على الإسلام والمسلمين.

قال التفتازاني (ت:791هـ):«وبعضهم أطلق اللّعن عليه لمّا أنّه كفر حين أمر بقتل الحسين، واتفقوا على جواز اللّعن على من قتله أو أمر بقتله أو رضي به، والحقّ أن رضاء يزيد بقتل الحسين رضي الله عنه، واستبشاره بذلك وأهانته أهل بيت النبي عليه السلام مما تواتر معناه وإن كان تفاصيلها آحاداً؛ فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه.» [٢]

وشرّ ما يُنسب إليه قوله يوم حُمل إليه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما :

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ وَأَشْرَفَتْ تِلْكَ الرُّؤُوسُ عَلَى ربَى جيرونِ
نَعَقَ الْغُرَابُ فَقُلْت نُحْ أَوْ لَا تَنُحْ فَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنْ النَّبِيِّ دُيُونِي

وأنّه تمثّل يوم وضع رأس الحسين بين يديه بِشِعْرِ ابْنِ الزَّبَعْرِ ي الَّذِي أَنْشَدَهُ يَوْمَ أُحُدٍ ،

---

(١) يُنظر مجموع الفتاوى (1 /392).

(٢) شرح التفتازاني على متن العقائد للنسفي ص 180-181. شرح التفتازاني " سعد الدين مسعود بن عمر على متن العقائد للنسفي (ت 719هـ) وبهامشه حاشية مصلح الدير مصطفى الكستلي (ت 901 هـ) للناشر شركت صحافيه عثمانيه (أحمد جودت وشركاسي) ط2 1320هـ درسعادت.

وروي أنّه تمثلها بعد الحرّة أيضًا : (من بحر الرمل)

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا   جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ

قَدْ قَتَلْنَا الضعفَ مِنْ أشرافكم   وَعَدَلْنَا ميلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلَ

وهذا كلام كفريّ لا يحتمل التأويل يوجب خلعه لما فيه من كفر صريح، وهو يجعل مدّة حكمه خارجةً عن الإسلام ولا ينبغي أن تحسب على تاريخ الإسلام .

ولكنّ اختلاف الفقهاء في يزيد يدلّ على عدم ثبوت مقتضي الكفر لمن قال بفسقه، مع تعارض السبب الموجب للمغفرة كغزو القسطنطينية [١] والسبب الموجب للطعن والتفسيق كوقعة الحرّة[٢] .

والحقّ أنّ مجرد وقوع تلك المصائب العظيمة في عهد يزيد على قبحها وبشاعتها لا تستوجب الحكم بالكفر، فبقي ما يُنسب إليه من أقوالٍ يصرّح فيها بكفره.

والأبيات آنفة الذكر حجّة كافية لمن حكم بكفره بما تشتمله من عبارات كفريّة تشفّ عن أحقادٍ جاهليّة، ولكن ما مدى صحّة نسبتها ليزيد بن معاوية؟

فيما يلي دراسة تاريخيّة على منهج المحدِّثين للتحقّق من صدقيّة ما نُسب إليه من أبيات شعريّة بمضامين كفريّة صريحة.

وأبدأ بقوله: (من البحر الكامل)

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ وَأَشْرَفَتْ   تِلْكَ الرُّؤوسُ عَلَى ربَى جيرونِ

نَعَقَ الْغُرَابُ فَقُلْت نُحْ أَوْ لَا تَنُحْ   فَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنْ النَّبِيِّ دُيُونِي

فلم أجد هذين البيتين في كتب التاريخ المعتمدة والتي تروي بالأسانيد، وإنّما وجدها في

---

(١) وهو حديث أُمِّ حَرَامٍ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:« أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا ». قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فِيهِمْ ؟ قَالَ: أَنْتِ فِيهِمْ ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :« أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ »فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: لَا. صحيح البخاري (3 /1069) في الجهاد والسير- باب: ما قيل في قتال الروم رقم (2766).

(٢) عَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:« لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ». صحيح البخاري (2 /664)في أبواب فضائل المدينة- باب: إثم من كاد أهل المدينة رقم (1778)، وأخرجه مسلم(2 /1008) في الحج باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله رقم (1387).

تذكرة الخواص[١] لسبط ابن الجوزي[٢] فحسب[٣]، قال: «وقال الزهري: لما جاءت الرؤوس كان يزيد في منظرة على جيرون فأنشد لنفسه:

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولُ وَأَشْرَقَتْ تِلْكَ الرُّءُوسُ عَلَى رُبى جيروني
نَعَقَ الْغُرَابُ فَقُلْت صِح أو لا تصِح فَلَقَدْ قَضَيْت من الغريم دُيُونِي»

وهي عن الزهريّ دون إسناد إليه، ودون إحالة إلى كتاب من كتب المؤرخين، ليُصار إلى تتبعها ومعرفة ما إذا كان لها سند فينظر فيه، أم أنّها قصة بالأصل لا سند لها فعندئذٍ تفقد أدنى درجات المصداقية التاريخية.

وعندما يحكي سبط ابن الجوزيّ قصّة بغير إسناد تعود أحداثها إلى سنة 61 هـ فهذا يعني أن هناك فجوة إسناديّة تمتدّ إلى حوالي خمسة قرون أو تزيد، فأيّة مصداقية تبقى للخبر ؟!!.

ونسبة الخبر إلى الزهريّ لا تجدي نفعًا لانقطاع ما بين سبط ابن الجوزي وبين الزهريّ وهو انقطاع طويل جدًا، ولانقطاع ما بين الزهريّ والحادثة أيضًا؛ فقد كان عمره يوم وقعت معركة كربلاء ثلاث سنوات، فمن هذا الذي حدّثه بهذا الخبر، وهل سمعه ممن شهد الخبر مباشرة أو بوساطة، بمعنى هل الانقطاع كان براو أو اثنين أو ثلاثة..؟

ثمّ إنّ سبط ابن الجوزيّ متّهم في بني أميّة، قال الذهبيّ: وَرَأَيْت لَهُ مُصَنّفاً يَدلّ عَلَى تَشيعه[٤]، وقال ابن حجر: وما أظنه بثقة فيما ينقله بل يجنف ويجازف ثم إنّه ترفّض[٥].

---

(١) تذكرة الخواص المعروف بـــ" تذكرة خواص الأمّة في خصائص الأئمة" يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي المعروف بسبط ابن الجوزي (581- 654)هـ - إصدار مكتبة نينوى الحديثة – طهران – ناصر خسرو مروي.

(٢) هو يُوْسُفُ بنُ قُزْغُلِيٍّ ، أبو المظفر، سبط ابن الجوزي (581 - 654 هـ)مؤرخ من الكتاب، ولد ونشأ ببغداد، وربّاه جده، وانتقل إلى دمشق، فاستوطنها، وتوفي فيها سنة / 654 / هـ من كتبه " مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ". يُنظر سير أعلام النبلاء (23 /296-279)، الأعلام للزركلي (8 /246).

(٣) ولم ترد هذه الأبيات في تاريخ ابن الوردي (691 - 749 هـ) " تتمة المختصر في أخبار البشر " يُنظر خبر مقتل الحسين في أخبار يزيد بن معاوية في تاريخ ابن الوردي (261/1) . ولذا فالعزو إليه جهل ولا يُغترّ بما ورد في عدد من المواقع الإلكترونية على الإنترنت.تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) لزين الدين عمر بن الوردي ، تحقيق : أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة – بيروت، ط1 1389هـ/1970م.

(٤)سير أعلام النبلاء (23 /297).

(٥) لسان الميزان (6 /328) .

والخبر برمّته مُشكل لأمرين:

الأوّل: الاختلاف في صحّة خبر نقل رأس الحسين إلى دمشق أصلاً.

والثاني:الاختلاف بين الروايات في موقف يزيد هل كان متأثّرًا متألّمًا أو كان شامتًا مسرورًا بقتله؟

أمّا الأوّل : فالثابت في الروايات الصحيحة أنّ الرأس حُمل إلى عبيد الله بن زياد — وكان أمير الكوفة– وأنّه جعل ينكت بالقضيب ثناياه، وقد شهد هذه الحادثة أنس بن مالك رضي الله عنه بنصّ رواية البخاريّ في صحيحه[١]، وكذلك زيد بن أرقم بسندٍ ضعيف كما في المعجم الكبير للطبرانيّ[٢] وقد أنكرا على عبيد الله فعله وذكرا من مناقب الحسين رضي الله عنه ومنزلته عند جدّه المصطفى ﷺ ما غاظه قبّحه الله.

أمّا بعد ذلك فتختلف الروايات والآراء بشأن رأس الحسين فمنهم من يُرجِّح أنّه بقي في الكوفة ودفن هناك، ومنهم من يرّجح أنّه حُمل إلى يزيد في دمشق وهذا هو الأشهر لدى المؤرِّخين وقد رجّحه ابن كثير[٣]، ولكنّ أخبار حمل رأس الحسين ورؤوس شهداء الطّف إلى يزيد مرويّة عن الضعفاء والمجروحين كأبي مخنف وهشام بن محمد الكلبيّ اللذين نقل عنهما الطبريّ خبر حمل رؤوس شهداء الطّف إلى يزيد[٤] .

وفي كتب الحديث رواية ضعيفة أخرجها الطبرانيّ في المعجم الكبير بسنده إلى الليث بن سعد ورجاله ثقات[٥]، ولكن ثمّة أمدٌ بعيدٌ بين الليث –راوي الخبر– والحادثة يكشف عن انقطاع في السند، وفيها أنّ يزيد نكت بالقضيب في فم الحسين رضي الله عنه وتمثّل بقول الشاعر:

---

(١) البخاري (3 /1370): المناقب باب مناقب الحسن والحسين رقم (3538).

(٢) المعجم الكبير (5 /210)رقم(5121) ، قال الهيثمي: فيه حرام بن عثمان وهو متروك . مجمع الزوائد (9 /313).

(٣) قال ابن كثير: " وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيّره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا ؟ على قولين، الأظهر منهما أنّه سيّره إليه، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة فالله أعلم". البداية والنهاية (8 /209)

(٤) تاريخ الطبري (3 /338)، (3 /340)، (3 /341).

(٥) يُنظر مجمع الزوائد (9 /312).

(نفلّق هامًا من رجال أحبّةٍ ... إلينا وهم كانوا أعقّ وأظلما)[١].

وفي إحدى روايات الطبري [٢] أنّ ذلك كان بحضرة الصحابي الجليل أبي برزة الأسلميّ[٣] الذي لم يسعه إلا أن يُنكر على يزيد صنيعه، وقد ساقها الطبري بسند مُظلم جمع كلًّا من هشام بن محمد بن السائب الكلبيّ عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن أبي حمزة الثمالي [٤]، وهؤلاء الثلاثة ضعفاء في الحديث متّهمون فيما يروونه عن معاوية ويزيد وسائر الأمويّين لغلوّهم في التشيّع.

وثمة مطعن آخر هو أنّ أبا برزة ﷺ وأنسًا ويزيد بن الأرقم وكلّ من ذُكر –من الصحابة– أنّهم حضروا نكته بالقضيب في فم الحسين لم يكونوا بالشام وإنّما كانوا بالعراق، وهذا يؤكّد الرأي الأوّل في أنّ من نكت فيه إنّما هو عبيد الله بن زياد أمير الكوفة وأنّ الرأس لم يُنقل إلى الشام[٥].

والأمر الثاني: أنّ الروايات التاريخيّة تضاربت في موقف يزيد من خبر مقتل الحسين وفي معاملته لأهل البيت عليهم السلام لما سيّرهم إليه ابن زياد من العراق.

فالروايات التي تذكر أنّه تمثّل بما يكشف عن حقدٍ دفين مثل الأبيات التي سبق ذكرها معارضةٌ بالروايات[٦] التي تذكر أنّه لعن ابن مرجانة [٧] لقتله الحسين وأنّه كان يرضى منه دون ذلك، وأنّه أكرم عليّ بن الحسين ومن معه من حُرم آل البيت عليهم السلام، وأنّه تمثّل

---

(١) المعجم الكبير (3 /104).

(٢) تاريخ الطبري (3 /341).

(٣) أبو بَرْزة الأسلمي: مشهور بكنيته، واسمه نَضْلة بن عُبَيد على الصحيح، وقيل: غير ذلك، وكان إسلامه قديماً، شهد فتح خيبر وفتح مكة وحنينًا، وكان من ساكني المدينة، ثم نزل البصرة، وغزا خُراسان، وشهد مع عليّ قتال الخوارج بالنهروان، نزل البصرة، وله بها دار، ثم سار إلى خراسان، فنزل مَرْوَ، ثم عاد إلى البصرة، مات سنة 65هـ في ولاية عبد الملك. يُنظر سير أعلام النبلاء (3 /40-43)، الإصابة في تمييز الصحابة (6/433-434).

(٤) ثابت بن أبي صفية الثُمالي أبو حمزة واسم أبيه دينار وقيل سعيد كوفي ضعيف رافضي مات في خلافة أبي جعفر المنصور ت عس ق . يُنظر تهذيب الكمال (4 /357)،تقريب التهذيب (ص 132).

(٥) يُنظر منهاج السنّة (4/577).

(٦) يُنظر تعارض الروايات في تاريخ الطبري (3 /338-341).

(٧) وهو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، ومرجانة أمّه. يُنظر سير أعلام النبلاء (3 /545).

بقول حُصين بن الحُمام المُرِّي[١]:

(نُفلِّقُ هَامًا مِنْ رِجالٍ أعِزَّةٍ ... عَلَيْنا وَهُم كانُوا أعَقَّ وَأظْلَمَا)

ولا يخفى ما في هذا البيت من حزنٍ عميق وعتبٍ كبير، وقد كان —والله– يزيدُ الأعقَّ والأظلمَ.

وقد ذكر ابن كثير في تاريخه عن مجاهد قال: « لما جيء برأس الحسين فوضع بين يد ي يزيد تمثل بهذه الأبيات[٢]: (من بحر الرمل)

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلْ
فأهلّوا واستهلّوا فرحًا ... ثمّ قالوا لي هنيًا لا تسلْ
حِينَ حَكَّتْ بِفناءٍ بَرْكَهَا ... واسْتَحرَّ القَتْلُ في عَبد الأَشَلْ
قَدْ قَتَلْنَا الضعفَ مِنْ أشرافكم ... وَعَدَلْنَا ميلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلْ

قال مجاهد: نافق فيها والله. ثم والله ما بقي في جيشه أحدٌ إلا تركه أي ذمّه وعابه»[٣].

وألمح ابن كثير إلى علّة الخبر فقال:«وفي السند محمد بن حميد الرازيّ، وهو شيعيّ ».

قلت : هو محمد بن حميد بن حيّان التميميّ الحافظ أبو عبد الله الرازي من بحور العلم لكنّه غير مُعتَمد يأتي بعجائب وم ناكير كثيرة، قال البخاري: في حديثه نظر ، وقال صالح جزرة: كنّا نتّهمه ، وقال النسائيّ : ليس بثقة [٤]. ولكن بالمقابل فإنّ الإمام أحمد ويحيى بن معين كان لهما فيه رأي حسن، وقال ابن خزيمة: لو عرفه أحمد بن حنبل لما أثنى عليه.

وقد بيّن ابن معين سبب روايته للمناكير فقال: ابن حميد ثقة ، وهذه الأحاديث التي

---

(١) وهو شاعر جاهليّ مُقلّ من بني مرة، ويُعدّ من أوفياء العرب ، وبيته هذا من قصيدة له ذكرها ابن قتيبة في الشعر والشعراء(2/ 624) طبعة دار الحديث، القاهرة، عام 1423 هـ ، و يُنظرها في المفضليّات ص 64-69 للضبي المفضل بن محمد بن يعلى الضبي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون .

(٢) الأبيات من قصيدة لعبد الله بن الزِّبَعْري قالها بعد معركة أحد. يُنظرها في الحماسة البصرية (1/100-101)،تأليف: صدر الدين علي بن الحسن البصري، عالم الكتب – بيروت – 1403هـ/1983م، تحقيق: مختار الدين أحمد.

(٣) البداية والنهاية (8 /209).

(٤) يُنظر تذكرة الحفاظ للذهبي(2 /490-491) دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 ، و يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (11 /503-506)، تقريب التهذيب (ص 475).

يُحدّث بها ليس هو من قبله إنّما هو من قبل الشيوخ الذين يُحدّث عنهم[١].

و لم أجد من رماه صراحةً بالتشيّع قبل ابن كثير، إلا أن يكون تأوّل قول إبراهيم بن يعقوب الجوزجانيّ (ت 259هـ): رديء المذهب غير ثقة[٢]، ومعروف أنّ الجوزجاني كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في التحامل على علي ﷺ ، و قد كان النصب مذهبًا لأهل دمشق في وقته[٣].

فالراجح–والله أعلم– أنّ ما قاله ابن معين هو الصواب في أنّ البلاء من شيوخه، فقد روى ابن حميد هذا الخبر عن محمد بن يحيى الأحمر ي وهو إماميّ المذهبّ كما نصّ عليه علماء الرجال في المذهب[٤]، ومحمّد هذا لقبه "داهر" ذكره العقيليّ في الضعفاء وقال: داهر ابن يحيى الرازيّ كان ممن يغلو في الرفض لا يُتابع على حديثه[٥]، وكذلك قال فيه ابن حجر في لسان الميزان[٦].

وعلى هذا فلا قيمة لهذا الخبر أيضًا وبذلك يثبت لنا أنّه لم يُروَ بسند صحيح عن يزيد أنّه نطق بكلمات كفريّة تجعلنا نرتاب في إيمانه.

---

(١) تهذيب الكمال (25/ 101).

(٢) أحوال الرجال للجوزجاني ص207– مؤسسة الرسالة – بيروت ، 1405هـ، ط1، تحقيق: صبحي البدري السامرائي.

(٣) ميزان الاعتدال (1/ 76).

(٤) يُنظر رجال الطوسي ص298، جامع الرواة للأردبيلي (215/2)،معجم رجال الحديث للخوئي(33/19).

(٥) ضعفاء العقيلي (2/ 46).

(٦) لسان الميزان (2/ 413).

المطلب الثالث: مواقف متفرّقة:

١ – عبد الملك بن مروان والقرآن:

ذكرت كثير من كتب الأدب والتاريخ أنّ عبد الملك بن مروان لما ولي الخلافة أخذ المصحف ووضعه في حجره ثم قال: هذا فراق بيني وبينك. أو قال: هذا آخر العهد بك[١].

وهذا الخبر من الناحية الإسناديّة لا يُعتدّ به: إذ لم أجده مُسندًا إلا عند الخطيب البغدادي وعند ابن عساكر بسنده إلى الخطيب ثمّ بسند الخطيب إلى ابن عائشة [٢] قال: أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف في حجرة يقرأ فأطبقه وقال هذا آخر العهد بك[٣].

وفي هذا السند عبد الأوّل بن مريد ، وفي روايات أخرى: ابن مرثد، أو ابن مزيد، من بني أنف الناقة[٤]، من شيوخ ابن دريد[٥]، لم أجد له ترجمة فهو عندي مجهول.

وابن عائشة راوي الخبر وُلِدَ بَعْدَ الأَرْبَعِيْنَ وَمائَةٍ[٦]، ففيه انقطاع كبير بين زمن الحادثة المزعومة سنة خمس وستين هجريّة وبين ولادة الراوي.

وكذلك رواه الخطيب بسنده إلى ابن الأعرابيّ[٧]: قال لما سُلّم على عبد الملك بن مروان

---

(١) يُنظر تاريخ بغداد (10 /388)، تاريخ دمشق (37 /127-128) البداية والنهاية (9 /77-78)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي (127/1)- تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، عالم الكتب –بيروت. تاريخ الخلفاء للسيوطي- (1 / 190) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة – مصر ، ط1: 1371هـ - 1952م.

(٢) عبيد الله بن محمد ابن عائشة (ت 228هـ) اسم جده حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي وقيل له ابن عائشة والعائشي والعيشي نسبة إلى عائشة بنت طلحة لأنّه من ذريتها ، ثقة جواد رمي بالقدر و لم يثبت، د ت س. تقريب التهذيب (ص 374).

(٣) تاريخ بغداد (10 /388).

(٤) الأغاني (18 /157).

(٥) ابن دريد (ت 321 هـ):سبقت ترجمته (ص91).

(٦) سير أعلام النبلاء (10 /564).

(٧) ابْنُ الأَعْرَابِيِّ(ت 231 هـ): أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ زِيَادِ بنِ الأَعْرَابِيِّ الهَاشِمِيُّ مَوْلاَهُمْ، الأَحْوَلُ، إِمَامُ اللُّغَةِ، النَّسَّابَةُ.ولد بالكوفة ومات بسامراء. يُنظر سير أعلام النبلاء (10 /687).

مروان بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه، وقال: هذا فراق بيني وبينك[1].

وكذلك يلاحظ الانقطاع الكبير في السند، فقد تولّى عبد الملك الخلافة سنة 65هـ، بينما ولد ابن الأعرابيّ عام 150هـ، فهذا يكفي لتضعيف الخبر وردّه من جهة الإسناد.

وعليه فالخبر لا يُعرف له سند متصل، ولذا فأكثر المؤرّخين يروونه بصيغة التمريض «روي أو قيل» كما فعل ابن كثير وغيره [2].

أمّا متن هذا الخبر فهو مشكل من وجوه:

الأوّل: إنّ هذا الخبر يتنافى مع طبيعة العصر، وهو عصر الصحابة وكبار التابعين، حيث كانت تُعظّم شعائر الدين غاية التعظيم، فما بالك بتعظيم القرآن الكريم؟ وقد كان عبد الملك في القرون التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيريّة بنصّ الحديث الصحيح [3] .

الثاني: عدم انسجام هذا التصرف مع شخصيّة عبد الملك بن مروان الذي كان يعدّ من فقهاء عصره[4]، وكانت سيرته قبل الملك سيرة العالم الصالح كثير الاجتهاد في العبادة.

فعن نافع قال: أدركتُ المدينة وما بها شاب أنسك ولا أشد تشميرًا ولا أكثر صلاةً ولا أطلبَ للعلم من عبد الملك بن مروان [5]، ومن البدهيّ أن يشغله الملك عن كثير من طلب العلم أو النوافل، ولكنّ أجر الحاكم في حماية الثغور وإقامة العدل وتطبيق مقتضيات الشريعة أعظم عند الله.

الثالث: لقد كان عبد الملك يخطب في النّاس ويؤمّ في الجمع والجماعات على ما كان عليه الحال لدى الخلفاء، ومن كان هذا شأنه فلا غناء له عن القرآن الكريم أبدًا.

---

(١) تاريخ بغداد (10 /388).

(٢) البداية والنهاية (9 /77)، سراج الملوك للطرطوشي (ص 47).

(٣) يُنظر البخاري (3 /1335)في فضائل الصحابة، باب في فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم (3450)، ومسلم (4 /1964)في فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم رقم (2535).

(٤) قَالَ أَبُو الزِّنَادِ: فُقَهَاءُ المَدِيْنَةِ: سَعِيْدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَعَبْدُ المَلِكِ، وَعُرْوَةُ، وَقَبِيْصَةُ بنُ ذُؤَيْبٍ . تاريخ بغداد (10 /388)، سير أعلام النبلاء (4 /248).

(٥) تاريخ بغداد (10 /388).

٢ - عبد الملك وقبّة الصخرة:

قال اليعقوبي: «ومنع عبد الملك أهل الشام من الحجّ، وذلك أنّ ابن الزبير كان يأخذهم، إذا حجّوا بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكّة، فضجّ الناس، وقالوا: تمنعنا من حجّ بيت الله الحرام، وهو فرض من الله علينا! فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهريّ يحدّثكم أنّ رسول الله -ﷺ- قال: لا تشدّ الر حال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس ، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله ﷺ وضع قدمه عليها، لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبّة، وعلّق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيام بني أمية [١]»

وقد ذكر هذا الخبر بإيجاز ودون إسنادٍ كلٌّ من ابن خلكان (ت 681 هـ) في "وفيات الأعيان"[٢]، و القلقشنديّ (ت821 هـ) في " مآثر الإنافة في معالم الخلافة "[٣]، ومحمد بن موسى الدميريّ (ت 808 هـ) في"حياة الحيوان الكبرى"[٤]، وابن تغري بردي(ت 874 هـ) في" النجوم الزاهرة" [٥]، وأبو اليمن العليميّ (ت 928 هـ) في الأنس الجليل [٦] وجماعة من المؤرِّخين والأدباء، وتسرّبت إلى كتب المستشرقين كما في قصّة الحضارة[٧].

---

(١) تاريخ اليعقوبي (261/2)، وأخذه عنه محمود أبو ريّة في كتابه أضواء على السنة المحمّدية ص(166-167) دار الكتاب الإسلامي، ط5.

(٢) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (72/3) لابن خلكان، دار الثقافة – لبنان، تحقيق: إحسان عباس.

(٣) مآثر الإنافة في معالم الخلافة (129/1).

(٤) حياة الحيوان الكبرى (1 /100).

(٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (188/1)، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر.

(٦) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (272/1)، تأليف: مجير الدين الحنبليّ العليمي، مكتبة دنديس – عمان – 1420هـ- 1999م، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة.

(٧) قصة الحضارة (13 /154). وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (ت: 1981 م)، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجم: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرون، دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: 1408 هـ – 1988 م.

قلت: بتتبّع الخبر في هذه الكتب وغيرها يتبيّن أنّه خبر لقيط، يُحكى بلا سند، ويطعن فيه بأمور:

أولاً: ما سبق وبيّنته من حال اليعقوبيّ وتعصّبعلى بني أميّة، وهذا يجعلنا نتّهمه فيما أسنده فكيف بما لم يسنده؟!.

ثانياً : لقد كان الفراغ من عمارة قبة الصخرة والمسجد الأقصى في سنة 73هـ، وهي السنة التي قتل فيها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما [١]، فأيّ معنى لصرف الناس للحجّ إليها وقد انتهى أمر ابن الزبير في مكّة، واستتب للأمويّين أمر الحجاز.

ثالثاً : نص الحادثة بَيّنُ البطلان ؛ فإنّ بناء شيء – غير الكعبة– ليحجّ الناس إليه كفر صريح لا يمكن أن يسكت عنه علماء الإسلام في ذلك العصر، و لم نر أحدًا من أهل العلم، ولا من خصوم بني أمية، ذكر ذلك من جملة المطاعن والمآخذ عليهم .

رابعاً : اختلف في مولد الإمام الزهريّ فقيل سنة 50هـ وقيل سنة 51هـ أو 56هـ أو 58هـ[٢] ، وخلافة عبد الملك كانت سنة 65هـ، وابتداء بناء قبة الصخرة كان سنة 66هـ [٣]، [٣]، فيكون عمر الزهري حينئذٍ ستة عشر عامًا على الرواية الأدنى، وثماني سنواتٍ على الرواية الأعلى، فترك عبد الملك لعلماء عصره ثمّ احتجاجه بـالزهريّ في تلك السن لا يجيزه عاقل.

خامساً : لقد قتل ابن الزبير رضي الله عنهما سنة ثلاث وسبعين للهجرة، والزهريّ لم يلقَ عبد الملك في أثناء حياة ابن الزبير ، فقد نقل ابن عساكر و الذهبيّ عن الليث بن سعد أنّه قال : «قدم ابن شهاب على عبد الملك سنة اثنتين وثمانين » [٤]. فمعرفة الزهري لعبد الملك لأوّل مرّة كانت بعد مقتل ابن الزبير بما يقرب من عشر سنوات، فلم يكن بحاجة إلى من يروي له أحاديث يصرف الناس بها عن الحجّ حتى لا يلتقوا بابن الزبير ، وقد كان عمر الزهريّ ما بين تسعة عشر عامًا إلى خمسةٍ وعشرين عامًا، وهذا يتناسب مع طبيعة لقاء عبد الملك له حيث

(١) الأنس الجليل (275/1)، وفي النجوم الزاهرة (188/1) أنّه بناها سنة اثنتين وسبعين وهو قريب مما ذكرناه.

(٢) يُنظر سير أعلام النبلاء (5 /326)،تهذيب التهذيب (9 /398).

(٣) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (272/1).

(٤) يُنظر تاريخ دمشق (55 /297)، وسير أعلام النبلاء (5 /328).

امتحنه في القرآن والفرائض ونصحه أن يطلب العلم في منازل الأنصار(١). فهذا ينقض الخبر جملةً وتفصيلًا.

سادساً : ما ذكره اليعقوبيّ يوحي بأنّ الزهريّ وضع الحديث لعبد الملك، وهذا باطل لأنّ الحديث مرويّ في كتب السنة كلّها ، ومن طرق مختلفة عن طريق الزهريّ ، فقد أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري من غير طريق الزهريّ، ورواه مسلم من ثلاث طرق إحداها من طريق الزهري، وثانيتها من طريق جرير عن ابن عمير عن قزعة عن ابن سعيد ، وثالثتها من طريق ابن وهب عن عبد الحميد بن جعفر عن عمران بن أبي أنس عن سليمان الأغر عن أبي هريرة .. فالزهري لم ينفرد براوية الحديث بل شاركه فيه غيره (٢).

سابعاً : هذا الحديث رواه الزهريّ عن شيخه سعيد بن المسيب ، ومن المعلوم أنّ سعيدًا لم يكن ليسكت عن الزهريّ لو أنّه وضع هذا الحديث على لسانه إرضاءً لأهواء الأمويّين ، وهو الذي أوذي من قِبَلهم وضُرب . وقد توفي سعيد عام 93هـ أي بعد مقتل ابن الزبير بعشرين سنة، فكيف سكت سعيد عن هذا كل هذه المدّة وهو الذي كان جبلًا شامخًا من جبال الحقّ لا يبالي في الله لومة لائم ؟

٣ – قصة الوليد والمصحف:

قال الماورديّ: وَحُكِيَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ تَفَاءَلَ يَوْمًا فِي الْمُصْحَفِ فَخَرَجَ لَهُ قَوْله تَعَالَى : {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [إبراهيم: 15]، فَمَزَّقَ الْمُصْحَفَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ(٣) : (من الوافر)

أَتُوعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ... فَهَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ
إذَا مَا جئْت رَبَّك يَوْمَ حَشْرٍ ... فَقُلْ يَا رَبِّ مَزَّقَنِي الْوَلِيدُ

فَلَمْ يَلْبَثْ إلَّا أَيَّامًا حَتَّى قُتِلَ شَرَّ قِتْلَةٍ، وَصُلِبَ رَأْسُهُ عَلَى قَصْرِهِ، ثُمَّ عَلَى سُورِ بَلَدِهِ(٤).

---

(١) يُنظر تاريخ دمشق (55 /297-303).

(٢) وقد قام الدكتور حارث بن سليمان الضاري بنسف هذه الشبهة في كتابه القيم الإمام الزهري وأثره في السنة ص457 ــ 470 . (رسالة دكتوراه) منشورات مكتبة بسام – الموصل – 1985/ 1405هـ.

(٣) الديوان ص39

(٤) أدب الدنيا والدين (ص 308)، تحقيق: محمد أبو الخير السيّد ومحمّد الشرفاويّ، مؤسسة الرسالة ناشرون–

هذه القصّة التي حكاها الماورديّ(ت 450هـ) بلا إسناد في كتابه الشهير" أدب الدين والدنيا" لقيت رواجًا عجيبًا، وذلك لرواج كتابه واشتهاره حتى حكاها عنه عدد من المصنّفين كالقرطبيّ في تفسيره (١)، والعصاميّ في " سمط النجوم العوالي "(٢)، والدميريّ في "حياة الحيوان الكبرى"(٣).

كما ذكرها ابن الأثير وغيره بلا إسنادٍ أيضًا (٤)، و لم أعثر لها على إسناد إلا عند أبي الفرج الأصبهانيّ في كتابه " الأغاني" قال: « قال(يعني الحسين بن فهم)(٥): وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سليم قال دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف... الخبر» (٦).

قلت: هذا إسناد واهٍ لا يُحتجّ به، وقد جمع عِللًا كثيرة، فحسبك أنّ الخبر من راوية الأصبهانيّ وهو ضعيف متشيّع لا يوثق بأخباره (٧)، والخبر جاء به من نسخة كتاب للحسين ابن فهم(٨).

بيروت، ط1: 1425هـ/2004م.

(١) الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبي (9 /350) تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2 ، 1384هـ – 1964 م.

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (338/3)، دار الكتب العلمية - بيروت – 1419هـ- 1998م، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض.

(٣) حياة الحيوان الكبرى (1 /108).

(٤) الكامل في التاريخ (2 /446)، فوات الوفيات (4 /257) لمحمد بن شاكر الكتبي- المحقق : إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط: 1، 1973م، و يُنظر مروج الذهب للمسعودي (4/53-54).

(٥)الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز بن إبراهيم أبو علي . ذكره الدارقطني فقال ليس بالقوي . توفي سنة تسع وثمانين ومائتين ، وبلغ ثمانيًا وسبعين سنة . يُنظر ترجمته تاريخ بغداد (8 /92)، لسان الميزان (2 /308)، وهو الذي نسخ الأصفهانيّ هذا الخبر من كتابه. يُنظر الأغاني (7 /58).

(٦) الأغاني (7 /59-60).

(٧) أبو الفرج الأصبهانيّ أو الأصفهانيّ (284 - 356 هـ):العَلاَّمَةُ، الأَخْبَارِيُّ، أَبُو الفَرَجِ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدٍ القُرَشِيُّ، الأُمَوِيُّ، الأَصْفَهَانِيُّ، الكَاتِبُ. خلط قبل موته، وكان أمويًّا وكان يتشيّع . يُنظر ترجمته تاريخ بغداد (11 /398)، سير أعلام النبلاء (16 /201)، معجم المؤلفين (7 /78).

(٨) يُنظر الأغاني (7 /58).

وهذه علّة في الرواية لأنّها وِجادة [١]، والوِجادة[٢] ليست من باب الرواية، وإنّما هي حكاية عما وجده في الكتاب [٣]، كما أنّ أبا الفرج لم يلقَ الحسين بن فهم و لم يرو عنه [٤] إلا وجادة.

ومن علل هذا السند أنّه لا يُعرف للحسين بن فهم شيخٌ اسمه عمرو [٥]، فعمروٌ مجهول وكذلك أبوه، وكذلك فإنّ يحيى بن سُليم لا يُدرى أهو الطائفيّ [٦]، أمْ أبو بلج الفزاريّ الواسطيّ[٧]، أمْ يحيى بن سليم بن زيد [٨].

وقد عدّ ابن خلدون هذا الخبر من الشنائع الكثيرة التي نُسبت إلى الوليد بن يزيد[٩] .

قلت: وذيوع الخبر- مع سندٍ كهذا- إنّما كان لأمرين:

-لأنّ فيه مطعنًا على خلفاء بني أميّة، وقد رأينا في الفصل الأوّل من هذا الباب كم هي الأحزاب والفرق المتحاملة على بني أميّة الراغبة في التشنيع عليهم.

-وكذلك فإنّ لغرابة الخبر دورًا مهمًّا في انتشاره، ولأهل الأخبار والأدب ولعٌ بالغرائب

---

(١) قال الخطيب البغدادي: حدّثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن القاسم بن طباطبا العلوي قال : سمعت أبا محمد الحسن بن الحسين النوبختي يقول : ((كان أبو الفرج الأصبهانيّ أكذبَ الناس كان يدخل سوق الورّاقين وهي عامرة، والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري شيئًا كثيرًا من الصحف ، ويحملها إلى بيته ، ثمّ تكون رواياته كلّها منها)).. تاريخ بغداد (11 /398).

(٢) الوِجادة: ما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة ، فله أن يرويه عنه على سبيل الحكاية. تدريب الراوي- للسيوطي (2 /60).

(٣) الباعث الحثيث ص180. للحافظ ابن كثير، تحقيق: أحمد شاكر ، مكتبة السنة – القاهرة ، دار الكتب – بيروت ، 1415هـ/1994م.

(٤) فقد توفي الحسين بن فهم سنة (289هـ) وولد أبو الفرج سنة (284هـ). فهذا يعني أنّ عمر أبي الفرج عند وفاة الحسين بن فهم كان دون الخمس سنوات. فهذا انقطاع ظاهر.

(٥) يُنظر ترجمته تاريخ بغداد (8 /92).

(٦) صدوق سيّء الحفظ ع. تقريب التهذيب (ص591)، و يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (9 /307).

(٧) صدوق ربما أخطأ من (صغار التابعين) أخرج له الأربعة. يُنظر تقريب التهذيب (ص625).

(٨) مجهول لم يروِ عنه غير الليث بن سعد، أخرج له أبو داود . يُنظر تهذيب الكمال (31 /364)،تقريب التهذيب (ص591) .

(٩) يُنظر تاريخ ابن خلدون (3 /106).

والعجائب.

ونحن حين نردّ هذا الخبر فإننا لا ننفي ما في الرجل من مجون، فقد تكاثرت الأخبار عن ميل الوليد بن يزيد إلى الغناء والشعر والسمر والشرب، ولكنّ ذلك لم يصل إلى مرحلة الزندقة والكفر، بل غالب تلك الأخبار تكتنف مبالغات لها دوافعها السياسيّة لتأليب العامة عليه وإيجاد المسوّغ لخلعه، وذلك أنّ الرجل كان محسودًا في خلاله[١]، ومزاحمًا بكبار عشيرة عشيرة بيته من بني عمومته، مع لهوٍ كان يصاحبه أوجد لهم به السبيل على نفسه[٢].

فهذا سرّ استهدافه بالأخبار القبيحة، قال ابن خلدون: ولقد ساءت المقالة فيه كثيرًا، وكثير من الناس نفوا عنه ذلك، وقالوا: إنها شناعات الأعداء ألصقوها به[٣].

وكذلك قال ابن الأثير (ت 630هـ):« وقد نزّه قوم الوليد عما قيل، وأنكروه ونفوه عنه، وقالوا: إنّه اختُلق عليه وأُلصق به وليس بصحيح »[٤].

وثمّة أخبار تكشف عن صدق تدين الرجل منها فخره بالنبيّ ﷺ، يقول:(من الطويل)

نبيّ الهدى خالي ومن يكُ خاله ... نبيّ الهدى يقهر به من يفاخرُ[٥]

وذلك أنّ أم أبيه هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأمها أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وأمّها أمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب[٦].

ومنها قوله: «يَا بَنِي أُمَيَّةَ إِيَّاكُمْ وَالْغِنَاءَ فَإِنَّهُ يَزِيدُ الشَّهْوَةَ ، وَيَهْدِمُ الْمُرُوءَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَنُوبُ عَنْ الْخَمْرِ ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ الْمُسْكِرُ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ فَاعِلِينَ فَجَنِّبُوهُ النِّسَاءَ فَإِنَّ الْغِنَاءَ دَاعِيَةُ الزِّنَا »[٧].

---

(١) كان أكمل بني أمية أدبًا وفصاحَة وظرفًا وأعرفهم باللّغة والنحو والحديث، وكان جوادًا مفضالًا. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (2 /161).

(٢) تاريخ ابن خلدون (3 /106).

(٣) تاريخ ابن خلدون (3 /106).

(٤)الكامل في التاريخ (2 /446)، ونقل ذلك شهاب الدين النويريّ (ت 733 هـ) في نهاية الأرب في فنون الأدب (21 /295).تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية – بيروت – 1424 هـ / 2004م، ط : 1.

(٥) الديوان ص43.

(٦) يُنظر الكامل في التاريخ (2 /446).

(٧)الأغاني (7 /82)، تلبيس إبليس لابن الجوزي ص225-226. تحقيق:محمد عبد القادر الفاضليّ– المكتبة العصريّة العصريّة –بيروت، ط1: 1423هـ/2003م، وهذا القول ينسب أيضًا ليزيد الناقص كما في شعب الإيمان (4

فهذا القول يعكس مروءة الرجل، ونصحه لقومه بما يسدّ مداخل الشيطان على الرجال والنساء خوفًا عليهم من الوقوع في المحظور.

وقد ذكره هارون الرشيد فترحّم عليه ووصفه بالخليفة المُجمع عليه(١).

وكذلك رُوي أنّه ذُكر عند المهديّ، فقال المهديُّ: كان زنديقًا، فقام أبو علاثة الفقيه(٢) فقال: يا أمير المؤمنين إنّ الله - ﷻ - أعدلُ مِن أن يولي خلافة النبوّة وأمر الأمّة زنديقًا، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصلاته، فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه ا المطايب المصبغة، ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويُؤتى بثياب نظاف بيض فيلبسها ويصلي فيها، فإذا فر غ عاد إلى تلك الثياب فلبسها واشتغل بشربه ولهوه، فهذه فعال من لا يؤمن بالله؟! فقال المهدي: بارك الله عليك يا أبا علاثة!(٣)

وأخيرًا وبعد دراسة هذه الأخبار والكشف عن نكارتها ومجافاتها لحقائق التاريخ وطبيعة العصر، أحبّ أن أعطي نموذجًا يمثّل حقيقة إسلام قريش وكيف هدم الإسلام من نفوسهم عمومًا ومن نفوس الأمويّين خصوصًا موروثات الجاهليّة وأحقادها وضغائنها.

فقد قال عمر بن الخطاب لسعيد بن العاص: ما لي أراك معرضًا كأنّك ترى أنّي قتلتُ أباك؟ ما أنا قتلتُه ولكنّه قتله عليُّ بن أبي طالب ، ولو قتلتُه ما اعتذرت من قتل مشرك ، ولكني قتلتُ خالي بيدي العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. فقال سعيد بن العاص: يا أمير المؤمنين لو قتلتَه كنتَ على حقٍّ وكان على باطل. فسرَّ ذلك عمر منه(٤).

وفي رواية أخرى قال: فَعَجِبَ عُمَرُ مِنْ قَوْلِهِ وَلَوَى كَفَّيْهِ ، وَقَالَ: قُرَيْشٌ أَفْضَلُ النّاسِ

/280).

(١) يُنظر تاريخ ابن خلدون (3 /106)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (2 /161).

(٢) هو مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عُلاَثَةَ العُقَيْلِيُّ، الجَزَرِيُّ.كان قاضيًا بالجانب الشرقي من بغداد زمن المهدي ، وثّقه يحيى ابن معين وابن سعد وقال البخاري : فيه نظر . يُنظر تاريخ بغداد (5 /388-389)، سير أعلام النبلاء (7 /308)، لسان الميزان (7 /364).

(٣) الكامل في التاريخ (2 /446)، تاريخ ابن خلدون (3 /106).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (5 /31)، تاريخ دمشق (21 /114).

إِسْلَامًا، وَأَعْظَمُ النّاسِ أَمَانَةً وَمَنْ يُرِدْ بِقُرَيْشٍ سُوءًا يَكُبّهُ اللّهُ لِفِيهِ[1].

المبحث الثاني: ما يُطعن فيه على إسلاميّة الحكم الأمويّ:

الشبهات الأكثر حضورًا في دائرة الطعن في إسلاميّة الحكم الأموي يمكن أن نجملها بما يلي:

الأوّل : التحوّل إلى الملكيّة الوراثيّة

والأمر الثاني : العصبيّة للعرب بمفهوم العنصريّة أي إنّ حكم الأمويّين كان طبقيًّا عنصريًّا ظالمًا أطاح بجوهر الإسلام القائم على العدل والمساواة بين البشر.

والأمر الثالث: الرشاوى في كسب المؤيّدين والتخلص من المناوئين.

والأمر الرابع: مقاصد الفتوحات في العصر الأمويّ

وسوف ندرس هذه الأمور في ضوء الروايات الحديثيّة والتاريخيّة مع التحليل والنقد.

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية (5/ 347) لأبي القاسم السهيلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1412هـ.

المطلب الأوّل: التحوّل إلى الملكيّة الوراثيّة:

إنّ انتقال نظام الحكم من نظام الخلافة إلى النظام الملكي الوراثي يمكن أن يُقرأ بطريقتين:

الأولى: أنّ نظام الخلافة الذي حكم به المسلمون في عهد الراشدين لم يعد صالحًا للحكم في زمن بني أميّة، ولذلك تحوّلوا إليه، وهو ما يميل إليه المستشرقون، طعنًا في صلاحية الإسلام لكل زمان.

الثانية: ويمكن أن يُقرأ على أنّه ردّة على نظام الحكم في الإسلام.

ومن العجيب أنّ هذه التهمة سبق أن قِيلتْ في خلافة عثمان رضي الله عنه كما جاء في الإمامة والسياسة في رسالة المهاجرين والأنصار في المدينة إلى بقيّة الصحابة في الأمصار: " وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوّة ورحمة وهي اليوم ملك عضوض؛ من غلب على شيءٍ أكله"(١).

وهي تهمة باطلة وقد ذُكر الخبر بلا سند، وقد سبق بيان الموقف العلميّ من هذا الكتاب المنسوب لابن قتيبة(٢).

ولا يُغترّ بما خلص إليه أبو الأعلى المودوديّ من أنّ التحوّل عن الخلافة الراشدة بدأ في زمن عثمان رضي الله عنه(٣)، وأنّ معاوية كان يطلب الملك ويقاتل لأجله (٤)، فإنّه يبني أحكامه على روايات الأخباريين دون تحقيق، ومن تتبّعه في كتابه "الخلافة والملك" علم كيف أنّه أقام غالب محاكماته على روايات كتب التاريخ دون نقد أو تحقيقٍ لها.

ومع ذلك يكاد يكون من المسلّمات التاريخيّة أنّ الحكم في الدولة الأمويّة هو حكم ملكيّ، وقد صرّح ابن تيمية بأنّ معاوية هو أوّل ملوك هذه الأمّة (٥)، وتابعه الذهبيّ فقال في

---

(١)الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة(54/1).

(٢) يُنظر الفصل الأوّل من هذا الباب.

(٣) الخلافة والملك ص 64 وما بعدها.

(٤) المرجع السابق ص 100 .

(٥)كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (19/35).

ترجمته : أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ، مَلِكُ الإِسْلاَمِ(١).

الملك لا ينافي الشريعة:

ليس في الشريعة ما يمنع من الحكم الملكيّ مادام قائمًا على العدل والشورى، فقد سأل نبي الله سليمان ربّه الملكَ العظيم {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}[ص: 35]. وهكذا فقد كان كلّ من داود وسليمان- عليهما السلام- ملوكًا أنبياء. وكذلك فقد بعث الله من قبل طالوت ملكًا على بني إسرائيل كما أخبر بذلك القرآن الكريم{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا}[البقرة: 247].

وقد خيّر رسول الله ﷺ بين أن يكون مَلكًا نبيًّا أو نبيًّا عبدًا ، فتواضع واختار أن يكون نبيًّا عبدًا(٢). والتخيير يقتضي الإباحة، وفي هذا السياق يقرّر ابن خلدون أنّ الملك المذموم هو ما اقترن بالجبروتيّة، ويرى أنّ الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة لا ينافي الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيّين ومَلكين كانا على غاية الاستقامة في دنياهما، وعلى طاعة ربهما عز وجل ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للاستكثار من الدنيا ، وإنما ساقه أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلّها وكان هو خليفتهم ، فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عندما تستفحل العصبية ، وتدعو لطبيعة الملك ، وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده إذا دعتهم ضرورة الملك إلى استفحال أحكامه ودواعيه ، والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار لا الواهي، فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبيّ ﷺ في المسلمين، ومن خرجت أفعاله عن

---

(١)سير أعلام النبلاء (3 /120).

(٢)أخرجه أحمد (12 /77) رقم (7160) من حديث أبي هريرة وإ سناده صحيح على شرط الشيخين ، وأبو يعلى (491/10 ، رقم 6105) بسند صحيح.

وأخرجه الطبراني (288/10 ، رقم 10686) من طريق ابن عبّاس ، قال الهيثمي (20/9) : فيه بقية بن الوليد ، وهو مدلس . وأخرجه أيضًا : النسائي في الكبرى (171/4 ، رقم 6743) .

وأخرجه ابن سعد في الطبقات (381/1)، وأبو يعلى (318/8 ، رقم 4920) - تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث – دمشق ، ط1: 1404هـ - 1984م- من حديث عائشة ، قال الهيثمي (19/9) : إسناده حسن.

ذلك فهو من ملوك الدنيا وإنما سُميّ خليفة بالمجاز[١] .

فالملك ليس مذمومًا لذاته، وإنما يُذمّ إذا اقترن بالظلم والاستبداد بدل العدل والشورى[٢].

وينبغي أن نعلم أنّ التحوّل الذي حصل من الخلافة إلى الملك كان متدرّجًا، و لم يكن تحوّلًا تامًا[٣]، ولذا فإنّ الأسس العامة للشورى والعدل كانت متوافرةً في الملك الأمويّ وإنْ كانت طبائع الملك تدفع بها إلى التناقص بمرور الأيام.

مظاهر الملك عند الخلفاء الأمويّين:

لم يكن الملك يختلف عن الخلافة إلا بمظاهر الأبّهة ولذا فإنّ عمر بن الخطاب ﵁ كان إذا نظر إلى معاوية قال : هذا كسرى العرب [٤]. وما ذاك إلا أنّ معاوية كانت له عناية بلباسه وطيبه ومركبه. ولمعاوية في ذلك حجّة حيّرت عمر بن الخطاب نفسه، ففي السير للذهبيّ أنّه لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ، تَلَقَّاهُ مُعَاوِيَةُ فِي مَوْكِبٍ عَظِيْمٍ، وَهَيْئَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ: أَنْتَ صَاحِبُ المَوْكِبِ العَظِيْمِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: مَعَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ مِنْ طُوْلِ وُقُوْفِ ذَوِي الحَاجَاتِ بِبَابِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: وَلِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَحْنُ بِأَرْضٍ جَوَاسِيْسُ العَدُوِّ بِهَا كَثِيْرٌ، فَيَجِبُ أَنْ نُظْهِرَ مِنْ عِزِّ السُّلْطَانِ مَا يُرْهِبُهُم، فَإِنْ نَهَيْتَنِي، انْتَهَيْتُ. قَالَ: لاَ آمُرُكَ، وَلاَ أَنْهَاكَ [٥].

فإذا كان الأمر كذلك فلاشكّ أن خلفاء بني أميّة كان لهم من أبهة الملك ما لم يكن للخلفاء الراشدين، ولكن دون ما يتصوّره كثير من الناس.

وقد ذهب ابن خلدون إلى أنّ شأن الباب وستره وقضية الاحتجاب عن الناس كانت

---

(١)تاريخ ابن خلدون (2 /188).

(٢) يُنظر الخلافة والملك لابن تيمية ص27 وما بعدها.

(٣) يُنظر الدولة الأمويّة المفترى عليها ص275.

(٤) معجم الصحابة للبغوي (5 /370).

(٥) هذا الخبر أخرجه ابن أبي الدنيا فيما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (59 /112)، وابن كثير في البداية والنهاية (8 /133)، من طريق محمد بن قدامة الجوهري، عن عبد العزيز بن يحيى، عن شيخ له. وذكره الذهبي في السير (3 /133)بلا إسناد.

أوّل مظاهر الملك في دولة بني أميّة ، وقد أرجع ذلك إلى العامل الأمنيّ بعد حوادث الاغتيال التي وقعت من قبل الخوارج وغيرهم[١].

والعامل الأمنيّ هو الذي فرض مظاهر الحراسة، ولاسيما مع تراكم الانقسامات داخل الدولة الإسلاميّة، وإذا كان الخلفاء الراشدون قد رفضوا الحرس مطمئنين إلى عدلهم وحبّ الناس لهم، ومع ذلك اغتيل ثلاثة منهم، فما الظن ببني أميّة وقد ركبوا رقاب الناس بغير مشورة، وكانوا طرفًا في جميع الصراعات الداخلية، فأعداؤهم كثر، ومبغضوهم أكثر، ولذا احتاطوا لذلك غاية الحيطة، وكان لذلك دور في حمايتهم من الاغتيالات، فلا نعلم أنّ خليفةً من خلفائهم قُتل إلا ما كان من شأن الوليد بن يزيد حينما خُلع [٢]، وأمّا مروان بن محمّد فقتله العباسيّون[٣] .

وكان الخلفاء الراشدون يجالسون الناس على الأرض لا يترفّعون عليهم بهيئة شأن ملوك العجم في عروشهم وأسرّتهم.

وكذا كان الشأن في خلافة معاوية يجالس أصحابه على الأرض، حتى بدُن جسمه وثقُل عليه النهوض، فاستأذن الناس في اتخاذ كرسيّ له، فاتّبعه الملوك من بعده بغير حاجة، ثمّ أصبح من مظاهر الملك ومنازع الأبّهة[٤].

وكان معاوية يكره أن يتمثّل له الناس قيامًا، بل يروي عن رسول الله ﷺ حديثًا في هذا الشأن تعليمًا للناس والتزامًا بهديه ﷺ[٥].

ولقد كان عمرو بن العاص والي مصر يجلس في قصره على الأرض مع العرب، ويأتيه المقوقس إلى قصره، ومعه سرير من الذهب محمولًا على الأيدي لجلوسه شأن الملوك فيجلس عليه، وهو أمامه، ولا يغيّرون عليه وفاءً له بما اعتقد معهم من الذمة واطّراحًا لأبّهة الملك.[٦]

---

(١) يُنظر تاريخ ابن خلدون (1 /238).

(٢) تُنظر ترجمته سير أعلام النبلاء (5 /425).

(٣) تُنظر ترجمته سير أعلام النبلاء (6 /76).

(٤) يُنظر تاريخ ابن خلدون (1 /260).

(٥) وهو قوله ﷺ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ عِبَادُ اللهِ قِيَامًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » أخرجه أحمد (28 /40) رقم(16830)، و أبوداود (2 /779) في الأدب باب: في قيام الرجل رقم(5229)، والترمذيّ(5 /90) في الأدب باب: في كراهية قيام الرجل للرجل رقم (2755).وسنده صحيح ورجاله رجال الشيخين.

الملك.[١]

وقد كان معاوية وواليه على العراق زياد بن أبيه، وعمر بن عبد العزيز، ووالي العراقين عمر بن يزيد بن هبيرة[٢] يلبسون المرقّع تواضعًا [٣].

اسم الخلافة أحبّ إلى الأمويّين من ألقاب الملوك:

مع ما عاشه خلفاء بني أميّة من بعض مظاهر الملك إلا أنّهم كانوا يميلون إلى التشبّه بالخلفاء الراشدين، ويتمنون أن يسيروا سيرتهم في الرعيّة، فقد رُوي أنّ معاوية قال ليزيد: كيف تراك فاعلًا إن وليت ؟ قال: يُمتع الله بك يا أمير المؤمنين . قال: لتخبرني. قال: كنت والله يا أبة عاملًا فيهم عمل عمر بن الخطاب ، فقال معاوية : سبحان الله يا بني والله لقد جهدت على سيرة عثمان بن عفان فما أطقتها فكيف بك وسيرة عمر؟![٤]

وإن كانوا يقدّمون الأعذار بتغيّر الناس والزمان؛ كما يُروى عن عبد الملك بن مروان أنّه كان يقول: أنصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعية أبي بكر وعمر نسأل الله أن يعين كلًّا على كلٍّ[٥].

وقد كان لقب الخلافة أحبّ إلى الأمويّين من ألقاب الملوك وذلك أنّ أحدًا من خلفاء بني أميّة لم يسمّ نفسه ملكًا، وإنّما كان اللّقب الشائع في عصرهم الخليفة أو أمير المؤمنين، على ما كان الأمر عليه في عصر الخلافة الراشدة.

حتى إنّ عبد الملك بن مروان أنِفَ من عبد الله بن قيس الرّقيات [٦] أن يمدحه بما يمدح

---

(١) يُنظر تاريخ ابن خلدون (1 /260).

(٢)هو أَمِيْرُ العِرَاقَيْنِ، أَبُو خَالِدٍ يَزِيْدُ بنُ عُمَرَ بنِ هُبَيْرَةَ الفَزَارِيُّ.نَائِبُ مَرْوَانَ الحِمَارِ.كَانَ بَطَلًا، شُجَاعًا، سَائِسًا، جَوَادًا، فَصِيْحًا، خَطِيْبًا، وقد قُتِلَ يَزِيْدُ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَةٍ. يُنظر سير أعلام النبلاء (6 /207- 208).

(٣) يُنظر تاريخ دمشق (59 /171) في ترجمة معاوية، البداية والنهاية (8 /143)، تاريخ دمشق (45 /207)في ترجمة عمر بن عبد العزيز، تاريخ دمشق (65 /330) في ترجمة يزيد بن عمر بن هبيرة، ويُنظر تاريخ الطبري (3 /239) في سبب مهلك زياد بن سمية .

(٤)البداية والنهاية (8 /251).

(٥)ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (ص 85)تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – القاهرة، ط1، 1965م.

(٦)عبيد الله بن قيس القرشيّ العامري الشاعر المعروف بابن قيس الرقيات (الوفاة: 91 - 100 هـ) من أهل الحجاز

به ملوك العجم، حينما أنشده: (من المنسرح)

خليفة الله في رعيته ... جفّت بذاك الأقلام والكتب

يعتدلُ التاج فوق مفرقه ... على جبينٍ كأنّه الذهب[١]

فقال له عبد الملك: يا ابن قيس، تمدحني بالتاج، كأني من العجم، وتقول في مصعب ابن الزبير: (من الخفيف)

إنّما مصعبٌ شهابٌ من الـلـــــه تجلّت عن وجهه الظلماء

ملكـــه ملك رحمةٍ ليس فيه ... جبروتٌ ولا به كبريـاء[٢]

وكقول لبطة بن الفرزدق[٣] من قصيدة له في مدح هشام:(من الطويل)

فغيِّر – أمير المؤمنين – فإنّها ... يمانيّةٌ حَمْقاءُ؛ أنت هشامُها [٤]

وقال جرير[٥] في عبد الملك: (من الكامل)

اللهُ طوقكَ الخلافةَ والهدى... والله لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْديلُ[٦]

فهذا يدلّ على أنّ حكّام بني أميّة كانوا يرغبون في وصف الخلافة أو إمارة المؤمنين، ويحبون أن يمدحوا بها، دون غيرها من نعوت الملوك.

مدح مصعب بن الزبير فطلبه عبد الملك بن مروان فاستخفى منه ثم قدم دمشق فعفا عنه. يُنظر تاريخ دمشق (38 /85)، وله ترجمة في تاريخ الإسلام للذهبيّ (2 /1125) .

(١) الديوان ص5.

(٢)الأغاني (5 /87)،خزانة الأدب (267/7). والبيتان من قصيدة طويلة وهما في الديوان (ص91).

(٣) لَبَطَةُ بْنُ الْفَرَزْدَقِ(الوفاة: 141 - 150 هـ)، وَاسْمُ الْفَرَزْدَقِ هَمَّامُ بْنُ غَالِبٍ الْبَصْرِيّ، أَبُو غَالِبٍ. خَرَجَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ، فَقُتِلَ مَعَهُ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ. يُنظر تاريخ الإسلام (3 /955).

(٤)الأغاني (21 /337)، طبقات فحول الشعراء (2/348-349)،لمحمد بن سلام الجمحي، دار المدني – جدة، تحقيق: محمود محمد شاكر.

(٥) هو شَاعِرُ زَمَانِهِ، أَبُو حَزْرَةَ جَرِيْرُ بنُ عَطِيَّةَ بنِ الخَطَفَى التَّمِيْمِيُّ، البَصْرِيُّ (ت: 101 أو 110 هـ) مَدَحَ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الأُمَوِيِّينَ، وَإِلَيْهِ الْمُنْتَهَى وَإِلَى الْفَرَزْدَقِ فِي حُسْنِ النَّظْمِ . تاريخ الإسلام (3 /21)، وسير أعلام النبلاء (4 /590).

(٦)ديوان جرير (ص474)، بشرح محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مكتبة الحياة- بيروت.

حكم معاوية بين الخلافة والملك:

يرى ابن خلدون أنّ المؤرّخين إنّما صنّفوا معاوية مع خلفاء بني أميّة دون إلحاقه بالخلفاء الراشدين لأمرين:

الأوّل: لأنّه نال الخلافة بالمغالبة والعصبيّة، و لم تكن بالاختيار والإجماع كما كان زمن الراشدين

الثاني: أنّ الخلفاء الراشدين الأربعة كانوا من قبائل شتى، في حين كان خلفاء بني أميّة أهل نسب واحد وعظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه(١) .

وعليه فالحكم الأمويّ يبدأ حقيقةً بعد نهاية حكم معاوية أي سنة ستين للهجرة، وإنّما أدرج المؤرِّخون معاوية مع الأمويّين لهذه الاعتبارات.

والذي أميل إليه أنّ المدّة التي قضاها معاوية بين الصلح سنة 41ه وتاريخ عقد البيعة لولده يزيد في حياته سنة 56 ه(٢)، هي مدّة تحسب على الخلافة الراشدة، وأنّ نقطة التحوّل المفصليّة التي حوّلت خلافة معاوية إلى خلافةٍ يشوبها ملك هي عهده لولده يزيد من بعده.

إذ إنّ انتقال السلطة إليه كان بتنازل الحسن بن علي وفق عقد الصلح الذي تمّ بينهما في عام الجماعة سنة 41ه، وهذا يعني أنّ انتقال الحكم إليه كان وليد اتفاق رضيت به الأمّة فهو انتقال شرعيّ حظي بموافقة غالب المسلمين يومئذٍ.

ولكن بعد موت الحسن بدأت هواجس مصير الخلافة من بعده تراوده، وقد استشار فكان أن أُشير عليه بما يوافق هواه فأرسل إلى الأمصار لأخذ البيعة ليزيد.

وهكذا بدأت أولى ملامح التحوّل في نظام الحكم من خلافة النبوّة إلى الخلافة ذات السمات الملكيّة، وهذا ما أشار إليه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (٣) في ردّه على مروان

---

(١) تاريخ ابن خلدون (2/ 188).

(٢) تاريخ الطبري (3/ 247).

(٣) من سادات قريش وأشدهم وأسدّهم رميًا ، أسلم قبل الفتح، لم يُحفظ عليه كذبة منذ أسلم، وأبلى يومَ اليمامة

ابن الحكم والي معاوية على المدينة حينما دعا الناس إلى بيعة يزيد فقال له: ((جئتم بها هرقليّة وفوقيّة ! تبايعون لأبنائكم؟))[١].

ورُوي أنّه قال:((يا مروان إنّما هي هرقليّة كلّما مات هرقل كان هرقل مكانه ما لأبي بكر لم يستخلفني، وما لعمر لم يستخلف عبد الله))[٢].

ورُوي أنّه لما بايع معاوية لابنه يزيد، قال مروان: سنّة أبي بكر وعمر، فقال: عبد الرحمن بن أبي بكر: سنّة هرقل وقيصر[٣].

وجميع هذه الروايات من طريق محمّد بن زياد .قال الذهبي: محمد بن زياد لم يدرك عائشة، فهو منقطع[٤] .

ولكن الحديث أصله في صحيح البخاري عن يوسف بن ماهك قال : كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايَع له بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئًا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة..الحديث[٥].

وكذلك رواه البزار مختصرًا بإسنادٍ حسن عن عبد الله البهيّ مولى الزبير[٦].

وكان اعتراض عبد الرحمن بن أبي بكر على شكل انتقال السلطة الذي لا يستند إلى سنّة الراشدين، ولكن إلى سنن الملوك السابقين من الفرس والروم.

وعليه فيمكن أن تعدّ مدّة معاوية إلى قراره بعقد ولاية العهد لولده يزيد من الخلافة

بلاءً حسنًا، وكان فيه مع دينه وصلابته دعابة حسنة،وكانت وفاته سنة أربع، أو خمس أو ست وخمسين، ودفن بمكة. يُنظر "سير أعلام النبلاء" (471/2).

(١) معجم الصحابة للبغوي (4 /416)، تحقيق : محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت، ط:1 ، 1421 هـ - 2000 م.

(٢) تاريخ دمشق (35 /35).

(٣)سنن النسائي الكبرى (6 /458) رقم (11491)، المستدرك على الصحيحين (528/4)رقم (8483).

(٤)إتحاف المهرة لابن حجر (17 /522). تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د. زهير بن ناصر الناصر، طباعة:مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) - ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، ط:1، 1415 هـ - 1994 م.

(٥)صحيح البخاري (4 /1827)في التفسير؛ باب: سورة حم الدخان رقم (4550).

(٦)مسند البزار (6 /286) رقم (2009) تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله ، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، سنة النشر 1409هـ، و يُنظر مجمع الزوائد (5 /435).

الراشدة، ولكن بقراره هذا انعطفت نحو طبائع الملك في التوريث للأبناء.

وفي هذا المنعطف المهمّ في تاريخ الإسلام بدأت في نظري الدولة الأمويّة أي التي يصحّ أن تنسب إلى العائلة الأمويّة لأنّها بهذا التوقيت خرجت الخلافة عن إطار الشورى، إذ حدث انزياح في مفهوم الشورى بحيث أصبحت شورى عائليّة، الخيارات المتاحة لانتقاء الخليفة لا تخرج عن الأسرة الأمويّة، وحدث انزياح آخر في صلاحيات السلطان من موقع الخليفة بسماته الإسلاميّة البسيطة في عصر الراشدين إلى الخلافة المشوبة بالملك في سماتها ومظاهرها.

وتأسيسًا على ما سبق بيانه فإنّ قرار معاوية بأخذ البيعة لولده يزيد سنة 56هـ يمكن أن يُعدّ بداية مرحلة الملك في تاريخ الإسلام السياسيّ، وهذا تحوّل خطير في تاريخ الأمّة سوف يكون له آثار سلبيّة قريبة وبعيدة.

ونحن هنا لا نقيم محاكمات تاريخيّة لكي نتمحّل الأعذار لمعاوية في استخلاف يزيد وإنّما حصر الخلافة في أسرة وتناقلها عن طريق التوريث سوف يكون له نتائج كارثيّة كما حصل لكل من الدولتين الأمويّة والعباسيّة نتيجة وصول خلفاء ضعاف إلى الحكم ونتيجة الخلافات الداخلية في هذه الأسر والتي تقود إلى صراعات تمزّق الدولة وتستنزف مقدراتها.

لقد كان استخلاف يزيد قرارًا خطأً، ولكنّ معاوية لا يتحمّل وزر تحوّل الخلافة إلى مُلك لأنّ معاوية لم يأمر يزيد بأن يستخلف ولده معاوية، و لم يجعل ذلك عقدًا لازمًا للناس بأن لا يبايعوا إلا واحدًا من ولده وولد ولده، كما كان الشأن عند القياصرة والأكاسرة، وكما هو اليوم في بعض الدساتير الملكية.

فإذا كان معاوية بن أبي سفيان – أوّل الخلفاء الأمويّين – قد حوّل الخلافة من الشورى إلى الملك، فإنّ حفيده معاوية الثاني، ثالث خلفاء الأمويّين أيضًا، قد أعاد الخلافة من الملك العضوض إلى الشورى الكاملة، وإنّه لممّا يستوجب الإنصاف أن تصاغ القضية على هذا النحو بدلًا من التركيز على الشقّ الأوّل الخاص بتوريث الخلافة فقط[1].

ولما آلت إلى مروان بن الحكم استخلف لولديه عبد الملك وعبد العزيز، وهكذا بدا أنّ تحوّلًا ظهر في طبيعة الناس بعد انقضاء العصر الراشدي، ووفاة العشرة المبشرين بالجنة الذين

---

(١) يُنظر الدولة الأموية المفترى عليها(ص293).

كانوا رجال الشورى وأهل الحلّ والعقد طيلة العهد الراشديّ.

فكان لابدّ من وجود مرجعيّة تنظر في شأن الخلافة ويستشيرها الخليفة، فكان الخيار الأمويّ هو أن يكون كبار رجالات الأمويّين هم أهل الحلّ والعقد، مع حلفائهم من كبار رجالات القبائل التي تساندهم مثل قبيلة كلب اليمانيّة.

وهذا ما عزاه ابن خلدون إلى مقتضيات فرضتها العصبيّة، والحرص على وحدة الأمّة، ولكن لم يهمل أثره السلبيّ على الدولة لاحقًا. وكلامه نفيس لا يحتمل الاجتزاء والاختصار ولذا أوردته كاملًا: ((وكذلك عهد معاوية إلى يزيد خوفًا من افتراق الكلمة لمّا كانت بنو أميّة لم يرضوا تسليم الأمر إلى من سواهم، فلو قد عهد إلى غيره اختلفوا عليه مع أن ظنّهم كان به صالحًا ولا يرتاب أحد في ذلك، ولا يُظن بمعاوية غيرَه، فلم يكن ليعهد إليه، وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق -حاشا الله- لمعاوية من ذلك، وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وإن كانوا ملوكًا لم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغي إنّما كانوا متحرّين لمقاصد الحق جهدهم إلا في ضرورة تحمّلهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو أهمّ لديهم من كلّ مقصد. يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء وما علم السلف من أحوالهم ومقاصدهم، فقد احتج مالك في الموطّأ بعمل عبد الملك وأقضيته[١]، وأمّا مروان فكان من الطبقة الأولى من التابعين[٢] وعدالتهم معروفة، ثم تدرّج الأمر في ولد عبد الملك، وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه، وتوسّطهم عمر بن عبد العزيز فنَـزع إلى طريقة الخلفاء الأربعة والصحابة جهده، ولم يُهمل، ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم، ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحرّي القصد فيها واعتماد الحقّ في مذاهبها، فكان ذلك مما دعا الناس إلى أن نعوا عليهم أفعالهم))[٣]

والخلاصة في المسألة: أنّ التحوّل الذي طرأ على الخلافة في عصر بني أميّة هو في آلية

---

(١) يُنظر مثلًا الموطأ - رواية يحيى الليثي (1 /333)، (2 /540)، (2 /734)، (2 /788) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – مصر.

(٢) وهو مختلف في صحبته. يُنظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة (6 /257).

(٣)تاريخ ابن خلدون (1/ 206).

انتقال الحكم من الشورى بين خيار الأمّة، إلى شورى العائلة أو ولاية العهد للأبناء وهي الأشيع والأغلب.

وهذا التحوّل في شكل انتقال الحكم كان له تأثيرات في المضمون، ولاسيما في تعزيز استبداد الحاكم وتعاظم نفوذ أسرته، وهو من آثار الملك.

ولكن الجوهر العام للحكم الأمويّ كان خلافةً تنضبط عمومًا بمبادئ الدين الإسلاميّ ، وترعى شعائره وتسهم في نشره، فالتحوّل كان في الشكل لا في الجوهر مع آثارٍ سلبيّة لا تُنكر ظهرت تباعًا .

دلائل إسلاميّة دولة بني أميّة:

ومما يؤكّد إسلاميّة دولتهم ويردّ التهم والطعون الموجّهة إلى إسلام الأمويّين أو إسلاميّة دولتهم قيامهم بواجبات الخلافة في شؤون الدين والدنيا ومنها ما يلي:

١. قيام خلفاء بني أميّة وولاتهم في الأمصار بأمر الجمعة وصلاة الجماعة حيث كانوا يباشرون ذلك بأنفسهم. وكان لهم حرص على الصلاة فقد رُؤي الحَجّاج وهو يأتي الجمعة وقد كاد يهلك من العِلّة[١].

٢. جمع الزكاة من المسلمين وتوزيعها على مستحقّيها: وبصفة عامة يمكن القول إن نظام الزكاة كان مطبّقًا في العهد الأمويّ وفقًا للأسس الشرعيّة الخاصة به[٢].

٣. إمارة الناس بالحج:فقد تابع الأمويون سنّة النبيّ ﷺ والخلفاء الراشدين بإمارة الحجّ بالناس فكانت إمارة الحج تتردّد بين الخلفاء الأمويّين وأبنائهم وولاتهم على الحجاز[٣].

٤. قيامهم على حدود الله، وضربهم بيد من حديد على المنكرات [٤]، وتعيين القضاة والحكم بالشريعة الإسلامية وإقامة الحدود، فقد عهد الخلفاء الأمويون بالقضاء إلى رجال

---

(١)البداية والنهاية (9/ 157).

(٢)معاوية بن أبي سفيان للصلابي(ص: 284)دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ط1 ، 1429هـ/ 2008م.

(٣) يُنظر دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويّين (ص200).

(٤) وحسبك بخطبة زياد بن أبيه في البصرة والتي أنكر فيها عليهم كثرة الفساد، ووجود المواخير، فقال فيها: «حرم عليّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدمًا وإحراقًا ، إنّي رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوّله لين في غير ضعف، وشدة في غير جبرية وعنف». يُنظر تاريخ الطبري (3/ 197).

عرفوا في الأعمّ الأغلب بخصال الورع والعدالة والنزاهة والفهم والجرأة في قول الحقّ، حتى إنّهم كانوا ينفذون القضاء على الخلفاء وحاشيتهم وولاتهم فقد قضى نوفل بن مساحق قاضي المدينة على مروان بن الحكم —وهو والي المدينة يومها– في حصّة بدار في السوق[١]، وأنفذ عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب على عبد الله بن حنطب زوج فاطمة بنت الحكم أختِ الخليفة مروان، فأرسل إليه مروان: عجلت عليه في القضاء؛ قال: فأرسل إليه عَبْد اللهِ بن نوفل: أمضى الله عليه قضاءه قبل قضائي عليه؛ فأعجب ذلك مروان من قوله وفعله.[٢]...

٥. ويُسجّل للأمويّين رعايتهم لكتاب الله تعالى وخدمته حيث نقطوه وضبطوه بالشّكل[٣].

٦. روايتهم لأحاديث النبيّ ﷺ واشتهر منهم معاوية ومروان وعبد العزيز بن مروان، وعمر بن عبد العزيز، ومن ولاتهم: أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ سَمُرَةَ بنِ حَبِيْبٍ العَبْشَمِيُّ وغيرهم...

٧. قيامهم بأوّل مشروع تدوين رسميّ للحديث النبويّ في خلافة عمر بن عبد العزيز[٤].

٨. قسم الفيء والغنائم بين أهلها، فقد سار الأمويّون في قسمة الغنائم سيرة النبيّ ﷺ و الخلفاء الراشدين[٥].

٩. ومنها نقوش أختامهم التي كانت تحمل كلمات فيها معاني إسلاميّة عظيمة، فمثلًا كان نقش خاتم معاوية:(لكل عمل ثواب)، وقيل: (لا قوة إلا بالله)[٦].وكان نقش خاتم

---

(١)أخبار القضاة (1 /127) لوكيع، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى، بمصر لصاحبها: مصطفى محمد، ط1، 1366هـ/1947م.

(٢)أخبار القضاة (1 /114).

(٣) يُنظر التسهيل لعلوم التنزيل (4/1) تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي – لبنان ، ط 1403هـ- 1983م، البرهان في علوم القرآن ج1/ص250 للزركشي أبو عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت – 1391هـ.

(٤) يُنظر تفاصيل هذا المشروع في الباب الثاني.

(٥)السياسة الشرعية (ص: 29) لابن تيمية، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1،1418هـ.

(٦)تاريخ دمشق (59 /147).

عبد الملك بن مروان وكذلك ولده الوليد بن عبد الملك (أؤمن بالله مخلصًا)[١]، وأمّا مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أميّة فقد كان نقش خاتمه (رضيت بالله العظيم)[٢].

١٠. بناء المساجد والعناية بها: فقد اهتمّ معاوية بالمسجد الحرام، وأمر بتوسعته، وأجرى له القناديل والزيت وأضاء المصابيح فيه لأهل الطواف [٣]، وقام عامله على مصر مسلمة بن مخلد بالزيادة في المسجد الجامع بالفسطاط [٤]، ووسع المغيرة بن شعبة المسجد الجامع بالكوفة، وكذلك فعل زياد بن أبيه من بعده [٥]، وأضاف توسعةً كبيرة في المسجد الجامع الجامع بالبصرة[٦]، ثمّ زاد عبيد الله بن زياد في مسجدي الكوفة والبصرة زمن يزيد [٧]، وبنى عبد الملك مسجد قبّة الصخرة في القدس [٨]، وأمّا الوليد فوجّه عمّاله إلى بناء المساجد[٩] وأمر بتوسيع المسجد الحرام، وأدخل فيه الرخام والتزيين بالصفائح المذهبة والزخرفة[١٠]، وأمر عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز بإعادة بناء المسجد النبويّ [١١]، وبنى في دمشق المسجد الجامع الذي يُعرف اليوم بالجامع الأمويّ، وأمر عامله على مصر بتجديد بناء المسجد الجامع[١٢] ..

١١. ومنها سكّ العملة وتعريب النقد، حيث ضربوا على الدنانير والدراهم كلمات

---

(١)تاريخ دمشق (37 /130)، تاريخ دمشق (63 /175).

(٢)تاريخ دمشق (57 /339).

(٣) يُنظر تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف(ص 120)لأبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء المكي، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1424 ه/ 2004 م

(٤) يُنظر فتوح مصر وأخبارها (ص 147) لابن عبد الحكم بن أعين القرشي ، تحقيق : محمد الحجيري ، دار الفكر – بيروت، ط1، 1416ه/ 1996م.

(٥) يُنظر فتوح البلدان للبلاذريّ (2 /339،426،340-427) مطبعة لجنة البيان العربي– القاهرة.

(٦) المصدر نفسه (2 /340).

(٧) يُنظر المصدر نفسه (2 /427).

(٨) يُنظر البداية والنهاية (8 /308)، الأنس الجليل (275/1).

(٩)فتوح مصر وأخبارها (ص 148).

(١٠)أخبار مكّة للأزرقي (71/2) لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس للنشر – بيروت – 1996م– 1416ه .

(١١) تاريخ الطبري (3 /677).

(١٢) يُنظر فتوح مصر وأخبارها (ص 148).

التوحيد، ويروى أنّ عبد الملك هو أوّل من ضرب الدراهم، فضرب على أحد وجهيه (**الله أحد**)، وعلى الآخر (**الله الصمد**)[١].

١٢. استفتاء خلفاءِ بني أميّة وولاتِهم علماءَ الصحابة [٢] ﷺ وعلماءَ التابعين مثل طاوس والحسن البصري وأبي حازم سلمة بن دينار والأوزاعيّ وغيرهم...

وهذا لا يعني أنّه لم يُسجّل على الأمويين أخطاء أو مظالم، أو ذنوب ارتكبوها، فإنّ الإسلام لا يعني العصمة من الذنب، وإسلاميّة الدولة لا تعني براءة حكّامها من الظلم، بل العبرة بالغالب الأعمّ، وبالمنهج العام الذي ينتهجه الحكّام في رعاية شؤون العباد والبلاد.

وأختم بمشهد يكثّف هذه المعاني في حوارٍ صريح جمع المِسْوَرَ بن مخرمة وهو من صغار الصحابة كانت له انتقادات على عمّال معاوية، ثمّ سخط ولاية يزيد بن معاوية ولحق بعبد الله ابن الزبير في مكّة.

فعَنِ الزهريّ عَنْ عُرْوَةَ:أَنَّ المِسْوَرَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: يَا مِسْوَرُ! مَا فَعَلَ طَعْنُكَ عَلَى الأَئِمَّةِ؟ قَالَ: دَعْنَا مِنْ هَذَا، وَأَحْسِنْ فِيمَا جِئْنَا لَهُ.

قَالَ: لَتُكَلِّمَنِّي بِذَاتِ نَفْسكَ بِمَا تَعِيبُ عَلَيَّ؟ قَالَ: فَلَمْ أَتْرُكْ شَيْئاً إِلاَّ بَيَّنْتُهُ.

فَقَالَ: لاَ أَبْرَأُ مِنَ الذَّنْبِ، فَهَلْ تَعُدُّ لَنَا مِمَّا نَلِي مِنَ الإِصْلاَحِ فِي أَمْرِ العَامَّةِ، أَمْ تَعُدُّ الذُّنُوبَ، وَتَتْرُكُ الإِحْسَانَ؟

قُلْتُ: نَعم.

قَالَ: فَإِنَّا نَعترِفُ للهِ بِكُلِّ ذَنْبٍ، فَهَلْ لَكَ ذُنُوبٌ فِي خَاصَّتِكَ تَخْشَاهَا؟

---

(١) يُنظر البداية والنهاية (9 /20).

(٢) كسؤال معاوية لعليّ ﷺ عن طريق أبي موسى الأشعريّ زمن الفتنة، في رجل وجد مع امرأته رجلًا فقتله، ذكره مالك في الموطأ – رواية يحيى الليثي (2 /737) ، والبيهقي في السنن الكبرى (8 /337). وكسؤال معاويةَ ابنَ عبّاس في أسئلة وجهها له هرقل. يُنظر مصنف عبد الرزاق (5 /86)، واستفتاء زياد بن أبيه عائشةَ عن حكم من أهدى هديًا. يُنظر الموطأ – رواية يحيى الليثي (1 /340).

قَالَتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَمَا يَجعلُكَ بِرَجَاءِ المَغْفِرَةِ أَحَقَّ مِنِّي، فَوَاللهِ مَا أَلِي مِنَ الإِصْلَاحِ أَكْثَرَ مِمَّا تَلِي، وَلاَ أُخَيَّرُ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، إِلاَّ اخْتَرْتُ اللهَ عَلَى سِوَاهُ، وَإِنِّي لَعَلَى دِيْنٍ يُقْبَلُ فِيْهِ العَمَلُ، وَيُجْزَى فِيْهِ بِالحَسَنَاتِ،وَيُجْزَى فِيْهِ بالذنوب إلا أن يعفوَ عَمن يشاء، فأنا احتسبُ كلّ حسنةٍ عملتُها بأضعافها، وأَلِي أمورًا عظامًا لا أحصيها ولا تُحصيها مِن عملٍ لله في إقامة صلواتِ المسلمين، والجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ، والحكمِ بما أنزل الله تعالى، والأمور التي ليست تحصيها وإن عدّدتها لك. قَالَ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ خَصَمَنِي. قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمْ أَسْمَعِ المِسْوَرَ ذَكَرَ مُعَاوِيَةَ إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ(١).

والنتيجة أنّ خلافة بني أميّة لم تكن خلافة نبوّة كالتي قام بها الراشدون، بل كانت خلافةً مشوبةً بالملك، وليس هذا مما يقدح فيها ما دامت تقوم على العدل وتحفظ الشريعة(٢).

---

(١)صَلَّى عَلَيْهِ: أي استغفر له وترّحم عليه، والخبر أخرجه عبد الرّزاق في المصنف (11 /344) بسند رجاله ثقات، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (1 /208-209)من طريق آخر عن الزهريّ به، وسنده حسن لمكان محمد ابن خالد بن خَلِي الكلاعي الحمصيّ فإنّه صدوق. تقريب التهذيب (ص 476)، وأخرجه ابن عساكر تاريخ دمشق (59 /161) من طريق عبد الرزاق بسنده ، وأخرجه كذلك في تاريخ دمشق (59 /161) من طريق الخطيب البغدادي بسنده، وأخرجه من طريق ثالث عن الزهريّ بسند حسن تاريخ دمشق (58 /167)، وذكره الذهبيّ في سير أعلام النبلاء (3 /391-392).

(٢) يُنظر الخلافة والملك لابن تيمية ص31، تحقيق: حمادة سلامة، مكتبة المنار- الأردن، ط2، 1414هـ/1994م.

المطلب الثاني: العصبيّة للعرب ضد الموالي:

يفتخر كثير من القوميّين العرب بالدولة الأمويّة على اعتبارها اتسمت بسيادة العرب في حكمها وشؤونها الداخلية، وضعف دور الشعوبيّة فيها على خلاف الدولة العباسيّة التي سادت في معظم مراحلها قوميّات أخرى كالفرس والترك .

ولهم أن يستدلوا لذلك بقول الجاحظ –عدوّ الشعوبيّة الأشهر–: « دولة ولد العباس أعجميّة خراسانيّة، ودولة بني مروان عربيّة أعرابيّة في أجنادٍ شاميّة»(١).

ويعدّون تعريب الدواوين بأمر من عبد الملك بن مروان مفصلًا مهمًا في تاريخ الحضارة العربيّة، ويقدّرون خدمة الأمويّين الجليلة للعربيّة بعنايتهم بالقرآن الكريم حيث نقطوه وضبطوه بالشّكل (٢).

ولكننا نجد على الضفّة الأخرى عددًا من الباحثين الذين نزعوا إلى تهمة الأمويّين بالتعصّب ضد الموالي والشعوب غير العربيّة، مخالفين بذلك تعاليم الإسلام السمحة، وغالب هؤلاء يصدرون عن دوائر الفكر الاستشراقيّ، ويردّدون تهمها الشنيعة ضد الأمويّين.

والحقّ أنّ ما كتبه المستشرقون عن التاريخ الأمويّ كثير ومبالغاتهم أو تحريفات فئة منهم كثيرة أيضًا(٣)، ولعلّ التجربة الغربيّة في التعامل اللاإنسانيّ مع الرقيق، أوحت لكثيرٍ منهم – إذا أحسنّا الظنّ بالنوايا– أوحت لهم بقراءة سوداء لواقع الموالي في العصر الأمويّ.

ويرى الدكتور عبد العزيز الدوريّ أنّ مظلوميّة الموالي واضطهادهم فرضيّةٌ بادر بعض المستشرقين بنشرها، ثم ردّدها بعض المؤرِّخين المسلمين في أواخر القرن الماضي والقرن الحالي حتى شاعت في العديد من الكتابات التاريخيّة ، وهي تقوم على فكرة أنّ الدولة الأمويّة تبنّت سياسة التمييز الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ تجاه الموالي بحيث اضطهدتهم واستغلتهم،

---

(١)البيان والتبين للجاحظ (ص: 553) تحقيق : المحامي فوزي عطوي، دار صعب – بيروت،ط1، 1968م.

(٢) يُنظر التسهيل لعلوم التنزيل(4/1)،البرهان في علوم القرآن (250/1) .

(٣)الاستشراق والتاريخ الإسلامي(القرون الإسلامية الأولى) ص95- لفاروق عمر فوزي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، 1998م.

وأسهمت في دفع المجتمع إلى ازدراء الموالي واحتقارهم(١).

و لم يجد العقلاء صعوبةً في نقد هذه الطروحات، وفي تعليلها تعليلًا دقيقًا كما فعل **د. إبراهيم بيضون** حيث أكّد أنّ المستشرق **فان فلوتن** -على سبيل المثال- كان متطرّفًا وليس مبالغًا فقط في تصوير حالة الموالي المأساويّة؛ التي انحطّت حسب قوله إلى مستوى الرِّق. وهو تصوّر في غير محلّه، لأنّ الرقيق بأشكاله الأوربيّة التي قصدها (فلوتن) لم تعرفه المجتمعات الشرقيّة خاصة في العصر الإسلاميّ، حيث تحجّمت أشكال الاسترقاق إن لم نقل حوربت بصورة مبدئية، ومن ناحية أخرى يرى بيضون أنّ الموالي- والمقصود هنا العمال والفلاحين الفرس- كطبقة اجتماعيّة لم تكن أحسن حظًّا في العصر الكسرويّ الساسانيّ فقد استغلهم الدهاقين أسوء استغلال تحت مظلة نظام استبداديّ، تسيطر عليه الارستقراطيّة الدينيّة والسياسيّة. ولاشكّ أن هذه الفئات المسحوقة ، حقّقت الحدّ الأدنى من الحريّة الشخصيّة والدينيّة في المجتمع الإسلاميّ الجديد ومارستها عبر أشكال مختلفة(٢).

والظاهر أنّ هناك ارتباكًا ذهنيًّا في فهم مصطلح الموالي لدى المستشرقين (٣)، ومَن نسج على منوالهم من أبناء جلدتنا، ولذا وجب بيان هذا المصطلح.

مصطلح "الموالي":

الموالي جمع مولى وهو يطلق في اللّغة (٤) على: الربّ، والمالك، **وابن العم والعصبة كلها** وهم عشيرة الرجل، **والناصر، والحليف** وهو الذي يُقال له مولى الموالاة ، **والمُعتَق** ويُسمى

---

(١) مقدّمة في التاريخ الاقتصادي العربي، عبد العزيز الدوري، (دون بيانات) ، ص 42.

(٢)الدولة الأموية والمعارضة – مدخل إلى كتاب السيطرة العربية للمستشرق الهولندي فان فولتن د. إبراهيم بيضون – دار الحداثة – بيروت ، ط1 – 1980م.

(٣)يُنظر السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهديّة في ظل خلافة بني أميّة للمستشرق فان فولتن. ترجمة د. إبراهيم بيضون – دار النهضة العربية – بيروت – طبعة سنة 1996م. (ص39).

(٤) يُنظر لسان العرب (15/ 405)، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء (ص: 262). لقاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء – جدة، ط1، 1406هـ.

مولى النعمة، **والمحبّ، والجار، والصهر** وغيرها..

وقد تكرر ذكر [المَوْلَى] في الحديث وهو اسْمٌ يقَع على جَماعةٍ كَثيرَة فهو الرَّبُّ والمَالكُ والسَّيِّد والمُنْعِم والمُعْتِقُ والنَّاصر والمُحِبّ والتَّابِع والجارُ وابنُ العَمّ والحَلِيفُ والعَقيد والصِّهْر والعبْد والمُعْتَقُ والمُنْعَم عَلَيه وأكْثرها قد جاءت في الحديث فَيُضاف كُلّ واحِدٍ إلى ما يَقْتَضيه الحديثُ الوَارِدُ فيه[١] .

والمَوْلَى من ألفاظ الأضداد فيأتي بمعنى العبد والسيد أو المالك والمملوك [٢]، فهذه فائدة لغويّة تدفع أن يكون اللّفظ ذا دلالة طبقيّة أو عنصريّة؛ إذ السيّد يقول لعبده هذا مولاي، والعبد يقول لسيّده هذا مولاي.

وهكذا فالموالي ليسوا شريحة اجتماعيّة متمايزة، بل المولى قد يطلق على العربيّ والعجميّ فمن العرب موالٍ وأشرفهم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ولكن لما انتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها أصبح أكثر الموالي من العجم، سواء موالي العتاقة أم موالي الولاء وهو ضرب من التحالف.

ولذلك تطوّرت دلالة اللّفظ من التعميم إلى التخصيص حتى نشأ الاستعمال الشائع في إطلاق لفظ الموالي على عموم العجم في مقابل العرب حتى يُقال: أَمَوْلًى هُوَ أَمْ عَرَبِيٌّ ؟ فَاسْتَعْمَلُوهَا اسْتِعْمَالَ الِاسْمَيْنِ الْمُتَقَابِلَيْنِ[٣] .

ويمكن تلخيص عموم المطاعن التي وجّهت للحكم الأمويّ في نظرته للموالي أو تعامله معهم بالأمور التالية وهي:

١ - الاستهانة بحرمة أرواحهم أو استباحة قتلهم.

٢ - اضطهادهم اجتماعيًّا وسياسيًّا.

٣ - عدم رفع الجزية على من أسلم منهم.

٤ - عزلهم في مساجد خاصة بهم.

وسوف أناقش هذه الأمور بالتفصيل لأهميّتها:

---

(١)النهاية في غريب الأثر (5/ 510).

(٢) المرجع السابق.

(٣)المغرب في ترتيب المعرب (2/ 340)- لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، تحقيق : محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد – حلب، ط1، 1979م.

أولاً: الاستهانة بحرمة أرواحهم أو استباحة قتلهم:

جاء في بعض كتب الأدب أنّ مُعاوِية دعا الأحْنف بن قَيْس وسَمُرة بن جُنْدب فقال: إنّي رأيتُ هذه الحَمْراء[١] قد كَثُرت، وأَراها قد طعنت على السَّلف، وكأنّي أنظر إلى وَثْبة منهم على العَرب والسُّلطان، فقد رأيتُ أن أقتل شَطْرًا وأدع شَطْرًا لإقامة السُّوق وعِمَارة الطريق، فما تَرَوْن؟ فقال الأحنف: أَرى أنَّ نَفْسي لا تَطِيب، يُقْتل أخِي لأمي وخالي ومَوْلاي! وقد شارَكْناهم وشاركونا في النّسب، فظننتُ أنّي قد قُتلتُ عنهم، وأطرقَ.

فقال سَمُرة بن جُنْدب: اجعلها إلي أيّها الأمير، فأنا أتولّى ذلك منهم، وأبْلُغ إلى ما تريد منه. فقال: قوموا حتى أنْظر في هذا الأمر. قال الأحْنف: فَقُمْنا عنه وأنا خائفٌ، وأتيت أهْلي حَزِينًا. فلما كان بالغَداة أرسل إليَّ، فعلمتُ أنّه أخذ برَأيي وتَركَ رَأي سَمُرة[٢].

قلتُ: ورواية بعضهم [٣] هذا الخبر وكأنّه حقيقة تاريخيّة والاستناد إليه لبيان مدى الاستهانة بحرمة دماء الموالي في العصر الأمويّ، يشفّ عن جهل مُطبق بقواعد نقد الأخبار، أو عن هوىً متّبع[٤].

لأنّ العقد الفريد كتاب أدب وقد سبق الإشارة إلى أنّه يحوي الكثير من الأخبار التي لا مكان لها إلا في جلسات السمر والتندّر والفكاهة.

وحسبك أنّه جاء بالخبر بلا سند، وعندما بحثت عن الخبر وجدت له أصلًا في تاريخ دمشق في قصّة طويلة يروي فيها خالد بن صفوان أسباب زعامة الأحْنف بن قَيْس لقبيلة تميم فيذكر أخبارًا منها هذا الخبر ولكن صاحب فكرة قتل شطر الموالي هو زياد بن أبيه وليس

---

(١) والعَربُ تُسَمّي المَوَاليَ من الفرس والروم الحمْرَاءَ لبياضهم. يُنظر النهاية في غريب الأثر (1/ 1044)، لسان العرب (4/ 208).

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (413/3)، تحقيق أحمد أمين وآخرين، دار الكتاب العربي- بيروت، ط 2: سنة 1359هـ/1960م.

(٣) يُنظر الشعوبيّة وأثرها الاجتماعي والسياسيّ في الحياة الإسلاميّة في العصر العباسيّ الأوّل. د. زاهية قدّورة- ص44، حياة الإمام الرضا للسيد جعفر مرتضى- (ص26).

(٤) يقول الشيخ باقر شريف القرشي: (وبالغ معاوية في اضطهاد الموالي وإذلالهم، وقد رام أن يبيدهم إبادة شاملة). حياة الإمام الحسين (ع)- دراسة وتحليل - (2 / 135). مطبعة الآداب- النجف الأشرف.

معاوية كما في خبر صاحب العقد الفريد، وإسناد الخبر ضعيف لا يحتجّ به كذلك[(١)].

فيه محمد بن زكريا بن دينار [(٢)]، عن عباس بن بكار الضبيّ [(٣)] وكلاهما ضعيف متّهم.

فالعجب ممن يحتجّ بمثل هذا الخبر على أمرٍ خطيرٍ بحجم استباحة الدماء المعصومة.

ولا يُؤثر في تاريخ الأمويّين أنّهم قتلوا أحدًا من الموالي من دون جريرة، ولما خرج الموالي مع ابن الأشعث عفا الحجاج عن كثيرٍ منهم كالحسن البصريّ، ولو كان الأمويّون وولاتهم يتساهلون في استباحة دم الموالي لما طالت حسرة الحجاج وعظم ندمه على قتل سعيد بن جبير، وهو من الموالي، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فكان الحجاج ينادي بقيّة حياته: ما لي ولسعيد بن جبير[(٤)].

ثانيًا: اضطهادهم اجتماعيًّا وسياسيًّا:

أ الاضطهاد الاجتماعيّ:

في بعض كتب الأدب [(٥)] ما يُشعر بوجود استعلاء من بعض المتعصّبين للعرب على العجم، في مقابل مظاهر الشعوبيّة التي حملها بعض أبناء البلدان المفتوحة بما فيها من التعالي على العرب والاستخفاف بهم، ورغم كثرة الأخبار في هذا التفاخر والازدراء المتبادل بين الفريقين إلّا أنّها لا تعدو أن تكون حالات فرديّة، لا تعكس حال المجتمع الإسلاميّ في ذلك العصر بما يحمله من قيم الإسلام السامية التي لا تفرّق بين عربيّ وأعجميّ ولا أبيض وأسود

---

(١)خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو المعروف بابن الأهتم التميميّ المنقريّ(ت: نحو 133 هـ):من فصحاء العرب المشهورين وفد على عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك. تاريخ دمشق (16/ 94)، الأعلام للزركلي (2/ 297).

(٢)أَبُو جَعْفَر الغلابي البَصْرِيّ الأخباري وَهُوَ في عداد الضُّعفاء، قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ: بصري يضع ،وَقَالَ ابن منده: تُكُلّم فيه. يُنظر تاريخ الإسلام للذهبي (6/ 803)، وقال ابن حجر: ضعيف. لسان الميزان (5/ 168).

(٣) قال الدارقطني كذّاب . لسان الميزان (3/ 237)، وذكره العقيليّ في الضعفاء وقال: بصريّ، الغالب على حديثه الوهم والمناكير. ضعفاء العقيلي (3/ 363)، وقال ابن عديّ: بصريّ، منكر الحديث عن الثقات . الكامل في الضعفاء (5/ 5). و يُنظر ميزان الاعتدال (2/ 382).

(٤) مغاني الأخيار للعيني (383/1)، تهذيب الكمال (10/ 373 وما بعدها).

(٥) يُنظر محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر اء والبلغاء (424/1)،تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع ، دار القلم – بيروت ،1420هـ- 1999م.

إلا بالعلم والتقوى.

ومن ثمّ كيف لنا أن نصدّق تعميم صاحب العقد عندما قال:((وكانوا يَقُولون: لا يَقْطع الصلاةَ إلا ثلاثة: حِمار أو كَلب أو مَوْلى. وكانوا لا يَكْنُوهم بالكُنَى، ولا يَدْعُوهم إلا بالأسماء والألْقاب، ولا يَمْشون في الصَّف معهم، ولا يُقَدِّموهم في المَوْكب، وإن حَضَروا طَعامًا قاموا على رؤوسهم، وإن أطْعموا المولَى لسنّه وفَضله وعِلْمه أَجْلسوه في طَرَف الخِوَان، لئلا يَخفى على الناظر أنه ليس من العَرب، ولا يدعوهم يُصلّون على الجَنائز إذا حَضر أحد من العرب، وإن كان الذي يَحضُر غَرِيرًا))[١].

قلت: وهذه دعاوى باطلة ساقها صاحب العقد بغير سندٍ، ولا أدلّ على بطلانها من النظر فيها، فقطع الصلاة حكم شرعيّ يحتاج إلى نصٍّ، ولم يرد ذكر المولى في جميع روايات ما يقطع الصلاة[٢]، فهو محض افتراء.

وكيف يصحّ أن يكون الموالي بهذه الصورة المزرية التي ذكرها المصنّف، وقد كان منهم أئمةُ مساجدَ يَقتدي بصلاتهم المسلمون عربًا وعجمًا، ففي زمن الصحابة كان سالم مولى أبي حذيفة يؤمّ المهاجرين وفيهم كبار الصحابة في مسجد قباء[٣]، ولما طُعن عمر أمر صهيبَ بن سنان الروميّ أن يصلي بالناس[٤]، وكانت عائشة يؤمّها عبدُها ذكوان من المصحف[٥]، بل رُوي أنّه كان يؤمّ قريشًا وخلفه عبد الرحمن بن أبي بكر والظاهر أنّ ذلك في عصر بني

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (412/3)تحقيق محمد أمين وآخرون ، و يُنظر السيطرة العربية – فان فولتن:(ص40-41). ومعنى الغرير:الشاب الذي لا تجربة له. يُنظر لسان العرب (5 /11)، المعجم الوسيط (2 / 649).

(٢) وجملة ما جاءت به الأحاديث في قطع الصلاة:المرأة والكلب والحمار.و لم يرد ذكر المولى أبدًا. يُنظر مثلاً صحيح البخاري (1 /192) في الصلاة، باب استقبال الرجل صاحبه أو غيره في صلاته وهو يصلي رقم (489)، ومسلم (1 /365) في الصلاة باب قدر ما يستر المصلي رقم(511).

(٣)صحيح البخاري (1/ 246) في الجماعة والإمامة، باب: إمامة العبد والمولى رقم (660)، الطبقات الكبرى لابن سعد (4/ 311).

(٤) يُنظر تاريخ المدينة لابن شبة النميري (3/ 895)- تحقيق: فهيم محمد شلتوت – منشورات دار الفكر ، والمعرفة والتاريخ للفسوي (1/ 277)، وسير أعلام النبلاء (2/ 26).

(٥)صحيح البخاري (1/ 245) معلّقًا في الجماعة والإمامة، باب: إمامة العبد والمولى.

أميّة[(١)]، وقد استعمل الحجاج سعيد بن جبير على الإمامة والقضاء في الكوفة [(٢)]، وكان أبو الأحوص مولى بني ليث وُيقال مولى غفار إمام مسجد بني ليث [(٣)]، وأبو القاسم عافية بن محمد بن عثمان بن سعيد مولى عثمان بن عفان إمام مسجد الجامع العتيق بمصر [(٤)]، ومحمد ابن الزبير أبو بشر القرشيّ مولى آل أبي معيط الحرّانيّ إمام مسجد حرّان [(٥)]، وعبد الحميد بن بن محمد بن المستام مولى حذيفة بن اليمان أبو عمرو الإمام إمام مسجد حرّان [(٦)]، وأبو عمرو الخطاب بن عثمان بن سليم بن مهاجر الفوزيّ الحمصيّ مولى لطيّئ[(٧)] إمام مسجد المحررين، والسكن بن المغيرة القرشيّ الأمويّ مولاهم أبو محمد البزاز البصريّ إمام مسجد البزازين[(٨)]، وزربي بن عبد الله الأزديّ أبو يحيى البصريّ مولى هند بنت المهلب بن أبي صفرة صفرة الأزدي، ويقال مولى هشام بن حسان ، وهو إمام مسجد هشام بن حسان ويقال مؤذّنه[(٩)].

أمّا تكنيتهم بالكنى فهو شائع فيهم كالعرب وقد لاحظنا كنى بعض الموالي أئمة المساجد ممن سبق ذكرهم، بل هو شائع منذ عهد النبوّة والخلافة الراشدة، فمن الصحابة أبو عبد الله سلمان الفارسي [(١٠)]، وأَبُو رَافِعٍ[(١١)]، وأبو بكرة[(١٢)]، و أبو كبشة[(١٣)] وغيرهم من

(١)الطبقات الكبرى لابن سعد (5/ 295).

(٢) يُنظر تاريخ الإسلام للذهبي (2/ 1101)- تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ،ط1، 2003 م.

(٣)الجرح والتعديل (9/ 335)، تهذيب الكمال (33/ 17).

(٤)الإكمال (6/ 25)- ابن ماكولا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 ، 1411هـ.

(٥)الثقات لابن حبان (7/ 403)، تاريخ دمشق (53/ 38).

(٦)الجرح والتعديل (6/ 18)، تهذيب التهذيب (6/ 110).

(٧)الطبقات الكبرى لابن سعد (7/ 474).

(٨)تهذيب التهذيب (4/ 111)، تهذيب الكمال (11/ 209).

(٩)تهذيب التهذيب (3 /280)، تهذيب الكمال (9/ 346).

(١٠)معجم الصحابة للبغوي (3/ 161).

(١١)سير أعلام النبلاء (2/ 16).

(١٢) المصدر نفسه (3/ 5).

(١٣) تاريخ دمشق (4/ 297).

موالي رسول الله ﷺ ، ومن الموالي من التابعين وأتباع التابعين: أبو عبد الله رشيد الفارسي مولى بني معاوية [١]، و أبو خالد ويقال أبو زيد أسلم القرشيّ مولى عمر بن الخطاب [٢]، وعكرمة أبو عبد الله مولى ابن عبّاس [٣]، و بكر بن سهل بن إسماعيل بن نافع أبو محمد الدمياطيّ مولى بني هاشم [٤]، وعبيد الله بن رباح أبو خالد مولى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[٥].

بل كان لموالي بني أميّة أنفسهم كِنىً يشتهرون بها ومنهم: محمد بن داود بن سالم **أبو عمرو** مولى عثمان بن عفان [٦]، وزياد **أبو نوف** مولى معاوية بن أبي سفيان وحاجبه [٧]، **وأبو يوسف** مولى عبد الملك بن مروان وحاجبه [٨]، ونصيب بن رباح **أبو محجن** مولى عبد العزيز بن مروان اشتراه من بني كنانة وأعتقه [٩]، وكذلك **أبو عتبة** مولى عبد العزيز بن مروان[١٠]، و ثروان **أبو علي** مولى عمر بن عبد العزيز [١١]، ومحرز بن عبد الله **أبو رجاء** الشاميّ ويقال الجزريّ مولى هشام بن عبد الملك [١٢]، والوليد بن هشام **أبو هشام** القرشيّ مولى أبان بن سعيد بن عثمان بن عفان[١٣]، وغيرهم كثير...

وكان للعلماء من الموالي فضل ورتبةٌ عظيمة عند الأمويّين وعمالهم، وكانوا في زمان بني

---

(١) معجم الصحابة للبغوي (2/ 415).
(٢) تاريخ دمشق (8/ 336).
(٣) المصدر نفسه (41/ 72).
(٤) المصدر نفسه (10/ 379).
(٥) المصدر نفسه (37/ 426).
(٦)تاريخ دمشق (52/ 426).
(٧)المصدر نفسه (19/ 248).
(٨)المصدر نفسه (68/ 16).
(٩)المصدر نفسه (62/ 52).
(١٠)المصدر نفسه (67/ 73).
(١١)المصدر نفسه (11/ 151).
(١٢)المصدر نفسه (57/ 81).
(١٣)المصدر نفسه (63/ 318).

أمية يأمرون في الحج صائحًا يصيحُ : « لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح ، فإنْ لم يكن عطاء فعبد الله بن أبي نجيح »[١]. وكلاهما من الموالي؛ أمّا عطاء ويُكنى أبا محمّد فمن موالي قريش[٢] ؛وأمّا ابن أبي نجيح ويكنّى أبا يسار مولى لثقيف[٣].

ودخل عطاء على عبد الملك في موسم الحجّ فقام له، وسلّم عليه وأجلسه معه على السرير[٤].

وهذا الحجاج يبعث إلى طاوس[٥] في مكّة ويجلسه إلى جنبه ويقرّب له وسادته[٦]، مع ما عُرف عن طاوس من معارضة شديدة لبني أميّة ولاسيما الحجاج.

وكان لهؤلاء العلماء مكانة اجتماعيّة عظيمة في نفوس الناس، وكانوا سادة الأمصار في عصر بني أميّة حتى روي أنّه سأل بعض الأعراب رجلًا من أهل البصرة مَن سيِّد هذه البلدة؟ قال: الحسن بن أبي الحسن البصريّ . قال: أمولى هو؟ قال: نعم. قال: فبمَ سادهم؟ فقال: بحاجتهم إلى علمه وعدم احتياجه إلى دنياهم. فقال الأعرابي: هذا لعمر أبيك هو السؤدد[٧].
السؤدد[٧].

روي عَن الزُّهْرِيِّ قَالَ : قَدِمْت عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ قَدِمْت يَا زُهْرِيُّ ؟ قُلْت : مِنْ مَكَّة، قَالَ: فَمَنْ خَلَفْت بِهَا يَسُودُ أَهْلَهَا ؟ قُلْت : عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنْ الْمَوَالِي؟ قَالَ : قُلْت مِنَ الْمَوَالِي . قَالَ: وَبِمَ سَادَهُمْ؟ قُلْت : بِالدِّيَانَةِ وَالرِّوَايَةِ، قَالَ: إنَّ أَهْلَ الدِّيَانَةِ وَالرِّوَايَةِ لَيَنْبَغِي أَنْ يَسُودُوا، قَالَ: فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْيَمَنِ؟ قَالَ: قُلْت: طَاوُسُ بْنُ كَيْسَانَ، قَالَ : فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي ؟ قَالَ: قُلْت مِنَ الْمَوَالِي، قَالَ :

---

(١)صفة الصفوة (2/ 213) – لابن الجوزي، تحقيق : محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي ، دار المعرفة – بيروت، ط2 ، 1399هـ – 1979م.

(٢)عطاء بن أبي رباح : سيّد التابعين علمًا وعملًا وإتقانًا في زمانه بمكة مات سنة أربع عشرة ومائة. يُنظر ترجمته في الثقات لابن حبان (5/ 199)،وميزان الاعتدال (3/ 70)، تهذيب التهذيب (7/ 179).

(٣)توفي بمكة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. وكان ثقة كثير الحديث. الطبقات الكبرى لابن سعد (5/ 483).

(٤) يُنظر سير أعلام النبلاء (9 /92).

(٥) طاوس بن كيسان اليمانيّ أبو عبد الرحمن الحميريّ مولاهم الفارسيّ يُقال اسمه ذكوان وطاوس لقب ، ثقة فقيه فاضل مات سنة ست ومائة وقيل بعد ذلك ع . تقريب التهذيب (ص: 281).

(٦)صفة الصفوة – لابن الجوزي (298/2).

(٧)فتح المغيث (3/ 395-396).

وَبِمَ سَادَهُمْ ، قُلْت: بِمَا سَادَهُمْ بِهِ عَطَاءٌ، قَالَ: إِنَّهُ لَيَنْبَغِي، قَالَ: فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ مِصْرَ؟ قَالَ: قُلْت: يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيب، قَالَ : فَمِنَ الْعَرَب أَمْ مِنَ الْمَوَالِي ؟ قَالَ: قُلْت مِنَ الْمَوَالِي. قَالَ : فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الشَّام ؟ قَالَ : قُلْت مَكْحُولٌ، قَالَ : فَمِنَ الْعَرَب أَمْ مِنْ الْمَوَالِي؟ قَالَ: قُلْت مِنْ الْمَوَالِي، عَبْدٌ نُوبِيٌّ أَعْتَقَتْهُ اِمْرَأَةٌ مِنْ هُذَيْلٍ، قَالَ: فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْجَزِيرَةِ ؟ قُلْت: مَيْمُونُ ابْنُ مِهْرَانَ، قَالَ: فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَ: قُلْت مِنْ الْمَوَالِي. قَالَ : فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ خُرَاسَانَ ؟ قَالَ: قُلْت الضَّحَّاكُ بْنَ مُزَاحِمٍ. قَالَ : فَمِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَ: قُلْت مِنَ الْمَوَالِي، قَالَ: فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ ؟ قَالَ : قُلْت الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ. قَالَ : فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي؟ قَالَ: قُلْت مِنَ الْمَوَالِي، قَالَ : فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْكُوفَةِ ؟ قَالَ: قُلْت إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، قَالَ: فَمِنَ الْعَرَبِ أَمْ مِنَ الْمَوَالِي ؟ قَالَ: قُلْت مِنَ الْعَرَب.

قَالَ: وَيْلَك يَا زُهْرِيُّ، فَرَّجْت عَنِّي، وَاللَّهِ لَيَسُودَنَّ الْمَوَالِي عَلَى الْعَرَبِ حَتَّى يُخْطَبَ لَهَا عَلَى الْمَنَابِرِ وَالْعَرَبُ تَحْتَهَا، قَالَ: قُلْت يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذًا هُوَ أَمْرُ اللَّهِ وَدِينُهُ مَنْ حَفِظَهُ سَادَ وَمَنْ ضَيَّعَهُ سَقَطَ(١).

قال السخاويّ: وهذا مِن عبد الملك إمّا فراسةٌ أو بلغه من أهل العلم أو أهل الكتاب(٢).

وروى ابن الصلاح في مقدّمته عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: لما مات العبادلة صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي إلّا المدينة فإن الله خصها بقرشيّ ، فكان فقيه أهل المدينة سعيد بن المسيب غير مدافع . ثمّ عقّب على الخبر فقال: وفي هذا بعض الميل فقد كان حينئذٍ من العرب غير ابن المسيب فقهاء أئمة مشاهير منهم الشعبيّ والنخعيّ وجميع الفقهاء السبعة الذين منهم ابن المسيب عرب إلا سليمان بن يسار (٣).

وأعتقد أنّ خبر الزهريّ مع عبد الملك مع ما فيه من دلالة صحيحة على فضل أهل العلم من الموالي ومكانتهم الاجتماعية المرموقة آنذاك لا يخلو من مبالغات، وإغفالٍ لعلماء عرب عاصروا مَن ورد ذكرهم من علماء الموالي، وحسبك بالقاسم بن محمّد بن أبي بكر

---

(١) يُنظر معرفة علوم الحديث للحاكم (ص: 175) تحقيق : السيد معظم حسين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط2، 1397هـ - 1977م،تاريخ دمشق (56/ 304-305)، مقدّمة ابن الصلاح (ص: 241) - مكتبة الفارابي-ط1، 1984 م ، تهذيب الكمال (20/ 81).

(٢)فتح المغيث (3/ 395).

(٣)مقدّمة ابن الصلاح (ص: 241).

الصدّيق، وسعيد بن المسيّب، وعليّ بن الحسين بن عليّ، وسالم بن عبد الله بن عمر في المدينة، وابن أبي مليكة بمكة ، وأبو إدريس الخولانيّ ورجاء بن حيوة الكندي في الشام، وقتادة بن دعامة السدوسي في البصرة... وغيرهم كثير، وكذلك فإنّ في سند خبر الزهريّ مع عبد الملك الوليدُ بن محمّد الموقريّ مولى يزيد بن عبد الملك وهو ضعيف وكذّبه بعضهم[١].

ولعلّ هذا الخبر جاء في سياق إثبات الحضور الكبير للموالي في الحياة الدينيّة والعلميّة، في مقابل السلطان العربيّ الذي كان حاضرًا في معظم الولايات المهمّة في ذلك العصر، والخبر لا يعدو أن يكون توظيفًا سياسيًّا لفضائل علماء الموالي يدغدغ أحلام الموالي في كسر الطوق الأمويّ الماسك للسلطة؛ وهذا ما لم يتحقق لهم إلا في العصر العباسيّ.

ب – الاضطهاد السياسيّ للموالي:

أمّا دعوى اضطهادهم سياسيًّا وصرفهم عن الوظائف المهمّة في الدولة فهو محض كذب، بل كانت لهم وظائف مهمّة في القضاء والدواوين، وبيوت المال، والجباية، والحجابة، والشرطة، وإدارة الولايات، وقيادة الجيوش. ولكن كانت أعظم الولايات والوظائف في بني أميّة ثم في عموم قريش ثم في قبائل العرب ثم في العجم.

وهذا له مسوغات موضوعيّة:

١ – أنّه نتيجة طبيعيّة للتحوّل الذي شهدته الخلافة إلى خلافة يشوبها الملك، حيث يحرص كل خليفة عل أن يستعمل أكثر الناس ولاءً له وعصبيّة لدولته، ثمّ لا يلبث بعدّ مدّة من استقرار حكمه أن يسعى إلى التخلّص من كلّ من يدلّ عليه بفضلٍ أو يمنّ عليه بدورٍ في إرساء ملكه، فيستبدل بأهل العصبيّة رجالًا من الموالي، وذلك وفق سنن الحكم التي أشار إليها ابن خلدون في مقدّمته[٢].

٢ – الانطباع السلبيّ حول ولاء الموالي للدولة الإسلاميّة بعد حادثة اغتيال عمر بن الخطاب ﷺ، ودور عبد الله بن سبأ في فتنة قتل عثمان بن عفان ﷺ، ودور الموالي

(١) يُنظر الجرح والتعديل (9/ 15)، ميزان الاعتدال (4/ 346)، تهذيب التهذيب (11/ 131).

(٢) يُنظر تاريخ ابن خلدون (1/ 154)وما بعدها.

في مناصرة الخارجين على الدولة الأمويّة كابن الأشعث، وغيره من الخوارج.

٣ - لاشكّ أنّ الجيل الأوّل من الموالي وأريد بهم العجم سوف تظهر لديهم مشاكل تتعلّق باللغة وقراءة القرآن وفهم الدين وغير ذلك مما يتطلبه موقع إمام المسجد أو المفتي أو القاضي أو الكاتب أو العامل في ولاية ما من ولايات الحكم الأمويّ، ولكنّ تلك المشاكل تتلاشى في الأجيال اللاحقة من أبناء الموالي الذين يعيشون في ظلّ المجتمع الإسلاميّ فيتعلمون اللغة العربيّة والقرآن ويحفظون السنن ويشبّون على ذلك.

طبعًا كلّ هذه المسوّغات لم تكن لتعني إقصاء الموالي أو إلغاء دورهم، بل كان لهم دور يتعاظم مع مرور الأيام وحضور يترسّخ مع تقادم السنين.

وسوف أعرض سريعًا لبعض هذه الولايات والوظائف المهمّة التي وليها الموالي في دولة بني أميّة:

١ - الولاة من الموالي:

فقد استعمل معاوية على اليمن فيروز الديلميّ وهو صحابيّ من الأبناء [١] من موالي بني هاشم[٢] فمكث فيها إلى أن مات سنة 53هـ مدّة ثماني سنين[٣]، واستعمل سعيد بن داذويه وهو صحابيّ من الأبناء فأقام واليًا عليها تسعة أشهر ومات عقبها، فبعث معاوية على صنعاء الضحاك بن فيروز الديلميّ[٤].

وبعث مسلمةُ بن مخلد -عامل معاوية على مصر- مولاه أبا المهاجر دينارًا على إفريقيا-المغرب العربيّ- بعد عزل عقبة بن نافع[٥].

وولّى معاويةُ موسى بنَ نصير -مولى لخم- غزو البحر، فغزا قبرص وبنى بها حصونًا، و

---

(١) كلّ من ولد باليمن من أبناء الفرس وليس بعربي يسمونهم الأبناء. الأنساب للسمعاني (1/ 76) تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر – بيروت، ط1 - 1998م.

(٢) ذكره خليفة في موالي بني هاشم طبقات خليفة (ص: 34)،و يُنظر تاريخ دمشق (49/ 5).

(٣) يُنظر تاريخ دمشق (49/ 23)، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا - للقلقشندي ج5/ص25- تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة - دمشق - 1981م، ولكن ثمّة خلاف في وفاته، قيل في عهد عثمان، وقيل في عهد معاوية. يُنظر الإصابة في تمييز الصحابة (5/ 381).

(٤) السلوك في طبقات العلماء والملوك (175/1)- لمحمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد - صنعاء ، ط2، 1995م.

(٥) تاريخ دمشق (40/ 532).

خدم بني مروان، ونَبه شأنه، وولي لهم الأعمال، فكان على خراج البصرة في عهد الحجاج، وغزا إفريقية في ولاية عبد العزيز بن مروان، ولّما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، ولّاه إفريقية الشماليّة وما وراءها من المغرب (سنة 88 هـ)، وقد استعمل على أقصى المغرب مولاه طارق بن زياد، فبادر وافتتح الأندلس، ولحقه موسى فتمّم فتحها[١].

وكانت لأولاد موسى ولاياتٌ في جهات من إفريقية والأندلس، منهم عبد العزيز الذي ولي الأندلس لأبيه [٢]، ومنهم عبيد الله كان أبوه قد استخلفه على إفريقية إلى أقاصي المغرب[٣].

وولى سليمانُ بن عبد الملك على إفريقية محمدَ بن يزيد مولى ريحانة بنت أبي العاصي سنة سبع وتسعين[٤].

واستعمل عمر بن عبد العزيز على إفريقية عبدَ الله بن مهاجر الأنصاري مولًى لهم، ثمّ استعمل المحدّثَ الشهير إسماعيلَ بنَ عبد الله بن أبي المهاجر مولى مخزوم على أهل إفريقية ليحكم بينهم ويفقّههم في الدين، سنة 99هـ، فأسلم على يديه جمهور كبير من البربر، وكان حسن السيرة [٥].

وكذلك استعمل يزيد بن عبد الملك على إفريقية يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج[٦].

وولّى عاملُ يزيد بن عبد الملك مسلمُ بن سعيد بن أسلم والي خُرَاسَان جبلةَ بن عبد الرحمن مولى باهلة على كِرْمَان[٧] عام (105هـ)[٨].

واستعمل هشامٌ عبيدةَ أو عبيدَ الله بن الحبحاب مولى بني سلول على مصر ثم على

(١)سير أعلام النبلاء (4/ 497).

(٢)سير أعلام النبلاء (4/ 497).

(٣)الإكمال لابن ماكولا (1/ 325).

(٤)تاريخ خليفة بن خياط (ص: 86).

(٥) يُنظر الطبقات الكبرى لابن سعد (5/ 341)، التعديل والتجريح (1/ 370)، تهذيب التهذيب (1/ 277).

(٦)تاريخ خليفة بن خياط (ص: 91).

(٧) يُنظر تاريخ الطبري (5/ 371).

(٨) هو إقليم يقع بين إقليم فارس غربًا، وإقليم مكران والمفازة الكبرى شرقًا، والخليج العربي جنوبًا، وفيه يمتد رأس هرمز وقاعدة الإقليم مدينة (كرمان)، وقد كانت عاصمة إقليم أيام بني بويه. يُنظر معجم البلدان (4/454).

إفريقية[1]. ومن اللطائف أن نعرف أنّ عبيد الله هذا كان يعرف فضل مولاه عقبة بن الحجّاج السلوليّ، وكان إذا دخل عليه قام له وأكرمه، وصرّح أمام الناس أن والد عقبة أعتق والده وبيّن فضله عليه، ثم خيّره في ولاية ما شاء من سلطانه، فاختار عقبة الأندلس رغبة في الجهاد فولّاه الأندلس[2]. فانظر الحدّ الذي بلغه سلطان الموالي في ظلّ الدولة الأمويّة حتى صار المولى يولّي مولاه العربيّ، فيا للعجب من الشغب في هذه المسألة على بني أميّة !.

٢ – أمراء الجند من الموالي:

وكانت للموالي إمارة على الجيوش كما مرّ في شأن أبي المهاجر دينار، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد، وقد أُسند إلى الموالي قيادة الجيوش البحريّة، فعن الوليد بن مسلم قال: بلغني أن أوّل غازية البحر من المسلمين من الموالي موسى بن نصير ، فوَلِيه غزواتٍ في خلافة معاوية قال: ثم ولّى عبدُ الملك بن مروان ابنَ كيسان مولى جذام..

قالوا: فلما ولي الوليد بن عبد الملك ولّ ى غازية البحر ثلاثة نفر من الموالي سحيم بن المهاجر وأبا خراسان وسفيان الفارسي.

قالوا: فلما ولي سليمان بن عبد الملك ولّى حظي بن أبي كثير الجذامي مولاهم من أهل حرستا [3].

٣ – القضاة من الموالي:

يلاحظ لدى مراجعة أسماء القضاة في العصر الأمويّ أنّ معظمهم من العرب، ولعلّ ذلك يرجع إلى ما سبق بيانه من حاجة القاضي إلى الرسوخ في فهم نصوص القرآن والسنّة، وهذا يقتضي رسوخًا في العربيّة لغة القرآن ولغة النبيّ ﷺ ، وهذا ما يعزّ وجوده لدى

---

(١)تاريخ خليفة بن خياط (ص: 100).

(٢) يُنظر تاريخ ابن خلدون (140/3)، الكامل في التاريخ لابن الأثير (416/4)، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب (19/3)، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت – 1388هـ، تحقيق: د. إحسان عباس.

(٣)تاريخ دمشق (14/ 405).

الأعاجم. ومع ذلك فقد ولي جماعة منهم القضاء في مختلف الأمصار وذلك:

- كسعيد بن جبير في الكوفة زمن الحجاج(١).
- والحسن البصريّ في الكوفة زمن الوليد بن عبد الملك وزمن عمر بن عبد العزيز(٢).
- وعبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعيّ في دمشق زمن يزيد بن الوليد(٣).
- والغطريف بن الضحاك بن فيروز في اليمن زمن يزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك(٤).

٤ - حرس الخلفاء وحاشيتهم من الموالي:

لو كان الموالي بتلك المترلة من المهانة والظلم التي يصوّرها المستشرقون لما أمنهم خلفاء بني أميّة على أنفسهم، ولاسيما إذا علمنا أنّ خاصة حاشية خلفاء بني أميّة وأصحاب شرطتهم وحرسهم الشخصيّ كانوا من الموالي، وهذه قائمة مختصرة حسب ترتيب الخلفاء تبيّن الموالي الذين كانوا يعملون في هذه الوظائف العالية في بلاط الدولة الأمويّة(٥):

- **معاوية بن أبي سفيان:** كان حجّاب معاوية ثلاثة من مواليه أبا أيوب، ورباحًا، وسعدًا، وكان صاحب حرسه المختارَ أو أبا المخارق مولى حمير، وصاحب شرطته مولاه يزيد بن الحرّ، وكان على الرسائل من الموالي عبد الرحمن بن دراج مولى لمعاوية(٦).
- **يزيد بن معاوية:** وكذلك الشأن في خلافة يزيد كان حاجبه صفوان مولاه، وصاحب حرسه سعيد مولى كلب(٧).

---

(١) يُنظر تاريخ الإسلام (367/6)، وفيات الأعيان (2/ 373)، شذرات الذهب (109/1) .

(٢) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 88)، تاريخ الطبري (4/ 61) دار الكتب العلمية، تاريخ ابن خلدون (3/ 139)، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويّين للدكتور محمّد ضيف الله بطاينة ص212-213 .

(٣)طبقات الفقهاء (ص: 76).

(٤)السلوك في طبقات العلماء والملوك (179/1) .

(٥) يُنظر دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويّين للدكتور محمّد ضيف الله بطاينة (ص193-196) .

(٦) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 56)، تاريخ اليعقوبي (238/2).

(٧) يُنظر تاريخ اليعقوبي (253/2).

- **مروان بن الحكم:** كان حاجبه مولاه أبا المنهال، ومولاه أبا نهشل أو أبا سهل الأسود وكان على الرسائل أبو الزعيزعة مولاه، وعلى الخراج سرجون بن منصور الروميّ. [١]
- **عبد الملك بن مروان:** كان حاجبه أبا يوسف مولاه، وعلى الحرس اثنان من الموالي عدي بن عيّاش مولى حمير، والريان بن خالد مولى بني محارب، وعلى الرسائل أبو الزعيزعة مولاه، ودينار بن دينار مولاه أيضًا وعمر بن الحارث مولى بني عامر.وعلى الخراج والجند: سرجون الرومي، وسليمان بن سعد مولى خشين حيّ من قضاعة[٢].
- **الوليد بن عبد الملك:** كان على الحجابة اثنان من الموالي: سعيد مولاه، ومحمّد بن أبي سهيل مولى مروان، وعلى الحرس: الريّان بن خالد مولى بني محارب فمات الريان، فولّى ابنه خالد بن الريان مولى محارب، وعلى الرسائل: جناح مولاه، وعلى الخراج والجند: سليمان بن سعد مولى خشين، وعلى بيت المال: عبد الله بن عمرو مولى بني عامر، ونفيع بن ذؤيب مولاه[٣].
- **سليمان بن عبد الملك:** على الحجابة: أبو عُبيد مولاه، ومسلم مولاه، وباقي الوظائف من سبق ذكرهم في ولاية الوليد[٤].
- **عمر بن عبد العزيز:** على الحجابة حُبيش مولاه، ومزاحم مولاه، وعلى الحرس: عمر بن المهاجر مولى الأنصار، وعلى الرسائل: الليث بن رقية مولى أم الحكيم، وإسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير، ونُعيم بن سلامة مولى لأهل اليمن، وعلى الخراج والجند: سليمان بن سعد مولى خشين، وعلى بيت المال: مطير مولاه[٥].
- **يزيد بن عبد الملك:** على الحجابة: خالد مولاه، وسعيد مولاه، وعلى الرسائل والخاتم: أسامة بن زيد مولى لأهل اليمن، وعلى بيت المال والنفقات: مطير مولى

---

(١) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 68).

(٢) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 81)، تاريخ اليعقوبي (2/280).

(٣) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 84)، تاريخ اليعقوبي (2/291).

(٤) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 87).

(٥) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 88)، تاريخ اليعقوبي (2/299).

عمر بن عبد العزيز[١].

- **هشام بن عبد الملك:** على الحجابة: غالب بن مسعود مولاه، وحُريش مولاه، وعلى الحرس: نُصير مولاه، والربيع بن زياد مولى لبني الحريش، وعلى الرسائل: سالم بن عبد الرحمن مولى سعيد بن عبد الملك، وعلى الخاتم: اصطخر أبو الزبير مولاه، والربيع مولى بني حريش، وعلى الخراج والجند: أسامة بن زيد مولى أهل اليمن، وعبيدة بن الحبحاب مولى سلول، وسعيد بن عقبة مولى بني الحارث[٢].
- **الوليد بن يزيد بن عبد الملك:** حاجبه: قطن مولاه، وعلى الحرس: قطري مولاه، وعلى الرسائل: سالم مولى سعيد بن عبد الملك، وابنه عبد الله بن سالم[٣].
- **يزيد بن الوليد بن عبد الملك:** حاجبه: جبير مولاه، وصاحب حرسه: سلام مولاه، وعلى الرسائل: ليث بن أبي سليمان بن سعد مولى خشين، وعلى الخاتم: عمرو بن الحارث مولى بني جمح ، وقطن مولاه[٤].
- **مروان بن محمد:** على الحجابة: سقلاب، ويقال : مقلاص مولى لهم ، وسُليم مولاه، وسُليم كان على الحرس أيضًا، وعلى الرسائل: عثمان بن قيس مولى خالد القسري، واستعمل عمران بن صالح مولى هذيل، وعلى بيت المال والنفقات وعلى الخراج والجند[٥].

واعتقد أنّ هذه القائمة الطويلة تظهر بما لا يدع مجالًا للشك مكانة الموالي من الخلفاء والوظائف الرفيعة التي شغلوها في دولة بني أميّة وتنفي كل تهم الإقصاء والإلغاء للموالي في عصرهم.

---

(١) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 92)، تاريخ اليعقوبي (314/2) .

(٢) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 101)، تاريخ اليعقوبي (328/2).

(٣) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 103)، تاريخ اليعقوبي (334/2).

(٤) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 104)، تاريخ اليعقوبي (335/2).

(٥) يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص: 120)، تاريخ اليعقوبي (347/2).

ثالثًا: العنصريّة في العبادة:

يدّعي بعض المستشرقين أنّ العصر الأمويّ شهد ظاهرة خطيرة وهي منع الموالي من الصلاة في مساجد العرب وإلزامهم بالصلاة في مساجد خاصة بهم[١].

وهذه تهمة باطلة ولا ريب، وحسبك في بطلانها ما أوردناه من أسماء أئمة المساجد من الموالي،كان يصلّي بصلاتهم العرب والعجم دون تفريق وفق مبادئ الإسلام وقيمه السمحة القائمة على العدل والمساواة فلا فرق بين أبيض وأسود ولا عربي وعجميّ إلا بالتقوى.

وقد حرّف بعضهم كلامًا للشعبيّ رحمه الله ليخرجه عن سياقه في هجر أهل البدع والكلام، إلى سياق التعصّب على الموالي والاشمئزاز من صلاتهم في المسجد[٢].

ونصّ الخبر كما جاء في الطبقات الكبرى عن صالح بن مسلم قال : كنت مع الشعبيّ ويدي في يده أو يده في يدي، فانتهينا إلى المسجد فإذا حمّاد في المسجد وحوله أصحابه ولهم ضوضاة وأصوات، قال فقال: والله لقد بغّض إليَّ هؤلاء هذا المسجد حتى تركوه أبغض إلي من كناسة داري معاشر الصعافقة، فانصاع راجعًا ورجعنا[٣].

فتأوّلوها على أنّه كان يكره الدخول إلى المسجد لمكان الموالي.

ولكن جاء في رواية ابن عساكر أنّ صالح بن مسلم سأله عن هؤلاء الذين بغّضوا إليه الجلوس في المسجد؟، فقال: هؤلاء الرأيّيون أصحاب الرأي[٤].

وفي الخبر نفسه أنّ الشعبيّ سُئل عن الرجل يضرب مملوكه؟ فقال بيده يقلبها ما أدري، يومَ يضربُ الشعبيُّ مملوكه فهو حرٌّ.

---

(١) يُنظر الشعوبية د.زاهية قدّورة (ص52).

(٢) حياة الإمام الحسين (ع) – الشيخ باقر شريف القرشي (2 / 136).

(٣)الطبقات الكبرى (6/ 251).

(٤)تاريخ دمشق (25/ 362).

فهل يُعقل ممن لا يرى ضرب المملوك أن يحتقر الأحرار من الموالي، ويراهم بهذه القذارة؟ حاشاه من ذلك، بل كان ذلك منه غضبةً لسنن النبيّ ﷺ والدليل أنّه كان يقول إذا مرّ عليهم ما يقول هؤلاء الصعافقة [١] أو قال بنو استها ؟ ما قالوا لك برأيهم فبُل عليه ، وما حدّثوك عن أصحاب محمد ﷺ فخذ به[٢].

وأمّا أنّه كان للموالي في الكوفة مسجدٌ يُعرف بمسجد الموالي [٣] فلا ننكر ذلك، ولكن ننكر سوء الفهم الذي فرضته العُجمة على المستشرقين، والببغائيّة على مقلّديهم، واتّباع الهوى على المتحاملين على بني أميّة.

وذلك أنّ المساجد كانت لها أسماء كحالها اليوم، فتُسمّى باسم مكانها كمسجد قباء في المدينة، وتُسمّى بأسماء الأحياء التي أنشئت فيها كمسجد بني عبد الأشهل في المدينة [٤] وهذان المسجدان كانا على زمن النبيّ ﷺ فلم يُنكر و لم يُغيّر بل أقرّهما فلا حرج في ذلك، وغالب الأحياء كانت في الكوفة والبصرة تُسمى بأسماء قاطنيها، ولاسيما أنّهما مُصِّرتا على القبائل، كلّ قبيلة تسكن في ناحية من الكوفة، وكان للموالي حيٌّ يقطنون فيه فسُميّ مسجدهم باسم الحيّ.

كما أنّ للقبائل مساجد سُمّيت بأسمائها: كـ مَسْجِدِ بَنِي وَادِعَةَ [٥]، و مَسْجِدِ بَنِي كَاهِلٍ[٦] في الكوفة، ومسجدِ بني قُشير في البصرة[٧] وقد كان أمرًا شائعًا معروفًا.

وتسمية المسجد باسم قبيلة ما لا يعني أن لا يصلي فيه غير أبنائها، ولا أن لا يصلوا في مسجدٍ غيره! وكذلك الحال في مسجد الموالي الذي أَلْهَم المستشرقين وغيرهم تلك النظريّات التي لا يعرفها الإسلام لا دينًا ولا تاريخًا.

---

(١)هم الَّذين يدخُلُون في السوق بلا رأْسِ مالٍ فإذا اشتَرى التَّاجرُ شيئًا دخل معَه فيه وَاحِدُهم صَعْفَق . وقيل صَعْفُوق وصَعْفَقِيّ . أرادَ أنَّ هؤلاء لا عِلْم عندهم فهم بمَنْزلةِ التّجار الذين ليس لهم رأسُ مالٍ . النهاية في غريب الأثر (3/ 57)، غريب الحديث لابن الجوزي (1/ 590).

(٢)الطبقات الكبرى (6/ 251).

(٣) يُنظر تاريخ الطبري (6/ 249).

(٤) يُنظر الطبقات الكبرى (1/ 453)، الإصابة في تمييز الصحابة (1/ 389)، (8/ 248).

(٥) يُنظر الطبقات الكبرى (6/ 106)، سير أعلام النبلاء (4/ 135).

(٦) يُنظر سير أعلام النبلاء (5/ 414)، (8/ 502).

(٧) يُنظر مشاهير علماء الأمصار (ص: 95)، سير أعلام النبلاء (4/ 516).

المطلب الثالث: استخدام المال السياسيّ في أغراض غير شرعيّة :

أريد بالمال السياسيّ المال الذي يدفع لأغراض سياسيّة، وهنا يكون رشوةً لشراء المواقف والذمم، ويزداد الأمر قبحًا عندما يكون مصدر المال هو بيت مال المسلمين، ثمّ يخصص لأشخاصٍ دون من لهم حقٌّ فيه من المسلمين .

وفي الكتب التاريخيّة أخبار تنسب إلى بعض الأمويّين هذه التصرفات غير المشروعة بأموال المسلمين، وسوف أكتفي بالردّ على هذه الدعوى بمناقشة ما يلي:

١ – شراء الذمم:

وأوّل ذمّة شُريت كما يزعمون ذمّة عمرو بن العاص رضي الله عنه فاتح مصر، حيث عرض عمرو على معاوية أن يناصره في قتال عليّ رضي الله عنه على أن يعطيه ولاية مصر وخراجها أعطيّةً ما دام حيًّا .

وهذا الخبر من الناحية الإسنادية لا يصحّ إذ غالب رواياته لا سند لها كتلك التي عند نصر بن مزاحم في كتابه(وقعة صفين) [١] وهي من شرّ الروايات في الغمز في الرجلين وتصوير اتفاقهما على أنّه مؤامرة دَنيئة أو صفقة مريبة، خان فيها الرجلان ربهما ودينهما ، و نقلها عن نصرٍ صاحب شرح نهج البلاغة [٢]، كما ذُكرت في كتاب الأخبار الطوال بغير سند[٣]، وكذلك في وفيات الأعيان[٤].

ولا أعلم أنّ أحدًا ذكرها بسندٍ إلا الذهبيّ [٥] وابن عساكر[٦] كلاهما عن عَبْدِ الْوَهَّابِ

---

(١) يُنظر وقعة صفين لنصر بن مزاحم (ص: 38–44) تحقيق عبد السلام هارون ،منشورات مكتبة المرعشي النجفي، ط2 ، 1382 هـ .

(٢)شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (2/64-70).

(٣)الأخبار الطوال (ص: 157–159)– لأبي حنيفة الدينوري. –تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، ط1، سنة 1960م.

(٤)وفيات الأعيان (7/ 214).

(٥)تاريخ الإسلام (2/ 427).

(٦)تاريخ دمشق (46/ 165).

الْوَهَّابِ ابْنِ يحيى بن عبد الله بن الزبير[١]، قال: حدثنا أَشْيَاخُنَا أَنَّ الْفِتْنَةَ وَقَعَتْ...

قلت: هذا سند ضعيف فيه انقطاع ظاهر وجهالة بأشياخ عبد الوهاب، وعندما ذكر الخبر في السير ذكره بحذف السند وصيغة تضعيف بلفظ: (وقِيل) [٢]، وقال الذهبيّ في تاريخه: وَيُرْوَى أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى عَمْرٍو يَتَأَلَّفُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْكِتَابُ أَقْرَأَهُ مُعَاوِيَةَ وَقَالَ: قَدْ تَرَى، فَإِمَّا أَنْ تُرْضِيَنِي، وَإِمَّا أَنْ أَلْحَقَ بِهِ، قَالَ: فَمَا تُرِيدُ؟ قَالَ: مِصْرَ، فَجَعَلَهَا لَهُ [٣]. فهذه صيغة تمريض تشير إلى ضعف الخبر كذلك.

وروى ابن عساكر الخبر في تاريخ دمشق[٤] بسند فيه مجهول[٥].

وهذه القصّة منتقدةٌ بأمور:

١ -مخالفتها لما هو مشهور ومعروف من تقوى الرجلين عمرو ومعاوية، وسيرتهما في الجهاد ونصرة الدين[٦]، ولاسيما أنّ في بعض ألفاظها ما يترفّع عنه من له أدنى حظّ من دين أو خلق. كروايتهم أن عمرًا قال لمعاوية: «إن هي إلا الدنيا نتكالبُ عليها، وايم الله لتقطعنّ لي قطعة من دنياك أو لأنابذنّك»[٧] .

٢ -وفي بعض رواياتها كتلك التي عند نصر بن مزاحم والتي نقلها صاحب شرح نهج البلاغة أشعار كثيرةٌ ركيكة تبدو عليها آثار صنعة المولّدين من المتأخرين.[٨]

٣ -مخالفة الواقع لهذا الخبر، فقد كان لمعاوية عامل على الخراج في ولاية عمرو بن العاص واسمه وردان، وكان يرسل بالخراج إلى معاوية في الشام طيلة حكمه على مصر[٩].

٤ -أكّد الدكتور الصلابي أنّ موقف عمرو بن العاص من مقتل عثمان كان مشابهًا

---

(١) وفي هذا النسب سقط باسم جدّه عباد، وعبد الله بن الزبير والد جدّه. و يُنظر في تهذيب التهذيب (6/ 401).

(٢)سير أعلام النبلاء (3/ 72).

(٣)تاريخ الإسلام (2/ 428).

(٤)تاريخ دمشق (46/ 166).

(٥) وهو أبو يوسف الذي يروي عن محمد بن إسحاق بن يسار.لايُدرى من هو؟

(٦) يُنظر الدولة الأموية المفترى عليها (ص416).

(٧)تاريخ دمشق (46/ 167).

(٨) يُنظر وقعة صفين لنصر بن مزاحم (ص: 38-44) منشورات مكتبة المرعشي النجفي، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (2/64-70).

(٩) يُنظر الدولة الأموية المفترى عليها ص416.

لموقف معاوية وهذا الذي جعله يقف إلى جانبه، نافيًا أن يكون بينهما صفقة على هذا الموقف[(١)] ويدلّ على ذلك ما رواه الطبري في تاريخه أنّ عَمرًا بعد أن بلغه مقتل عثمان ارتحل راجلًا يبكي كما تبكي المرأة ويقول : واعثماناه أنعى الحياء والدين ؛ حتّى قدم دمشق[(٢)].

ومع ذلك كلّه لا أرى مانعًا من أن يكون معاوية كافأ عمرًا بتوليته لمصر التي فتحها زمن عمر بن الخطاب، لكنّ ذلك لم يكن إتمامًا لصفقةٍ مزعومةٍ، وإنّما كان على سبيل الاعتراف بفضله وجهده، وأظنّ أنّ هذا ما تحصّل للذهبيّ نفسه عندما قال في السير: « ثُمَّ أَعْطَاهُ مُعَاوِيَةُ الإِقْلِيْمَ، وَأَطْلَقَ لَهُ مَغَلَّهُ سِتَّ سِنِيْنَ لِكَوْنِهِ قَامَ بِنُصْرَتِهِ، فَلَمْ يَلِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ مُعَاوِيَةَ إِلاَّ سَنَتَيْنِ وَنَيِّفًا.» [(٣)]؛ ولكنّ إطلاق يدِه مشروط فيما زاد على عطاء أهل مصر[(٤)].
مصر[(٤)].

٢ – تمويل الاغتيالات السياسية:

أولًا: اغتيال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما:

أهمّ ما يُروى في شأن الاغتيالات السياسيّة الممولة أمويًّا أنّ معاوية أرسل مائة ألف درهم إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس، لتدسّ السمَّ في طعام الحسن ، ووعدها كذبًا أن يزوجها يزيد ابنه، فلما فعلت ذلك رفض أن يفي لها بوعده [(٥)].

قلت: هذه راوية باطلة، تروى في كتب التاريخ بلا سند، وقد ذكر لها المجلسيّ سندًا ضعيفًا عن عيسى بن مهران وهو رافضيّ كذّاب، قال ابن عديّ: حدّث بأحاديث موضوعة مناكير، محترقٌ في الرفض[(٦)]، وقال أبو حاتم: كذّاب[(٧)]، وقال الدارقطني: رجل سوء، وقال:

---

(١)معاوية بن أبي سفيان (ص: 310) د. علي محمد محمد الصلابي –دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1429هـ/ 2008 م.

(٢)تاريخ الطبري (3/ 69).

(٣)سير أعلام النبلاء (3/ 58).

(٤)تاريخ الإسلام (2/ 428).

(٥) يُنظر بحار الأنوار – العلامة المجلسي (44 / 155)، الغدير – الشيخ الأميني (11 /9) .

(٦)الكامل في الضعفاء (5/ 260).

(٧)الجرح والتعديل (6/ 290).

وقال: الخطيب: كان من شياطين الرافضة ومردهم وقع إليّ كتاب من تصنيفه في الطعن على الصحابة وتكفيرهم، فلقد قفّ شعري وعظُم تعجبي مما فيه من الموضوعات والبلايا[1].

وذكر البلاذريّ[2] بسنده أن الذي بعث لها معاوية بمئة ألف هي هند بنت سهيل بن عمرو زوجة الحسن، فيه الهيثم بن عدي وهو كذّاب[3]. وسُئل يحيى بن معين عنه فقال: كوفيّ ليس بثقة كذّاب، سألت أبي عنه فقال: متروك الحديث محلّه محلّ الواقدي [4]. وقال البخاري: ليس بثقة كان يكذب، وقال أبو داود: كذّاب، وقال النسائي وغيره: متروك الحديث[5].

وقد جاء الخبر عند ابن عساكر[6] أنّ يزيد بن معاوية هو من طلب منها ذلك دون ذكر ذكر المال، وإنّما لمجرد الوعد بالزواج وفي سنده يزيد بن عياض بن جعد بق قال البخاري وغيره: منكر الحديث، وقال يحيى: ليس بثقة، وقال النسائي وغيره: متروك، وقال الدارقطني: ضعيف، وعن ابن معين: كان يكذب[7].

وللأسف فقد رُوي هذا الخبر في كتب التراجم والتواريخ دون تمحيص. ولذا فإنّ عددًا من كبار العلماء تصدّوا لردّ هذا الخبر منهم:

ابن العربيّ الذي قال: «فإن قيل: دسَّ على الحسن من تَسُمُّه، قلنا هذا محال من وجهين: أحدهما: أنّه ما كان ليتقي من الحسن بأسًا وقد سلَّم الأمر، الثاني: أنه أمر مُغيّب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بيِّنة على أحد من خلقه في زمن متباعد، ولم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة وعصبيّة، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي، فلا يقبل منها إلا الصافي، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم» [8].

---

(١)ميزان الاعتدال (3/ 324) ، لسان الميزان (4/ 406) .

(٢)أنساب الأشراف (3/ 59) .

(٣)الثقات للعجلي (2/ 337).

(٤)الجرح والتعديل (9/ 85).

(٥)ميزان الاعتدال (4/ 324)، لسان الميزان (6/ 209).

(٦)تاريخ دمشق (13/ 284).

(٧) يُنظر ضعفاء العقيلي (4/ 387)، كتاب الضعفاء لأبي نعيم الأصفهاني(ص: 160)، ميزان الاعتدال (4/ 437)، تهذيب الكمال (32/ 221 وما بعدها).

(٨)العواصم من القواصم (ص220 ــ 221).

وقال ابن تيمية: « وأمّا قوله: معاوية سمّ الحسن، فهذا مما ذكره بعض الناس، و لم يثبت ذلك ببيّنة شرعيّة، أو إقرارٍ مُعتبر، ولا نقل يجزم به، وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم» [١].

وقال الذهبي: قلت هذا شيء لا يصحّ فمن الذي اطّلع عليه؟[٢].

وكذّب ابن كثير الخبر عن يزيد وقال: « وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى »[٣] .

وقال ابن خلدون: «وما نُقل من أنّ معاوية دسّ إليه السمّ مع زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة، حاشا لمعاوية من ذلك» [٤] .

ثانيًا: اغتيال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد:

في بعض الأخبار أنّ عبد الرحمن بن خالد عظُم شأنه بالشام، ومال إليه أهلها لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد، ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه، حتى خافه معاوية على ملكه، فأمر معاويةُ طبيبه ابن أثال في أن يحتال في قتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه جباية خراج حمص.

فلما قدم عبد الرحمن بن خالد حمص منصرفًا من بلاد الروم ، دسّ إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه، فشربها فمات بحمص، فوفى له معاوية ما ضمن له، وولاه خراج حمص، ووضع عنه خراجه.

قلت والخبر يتعامل معه بعضهم كأنّه حقيقة لا غبار عليها، فيأتون به بصيغة الجزم ويستغلون الخبر للطعن في معاوية وسائر بني أميّة[٥].

والحقيقة أنّ الخبر ضعيف من ناحية الإسناد فقد رواه الطبريّ في تاريخه عن عمر بن

---

(١) منهاج السنة النبوية (4/ 469).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي (2/ 403).

(٣) البداية والنهاية (8/ 47).

(٤) تاريخ ابن خلدون (2/ 187).

(٥) يُنظر النصائح الكافية لابن عقيل ص88، إلا أنّه يرى أنّ عبد الرحمن يستحقّ ما فعله به معاوية لأنّه كان مؤازرًا له وصديقًا وخلًّا فسلّط الله عليه معاوية فقتله بالسمّ.

شقّعن علي بن محمّد المدائني عن مسلمة بن محارب.

ومسلمة هذا هو الزياديّ لم يدرك سنة وفاة عبد الرحمن عام 46هـ، فالخبر منقطع، وهو غالبًا ما يروي عن والده محارب الزياديّ[1] وهو مجهول لم يرو عنه غير ولده مسلمة فلا يُغترّ بذكر ابن حبّان له في ثقاته[2].

ولا يحلّ بمثل هذا الإسناد المنقطع أن نرمي معاوية بجريمة كهذه، ولاسيما أننا أمام تساؤلات مشروعة تتعلق بمصدر الخبر، فمسلمة بن محارب الزياديّ، الذي لا يكاد يُعرف عنه شيء، من أين جاء بهذا الخبر؟!، ثمّ من هذا الذي شهد تلك المؤامرة المزعومة بين معاوية وطبيبه ابن أثال ثمّ طفق يخبر بها؟!

وإذا كان سبب اغتياله تعاظم أمره في الشام مع محبّة الناس له، فكيف يمرّ حادث اغتياله دون ردّة فعل من أهل الشام عمومًا وأهل حمص خصوصًا على الطبيب النصرانيّ الذي سقاه سمًّا ثم عاد إلى حمص واليًا على خراجها؟

ثمّ كيف يسكت بنو مخزوم أعظم بطون قريش عددًا على اغتيال رجل من أعظم رجالاتهم؟

كلّ هذه الأسئلة المشروعة لا يمتلك هذا الخبر –الضعيف سندًا– القدرةَ على الإجابة على شيءٍ منها.

فكيف إذا جمعنا له مكانة عبد الرحمن من معاوية فهو صاحب لوائه يوم صفين، وقائد من أعظم قواده في جبهة الروم، وواليه على حمص، فهل كانت لتكون له هذه المكانة لولا أن معاوية أحبّه وقرّبه منه، ولو تغيّر عليه لعزله، أفيخاف عزله، ثمّ لا يخاف اغتياله بالسمّ؟!

وكيف يقوم معاوية بقتله ؟ وقد أورد الطبري ذكر غزوة البحر سنة 48هـ وكان قائد أهل مصر عقبة بن عامر الجهني، وعلى أهل المدينة المنذر بن زهير، وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فكيف يرضى معاوية أن يكون ولد عبد الرحمن بن خالد قائدًا كبيرًا من بعد أبيه ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كيف يرضى ولده خالد بقيادة

---

(١)محارب الزياديّ عن معاوية روى عنه ابنه مسلمة . التاريخ الكبير (8 /29)– للبخاري، دار الفكر، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، الجرح والتعديل (8 /266).

(٢)الثقات لابن حبان (5 /452).

الجيش لمعاوية إن كان معاوية قاتلَ أبيه؟ وهل يمكن أن يخفى على ولده هذا الأمر وهو أقرب الناس إليه ثمّ يعلمه مسلمة بن محارب الزياديّ؟

وقد ذكر ابن كثير الخبر نقلًا عن الطبريّ ثمّ قال: وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ولا يصحّ(١).

وقد روى ابن حبيب البغدادي (٢) هذا الخبر من طريق آخر فيه ابن الكلبيّ (٣) الذي حاول أن يربط بين موت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والبيعة ليزيد ففضحه الله بالتاريخ، لأنّ ترشيح يزيد بن معاوية لولاية العهد ظهر في عام 56 ﻫ بعد وفاة الحسن بن علي، وسعد ابن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهم ، في حين كانت وفاة عبد الرحمن بن خالد سنة 46ﻫ (٤).

وروى هذه القصة بنحوها البلاذريّ (٥) من طريق محمد بن سعد عن الواقديّ وهو متروك الحديث وقد سبق بيان حاله ولاسيما في تقرّبه إلى العباسيّين.

وكذلك رواه أبو الفرج الأصبهاني بسند مظلم فيه مجاهيل(٦).

وبالجملة فالخبر مردود، وهو ولاشكّ من نسج الخيال، ولكن لا يُدرى هل كان ذلك من قبل العباسيّين أم من قبل الشيعة أو الزبيريّين؟ ولاسيما أنّ المهاجر بن خالد بن الوليد كان في معسكر عليّ يوم صفين(٧)، وولده خالد بن المهاجر كان مع ابن الزبير(٨).

وهناك رواية معاكسة نقلها الذهبيّ في السير عن الزبير بن بكّار أنّ معاوية اتهم خالد بن المهاجر بقتل عمّه عبد الرحمن عن طريق طبيبٍ دسّه، فقتل معاوية الطبيبَ قصاصًا له، وقيل

---

(١) البداية والنهاية (8 /34-35).

(٢) المنمق في أخبار قريش (ص360).

(٣) وقد سبق بيان حاله في الفصل الأوّل، وحسبك أنّه يجمع الغلو في التشيّع مع الكذب.

(٤) ذكر الطبري وفاته في أحداث سنة 46ﻫ، وهو ما نصّ عليه ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (5 /34).

(٥) أنساب الأشراف (118/5).

(٦) من طريق المدائنيّ عن شيخ من أهل الحجاز عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد. الأغاني (16 /209)، وكلّ من الشيخ الحجازيّ، وزيد بن رافع مجهولٌ وزيد لم أقع له على ترجمة.

(٧) يُنظر الإصابة في تمييز الصحابة (5 /34).

(٨) تهذيب التهذيب (3 /103).

بل قتل الطبيبَ خالدُ بن عبد الرحمن.

وهذه الرواية بهذا المعنى تُبرّئ ساحة معاوية، وتجعل الأمور تبدو كأنّها صراع بين أفراد أسرة خالد بن الوليد بعد أن فرّقتهم المواقف السياسيّة المتباينة.

ولكن بالرجوع إلى نسب قريش لابن بكّار وأظنّه المرجع الذي نقل عنه الذهبيّ وجدت أنّ الخبر يتفق مع الأصل وهو أنّ خالد بن المهاجر اتهمَ معاويةَ بدس الطبيب لقتل عمّه [1]، ولكن ليس فيها (فقتل معاوية الطبيب)، فما أدري هل الاختلاف بينهما من تصحيف النساخ؟ أم أنّ هناك روايات متناقضة في هذا الشأن كما في خبر الأصل؟

وأيًّا يكن فهذه القصّة لا تثبت والرابط المزعوم فيها لا يرتقي إلى مستوى الدليل، وما قيل في خبر اغتيال الحسن يُقال فيها.

(١) يُنظر نسب قريش (9 /327).

المطلب الرابع:التشكيك في دوافع الفتوحات في العصر الأموي:

أشرت في الفصل الأوّل إلى محاولات تشويه المستشرقين للدولة الأمويّة من خلال إفراغ الفتوحات الإسلاميّة في التاريخ الإسلاميّ عمومًا وفي العصر الأمويّ خصوصًا من مضامينها الإسلاميّة القائمة على تحرير الشعوب من العبوديّة لغير الله تعالى، ونشر قيم الحقّ والعدل بين البشر(١). فقد شكّكوا في مقاصد الفتوحات الإسلاميّة الواسعة التي تمّت في عصر بني أميّة فهي بنظر بعضهم لا تعدو أن تكون احتلالًا مسلحًا شأن الاحتلال الروماني قديمًا، والاحتلال الإنجليزيّ حديثًا، هدفه أن يمتصّ العربُ خيراتِ البلاد المفتوحة ليعيشوا عالة على شعوب البلدان المفتوحة(٢).

والأصل الذي يستند إليه معظم المؤرخين من المستشرقين أنّ الطابع العام لدولة الأمويّين، إنّما كان دنيويًّا بكل تفاصيله ، ومن هنا تفقد الأعمال العسكريّة التي قام بها الأمويّون – صفة الفتوح – لأنّ دافعها هو الطمع والوسيلة المقنعة لتحقيق الثراء، في الوقت الذي يتراجع فيه الإسلام كعقيدة إلى الوراء في اهتمامات القادة العرب، وتتقدم عليه المصالح الشخصية والقبلية(٣).

والحقّ أنّ حركة الفتح الإسلامي: بدوافعها وخصائصها، وآثاره ا الواقعة هي فصل أساسيّ في كتابة التاريخ الإسلاميّ، لابد أن يعالَج باستفاضة لدحض مزاعم المستشرقين ومن يتتلمذ عليهم من بعض المؤرخين العرب وغيرهم .

بل تلك الفتوح الواسعة في وقت قياسيٍّ، وما أحدثته من أثر بالغٍ في حياة تلك الأمم إلى يومنا الحاضر لا يمكن أن تكون إلّا بدافعٍ عظيمٍ من عقيدة راسخةٍ جعلتهم يحملون راية الدعوة إلى الله ونشر الهداية في مشارق الأرض ومغاربها.

يدلّ على ذلك ترحيب أبناء تلك الشعوب بالفاتحين الجدد الحاملين لواء العدل والتوحيد، ودخول معظمهم في دين الإسلام، ومشاركتهم في تحرير بلدانهم من جور الطغاة، ومن

---

(١) وهو واضح في كتابات مثل (جولد تزيهر و فون كريمر وفلوتن) يُنظر الدولة الأمويّة والمعارضة د.بيضون(ص 12).

(٢) يُنظر السيطرة العربيّة، لفان فلوتن، ترجمة بيضون (ص77-ص81).

(٣) يُنظر الدولة الأمويّة والمعارضة د.بيضون (ص 13).

العبوديّة لغير الله، ثمّ مشاركتهم الفاعلة في حفظ الدين ونشره حتى برع منهم علماء كثرٌ حملوا وهج الإسلام ونوره، واستقرار الإسلام في نفوسهم ونفوس أبنائهم حتى عصرنا الحاضر، كل ذلك لهو الدليل الأكبر على أن الفتوحات الإسلاميّة كانت مشروع هداية، تسقط على حقائقه دعاوى المغرضين الشانئين، وأهمّها قول من قال: إن الدوافع الاقتصادية هي التي دفعت حركة الفتح الإسلامي!

إنّ الذي تحركه الدوافع الاقتصاديّة لا يخرج ليدعو الناس — أوّل ما يدعوهم — إلى الإسلام، فإن أسلموا ألقى سلاحه وعانقهم كما يعانق الأخ أخاه، وأخذ يعلمهم تعاليم الإسلام ليشاركوه في الخير الربانيّ الذي هداه الله إليه، فأصحاب هذه الدعاوى إنما يفترون الكذب على التاريخ ، وتسقط الدعاوى الأخرى تباعًا وتبقى حقيقة مهمة هي أن هذه الحركة لا يمكن أن تأخذ صورها التي أخذتها بالفعل، إلا أن تكون صادرة عن أمة مملوءة بهذا الدين حتى أعماقها، حريصة عليه، مؤمنة به، راغبة فيه، راغبة في نشره في آفاق الأرض، فالقوة وحدها لا تفسر ما حدث في هذه الحركة من العجائب، فكم استخدمت القوى الطاغية في الأرض قوتها للتوسّع في الأرض، فلم تصنع ما صنعته الحركة الإسلامية[1].

ومن الحقائق التاريخيّة الثابتة أنّ تاريخ الإسلام لم يشهد فتوحًا أوسع من الفتوحات التي قام بها الأمويّون، حيث امتدت فتوحاتهم في الشرق من خرسان إلى بلاد ما وراء النهر وإلى بلاد السند، وفي الشمال إلى أذربيجان وأرمينيا، وبلاد الخزر، وكذلك انطلقت جيوش الفتح من مصر إلى شمال أفريقية حتى المحيط الأطلسيّ، ثم فتحوا الأندلس، وفتحوا أنحاء من إفريقية جنوبًا، وهم أوّل من غزا القسطنطينية، وسيّروا لفتحها ثلاث حملاتٍ.

قال ابن كثير: ((كانت سوق الجهاد قائمة في بني أميّة ليس لهم شغلٌ إلا ذلك ، قد علتْ كلمةُ الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وبرِّها وبحرها ، وقد أذلوا الكفرَ وأهلَه ، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رُعبًا لا يتوجّه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه ، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين في

(١) يُنظر كتاب(كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟)ص121-122، محمد قطب، دار الوطن السعودية، ط1، 1412هـ.

كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه ›› (١).

وعليه فالجهاد في سبيل الله كان أصلاً راسخًا في حياة المسلمين في عصر الدولة الأمويّة، و لم تكن الغنائم هي الدافع الرئيس للقيادة الإسلاميّة نحو الفتح والجهاد، وإن وجد لدى بعض الأفراد وهؤلاء لا يخلو منهم جيش حتى على عهد رسول الله ﷺ فقد قال الله تعالى في حقّ بعض الصحابة: { مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ } [آل عمران: 152]، ومع مراعاة أنّ الغنائم ليست طرفًا في العقد الربانيّ مع المجاهدين المؤسّس على قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ } [التوبة: 111] فإنّه ينبغي أن لا ننسى أنّ الإسلام نفسه أباح الغنائم للمجاهدين، فأنزل سورةً في موضوع قسمة الغنائم وهي سورة الأنفال، وآياتٍ مصارف الفيء، وهو المال الذي يتحصّل من العدوّ الكافر بلا حرب، و من المعلوم أنّ مكافأة المجاهدين بالغنائم من السمات الواقعيّة لهذا الدين الحنيف، ولذا قال رسول الله ﷺ:« أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلِي »(٢)، فالمجاهد إذا أخلص النيّة في الجهاد لوجهه تعالى لا يضرّه أن يأخذ نصيبه من المغانم.

وإذا كان من المحتمل أن يكون في جيوش الفتح من يغزو بغرض الغنيمة، فإنّ هذا بالطبع لا يمثّل وجهة نظر المسلمين في فتوحاهم، ولا يمثّل القيادة الفكريّة التي كان يتبناها الخليفة والقادة وينفذها الجند، كما أنه لا يمثل وجهة نظر الأمة ورأيها العام، ومما يدلّ على أنّ الدافع والمحرك وراء الفتوح لم يكن اقتصاديًّا ولا استعماريًّا أمور في غاية الوضوح منها:

١ -مشاركة كبار الصحابة تحت إمرة الخلفاء والولاة الأمويّين، فلو كانت الفتوح تتم بشكلٍ مخالفٍ لما كان عليه زمن النبيّ ﷺ والخلفاء الراشدين لاعتزلوا القتال، ولاسيما أنّ في هؤلاء الصحابة الكرام من لهم مواقف من حكم بني أميّة: كأبي أيوب الأنصاريّ الذي هجر معاوية بن أبي سفيان على أثر نقاش بينهما حول الأثرة التي أصابت الأنصار، ثمّ ما لبث أن غزا القسطنطينية تحت قيادة يزيد بن

(١)البداية والنهاية (9 /104).

(٢) البخاري (1 /168)في أبواب المساجد، باب: قول النبي ﷺ(جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا) رقم(427)، و مسلم (1 /370) في أوائل المساجد ومواضع الصلاة رقم (521).

معاوية [١]مع جمع من الصحابة منهم عبد الله بن الزبير وهو حيث هو في معارضته للأمويّين[٢].

٢ -مشاركة خيار الأمّة وعلمائهم من التابعين في الفتوح تحت راية الأمويّين مثل محمّد ابن واسع [٣] الذي شارك في الجهاد في الجبهة الشرقية مع قتيبة بن مسلم الباهليّ[٤]، ومثل صلة بن أشيم العدو ي[٥] من عباد أهل البصرة الذي استشهد في غزوة بسجستان زمن يزيد بن معاوية [٦]، وقيل بكابل في ولاية الحجاج بن يوسف[٧]، و كذلك سعد بن هشام بن عامر الأنصاريّ ابن عم أنس بن مالك كان من عباد التابعين والمواظبين على الغزو قتل بأرض مكران [٨] غازيًا زمن بني أميّة في ولاية عبيد الله بن زياد. [٩] وغيرهم كثير..

٣ -ومنها أنّ جبهة الروم كانت مثار الشجاعة ومرتع البطولة ما كانت تدرّ الربح الكثير، بل كان بيت المال يئنّ منها، لأنّ حملاتها ما كانت تنتهي إلى تقدم ، بل

---

(١) يُنظر سير أعلام النبلاء (2 /412).

(٢) يُنظر سير أعلام النبلاء (3 /364).

(٣) مُحَمَّدُ بنُ وَاسِعِ بنِ جَابِرِ بنِ الأَخْنَسِ الأَزْدِيُّ الإِمَامُ، الرَّبَّانِيُّ، القُدْوَةُ، زاهدٌ ورعٌ من أهل البصرة (ت: 121-130هـ). سير أعلام النبلاء (6/ 119)، و يُنظر ترجمته في حلية الأولياء - (2 / 345-357).

(٤)قَالَ الأَصْمَعِيُّ: لَمَّا صَافَّ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ التُّرْكَ ، وَهَالَهُ أَمْرَهُمْ سَأَلَ عَنْ مُحَمَّدِ بن واسع، فقيل: هو ذاك في الميمنة جانح على قوسه يُبَصْبِصُ بِإِصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، قَالَ: تِلْكَ الإِصْبَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ وَشَابٍّ طَرِيرٍ.سير أعلام النبلاء (6 /121)، تاريخ الإسلام (3/ 528).

(٥)صِلَةُ بنُ أَشْيَمَ أَبُو الصَّهْبَاءِ العَدَوِيُّ الزَّاهِدُ، العَابِدُ، القُدْوَةُ، أَبُو الصَّهْبَاءِ العَدَوِيُّ، البَصْرِيُّ، المنتصِحُ بكتاب الله والمتحبّبُ إلى عباد الله كان عند النوازل محتسبًا صابرًا وفي الحنادِس مُنتصبًا ذاكرًا ، وهو زَوْجُ العَالِمَةِ مُعَاذَةَ العَدَوِيَّةِ (ت:62هـ). يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (3/ 497 -500)، وحلية الأولياء (2 / 237-242).

(٦) يُنظر سير أعلام النبلاء (3/ 500)، تاريخ الإسلام (2/ 647).

(٧) يُنظر مشاهير علماء الأمصار (ص 89) ، و يُنظر ترجمته في تاريخ الإسلام (2/ 937).

(٨) مُكران إقليم واسع يشمل عدة مدن وقرى، يقع ما بين كرمان من الغرب وسجستان من الشمال والهند شرقًا والبحر جنوبًا، ويعرف اليوم بإقليم بلوجستان.و يُنظر معجم البلدان (5 /179).

(٩) يُنظر مشاهير علماء الأمصار (ص 91)، طبقات خليفة (ص 343) .

كان معظمها يبوء بالفشل، ولاسيما الحملات الثلاث الكبرى التي توجّهت إلى القسطنطينية وكلّفت الدولة الأمويّة نفقات باهظة[١].

٤ -ومنها أنهم كانوا ينشئون المساجد في البلدان التي يفتحونها، ويرسلون الدعاة لتعليم الناس الدين والقرآن الكريم.

٥ -ومنها أنّ قتيبة بن مسلم ظفر برجل أعور كان قد استجاش التركَ على المسلمين في فتح بيِكَند[٢]، فرفض أن يقبل منه فداء نفسه بما قيمته ألف ألف درهم، وقال: والله لا تروّع بك مسلمةٌ أبدًا. فلو كانوا يقصدون المال لأخذه منه كما أشار بعضهم عليه[٣].

٦ -ومنها ما كان من أمر عمر بن عبد العزيز حينما أمر قاضي سمرقند أن يحكم بين أهلها وجيش المسلمين بقيادة قتيبة بن مسلم، حيث ادّعى أهلها أنّ قتيبة دخلها في عقد هدنة، فقضى قاضي المدينة بخروج جيش المسلمين [٤]، وكان العدل الذي الذي أبصروه من المسلمين سببًا في دخول أهلها في الإسلام وبقائها على الإسلام إلى يومنا هذا.

فهذه الأمور تدلّ على كذب تلك الدعاوى الباطلة المشككة في مقاصد الفتوح في عصر بني أميّة.

والنتيجة: بطلان جميع هذه الشبهات المثارة حول حقيقة إسلام خلفاء بني أميّة، وعن إسلاميّة حكمهم.

---

(١) يُنظر الدولة الأمويّة للعش (ص346).

(٢) بيِكَند بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى.معجم البلدان (1 /533).

(٣) يُنظر تاريخ الطبري (3 /674).

(٤) يُنظر تاريخ الطبري (4 /69).

الباب الثاني:

أثر العوامل العقديّة والسياسيّة في الحديث

الفصل الأوّل: المشهد السياسيّ والعقديّ وأثر العامل العقديّ في الحديث

الفصل الثاني: أثر العامل السياسيّ في الحديث درايةً

الفصل الثالث: أثر العصر الأموي في الحديث روايةً

تمهيد:

بعد أن تحقّقنا من إسلاميّة الدولة الأمويّة وبراءة الأمويّين من النفاق والزندقة والحقد على الإسلام وسائر التّهم الموجّهة إليهم في هذا السياق، بقي أن نعرض إلى التهم الموجهة إليهم في سياق الساحة الإسلامية مما له صلة بالحديث النبويّ الشريف.

وأرى أنّ أهم العوامل المؤثّرة في الحديث في ذلك العصر هي:

١ - العامل العقديّ

٢ - العامل الحزبيّ والسياسيّ

وسوف أعرض في هذا الباب للمشهدين العقديّ، والسياسيّ، ثمّ أدرس العامل العقديّ وأثره في الحديث في الفصل الأوّل.

ثمّ أعرض للعامل السياسيّ وأثره في الحديث درايةً وروايةً في الفصلين الثاني والثالث.

الفصل الأوّل:

المشهد السياسيّ والعقديّ وأثر العامل العقديّ في الحديث

المبحث الأوّل: المشهد السياسيّ والعقديّ في العصر الأمويّ:

المطلب الأوّل: المشهد السياسيّ في العصر الأمويّ:

بوسعنا أن نُرجع المشهد السياسيّ في ذلك العصر إلى سلطة حاكمة وأحزاب معارضة.

أما السلطة الحاكمة فهي تتمثّل بالسّلطة الأمويّة مع جمهور عريض من أنصارهم وخصوصًا في بلاد الشام، في تحالفٍ متين مع القبائل اليمانية من كلب وكندة وغيرهما.

وقد كان يُطلق عليهم العثمانيّة في بداية أمرهم، لكونهم تحزّبوا للقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه.

أما المُعارضة فالحقيقة أنّها معارضات عدّة تحمل كلٌّ واحدة منها مشروعًا سياسيًّا يختلف عن غيرها، ولا يربط بينها إلا العداء للحكم الأمويّ، بل في طيّات مشاريعها السياسيّة تناقضات كبيرة بينها، وربما تصادمت فيما بينها في مراحل من صراعها كالصراع بين الخوارج والشيعة.

وتتمثّل هذه المعارضات بما يلي:

١ -شيعة آل البيت وكانت حاضرة على امتداد العصر الأمويّ، ولاسيّما في العراق. فقد بدأت بثورة الحسين بن علي- رضي الله عنهما - وخروجه إلى الكوفة تلبية لدعوة الشيعة هناك، للخروج على يزيد بن معاوية، والتي أجهضها الأمويون في مهدها وانتهت هذه الثورة بفاجعة استشهاد الحسين وسبعين من أهل بيت النبيّ ﷺ. ولكنّ المعارضة الشيعيّة استمرّت حتى سقوط الدولة الأموية على أيدي الداعين بالخلافة للرضا من آل محمد ﷺ، والتي قطف ثمرتها بنو العباس بن عبد المطلب بدل أن تؤول إلى أبناء عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ولذلك ما لبثت أن تجدّدت هذه المعارضة في العصر العباسيّ أيضًا.

٢ -وكذلك معارضة بعض أبناء الصحابة في المدينة ومكّة لحكم يزيد بن معاوية في المدينة، وتمثّلت بالتمرّد الكبير في المدينة المنورة على يزيد والذي انتهى بدخول جيش يزيد فيما عرف بوقعة الحرّة .

٣ -وتتمثّل كذلك بالحزب الزبيريّ الذي قاده عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، والذي أحرز انتصارات كبيرة وامتدّ نفوذه على غالب مساحات الدولة الإسلامية؛ و لم ينتهِ حتى زمن عبد الملك بن مروان باستشهاد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على يدي الحجاج بن يوسف الثقفي .

٤ -وكذلك شهد العصر الأموي معارضة الخوارج التي بدأت في العصر الراشدي، واستمرّت كذلك طيلة فترة حكم بني أمية، وكان للمهلب بن أبي صفرة وأولاده بلاء حسن في قتالهم وإخماد ثوراتهم على الأمويين.

وقد جذبت التناقضات المتحرّكة في ذلك العصر القبائل القيسيّة إلى الدخول في الصراع ضد الأمويّين على خلفية العصبيّات الجاهليّة ضد اليمانية.

وكذلك كان للموالي ولاسيما الفرس منهم حضور في معارضة الحكم الأمويّ، ولكنّه لم يكن تحت رايةٍ واحدة، بل دخلوا في نسيج ثوراتٍ مختلفة الرؤى والتوجهات، وكان محرّكهم فيها رفعَ ما وقع عليهم من ظلم في بعض الأقاليم، أو وسيلةً للتعبير عن رفضهم للحكم العربيّ ممثّلاً بالأمويّين فأضمروا شعوبيّةً تحت راياتٍ إسلاميّةٍ متباينة .

وسوف نقف بشيء من التفصيل على مكونات وأفكار كل من الأحزاب السياسية في هذا العصر.

أوّلًا: الحزب الأمويّ وهو الحزب السياسيّ الحاكم:

لقد أتاح مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه للأمويّين فرصةَ التّحرك كحزبٍ سياسيٍّ يُطالب بالقصاص من قتلة عثمان، واستطاعوا تجييش كثيرٍ من المتعاطفين مع عثمان رضي الله عنه والحانقين على قَتَلتِه، لتشكيل معارضة قويّة في وجه عليّ رضي الله عنه،- الذي اتُّهم ظُلمًا بخذلان عثمان وإيواء قتلته في جنده دون حساب أو قصاص-؛ وقد اصطدمت المعارضة الأمويّة مع عَلِيّ رضي الله عنه في موقعتين عظيمتين هما الجمل وصفين، وانتهت المواجهات والتحكيم بعد صفين إلى حالة اللاسلم واللاحرب، فعَلِيّ يحكم العراق والحجاز باسم شرعيّة الخلافة، ومعاوية يحكم الشام ومصر بشرعيّة المطالبة بدم عثمان.

وكان معاوية مذ كان واليًا على الشام قد أدرك أهميّة الارتباط بقبيلة كلب التي كانت الأقوى بين القبائل اليمانية في الشام، فاختار منها زوجًا له هي ميسون بنت بحدل الكلبية وهي التي أنجبت له ولده يزيد [1]، وكان لهذه المصاهرة دورٌ في تأييّد هذه القبيلة لمعاوية أولًا وليزيد ثانيًا، ثمّ تسليم الخلافة لمروان بن الحكم ودعم أولاده من بعده.

حتى لُقّب حَسَّانُ بنُ مَالِكِ بنِ بَحْدَلِ الكَلْبِيُّ بِأَمِيْرِ العَرَبِ، وكان مِنْ أُمَرَاءِ مُعَاوِيَةَ يَوْمَ صِفِّيْنَ.وَهُوَ الَّذِي شَدَّ مِنْ أمرِ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ، وَبَايَعَهُ.

وَهُوَ الَّذِي يَفْتَخِرُ وَيَقُوْلُ: (من الطويل)

فَإِنْ لاَ يَكُنْ مِنَّا الخَلِيْفَةُ نَفْسُهُ ... فَمَا نَالَهَا إِلاَّ وَنَحْنُ شُهُودُ[2]

بل ثمّة مَن يرجع الأمر في تأسيس الخلافة الأمويّة إلى الجهد الذي بذلته هذه القبيلة في حرب صفين [3].

ولا يخفى أن لجيش معاوية في بنيته المعتمدة على(القبائل الشاميّة) دورًا كبيرًا في قيام دولة الأمويّين وانتقالهم من المعارضة إلى السلطة، فهذه القبائل عاشت مُددًا طويلة في بلاد الشام، في إطار الدولة الروميّة — البيزنطيّة- أو بالعلاقة معها، وقد تقاضت الرزق والأجر لقاء خدماتها وإسهاماتها القتاليّة، وقد ترسّخت في سلوكيّاتها خدمةُ السلطان والولاء له، ومع الفتوح استقبلت هذه القبائل المسلمين العرب فاتحين ومحرّرين وبقيت على تقاليدها في الطاعة للسلطان، وقد كان يزيد بن أبي سفيان أوّلَ من وليَ الشامَ، ثم تلاه أخوه معاوية الذي ولي الشام عشرين عامًا وحكمها خليفةً عشرين عامًا آخر[4].

وبعد استشهاد عَلِيّ رضي الله عنه على يد الخارجيّ الهالك عبد الرحمن بن ملجم وَلِيَ الأمرَ بعده الحسنُ بن عَلِيّ رضي الله عنهما ، و لم يمض غير قليل حتى كان الصّلح الميمون الذي بشّر به النبيّ صلى الله عليه وسلم والتقى المسلمون بعد خلافات دامية على كلمةٍ واحدةٍ، وسُمّي ذلك العام (عام الجماعة).

---

(١) يُنظر تاريخ دمشق (70/ 130).

(٢)سير أعلام النبلاء (3/ 537)، تاريخ الإسلام (2/ 627) .

(٣) يُنظر السلطة والمعارضة في الإسلام-زهير هواري - ص260 .

(٤) يُنظر السلطة والمعارضة في الإسلام-زهير هواري – ص237.

وبناءِ على مقتضيات ذلك الصلح فقد آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ﵁، وكان المتوقّع أن تؤولَ الخلافةُ بعد معاوية إلى الحسن بن عَلِيّ [1] ولكن المنيّة عاجلته، ثمّ إنّ معاوية وجد الفرصة سانحة بعد خلوّها من الحسن بن عَلِيّ ليُعلن ولاية العهد لولده يزيد وذلك في أواخر خلافته، وأرى أن التاريخ الدقيق لبدء الخلافة الأموية لم يكن بولاية معاوية بل بأخذ العهدِ بولاية يزيد بعد معاوية سنة 56 هـ.

وبذلك يكون الحزب الأمويّ انتقل من موقع المعارضة بعد مقتل عثمان ﵁ وطوال خلافة عَلِيّ ﵁ إلى موقع السلطة بقيادة معاوية بعد الصلح عام الجماعة.

وقد ضمّ هذا الحزبُ الأمويّين وأنصارهم من اليمانيّة من قبائل كلب الذين أصهر إليهم معاوية في ميسون بنت بحدل الكلبيّة أمّ يزيد، وكان لهم دور كبير في نصرة يزيد في حروبه ضد المعارضات التي واجهها فترة حكمه.

والحقيقة أنّه ليس بوسعنا أن نعدّ جيش طلحة والزبير الذي خرج برفقة أمّ المؤمنين عائشة ﵂ جيشاً أمويًّا، بل جيشًا استقطب عموم الأمويّين في دعوته إلى القصاص من قتلة عثمان.

وقد دخل جمع من الصحابة في حلف الأمويّين منهم: عمرو بن العاص السهميّ

---

(١) قال ابن حجر: ذكر محمد بن قدامة في كتاب الخوارج بسند قويّ إلى أبي بصرة أنّه سمع الحسن بن علي يقول في خطبته عند معاوية: إنّي اشترطت على معاوية لنفسي الخلافة بعده....وأخرج بن أبي خيثمة من طريق عبد الله ابن شوذب قال لما قُتل علي سار الحسن بن علي في أهل العراق ومعاوية في أهل الشام، فالتقوا فكره الحسن القتال، وبايع معاوية على أن يجعل العهد للحسن من بعده. فتح الباري – ابن حجر – (13 / 65).

قلت عبد الله بن شوذب من كبار أتباع التابعين ورتبته صدوق وروايته عن الحسن مرسلة لأنّه لم يلقه، قال أبو حاتم: روى عن الحسن – البصري– و لم يسمع منه ولا رآه. جامع التحصيل في أحكام المراسيل – (1 / 212).

وفي تهذيب الكمال – (6 / 243–244):وقال ضمرة بن ربيعة عن بن شوذب لما قتل علي ساد الحسن في أهل العراق وساد معاوية في أهل الشام والتقوا، فكره الحسن القتال، وبايع معاوية على أن يجعل العهد للحسن من بعده وكان أصحاب الحسن يقولون: يا عار المؤمنين، فيقول لهم: العار خير من النار.

ولكن ثمّة روايات أخرى تنفي أن يكون في الصلح نصّ على أن تكون ولاية العهد للحسن بعد معاوية، يُنظر الصواعق المحرقة – (2 / 399)

القرشيّ، و عقبة بن عامر الجهنيّ[١]، والنعمان بن بشير الأنصاريّ، و حبيب بن مسلمة الفهري[٢]، ومعن بن يزيد بن الأخنس[٣] وغيرهم رضي الله عن الجميع.

وقد انضوى في الحزب الأمويّ - في موقع المعارضة كان أم في موقع السلطة- كثير من النواصب في ذلك العصر.

والنصب: هو الانحراف عن عليّ وآل البيت ﷺ، فمنه ما يصل إلى الكفر ككرههم لأنّهم آل النبيّ ﷺ، ولقد قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: **وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النبيّ الأُمِّيِّ -ﷺ- إِلَيَّ أَنْ لاَ يُحِبَّنِي إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضَنِي إِلاَّ مُنَافِقٌ**[٤].ومنه ما هو موقف شخصيّ مسيس الصلة ببلاء عَلِيّ ﷺ في حربه للمشركين زمن النبيّ ﷺ مما أثار نقمة بعضِ مَن قطر سيفُه ﷺ من دماء أقاربهم أو أحبائهم ثمّ دخلوا الإسلام ولما تَبْرَأ الجراحُ في النفوس، فبقيت في النفس حزازات ، فهذا نفاق دون نفاق إذ من لوازم الدّين محبّة المؤمنين، ولاسيما السابقين منهم، ومحبّة المجاهدين، وعليّ ﷺ يأتي في طليعتهم، فكما أنّ قومًا غالوا في عليّ تحت شعار الحبّ له حتى خرجوا من الملّة، فإنّ أقوامًا خرجوا بالنصب له من حدِّ الإيمان وبينهما مراتب متباينة، أوسطها المحبّة الشرعيّة، المنـــزهة عن غلوّ الغالين وجفاء الجافين.

ومنهم من كان محبّاً لعثمان حبًّا عظيمًا فلمّا قُتل ﷺ مظلومًا في الدار، ثارت ثائرتهم وتوهموا أنّ عليًّا رضي بقتله، ثمّ آوى قتلته فاشتدتْ نقمتُهم على عليّ ﷺ .

وكان غالب جيش معاوية من جند الشام وهم رجال عرفوا معاوية فاتحًا وواليًا سخيًّا كريمًا، فأحبّوه ودانوا له بالسمع والطاعة، يعادون من عاداه، ويوالون من والاه.

غير أنّه لم يُنقل عن النواصب تكفيرهم أحدًا من أهل البيت، وإنّما كان لهم جفاء وغلظة فيهم، في حين كان الخوارج شرًّا منهم يوم كفّروا عليًّا وآل بيته.

والنصب ظاهر معروف في جماعة من حكّام بني أمية مثل يزيد بن معاوية، وعبد الملك

---

(١) يُنظر سير أعلام النبلاء (2 /467)،الإصابة في تمييز الصحابة (4 /520).

(٢)الطبقات الكبرى لابن سعد (7 /409).

(٣)تهذيب التهذيب (10 /227).

(٤)صحيح مسلم (1/ 86) الإيمان، باب: الدليل على أنّ حبّ الأنصار وعليّ ﷺ من الإيمان.. رقم (131)

ابن مروان، وهشام بن عبد الملك، وفي جماعة من ولاتهم أشار إلى ذلك علماء الجرح والتعديل، ولكن ذلك لا يبلغ رتبة النفاق الأعظم المخرج من الملّة ...

وقد استمرّ النصب مدّة حكم بني أميّة، واستمرّ بعدهم كنوعٍ من الغلوّ المتبادل مع الشيعة غلوٍّ في الحبّ وغلوٍّ في البغض.

ومن الملاحظ أنّ النصب لم يتحوّل إلى حالة عقديّة على المستوى الفكري، وإنما بقي في إطار الممارسة الفردية، في حين تطوّر التشيّع من حالة عاطفية إلى حالة سياسيّة، لم تلبث طويلًا حتى تشكّلت له جذور عقديّة.

ثانيًا: أحزاب المعارضة:

١ - الحزب الشيعيّ:

الشيعة لغةً: أنصار الرجل وأتباعه، وكلّ قوم اجتمعوا على أمرهم شيعة. وجمعها شِيَعٌ، وأشياع جمع الجمع، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس [(١)].

فالشيعة، والتشيع، والمشايعة في اللغة تأخذ معنى المتابعة، والمناصرة، والمعاضدة، والموافقة بالرأيّ، والاجتماع على الأمر، أو الممالأة عليه [(٢)]. ثم غلب هذا الاسم على كل من يتولّى عليًّا وأهلَ بيته، وهم فرق كثيرة [(٣)].

ونظرًا لتعدد الفرق المندرجة تحت مسمى الشيعة فقد تعددت التعريفات الاصطلاحيّة المحددة لمفهوم الشيعة، والتعريف المرضيّ منها ما يحدد القدر المشترك بين جميع هذه الفرق، وقد سبق إلى ذلك أبو الحسن الأشعري في سياق ذكره للشيعة فقال: "إنما قيل لهم: الشيعة، لأنهم شايعوا عليًّا - رضي الله عنه- ويقدّمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ " [(٤)].

ويرى ابن حزم[(٥)] أنّ « مَن وافق الشيعة في أنّ عليًّا - رضي الله عنه- أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقّهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعيّ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإنْ خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيًّا » [(٦)].

والتشيّع الذي يعني إسباغ الحقِّ الإلهيِّ أو الإسلاميِّ على إمامة عليّ هو الذي يجمع فرق الشيعة التي انبعثت من أصل واحد، ثم تشعّبت بها الطرق وتقطّعت ببعضها الأسباب فانقرضت[(٧)].

---

(١) يُنظر تهذيب اللغة: (61/3)، الصحاح: (1240/3)، لسان العرب: مادة: شيع (176/8)، المعجم الوسيط (503/1).

(٢) يُنظر معجم مقاييس اللغة(235/3) .

(٣) يُنظر هذه الفرق في الملل والنحل للشهرستاني ،والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ، و فرق الشيعة للحسن ابن موسى النبوختي، تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة.

(٤) مقالات الإسلاميين: (65/1).

(٥) أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، ولد بقرطبة سنة 384هـ أو 383هـ، وتوفي في الأندلس سنة (456هـ) ومن آثاره: المحلى، والفصل و غيرهما.يُنظر: نفح الطيب للمقري (283/2).

(٦) الفصل: (107/2).

(٧) الصلة بين التصوف والتشيع ص17- كامل مصطفى الشيبي- بيروت سنة 1982م.

وقد اختلف الباحثون – قدماء ومحدثون – في تحديد الوقت الذي ظهر فيه التشيّع في الإسلام ومجمل الأقوال(١) هي :

– أنّه قد ظهر في حياة النبيّ ﷺ نفسه(٢)، أو أنّه قد حدث بعد وفاة الرسول ﷺ(٣)، أو أنّه حدث في عهد عثمان رضي الله عنه إبّان الفتنة (٤)، أو أنّه ظهر في عهد عليّ رضي الله عنه(٥) على إثر معركة الجمل أو صفين، أو بعد قتله رضي الله عنه ، أو أنّه ظهر بعد قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما (٦).
.(٦)

والحقيقة أنّ التشيع لم يكن في بداياته أكثرَ من مناصرة عليّ رضي الله عنه على من بغى عليه، وقد يرافقه أحيانًا تقديمه على عثمان رضي الله عنه فحسب (٧)، دون تقديمه على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهذا واضح جليّ في جواب شريك بن عبد الله بن أبي نمر (٨) حينما سأله سائل: أيّهما أفضل أبو بكر أو عليّ؟ فقال له: أبو بكر.

فقال السائل: تقول هذا وأنت شيعيّ! فقال له: نعم. مَن لم يقل هذا فليس شيعيًّا، والله لقد رقي هذه الأعوادَ عليّ فقال: ألا إنّ خير هذه الأمّة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر.

---

(١) يُنظر الصلة بين التصوف والتشيع ص17 – 18 .

(٢) يذهب إلى ذلك محمّد الحسين كاشف الغطاء في أصل الشيعة وأصولها ص87 – تحقيق علاء آل جعفر –مؤسسة الإمام عليّ ، وعبد الله الغريفي في التشيع ص35–36.

(٣) يذهب إلى ذلك النبوختي في فرق الشيعة ص 2–3 ، أحمد أمين في ضحى الإسلام (209/3)– دار الكتاب العربي –بيروت ، ط10 ، والدكتور حسن إبراهيم في تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي 343/1– دار إحياء التراث العربي ،ط7 سنة 1964م ، وهاشم معروف الحسني في كتابه الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ص 30– دار النشر للجامعيين ، ط1سنة 1964م .

(٤) ذهب إلى ذلك ابن حزم وجماعة آخرون ، ذكرهم بالتفصيل يحيى هاشم فرغل في كتابه: (عوامل وأهداف نشأة علم الكلام 105/1) .

(٥) ذهب إلى ذلك ابن النديم في كتابه الفهرست 307 ، يُنظر التشيع لعبد الرحمن الغريفي ص27 .

(٦) ذهب إلى ذلك الدكتور عامر النجار يُنظر كتابه: في مذاهب الإسلاميين ص 153 – دار المعارف – القاهرة، 1995 م .

(٧) ويقول ابن أبي الحديد: " و لم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله ، و لم تكن مقالة الإمامية ومن نحا نحوها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الاشتهار، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة " (شرح نهج البلاغة 226/2) دار إحياء الكتب العربية .

(٨) شريك بن عبد الله بن أبي نمر أبو عبد الله القرشي المدني صدوق يخطئ مات في حدود أربعين ومائة خ م د تم س ق (التقريب لابن حجر ص266).

فكيف نردّ قولَه، وكيف نكذّبه؟! والله ما كان كذّاباً[١] .

ولفظ الشيعة وقتئذٍ لم يكن يعبّر عن مصطلح شرعيّ ولا سياسيّ، بل كان يُقال شيعة عليّ وشيعةُ معاوية، ويبدو أنّ لفظ الشيعة كمصطلح يُعبّر عن تجمّع له خصوصية لم يتبلور إلا بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما [٢]؛ حيث تكوّنت حركة التوّابين، ثم حركة المختار (الكيسانية)، وبدأتْ الشيعة تتكوّن وتضع أصول مذهبها.. وأخذتْ تتميّز بهذا الاسم.

في هذه الظروف بدأتْ الأفكار المستهجنةُ تجد سبيلها إلى أوساط الشيعة مشكّلة نواة الغلوّ الذي تبنّته لاحقًا فرقٌ كثيرةٌ ابتعدت عن الخطّ الذي رسمه أئمة أهل البيت وإن كانت تعمل تحت شعار موالاتهم ومحبتهم.

يقول مصطفى كامل الشيبي:" لما تبرّأ عليّ بن الحسين من الغالين في الكوفة جعلوا يباشرون نشاطهم السياسيّ باسم الغلوّ باعتباره حزبًا سياسيًّا مستقلًّا عن الأئمة لا يُؤثر فيه رضاهم أو سخطهم، ومن هنا نضج الغلوّ وتطوّر بحيث صار حركة لها فلسفتها واستقلالها."[٣]

وأمّا دور الأئمة في الفكر الشيعيّ :فيصعب البحث في الأفكار الشيعيّة التي أضافها أئمة الشيعة من آل البيت وأبنائهم إلى العقيدة؛ لأنّه لم يكن لهم فيما يبدو دورٌ فعّالٌ في تأسيس التشيّع اللّهم إلا كونهم قد شكّلوا المُثُل العُليا لأتباعهم، وقد استغلّ الخارجون على الأمويّين العاطفة الجيّاشة في صدور المسلمين تجاههم فانتسبوا إليهم وزعموا أنّهم إنّما خرجوا لنصرتهم[٤]..

---

(١) منهاج السنّة: (1/13-14) ، ويُنظر: تثبيت دلائل النبوة: (1/63) لعبد الجبار الهمداني.

(٢) يُنظر الصلة بين التصوف والتشيع- كامل مصطفى الشيبي ص22.

(٣) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ص(21- 22)-كامل مصطفى الشيبي، مكتبة النهضة بغداد، ط 1، 1386هـ/1966م.

(٤) المرجع نفسه ص 31 .

أهمّ فرق الشيعة: لقد انقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة أهمها فرقتان:

- **الأولى الإماميّة**: نريد بالشيعة الإمامية تلك المعروفة بالاثني عشريّة التي تقول باثني عشر إمامًا جاء النصّ بهم(١) ليكونوا أئمة للدين والدنيا.

-وهم يتسلسلون على النحو التالي(٢):

-علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت 40هـ)

-ثمّ الحسن بن علي رضي الله عنهما (3-50هـ)

-ثمّ الحسين بن علي رضي الله عنهما (4 -61هـ)

- ثمّ علي زين العابدين بن الحسين ولقبه (السَّجَّاد) (38 - 95هـ)

- ثمّ محمّد الباقر بن علي زين العابدين (57 – 114هـ)

- ثمّ جعفر الصادق بن محمّد الباقر (83 - 148هـ)

- ثمّ موسى الكاظم بن جعفر الصادق (128 - 183هـ)

-ثمّ علي الرضا بن موسى الكاظم (148 - 203هـ)

- ثمّ محمّد الجواد بن علي الرضا (195 – 220هـ)

-ثمّ علي الهادي بن محمّد الجواد (212 - 254هـ)

- ثمّ الحسن العسكري بن علي الهادي (232 - 260هـ)

-ثمّ محمّد المهدي بن الحسن العسكري (256- .. هـ) ويلقّبونه بالحجّة القائم المنتظر، وهم يرون أنّه مهديّ آخر الزمان.

الثانية الزيديّة: وهي إحدى أهم فرق الشيعة، ترجع نسبتها إلى مؤسّسها الإمام زيد بن

---

(١) النجاة في القيامة لابن ميثم البحراني ص 69 - مجمع الفكر الإسلامي – قم ، المطبعة : مؤسسة الهادي ، ط1 1417 هـ – قم ، النكت الاعتقادية للشيخ المفيد ص 43- دار المفيد- بيروت، ط:2 – 1414 هـ /1993م.

(٢) يُنظر منهاج الكرامة للحلي ص 31 – تحقيق:عبد الرحيم مبارك ، مؤسسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث الإسلامية – لجنة المعارف الإسلامية ، الناشر : انتشارات تاسوعاء ، طبع وتجليد : الهادي – قم ، ط:1، ويُنظر شرح المقاصد للتفتنازي (297/2)، ومقالات الإسلاميين ص 89.

عليّ زين العابدين[١]، وذلك لقولهم بإمامته وإمامة ابنه يحيى من بعده [٢]، وهي أقرب فرق الشيعة إلى مذاهب أهل السنّة، حيث يتّصف مذهبهم بالابتعاد عن الغلوّ الذي وقعت فيه بقيّة فرق الشيعة[٣] .

وأهمّ ما يميّز مذهب الإمام زيد من غيره أنّه كان يرى صحّة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعًا، ولم يقل بتكفير أحدٍ من الصحابة ، ومذهبه جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وإنكاره القول بالنصّ على عليّ ﷺ[٤].

و قد قاد زيد ثورةً في العراق ضد الأمويّين أيام هشام بن عبد الملك، وخذله أصحابه[٥] عندما علموا بأنّه لا يتبرّأ من الشيخين أبي بكر وعمر ولا يلعنهما، بل يترضى عنهما فرفضوه ورفضهم فسمّوا (الرافضة) [٦]، فاضطر لمقابلة جيش الأمويّين وما معه سوى خمسمائة فارس حيث أصيب بسهم في جبهته أدى إلى استشهاده عام 122هـ.

وكان قد تلقّى العلم والرواية عن أخيه الأكبر محمّد الباقر ، و اتصل بواصل بن عطاء رأس المعتزلة وبالإمام أبي حنيفة وتأثّر بهما و الشهرستاني[٧] يصرّح بتلمذة زيد لواصل بن عطاء ، لكن الشيخ محمد أبو زهرة يرى أنها ليست تلمذة بمعنى الكلمة، وإنما كان اتصاله بزيد على سبيل المذاكرة لتساويهما في العمر؛ إذ إنّ واصل بن عطاء وزيد بن علي ولدا في سنة (80 هـ)[٨] ؛ و لكن هذا لا يمنع أن يتتلمذ و يتأثر زيد بواصل بن عطاء، وأن يتتلمذ

---

(١)هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ(80ـــ122هـ) ، أمّه أم ولد. كان شخصية فذّة، صاحب علم و فقه وتقوى ىنظُر ترجمته في: تهذيب الكمال للمزي (10/95-98)،وسير أعلام النبلاء للذهبي (5/389-391) ،و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (1/277-278).

(٢) يُنظر الفرق بين الفرق ص25 .

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية محمّد أبو زهرة (1/40)

(٤) يُنظر شرح المقاصد في علم الكلام (2/ص285)، التفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور عبد الحليم محمود ص130 – دار المعارف ، ط2.

(٥) وكانوا خمسة عشر ألفًا. يُنظر الفرق بين الفرق ص25، وفي البداية والنهاية (9/361):بقي معه مئتان وثمانية عشر.

(٦) أي لرفضهم زيدًا . يُنظر الفرق بين الفرق ص25، البداية والنهاية (9/361) ،أو لرفضهم إمامة الشيخين يُنظر مقالات الأشعري ص (87) ولا تعارض بين القولين إذ إنهم رفضوا زيدًا لرفضه لمقولتهم برفض إمامة الشيخين.

(٧) الملل والنحل (1/155) لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة – بيروت ، 1404هـ.

(٨) يُنظر ترجمة واصل بن عطاء في سير أعلام النبلاء (5 /464).

كذلك على أبي حنيفة، فإنّ تأثّر زيد بهما ظاهر على سبيل التلمذة لا المذاكرة التي يذهب إليها أبو زهرة ؛ وتأثر الزيدية بعد ذلك بالمعتزلة والحنفية واضحٌ معروفٌ، فقد صرّح الشهرستاني بأنهم يرجعون إلى رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة، ويعظّمون أئمة الاعتزال أكثر من أئمة أهل البيت، وأمّا في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي والشيعة(١).

وتُنسب للزيديّة فرق اختلف المؤرّخون في عددها، فعدّهم الأشعري ستّ فرق(٢).

وقد طعن بعضها في الشيخين، ومال بعضها الآخر عن القول بإمامة المفضول، فانحرفت عن منهج الإمام زيد المعتدل.

٢ – حزب العبّاسيّين:

وهو يُنسب إلى العبّاس بن عبد المطلب، وقد كان منضويًا تحت المعارضة الشيعيّة غير أنّه ظهر بعد أن عهد أَبُو هَاشِمٍ عبد الله بن محمّد بن الحنفيّة صَاحِبُ الشِّيْعَةِ الكيسانيّة إِلَى مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ كُتُبَهُ(٣).

فيكون محمّد بن علي (62 – 125 هـ) أوّل من قام بالدعوة العباسية، وهو والد السفاح والمنصور،روقد و لي إمامة الهاشميّين سرًّا في أواخر أيام الدولة الأمويّة (بعد سنة 120هـ) وكان مقامه في قرية تعرف بالحميمة بأرض الشراة، بين الشام والمدينة، ومولده بها ، وبدأ دعوته بتسيير الرجال إلى الجهات للتنفير من بني أميّة والدعوة إلى الرضا من آل محمّد ﷺ، وجباية خمس الأموال من الشيعة يدفعونها إلى النقباء، وهؤلاء يحملونها إلى الإمام، وهو يتصرف في إنفاقها على بثّ الدعاة وما يرى المصلحة فيه، فهو في عمله أشبه برئيس جمعيّة سريّة تهيّئ أسباب الثورة(٤).

---

(١) الملل والنحل (162/1).

(٢)وهي: الجارودية والسليمانية والبترية والنعيمية واليعقوبية وفرقة يتبرّؤون من أبي بكر وعمر ولا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة. يُنظر مقالات الإسلاميين ص133-137.

(٣)يُنظر سير أعلام النبلاء (4 /129).

(٤) يُنظر الأعلام للزركلي (6 /271).

٣ - الخوارج

هم الذين أنكروا التحكيم على عليٍّ رضي الله عنه وتبرؤوا منه ومن عثمان رضي الله عنه ومن ذريته وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة منهم [١]، وعمّم الشهرستاني فقال: كلّ من خرج على الإمام الحقّ الذي اتفقت الجماعة عليه يُسمى خارجيًّا، وسواء كان في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين أو على الأئمة في كلّ زمان[٢].وهم فرق كثيرة تبلغ العشرين[٣] .

ويختلف المؤرّخون في تحديد بدء نشأة الخوارج على أقوال:

الأوّل : يرى أن أوّل الخوارج هو ذو الخويصرة التميمي الذي بدأ الخروج بالاعتراض على النبيّ ﷺ في قسمة الفيء، واتهامه إيّاه بعدم العدل .. حيث يفهم من تبويب البخاري لهذا الحديث بقوله:(باب من ترك قتال الخوارج للتأليف وأن لا ينفر الناس عنه) وأورد تحته حديث (ذو الخويصرة)[٤] .. أنّه أي البخاريّ يرى أنّ ذا الخويصرة هو أوّل الخوارج، وأنّ رسول الله ﷺ قد ترك قتله للتأليف. وهو رأي ابن الجوزي و ذلك في قوله : « فهذا أوّل خارجي خرج في الإسلام وآفته أنّه رضي برأي نفسه ، و لو وفّق لعلم أنّه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه»[٥] .

القول الثاني : يرى أنّ نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه في تلك الفتنة التي انتهت بقتله وتُسمى الفتنة الأولى ، وهو قول القاضي ابن أبي العز الحنفي [٦]، وهو ما يفهم من كلام ابن كثير في تسميته للخارجين على عثمان رضي الله عنه، بالخوارج : (وجاء الخوارج

---

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري ص 459

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (114/1) ، ومن خرج منهم متاولًا فإنّه يُسمّى باغيًا.

(٣) يُنظرها في الفرق بين الفرق ص 54.

(٤) يُنظر الحديث في البخاري (6 /2540) في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج و الملحدين بعد إقامة الحجة عليهم رقم (6534)، ومسلم(2 /741) في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاقم رقم (1064).

(٥)تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص 87)- تحقيق :محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية صيدا – بيروت ، الطبعة الأولى، 1423هـ/2003م.

(٦)يُنظر شرح الطحاوية – ط دار السلام (ص 525)

فأخذوا مال بيت المال و كان فيه شيء كثير جدًّا) وفي قوله:(وندم أكثر هؤلاء الجهلة الخوارج بما صنعوا) [١]، ويرى الشوكاني أنّ الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه هم الذين خرجوا فيما بعد على عليّ رضي الله عنه [٢].

القول الثالث: أنّ نشأهم بدأت بانفصالهم عن جيش الإمام علي رضي الله عنه و خروجهم عليه، وهذا الرأي هو الذي عليه الكثرة الغالبة من العلماء إذ يعرّفون الخوارج بأنهم هم الذين خرجوا على علي بعد التحكيم [٣].

وما أراه هو أنّ القول الأوّل لاحظ نزعة الخروج الفكرية الفردية زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأنّ القولَ الثاني: لاحظ نزعة الخروج العملية والجماعية لمجموعة لم تتضح بعد أسسها الفكرية والعقائدية، والقول الثالث: لاحظ ظهور الخوارج بوصفها فرقة لها آراؤها الخاصة بها بعد خروج من خرج على عليّ رضي الله عنه بعد التحكيم.

وهكذا فالخوارج لم يتميزوا بهذا الاسم و لم تتبلور أفكارهم بوصفه حزبًا سياسيًّا إلا بعد أن خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معركة صفين على أثر قبوله التحكيم حيث سُمّوا بالخوارج[٤] . وللخوارج ألقاب عدة منها: الخوارج ، والحرورية و الشراة والمحكّمة والمارقة، وهم يرضون بهذه الألقاب كلّها إلا المارقة [٥]. ولكل اسمٍ أو لقبٍ منها سبب فالخوارج لخروجهم على عليٍّ رضي الله عنه بعد التحكيم ، ولكنهم فسروا الخروج بأنه خروج من بيوتهم جهادا في سبيل الله،وفقا لقوله تعالى: {وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ } [النساء:100]، وأطلق عليهم اسم (الشراة)

---

(١) البداية والنهاية (211/7).

(٢)يُنظر نيل الأوطار(187/7-188).

(٣)الأشعري في المقالات (207/1) و البغدادي في الفرق بين الفرق (ص 74) و قد سار على هذا الرأي أصحاب المعاجم ودوائر المعارف في مادة الخروج (يُنظر مثلا (دائرة المعارف الإسلامية 470/8)، والكتاب المحدثون الذين كتبوا عن الفرق الإسلامية ، و المؤرّخون في تأريخهم لأحداث الفتنة الكبرى .

(٤) يُنظر عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر بن علي الشيخ(1134/3)- مكتبة الرشد- الرياض، ط3- 1421هـ/2000م.

(٥) مقالات الإسلاميين ص 191 .

وربما يكونون هم الذين وصفوا أنفسهم بذلك لأنهم يزعمون أنهم باعوا أنفسهم لله، وسمّوا بالحرورية لانحيازهم أوّل أمرهم إلى قرية (حروراء) بالقرب من الكوفة ، وسمّوا أيضًا بالمحكّمة لرفعهم شعار «لا حكم إلا لله» ولإنكارهم لمسألة التحكيم [١].

لقد كان معظم الخوارج من الأعراب الجفاة وقد عُرفوا بالتعصب والحماسة والاندفاع السريع في آرائهم، وعُرفوا بتمسكهم بظواهر الألفاظ القرآنية لا يتجاوزون الظاهر إلى المرمى أو الموضوع . كما عُرف عن الخوارج التنطُّع والتشدُّد في العبادة[٢].

٤ - الحزب الزبيريّ:

وهو حزبُ عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما ، نشأ هذا الحزب في زمن معاوية بن أبي سفيان بعد أن دعا الناس إلى بيعة ولده يزيد، فكان عبد الله بن الزبير من جملة من عارض هذه البيعة، وكان لعبد الله مناقب تجعله في جملة المرشحين للخلافة بعد معاوية، فهو أوّل مولودٍ لِلْمُهَاجِرِينَ بِالْمَدِيْنَةِ، وَكَانَ فَارِسَ قُرَيْشٍ فِي زَمَانِهِ، وَلَهُ مَوَاقِفُ مَشهُودَةٌ.

وقد كان الناس ينظرون إليه بعين الاحترام والتقدير لمكانته وشرفه وكرم محتده، فوالده الزبير هو حواريّ رسول الله ﷺ، وابن عمّته صفية رضي الله عنها ، وأمّه أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق أفضل أصحاب رسول الله ﷺ وخليفته من بعده، وخالته عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنهما ، وقد شهد الجمل مع أبيه رضي الله عنهما ، وشارك كذلك في الفتوح وكان له اجتهاد عظيم في العبادة[٣].

كلّ هذه المؤهّلات لفتت إليه الأبصار وجعلت عددًا من أهل الحجاز في مكّة والمدينة يلتفون حوله ليشكّلوا نواة شيعته[٤].

---

(١) يُنظر دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص 51 ، و التفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور عبد الحليم محمود ص135، و كتاب في مذاهب الإسلاميين ص 41 ، وكتاب الخوارج أول الفرق في تاريخ المسلمين – دار القاسم – الرياض، ط 2 ، 1417هـ، للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل ص 19-20، وقد زاد لهم ألقبًا لا تنصرف إليهم وحدهم كالناصبة، أو غيرهم أولى بها كالسبئية .

(٢) يُنظر نيل الأوطار(187/7) ،كتاب في مذاهب الإسلاميين للدكتور عامر النجار ص44 .

(٣) يُنظر سير أعلام النبلاء (3 /364).

(٤) يُنظر الطبقات الكبرى لابن سعد (5 /185)

وهذه النواة تكوّنت بعد أن أعلن معاوية عن عزمه على تولية ولده يزيد الخلافة من بعده، وأمر مروان بن الحكم عامله على المدينة بإذاعة الخبر، وقد لقي معارضة من كبار أبناء الصحابة وهم الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ، والأخير هو من تصدّى لمروان في المسجد ورفض صراحةً فكرة تولية يزيد لأنّها بنظره سياسة هرقليّة لا تنتسب إلى مبادئ الإسلام التي تقوم في اختيار الحاكم على أساس الشورى في الأكفاء من الصلحاء.

ولما فشلت محاولة مروان في إقناع مجتمع المدينة عزم معاوية على السير بنفسه إلى الحجاز، فجاء رضي الله عنه معتمرًا في شهر رجب من سنة 56هـ ، فلما علم عبد الرحمن ابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير بقدوم معاوية خرجوا من المدينة، واتجهوا إلى مكّة(١).

وبالفعل فقد استطاع معاوية أن ينتزع بيعة أهل المدينة ومكّة واكتفى من هؤلاء الأربعة بوعود تقوم على مبايعته إن اجتمع على يزيد الناس بعد معاوية.

فلّما مات معاوية انقلب أهل الحجاز أكثرهم على يزيد، وانتفض أهل المدينة على سلطان بني أميّة، وكان من أهمّ العوامل التي أجّجت نار المعارضة المسلّحة ضدّ الأمويين، حادثة كربلاء وقتل الحسين ﷺ من قبل عمّال يزيد على العراق.

وهذا عامل مهمّ يضاف إلى رصيد ابن الزبير الذي خلت له الساحة فأصبح المنافس الوحيد ليزيد، وهكذا غدا عبد الله بن الزبير بمكانته الرفيعة وصلاحه الشهير الخيار المفضّل للثائرين على حكم بني أمية.

ولّما انتصر مسلم بن عقبة المرّيّ على أهل المدينة في موقعة الحرّة الأليمة تابع مسيره تجاه مكّة ليقضي على عبد الله بن الزبير، غير أنّ المنية عاجلته، فاستخلف الحصين بن نمير السكوني، ثمّ كان الخبر الأهم في تاريخ الدولة الزبيرية والذي أدى إلى إنهاء الحصار هو موت يزيد بن معاوية.

وقد استغلّ ابن الزبير الفراغ السلطويّ داخل الدولة الأمويّة بعد استخلاف معاوية الثاني ابن يزيد الذي اعتزل الحكم، فبسط نفوذه إلى العراق وما يليها من الأقاليم، في حين تقلّص

---

(١) التاريخ الصغير للبخاري (103/1)- تحقيق : محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب، القاهرة، ط1، 1397هـ - 1977م. - بإسناد حسن .

نفوذ الأمويين إلى الشام.

واستطاع عبد الله أن يتعاقد مع الضحاك بن قيس، لبسط نفوذه على الشام أيضًا، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل.

وبكلّ الأحوال فإنّ حزب ابن الزبير السياسيّ استطاع أن يصل إلى الحكم على مساحات واسعة من الدولة الإسلامية آنذاك.

والملاحظ أنّ مصطلح حزب سياسيّ ينطبق على الحزبين الأمويّ والزبيريّ بشكل دقيق، ولكننا نجد أنّ أحزاب الشيعة والخوارج كانت لهم واجهة سياسيّة ولكن بمضمون عقديّ خاص، وبالتالي فتصنيفها في الأحزاب السياسيّة يجب أن لا يصرفنا عن الخصائص العقديّة التي تفسّر تحرّكاتهم الحزبيّة وثوراتهم المتتابعة.

المطلب الثاني: المشهد العقديّ في العصر الأمويّ

شهد العصر الأمويّ ظهور أفكار عقائديّة جديدة كالقول بالجبر، والقول بنقيضه وهو نفي القدر، كما شهد تطوّر أفكار أخرى كالإرجاء، وهذه الأفكار سوف تتبلور لاحقًا في البُنى العقديّة للفرق الدينيّة، بل السياسيّة أيضًا، لتأخذ أشكالها النهائيّة في العصر العباسيّ .

ويُعزى نشوء هذه الآراء العقديّة إلى الجدل الذي نشأ بين المسلمين وسكّان البلاد المفتوحة بمكوناتهم الدينيّة من يهود ونصارى ومجوس، بالإضافة إلى أثر الفلسفات الرائجة في هذه البلاد(١).

بل يرى بعضهم أنّ المذاهب الأولى الخارجة عن السنّة في الإسلام نشأتْ من هذه المناقشات الدينيّة مثل الإرجاء والقدرية(٢).

فهل كان للأمويين بصفتهم حكّام ذلك العصر دورٌ في نصرة آراء عقديّة معيّنة، ومحاربة أخرى أم أنّهم كانوا على الحياد حيال ما ظهر في عصرهم من آراء وفرقٍ عقديّة؟.

ثمّ هل كان للجدل الدائر حول هذه المواضيع العقديّة أثر في الحديث؟

ثم لا بدّ من أن نلقي نظرة سريعة على أهم الأفكار العقديّة التي ميّزت هذه الفرق ونقوم بدراسة الأسباب السياسيّة لنشوئها وموقف الأمويين منها ثمّ أثر ذلك في الحديث.

تعريف بالأفكار والمذاهب العقديّة في العصر الأمويّ:

يمكن حصر أهمّ المذاهب والتيارات العقدية الفاعلة في العصر الأموي في أربعة وهي: الإرجاء، والقدر، والجبر ، والاعتزال.

أولاً– الإرجاء:

يأتي الإرجاء على معنيين (٣):

أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى:{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ } [الأعراف: 111]أي

---

(١) يُنظر دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ،د محمد ضيف الله بطاينة ص 391– دار الفرقان– عمان، ط 1– 1420هـ/1999م.

(٢) يُنظر السلطة والمعارضة في الإسلام –زهير هواري ص236.

(٣) يُنظر الملل والنحل (1 /139) .

أمهله وأخّره .

والثاني : إعطاء الرجاء أي الأمل.

أمّا المعنى الأول فصحيح لأنهم يؤخرون العمل عن النية والعقد .

وأمّا المعنى الثاني فظاهر فإنهم يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

والإرجاء كان أوسع الأقوال انتشارًا بين فرق الإسلام فاصطبغ بعقيدة الإرجاء كثير من القدريّة والجبريّة والخوارج .

وقد نُسب إلى جماعة من أهل السنّة الذي سمّوا مرجئة السنّة كأبي حنيفة والحسن بن محمد بن علي[١] وسعيد بن جبير وهؤلاء كان إرجاؤهم مستمدًّا من التأخير أي تأخير أمر مرتكب الكبيرة إلى الآخرة؛ إمّا أن يعفو الله عنه؛ أو يؤاخذه بجريرته، وهو عقيدة سواد الأمّة الأعظم وقول جمهور علماء المسلمين[٢].

وأمّا قولُ الشهرستانيّ: إنّ أوّل من أحدث القول بالقدر والإرجاء غيلان الدمشقي[٣].

فهو صواب في شأن القدر، وغلط في شأن الإرجاء لأنّ الإرجاء بمفهومه العام ظهر مبكّرًا عقب مقتل الخليفة الراشدي عثمان بن عفان ﷺ أي قبل نشوء الدولة الأمويّة .

وأمّا بمفهوم المرجئة الخالصة التي تقول: إنّه لا يضرُّ مع الإيمان ذنب، فهذا ظهر بدافع ردّ الفعل تجاه ما جنح إليه الخوارج من التكفير بالذنوب، وردًّا على ما قال به المعتزلة من المنـــزلة بين المنـــزلتين[٤].

إذ جنوح البعض إفراطاً أو تفريطاً يؤدي إلى ردّ فعلٍ عكسيّ قد يجنح إلى الحقيقة فيقف عندها، وقد يفارقها إلى الطرف الآخر.

والعجيب أنّ آيات القرآن الكريم في الوعد والوعيد والرجاء والتهديد تنقض مذهب المرجئة الخالصة، وأنّه لا مُستمسك لهم في الترويج لبدعتهم إلا ما فهموه من قوله سبحانه

---

(١) الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو محمد المدنيّ وأبوه ابن الحنفية: ثقةٌ فقيهٌ يُقال إنّه أوّل مَن تكلّم في الإرجاء، مات سنة مائة أو قبلها بسنة ع .تقريب التهذيب (ص 164).

(٢) يُنظر العقيدة الإسلاميّة والفكر المعاصر – د محمد سعيد البوطي ص64-65.

(٣) يُنظر الملل والنحل (1 /139).

(٤) يُنظر العقيدة الإسلاميّة والفكر المعاصر – د محمد سعيد البوطي ص65.

وتعالى: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}[الليل: 14 - 16]

فقد فهموا من الآيات ما يدلّ عليه ظاهرها أنّ الاصطلاء بالنار يوم القيامة خاصّ بالكافرين الذين كذّبوا بما جاء به الرسل وأعرضوا عنه، وعليه فمن لم يكذّب به فليس من أهل العذاب والعقاب مهما ارتكب من المعاصي والآثام.

وحسب العاقل في ردّ هذا التصوّر الفاسد أن يقرأ تمام السورة ليجد ما ينقض هذا الفهم وهو قوله تعالى : { وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى }[الليل: 17 - 18] فإنّ الله سبحانه وتعالى لم يفسّر الأتقى الذي وعد بأن يجنّبه تلك النار بمن آمن بالله فحسب، بل فسّره بمن يعمل الصالحات ابتغاء رضوان الله.

ثانيًا– الجبر:

الجبر : هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الربّ تعالى ؛ والجبريّة ذهبوا إلى القول بأن الإنسان مُجْبَرٌ على أفعاله، ولا استطاعة له على الكسب، وأن لا فعل ولا عمل لأحد غير الله، وإنما تُنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز(١).

وبناء على هذا التصور، يصبح الإنسان كالريشة المعلقة في الهواء ، وكالخشبة بين الأمـــــــــواج المتلاطمة ويفقد التكليف معناه، لأنّ الطائع مجبرٌ، والعاصي مجبر، وتغيبُ معاني المسؤولية أمام جبريّة الإرادة والفعل.

وهذا قول ظهر في عصر بني أميّة وأوّل من قال به الجعد بن درهم ثمّ أخذه عنه الجهم ابن صفوان .

الأدلّـــة :استدلّ الجهمية الجبريّة على مقالتهم بأدلّة نقليّة وأخرى عقليّة:

فمن الأدلّة النقليّة قوله تعالى : {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: 96]

وقوله تعالى:{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}[القصص: 56]

---

(١) الفرق بين الفرق، البغدادي ص. 199، 200، 327، 328؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (3 /14) مكتبة الخانجي – القاهرة، الملل والنحل للشهرستاني– (1 / 84) طبعة دار المعرفة.

وقوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان:30]

وقوله تعالى: {لَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال: 17]

وأمّا الآيات التي تخالف مقالتهم وتدلّ على الإرادة الحرّة وقدرة العبد على الفعل؛ فإنّهم أوّلوها بما يستجيب لأرائهم فقالوا: إنّ معنى إضافة الفعل إلى الإنسان إنّما هو كما تقول: مات زيد وإنّما أماته الله تعالى، وقام البناء وإنّما أقامه الله تعالى.

كما ذهبوا إلى أن ما يتولّد من فعل العبد من خواص الأشياء كالجوع والعطش واللّذة والشهوة هي من فعل الله تعالى، ولا قدرة للعبد على اختراعها.

ومن الأدلّة العقليّة قولهم إننا إذا قلنا إنّ العبد يخلق أفعاله، فإننا نكون قد حدّدنا قدرة الله وأنها لا تشمل كلّ شيء، وأنّ العبد شريك لله في إيجاد ما في هذا الكون. ولا يمكن أن يكون بعض الشيء مخلوقًا بقدرة الله وبعضه الآخر بقدرة العبد؛ لأنّ الله هو الخالق لأفعال خلقه وبإرادته وحده، فليس لقدرة العبد تأثير في قدرة الله، وما الإنسان إلا محلًّا لما يجريه الله على يديه، فهو مجبر جبرًا مطلقًا، وهو والجماد في ذلك سواء. .

وقد ناقش العلماء حججهم وبيّنوا خطأهم بالحسّ والنصّ وباللّغة[١] .

فأمّا النصّ فإنّ الله عز وجل قال في غير موضع من القرآن {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 17] [٢]، وقال: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: 2]، وقال: {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة: 25][٣] فنصّ تعالى على أننا نعمل ونفعل ونصنع.

وأمّا الحسّ فإنّه يدلّ يقينًا أنّ بين الصحيح الجوارح وبين مَن لا صحة بجوارحه فرقاً لائحاً، لأنّ الصحيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختاراً لها دون مانع، والذي لا صحّة لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله أصلاً، ولا بيان أبين مِن هذا الفرق والمُجبَر في اللّغة: هو الذي يقع الفعل منه بخلاف اختياره وقصده، فأمّا مَن وقع فعله باختياره وقصده فلا يُسمّى في اللّغة مُجبرًا.

---

(١) يُنظر الفصل في الملل (3 /14- 16).

(٢) وفي (الأحقاف: 14)، (الواقعة: 24).

(٣) وقوله تعالى: {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وارد في 52 موضعًا من القرآن الكريم.

وكذلك إجماع الأمّة كلها على «لا حول ولا قوّة إلا بالله » مُبطل قول المُجبّرة ، ووجب أن لنا حولاً وقوّة ولكن لم يكن لنا ذلك إلا بالله تعالى ، ولو كان ما ذهب إليه الجهمية لكان القول «لا حول ولا قوّة إلا بالله» لا معنى له.

وكذلك قوله تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29) } [التكوير: 28، 29] فنصّ تعالى على أنّ لنا مشيئة إلا أنّها لا تكون منا إلا أن يشاء الله كونها .

وإثبات الفعل للعبد لا يتناقض مع إثباته للخالق لأنّ الاشتراك في الأسماء لا يقع من أجله التشابه، ألا ترى أنّك تقول الله الحيّ ، والإنسان حيّ، والإنسان حليم كريم عليم ، والله تعالى حكيم كريم عليم؛ فليس هذا يوجب اشتباها بلا خلاف.

وأفعالنا خلق الله لكن بإرادتنا واختيارنا، فالله هو الذي يمدّنا بالقدرة على الفعل، وهو الذي وهب لنا مشيئة الاختيار بين الفعل أو الترك، ولولا ذلك لكان حسابه لنا على ذنوبنا ظلمًا، وحاشاه عزّ وجلّ أن يظلم وهو الذي حرّم الظّلم على نفسه.

ثالثًا– القدريّة:

وهم نفاة القدر، وكان أوّل من أحدث هذا القول معبد الجهني في البصرة كما جاء في الصحيح(١)، وتبعه غيلان الدمشقيّ وذلك في عصر بني أميّة.

وخلاصة مذهبهم أ نَّ ما يجري في هذا الكون ليس بقدر من الله ﷻ وإنما هو أمرٌ يحدثُ بفعل العبد، و من دون سابقِ تقدير من الله ﷻ، فأنكروا الركن السادسَ من أركانِ الإيمان، لأنَّ أركانَ الإيمان ستةٌ: الإيمانُ بالله، وملائكتِهِ، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، والإيمانِ بالقدرِ خيره وشره، كُلِّه من الله ﷻ.

وهم بذلك يُنكرون عِلْمَ الله – ﷻ– السابق فيقولون: إنَّ الله ﷻ لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه والأمر أُنُفٌ، أي مستأنف جديد غير معلوم وغير مُقَدَّر له قبل ذلك.

والحقّ أنّ القدريّة صنفان:

---

(١) يُنظر صحيح مسلم (1 /36)في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى رقم (8).

الصنف الأوّل: هم القدريّة الغُلاة وهم الذين نفوا العلم مطلقًا، وهم شيوخ القدريّة الأوائل كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي وأضرابهم، وقد انقرض هؤلاء بحمد الله.

قال ابن حجر: « وَقَدْ حَكَى الْمُصَنِّفُونَ فِي الْمَقَالَات عَنْ طَوَائِف مِنْ الْقَدَرِيَّة إِنْكَار كَوْن الْبَارِئ عَالِمًا بِشَيْءٍ مِنْ أَعْمَال الْعِبَاد قَبْل وُقُوعهَا مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا يَعْلَمهَا بَعْد كَوْنها؛ قَالَ الْقُرْطُبِيّ وَغَيْره: قَدِ انْقَرَضَ هَذَا الْمَذْهَب، وَلَا نَعْرِف أَحَدًا يُنْسَب إِلَيْهِ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ» [١].

والصنف الثاني: و هم من نفوا عموم المشيئة،- أو عموم تقدير الله - ﷻ- لكلّ شيء.

وهؤلاء الذين يقولون بإرادة الله للخير دون الشرّ وهم عامة المعتزلة.

قال النوويّ: « وصارت القدريّة في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله والشرُّ من غيره تعالى الله عن قولهم» [٢].

وقد كان لأفكار الصنف الأوّل أثر كبير في تكوين عقائد الصنف الثاني، وفي ظهور مذهب المعتزلة القدريّة بالصورة النهائيّة، وفي تشكيل الأصول الخمسة لهم[٣] ولذلك ترجموا لأرباب هذه الآراء على رأس طبقاتهم من أهل الاعتزال[٤].

وقد سُمُّوا " بالقدريّة "، وسُمّوا "بمجوس هذه الأمة"، لأنّهم يزعمون أنَّ كُلَّ واحدٍ يَخْلُقُ فعلَ نفسه، و لم يكنْ ذلك بتقدير من الله، لذلك أثبتوا خالقِين مع الله كالمجوس الذين يقولون: بِالأَصْلَيْنِ وَهُمَا النُّورُ وَالظُّلْمَةُ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْخَيْرَ مِنْ فِعْلِ النُّورِ ، وَأَنَّ الشَّرَّ مِنْ فِعْلِ الظُّلْمَةِ فَصَارُوا ثَنَوِيَّةً ، كَذَلِكَ الْقَدَرِيَّةُ يُضِيفُونَ الْخَيْرَ إِلَى اللَّهِ وَالشَّرَّ إِلَى غَيْرِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالأَمْرَانِ مَعًا مُنْضَافَانِ إِلَيْهِ خَلْقًا وَإِيجَادًا وَإِلَى الْفَاعِلِينَ لَهُمَا مِنْ عِبَادِهِ فِعْلاً وَاكْتِسَابًا[٥].

وسوف نرى أنّ العلاقة بين الجبريّة والقدريّة علاقة جدليّة يختلف مؤرخو الملل والنحل أيهما أسبق ظهورًا ويصفون كلّ واحدة بأنها جاءت ردًّا على الأخرى.

---

(١) فتح الباري - ابن حجر (1/ 119) .

(٢) شرح النووي على مسلم (1/ 154).

(٣) يُنظر الفكر السياسي عند المعتزلة،د نجاح محسن، ص45- دار المعارف – القاهرة.

(٤) يُنظر المنية والأمل لعبد الجبار الهمذاني ص 20 وما بعدها، تحقيق: عصام الدين محمد علي، دار المعرفة الجامعية، سنة 1985م.

(٥) سنن البيهقي الكبرى (10/ 207).

رابعًا– المعتزلة

التعريف بالاعتزال ونشأته وأهم مبادئه:

المعتزلة ويُسمّون أصحاب العدل والتوحيد والقدريّة والعدليّة[١]، وهي فرقة إسلاميّة نشأت في العصر الأمويّ بعد عام الجماعة[٢] ، لكنّها شغلت الفكر الإسلاميّ في العصر العباسيّ ردحاً طويلاً من الزمن [٣]، وتتميز بغلبة النزعة العقليّة على حساب النصوص الصحيحة مع تأثّرها بالفلسفات الإغريقية واليونانية، مما أدّى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنّة والجماعة[٤].

وقد ذهب العلماء في نشأة الاعتزال، إلى وجهتين:

الوجهة الأولى: أن الاعتزال حصل نتيجة النقاش في مسائل عقديّة دينيّة كالحكم على مُرتكب الكبيرة ، والحديث في القدر، بمعنى هل يقدر العبد على فعله أم لا يقدر؟

ومن رأي أصحاب هذا الاتجاه أن اسم المعتزلة أطلق عليهم لعدة أسباب:

1- أنهم اعتزلوا المسلمين بقولهم بالمنـــزلة بين المنـــزلتين[٥].

2- أنهم عرفوا بالمعتزلة بعد أن اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري بعد قوله بالمنـــزلة بين المنـــزلتين[٦].

والوجهة الثانية: أنّ الاعتزال نشأ بسبب سياسيّ، لأنّ المعتزلة الأوائل هم أولئك الذين كانوا من شيعة سيّدنا عليّ رضي الله عنه، فلما تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية اعتزلوا النّاس وانقطعوا لمساجدهم وعبادتهم [٧].

والواقع أنّ نشأة الاعتزال كانت ثمرة تطوّر تاريخيّ لمبادئ فكريّة وعقديّة وليدة النظر العقليّ المجرد في النصوص الدينيّة، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني : (43/1)

(٢) يُنظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر: ص41 .

(٣) المذاهب الإسلامية محمّد أبو زهرة ص207

(٤) يُنظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر: ص60-62 .

(٥) الفرق بين الفرق: ص 94

(٦) يُنظر الفرق بين الفرق : ص 97- 98 ،الملل والنحل: (45/1) ،أصول الدين : ص335

(٧) العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر: ص45 .

اليهوديّة والنصرانيّة .

المبادئ والأفكار:

تتلخص مبادئ المعتزلة في قواعد عامة اجتمعوا عليها والتقت أفكارهم على اعتبارها أصول مذهبهم وهي(١) :1 ــ التوحيد . 2 ــ العدل . 3 ــ الوعد والوعيد . 4 ــ المنــزلة بين المنــزلتين . 5 ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(وهذه الألفاظ التي اتخذت شعارًا على أبرز آرائهم التي اختصّوا بها ،لا تدلّ على شيء تميّزوا به، إذ التوحيد والعدل، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مبادئ عامة ليست خاصة بفئة دون أخرى من المسلمين. ولكن فلننظر إلى الآراء التي تكمن تحت كلٍّ منها ، فإنا سنعلم عندئذٍ أنّ هذه الشعارات وضعت بمثابة جذب إليها ودفاع عنها وحماية لها.)(٢)، ونوجز المقصود بهذه الأصول الخمسة بما يلي:

1 ــ **التوحيد**: وخلاصته برأيهم، هو أن الله تعالى منــزّه عن الشبيه والمماثل، وهذا حقّ ولكنهم بنوا عليه نتائج باطلة منها:

– نفي إمكان رؤية الله تعالى يوم القيامة، لأنها تستلزم صفة الجسميّة وكينونته في جهة (٣).

– نفي صفات المعاني عن الله ، واعتبار الصفات ليست شيئاً غير الذات، وإلا تعدّد القدماء في نظرهم ، وبنوا على ذلك أيضًا أنّ القرآن مخلوق لله سبحانه وتعالى لنفيهم عنه سبحانه صفة الكلام(٤).

2 ــ **العدل**: ومعناه برأيهم أنّ الله لا يخلق أفعال العباد ، وليس له في أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير ، لا بإيجاد ولا بنفي (٥) ، وأنّه لا يحبُّ الفساد، بل إنّ العباد يفعلون

---

(١) يُنظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر: ص 46، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب : ص 18- 20- لمحمد حامد الناصر ، مكتبة الكوثر – الرياض .

(٢) العقيدة سلامية والفكر المعاصر: ص46 .

(٣) يُنظر الفرق بين الفرق:ص 94، الملل والنحل: (43/1) ، العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر: ص47 .

(٤) العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر: ص 46- 47، ويُنظر الفرق بين الفرق : ص 93- 94، والملل والنحل: (44/1)

(٥) المعتزلة : ص100- زهدي جار الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ،ط:6، 1410هـ /1990 م .

يفعلون ما أمروا به وينتهون عما نهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركّبها فيهم، وأنّه لم يأمر إلا بما أراد و لم ينه إلا عما كره، وأنّه وليٌّ كلّ حسنة أمر بها، بريء من كلّ سيئة نهى عنها، لم يكلّفهم ما لا يطيقون ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه . وذلك لخلطهم بين إرادة الله تعالى الكونيّة وإرادته الشرعيّة. وتفرّع عليه :

- القول بأنّ العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه
- قولهم بأنّ الله لا يأمر إلا بما أراد ولا ينهى إلا عمّا كره
- قولهم إنّ الله حكيم لا يفعل إلا ما فيه صلاح وخير [١].

3 ـــ **الوعد والوعيد**: ويعني أن يجازي الله المحسن إحساناً ويجازي المسيء سوءاً، وأن لا يغفر لمرتكب الكبيرة إلا بالتوبة[٢] .

4 ـــ **المنـــزلة بين المنـــزلتين**: وتعني أن مرتكب الكبيرة (الفاسق) في منـــزلة بين الإيمان والكفر فليس بمؤمن ولا كافر ، هذه حاله في الدنيا أما في الآخرة فهو لا يدخل الجنة لأنه لم يعمل بعمل أهل الجنة بل هو خالد مخلّد في النار، ولا مانع عندهم من تسميته مسلماً باعتباره يظهر الإسلام وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً.

5 ـــ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: فقد قرّروا وجوب ذلك على المؤمنين جميعًا ((للذود عن الحق أمام الزنادقة والطاعنين في شرع الله الذين انتشروا انتشارًا مريعًا في أوائل عصر العباسيين .والحقيقة أن هذا الأصل الخامس سلوكيّ أكثر من أن يكون اعتقاديًا، ولا ينطوي على خلاف ذي أهمية عند جمهور المسلمين))[٣] نشرًا لدعوة الإسلام وهداية للضالين وإرشادًا للغاوين كلّ بما يستطيع: فذو البيان ببيانه، والعالم بعلمه، وذو السيف بسيفه وهكذا. ومن حقيقة هذا الأصل أنهم يقولون بوجوب الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحقّ.

وقد فنّد علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم، ولاسيما أبو الحسن الأشعريّ الذي

---

(١) يُنظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر: ص 50- 52 .

(٢) يُنظر الفرق بين الفرق : ص 94-95 ، وهذا صريح بمعارضة قوله تعالى : {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً } (النساء:48).

(٣) العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر: ص 59 .

كان منهم، ثم خرج من فرقتهم وردّ عليهم متبعاً أسلوبهم في الجدال والحوار ...

الجذور التاريخيّة والسياسيّة لظهور الآراء والفرق العقديّة:

لقد كان مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ فاجعةً كبرى ، أثّرت في النفوس كما أثّرت في مجريات تاريخ المسلمين تأثيراً خطيراً، وقد أحدث هذا التصرف المستهجن ردّات فعلٍ كشفت عن مواقف متباينة(١):

1- فقد رأت طائفة أنّ أوّل واجب على الأمّة هو الثأر لخليفتها الشهيد، والقصاص من القتلة المجرمين، وكان هذا الرأيُ رأيَ معاوية ﷺ ومن معه.

2- ورأى آخرون أنّ أوّل ما ينبغي هو اجتماع الكلمة واستتباب الأمور والتجلد حتى تتكشف ذيول المؤامرة، ثم يكون استئصال شأفتها وقطع دابر دواعيها ، وكان هذا رأي عليّ ومن معه من الصحابة ﷺ .

3- ورأت طائفة ثالثة أنّه لا بدّ من وأد الفتنة في مهدها من خلال التعجيل بالقصاص من قتلة عثمان للإصلاح بين الطائفتين الأوليين، فتحرّكت بسرعة للإصلاح بين الناس، وكان على رأس هؤلاء طلحة والزبير وعائشة أمّ المؤمنين ﷺ .

4- ورأت طائفة رابعة أنّ الخليفة المظلوم لم يتحمّل ذلك الحصار الآثم ، ولم ينه أتباعه المؤمنين عن القتال إلا حرصًا على ألا تراق قطرة دم أو تثور أدنى فتنة بين أمّة الإسلام، فالأولى بمن بعده جميعًا ألا يحركوا ساكنًا ، وألا يكونوا طرفًا في أيّ نزاع – مهما بدت وجاهته — وهم بذلك يعملون بتوجيه النبيّ ﷺ بترك القتال في الفتنة حتى أن بعض من يرى هذا الرأي قد خرج من المدينة منذ أن أطلّت الفتنة برأسها ، وآثروا الابتعاد حتى تسكن العاصفة ؛ وكان هذا رأي جماعة من الصحابة (٢).

وهذه المواقف الأربعة تمثل مواقف الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان من الفتنة الكبرى، وما منهم إلا وهو مستمسك بدليل وآخذ بحجة . وإن كان بعضهم حجته أقوى وهو بالحقّ الأولى، ولكنّ الفتنة إذا ذرّت بقرنها فإنّها تطمس كثيرًا من الحقائق

---

(١) أجمل النووي مواقف الصحابة من الفتنة، في شرحه على مسلم (149/15)، وتعرّض لها د. سفر الحوالي في رسالته" ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي" وهي في الأصل رسالة دكتوراه مقدّمة في جامعة أمّ القرى في مكة المكرمة، دار الكلمة، ط1، 1420 هـ / 1999 م.

(٢) منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وأبو بكرة و أبو هريرة وسلمة بن الأكوع ﷺ.

بدخانها، وتحرق كثيرًا من القلوب بنيرانها؛ فما يكاد يتبيّن الصواب من الخطأ [1].

أمّا الترجيح فله وجوه:

– أمّا من دخل الفتنة منهم فأولاهم بالحق وأقربهم للصواب عليّ رضي الله عنه وهذا مما لا خلاف فيه عند أهل السنّة .

– وأما الترجيح بين من اعتزل وبين من قاتل عليًّا، فلا شك أيضًا أنّ من اعتزل كان موقفه أفضل .

– وأمّا الترجيح بين موقف من اعتزل وبين موقف عليّ رضي الله عنه ومن معه ففيه قولان:

- الأوّل: أنّه كان الأفضل لمن اعتزل أن يقاتل مع عليّ رضي الله عنه .
- الثاني: أنّ موقف من اعتزل كان خيرًا وأصوب ممن دخل بما فيهم موقف عليّ رضي الله عنه ومن معه.

وعلى كلّ حال فرغم الخلاف الذي حصل بينهم وأدى إلى القتال بينهم فإنه لم يُؤثر عن فريق منهم تكفيره لآخر؛ بل ما أُثر عنهم يدلّ على شهادتهم لبعضهم بالإيمان والفضل.

ومذهب السلف الصالح وسواد الأمّة كان على هذا فلم يكفروا الصحابة بما شجر بينهم، وإنّما يترضّون عن محسنهم ويستغفرون لمسيئهم ويكلون أمرهم إلى الله تعالى .

أما المواقف التي نشأت في صفوف التابعين من المبتدعة فقد تنوّعت أيضًا وهي:

١ – **إرجاء الحيرة:** فقد كان في ثغور الجهاد وأطراف البلاد جماعاتٌ لم تعلم عن سير الأمور شيئًا، فلمّا صدمتها الفاجعة أذهلها الألم عن التفكير، ووقاها بعد الشقة شرَّ الخوض في الفتنة . فسُمّوا الشكّاك [2]، وقد ميّزنا موقفهم من موقف الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة لأنّ الصحابة كانوا قد اعتزلوا الفتنة عن أدلّة حفظوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) لذلك كان مذهب أهل السنّة إعذار الصحابة والسكوت عما شجر بينهم مع الترضّي عن محسنهم والاستغفار لمسيئهم، ومعرفة الفضل لأكابرهم من دخل الفتنة ومن لم يدخلها . وإرجاء القضية فيما شجر بينهم مما التبس أمره عليهم فضلا عن غيرهم إلى أحكم الحاكمين . يُنظر شعب الإيمان (192/2)، منهاج السنة النبوية (311/4)، معارج القبول (1208/3).

(٢) في تاريخ مدينة دمشق – لابن عساكر(39 / 496) :"وأما المرجئة فهم الشكاك الذين شكوا فكانوا في المغازي فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان ؛ وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ، ليس فيهم اختلاف، فقالوا: تركناكم وأمركم واحد ليس فيكم اختلاف، وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون ، فبعضكم يقول: قتل عثمان مظلومًا ، وكان أولى بالعدل وأصحابه .وبعضكم يقول: كان علي أولى بالحق وأصحابه ، و كلهم ثقة وعندنا مصدق فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما ولا نشهد عليهما ونرجئ أمرهما إلى الله حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما ".

فاعتزالهم كان عن مستندٍ جعلهم بمفازة من الدخول في الفتنة لذلك كان حيادهم حيادًا إيجابيًّا عن دليل، وأمّا هؤلاء فقد كان عن حيرة وشكّ؛ فاعتزلوا القتال و أرجؤوا الخلاف بين الصحابة إلى أعدل العادلين وهؤلاء شكّلوا نواة مذهب المرجئة . وهو يُعدّ أقرب المذاهب بعد مذهب أهل السنّة إلى الإنصاف. وهو متفق مع روح تعاليم القرآن فيما يجب على المرء في سير الأمم التي خلت بأن نفيد منها العبرة ، ونَكِل أحوالها إلى أحكم الحاكمين لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 134]، وإن كان في معاملة جيل الصحابة بهذه الروح إغفال لحقائق القرآن والسنّة في مراعاة منـــزلة أصحاب النبيّ ﷺ وما سبق لهم من الفضل العظيم في نصرة الدين وجهاد الكافرين بحر زاخر لا يُكدّره بعض الهنات التي أصابها بعضهم في زمن الفتنة، ولاسيّما أنّ غالب ما وقع منهم كان اجتهادًا للمصيب فيه أجران وللمخطئ أجر واحد.

2-**التكفير بالذنوب**: وكانت بداية هذا الفكر من الذين شاركوا في قتل عثمان رضي الله عنه ومالؤوا عليه فعمدوا إلى تسويغ موقفهم وتعليل جريمتهم من خلال إشهار الأمور التي نقموها من عثمان رضي الله عنه والتي استحقّ بموجبها العزل أو القتل، وقد كان غاية ما نقموا على أمير المؤمنين عثمان أنّه حمى الحمى، وأتمّ الصلاة في السفر بمكة، وآثر أقرباءه، وتوسع في الإنفاق من بيت المال والفيء (1).

وكانت تلك هي البذرة الأولى لمنهج التكفير بالذنوب(٢) ، والذي لم ينضج عند هؤلاء

---

(١) وهذه الأمور: إمّا أنّ الحقّ فيها معه رضي الله عنه صراحًا، وإمّا أنّها مسائل اجتهادية، فليس اجتهاد غيره بأولى من اجتهاده- ولاسيّما أنّه خليفة الأمّة وطاعته ترفع الخلاف- ، وإمّا أن يكون حاصل منه - غفر الله له - بعض التجاوز في شيء من هذه الأمور الفرعية ، فماذا يساوي ذلك إلى جانب سابقته وفضله وعظيم قدره عند الله، وقد ارتكب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ما هو أكبر من ذلك بكثير، ومع هذا ثبت النص في عذره وعدم مؤاخذته بل ودخوله الجنة لأنه من أصحاب بدر ، وأين حاطب من عثمان ؟ (يُنظر: العواصم من القواصم ص 76 وما بعدها ، ومنهاج السنّة 197/6 وما بعدها) .

(٢) وهم يعدّون ما نقموه على عثمان من الكبائر ، رغم أنه إمام مجتهد واجب الطاعة ورغم أنه بيّن لهم أعذاره واستغفر مما يمكن أن يكون معصية وخطيئة .

حتى معركة صفين وحادثة التحكيم عندما أطلقوا مقولتهم الشهيرة : « لا حكم إلا لله » و اعتمادًا عليها كفّروا علياً ومعاوية والحكمين أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص وكلّ من رضي بالتحكيم، وشقّوا صفّ جيش أمير المؤمنين عليّ ﷺ ، وقد عُرفوا بالمحكّمة الأولى الذين مثّلوا الأرومة التي تفرّعت عنها جميع فرق الخوارج من الأزارقة والنجدات والعجاردة الأباضيّة وغيرهم. والأمر الذي يؤكّد ما أذهب إليه من التطوّر التاريخي المتدرّج لمنهج التكفير من حادثة مقتل عثمان إلى حادثة التحكيم أنّ هؤلاء الخوارج حينما ناقشهم عليّ وابن عمّه عبد الله بن عبّاس رجعوا بذاكرتهم إلى حرب الجمل وسألوه عنها، لمَ يأمرهم بقتالهم – يعني أصحاب الجمل – و لم يأذن لهم بغنائمهم[1]؟! .

فهذا يدلّ على أنّهم كانوا يرون أنّ الخارجين على عليّ كفارٌ بما فيهم عائشة وطلحة والزبير ﷺ فضلًا عن أهل الشام بإمرة معاوية، ولكن كانت مواقف عليّ ﷺ في عدم إكفار البغاة عليه تمثّل صمّام الآمان لهذا الفكر من التشظّي والانفجار في الساحة الفكريّة الإسلاميّة آنذاك، حتى كانت حادثة التحكيم فكانت المتنفّس المصطنع لخروج هذا الفكر بصورته المتشنّجة المعبّرة عن اعتمال داخليّ طال أمده وحان وقت خروجه من حيّز الفكر إلى حيّز التطبيق، فخرج متستراً بكلمة حقّ هي « لا حكم إلا لله » أرادوا بها باطلاً [2].

3– **إرجاء البدعة**: وكردّة فعل على التكفير المتبادل بين الخوارج والشيعة خصوصًا وعلى ظاهرة التكفير بالذنوب التي أخذ بها الخوارج، ظهر مرجئة البدعة الذين يقولون لا يضرّ مع الإيمان ذنبٌ كما أنّه لا ينفع مع الكفر طاعة .

وهم بذلك أخرجوا العمل من دائرة الإيمان الذي لا يعدو عندهم التصديق القلبيّ، خلافَ مذهب السواد الأعظم من المسلمين الذين يقولون: إنّ الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمن كثرت طاعته أزيد إيمانًا ممن هو دونه في الطاعة.[3]

---

(١) يُنظر البداية والنهاية :(7 / 312) .

(٢) في نهج البلاغة ص 93 لما سمع عليّ ﷺ قولهم: " لا حكم إلا لله " ، قال:(كلمة حقّ يُراد بها باطل ! نعم لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون : لا إمرة ، فإنّه لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر ..)

(٣) اعتقاد أئمة الحديث لأحمد بن إبراهيم الإسماعيلي (63/1) تحقيق: محمد الخميس، دار العاصمة – الرياض ،ط:1، 1412هـ.

4– **القول بالمنـــزلة بين المنـــزلتين** :وهو قول المعتزلة [1]ومن أخذ بقولهم من الزيدية والإمامية ؛ والمنـــزلة بين المنـــزلتين تعبّر عن منـــزلة الفاسق وهو الذي اقترف كبيرة، وبقي عليها حتى مماته على غير توبة، فهذا لا يحكم له بالإيمان، ولا يحكم عليه بالكفر؛ فهو في منـــزلة بين الإيمان والكفر، لذلك قالوا :إنّه يُعامل في الدنيا معاملة المسلمين، ويخلد في النار يوم القيامة تخليد الكافرين ؛ ولكنّ عذابه أدنى من عذابهم.

---

(١) وكان أوّل من أحدث القول به واصل بن عطاء في قصّته المشهورة التي خالف فيها الحسن البصري رحمه الله.

المبحث الثاني: موقف الأمويّين من الفرق العقديّة وأثر ذلك في الحديث:

المطلب الأوّل: الموقف من الإرجاء

لقد حظي القول بالإرجاء برضا بني أميّة لأنّ المرجئة أرجؤوا الحكم في ملوك بني أميّة فلم يكفّروهم كما فعل الخوارج والشيعة وإنّما أقرّوا بشرعيّة حكمهم وأوجبوا طاعتهم وحرّموا الخروج عليهم(١).

لكنّ واقع الحال أنّ أكثر الأمويّين كانوا من العثمانيّة الذين وسموا بالنصب.

والنصب: هو الانحراف عن عليّ وأهل بيته ﷺ ، وقد ظهر في العثمانيّة وفيهم أقوام من بني أميّة، وشاع النصب في جند الشام زمن معاوية ومن بعده، ويُعزا ذلك إلى تعقّد الأمور في ظروف الفتنة بعد مقتل عثمان ﷺ، حيث أخذ بعض أفراد هذا الفريق يميل إلى الحنق على عليّ ﷺ ومن معه من الصحابة ، لعدم تسلميهم قتلة عثمان ﷺ ومن هؤلاء ظهرت بذرة النصب.

والحقيقة أنّ النواصب في عصر بني أميّة لم يقعوا في تلك الأفعال الشنيعة في حقّ سيدنا علي ﷺ عن قناعة عقليّة أو عقديّة، بل كانت تصرفاتهم نابعة عن شحن نفسيّ وعاطفيّ من الظّلامة التي وقعت على عثمان ﷺ، معتبرين عليًّا ومن معه من الصحابة ﷺ شركاء في هذه الجريمة لتقاعسهم عن تسليمهم قتلة عثمان(٢) .

وهكذا فالنصب في تقديري بدأ حالةً عاطفيّة، لم تلبث أن تحوّلت إلى ولاء سياسيٍّ لدولة بني أميّة، ولكنّها لم تتحوّل إلى مذهب عقديّ كالذي طرأ على التشيّع.

وقد قام النصب على ركنين اثنين هما: العصبيّة العاطفيّة والجهل بفضل أهل البيت وعلى رأسهم عليّ وولداه الحسن والحسين ﷺ، ولهذا فإنّه مع تقادم الزمن وتضافر جهود

---

(١) يُنظر الفكر السياسي عند المعتزلة ص 35.

(٢) لذلك أخذت هذه النزعة بالاضمحلال بعد انقشاع الفتنة إلى أن اختفت تمامًا من أوساط المسلمين ؛ ولهذا لم أذكرها ضمن الفرق والمذاهب فضلًا عن كونها ردّة فعل نفسيّة أدّت إلى محاولة ستر مناقب أهل البيت، والشغب عليهم ؛ ولكنها بفضل الصحابة الكرام والتابعين بإحسان باءت بالفشل لأنهم أظهروا كلّ ما يعرفونه من مناقب أهل البيت، وهو ما سوف أدرسه بالتفصيل لاحقًا .

أهل الحديث في إبراز مناقب أهل البيت والتعريف بفضلهم أخذ النصب بالتلاشي والاضمحلال إلى أن انقرض بحمد الله.

وهكذا فمعَ رضا الأمويّين عن المرجئة إلا أنّهم لم يكونوا في الغالب كذلك، لأنّهم كانوا يمثّلون طرفًا من أطراف التراع ويرون أنّهم على الحقّ، وأنّ خصومهم على الباطل بما فيهم عليّ والحسين عليهما السلام.

ولذا فإنّ الإرجاء بمفهوم تأخير الحكم على الصحابة الذين اقتتلوا في الجمل وصفين إلى الله يوم القيامة كان الحلّ الوسط لعدم الاصطدام بالموقف الأمويّ .

ولكن كان أكثر الصحابة يصرُّ على إظهار مناقب سيّدنا عليّ ﷺ كما فعل سعد بن أبي وقاص ﷺ حينما سأله معاوية عن موقفه من سبّ عليّ [١]، وكما فعل سعيد بن زيد حينما سمع رجلاً يسبّ عليًّا في مجلس والي معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة[٢].

ولكن يبدو أنّ معاوية وجد في الإرجاء فرصة للحيدة عن الجواب على أسئلة أمّ المؤمنين عائشة ﷺ بعدما قتل حجرًا وأصحابه.فقال لها على طريقة المرجئة: « فدعيني وحجرًا حتى نلتقي عند ربنا عزّ وجلّ» [٣].

وأما عقيدة الإرجاء الخالصة والتي تنصّ على أنّه **لا تضرّ مع الإيمان معصية** ، فلم تكن

---

(١) يُنظر صحيح مسلم (4 /1870) في فضائل الصحابة، باب من فضائل عليّ ﷺ رقم (2404). ولفظ الحديث عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِى سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ، فَقَالَ : أَمَا مَا ذَكَرْتُ ثَلاَثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَنْ أَسُبَّهُ لأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ وقد خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نُبُوَّةَ بَعْدِى ». وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ : « لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ». قَالَ فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ « ادْعُوا لِي عَلِيًّا ». فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ « اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِي».

(٢) يُنظر مسند أحمد ط الرسالة (3 /174)رقم (1629)، سنن أبي داود (4 /344)كتاب السنة، باب في الخلفاء رقم (4652).

(٣) البداية والنهاية (6 /253) و روى الفسوي خبر حجر يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ 3 / 329، والبيهقي في الدلائل 7 / 345.

حاضرة في أذهان الأمويّين بهذه الصورة الفجّة، ولكنّها فتحت السبيل إلى التساهل في أمور العبادات، والجرأة على بعض الشهوات المحرّمة، وجاءت هذه النـــزعة متناغمة مع الظروف الاقتصاديّة التي بلغت حدّ الترف في عهد أبناء الصحابة الذين حصدوا غنائم الفتوح ضياعًا وأموالاً وجواريَ، فكثر اللّهو وانتشر السماع في حواضر المسلمين، ولاسيما في أولاد الخلفاء والأمراء والولاة. وأخلد لهذه العقيدة كثير من الشباب الذي انغمس في الملذّات والشهوات على اعتبار أنّ الكبائر لا تضرّ مع الإيمان.

وهكذا فإنّ مرجئة البدعة هم الذين قدّموا الغطاء الشرعيّ للمترفين من أبناء الملوك و الأمراء والأغنياء ليعتصروا ملذّات الدنيا بعد الفتوح التي درّت عليهم بخيراتها[١].

ويرى ابن تيمية أنّه كان للأمويّين إرجاء خاص بالخلفاء يضفي عليهم قداسةً دينيّة فكثير من أتباع بني أميّة، أو أكثرهم كانوا يعتقدون أنّ الإمام لا حساب عليه ولا عذاب ، وأنّ الله لا يؤاخذهم على ما يطيعون فيه الإمام ، بل تجب عليهم طاعة الإمام في كلّ شيء والله أمرهم بذلك وكلامهم في ذلك معروف كثير[٢].

ويشهد لذلك أن يزيد بن عبد الملك لّما ولي عزم على أن يتأسى بعمر بن عبد العزيز فما تركه قرناء السوء وحسّنوا له الظلم .

قال حرملة عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر ، فمكث كذلك أربعين ليلة ، فأُتي بأربعين شيخًا فشهدوا له أنّه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب [٣].

وهذا -إن ثبت- غلوٌّ في الخلفاء، وجهل في الدّين، وانحراف عن نصوص آيات القرآن الكريم التي قضت بمسؤولية العبد عن أعماله أمام الله تبارك وتعالى، وذلك كقوله تعالى : {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)} [البقرة: 281]، {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } [المدثر: 38].

ومخالفة للأحاديث الصحيحة المصرّحة أنّ كلّ إنسانٍ خليفةً كان أو أميرًا أو من عامة

---

(١) يُنظر الشعر في العصر الأمويّ، د غازي طليمات وعرفان الأشقر، دار الفكر-ط 1: 1429هـ/2008م، ص76-78.

(٢) منهاج السنة (6 /430).

(٣) يُنظر المرجع السابق، تاريخ دمشق (65 /304)، البداية والنهاية (9 /259)، تاريخ الخلفاء (ص 217).

الناس سيسأل يوم القيامة عن كل تصرّفاته وأعماله، ويحاسب من قبل ربه، ويجازى بما يستحق من نعيم أو عذاب، كقوله ﷺ (١): « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسؤْولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسؤْولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسؤْولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَمَسؤْولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.»

وكقوله ﷺ:(٢)« مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ».

ولكن ثمّة أسباب تدعونا إلى الشكّ في رواية شهادة الشيوخ الأربعين بأنّه ما على الخليفة من عقاب ولا حساب، أليس من العسير جدًّا إن لم يكن من المستحيل عرفًا أن يجتمع أربعون شيخًا على هذه الضلالة في صدر الإسلام سنة 100 هـ ؟! ثمّ أليس حريًّا بنا أن نتساءل عن هؤلاء الشيوخ الذين شهدوا بذلك الزور من هم؟ ما أسماؤهم؟! ثمّ ما درجتهم في العلم حتى قَبِلَ يزيدُ شهادتهم؟! كلّ تلك الأسئلة لن تسعفنا كتب التاريخ في الإجابة عليها.

وإذا كان رجاء بن حيوة وهو من أقرب العلماء إلى الأمويّين، وقد كانت له وظائف مهمّة في دولتهم، قد استعفى من صحبة يزيد بن عبد الملك لعدوله عن منهج عمر بن عبد العزيز(٣)، فما الظنّ بباقي العلماء في الشام وغيرها؟!

وهذه الرواية فضلًا عن ذلك كلّه معلولة بحرملة بن يحيى المصري وهو مختلف في توثيقه(٤)، ولكن لكثرة ما روى انفرد بغرائب، ولذا قال أبو حاتم: يُكتب حديثه ولا يحتجّ

---

(١) من حديث عبد الله بن عمر- أخرجه البخاري (2 /848) في كتاب الاستقراض، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه رقم 2278 ، و مسلم (3 /1459)في الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر رقم 1829 .

(٢) من حديث معقل بن يسارﷺ، أخرجه البخاري (6 /2614) في الأحكام باب من استرعي رعية فلم ينصح رقم (6731)، وأخرجه مسلم (1 /125) في الإيمان باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار رقم (142) .

(٣) يُنظر تاريخ دمشق (18 /110).

(٤)حرملة بن يحيى بن حرملة بن عمران أبو حفص التجيبي المصري صاحب الشافعي صدوق ، مات سنة (243 أو 244هـ) م س ق . يُنظر تقريب التهذيب (ص 156)، وقد ذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء (2 /458) تحقيق:يحيى غزاوي ، دار الفكر – بيروت ،ط:3، 1409هـ / 1988م ، وذكره ابن حبّان في الثقات (6 /233)، ويُنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (2 /201).

به[1]. ولاشكّ أنّ هذه الرواية من غرائبه فلم يروها أحدٌ غيره فلنا أن نتوقّف فيها.

وكذلك فإنّ مخرج الخبر هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب. توفي بالمدينة في أوّل خلافة هارون الرشيد، وكان كثير الحديث ضعيفًا جدًّا[2].

وقد تكلّم في ضعفه عليّ بن المدينيّ وابن معين، والنسائي، وابن حبّان وغيرهم[3].. حتى قال ابن الجوزيّ: أجمعوا على ضعفه[4].

وأمام ضعف إسناد الخبر مع غرابته، ونكارة متنه فإنّ تقرير ابن تيمية لهذا الإرجاء الخاص بالخلفاء يفقد قيمته العلميّة لأنّه مؤسسٌ على خبر منكر.

و تكون حقيقة الأمر أنّ عدول يزيد عن سيرة عمر بن عبد العزيز كان بفعل قرناء السوء فحسب، لا بشهادة الزور المزعومة.

وقد كان لسائر العلماء في عصر بني أميّة مواقف شديدة في ذمّ الإرجاء، فقد كان إبراهيم النخعيّ(ت: 96هـ) يبغضهم ويكره مجالستهم [5]، وكان يقول:" الإرجاء بدعة " ، و" إيّاكم و أهل هذا الرأي المحدث " - يعني الإرجاء -[6] .

وكذلك كان موقف عطاء بن أبي رباح فقد رُوي بسند رجاله ثقات عن طلحة بن عمرو قال: رأيت عطاء بن أبي رباح قال لرجل : قم عني قم عني ، فقلت : ما هذا؟ قال: أفرط في الإرجاء [7].

---

(١)الجرح والتعديل (3 /274)، ميزان الاعتدال (1 /472)

(٢)الطبقات الكبرى لابن سعد (5 /413)

(٣) يُنظر التاريخ الكبير (5 /284)، الجرح والتعديل (5 /233)، كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص 66)- تحقيق: محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي – حلب ، ط1، 1369هـ، الكامل في الضعفاء (4 /269) ، تهذيب التهذيب (6 /161).

(٤) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لابن الجوزي (2 /542)، تحقيق:خليل الميس ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 ، 1403هـ

(٥) يُنظر شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن، لابن شاهين (ص 25) تحقيق: عادل بن محمد، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ - 1995م.

(٦) يُنظر الطبقات الكبرى (6 / 191).

(٧) شرح مذاهب أهل السنة (ص 26).

وقال الزهريّ العالم القرشيّ المقرّب من الأمويّين :" ما ابتدعت في الإسلام بدعة هي أضرُّ على الملّة من هذه – يعني أهل الإرجاء – " (١) .

الأحاديث في الإرجاء:

لاشكّ أنّ أهل السنّة يحتجّون على المرجئة بالآيات والأحاديث الصحيحة قطعيّة الدلالة في تعذيب المسلم الفاسق، وإن كان أمره مفوّضًا إلى مشيئة الله تعالى إن شاء عفا بفضله وإن شاء عذّب بعدله.

ومن أشهر الأدلّة على ذلك ما رواه الشيخان عن زُبيد قال سألت أبا وائل عن المرجئة فقال: حدّثني عبد الله بن مسعود: أنّ النبيّ ﷺ قال: « سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ »(٢).والمراد إثبات ضرر المعصية مع وجود الإيمان.

وقد ظهرت بعض الأحاديث التي تؤصّل لبعض مقولات الإرجاء، وقد حكم العلماء بوضعها منها:

- ما رواه الحكم بن عبد الله أبو مطيع البلخيّ عن حماد بن سلمة عن أبي المهزّم عن أبي هريرة أنّ وفد ثقيف جاؤوا النبيّ ﷺ، فسألوه عن الإيمان هل يزيد أو ينقص؟ فقال :« لا؛ زيادته كفر ونقصانه شرك».

وقال أبو عبد الله الحاكم :هذا الحديث باطل وفى إسناده ظلمات منها أبو المهزّم (٣) إلا أنّ الذي تولى كبره أبو مطيع(٤).

قال ابن الجوزيّ: هذا حديث موضوع بلا شكّ، وهو من وضع أبي مطيع الحكم بن

---

(١)الشريعة للآجري (2/ 677) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن – الرياض، ط2، 1420 هـ - 1999 م .

(٢)البخاري (1 /27) في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر رقم (48)، مسلم (1 /81) في الإيمان باب بيان قول النبيّ ﷺ سباب المسلم رقم رقم(116).

(٣)يزيد بن سفيان أبو المهزّم متروك الحديث بصريّ . كتاب الضعفاء والمتروكين (ص 110)،ويُنظر التقريب (ص 676)

(٤) الموضوعات(156/2)- لابن الجوزي، تحقيق: محمود أحمد القيسية، مؤسسة النداء- أبوظبي، ط -2- 1423هـ/2002م

عبد الله(١).

والحكم هذا كان من رؤساء المرجئة ممن يبغض السنن ومنتحليها ، وكان بصيرًا بالرأي علّامة كبير الشأن، ولكنه واهٍ في ضبط الأثر. وقد ضعّفه البخاريّ وابن معين والنسائيّ، قال أحمد: لا ينبغي أن يُروى عنه شيء.وقال أبو داود: تركوا حديثه ، وقال ابن عدي: هو بَيِّن الضعف، عامة ما يرويه لا يُتابع عليه(٢).

وقد توفي سنة تسع وتسعين ومائة عن أربع وثمانين سنة ، وهذا يعني أنّه قضى سبع عشرة سنةً من عمره في العصر الأمويّ، ولذا يمكن أن يُدرج هذا الحديث في أثر ذلك العصر، ولكنّنا مع ذلك لا نرى على الحديث ولا المتّهم به أية بصمة للسلطة الأمويّة.

وقد تضافرت جهود الوضّاعين لتكريس مقولة المرجئة في أنّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فصاغوه حديثًا وضعه الجويباريّ أحمد بن عبد الله(٣) بسنده إلى عمر بن الخطاب عن النبيّ ﷺ، ووضعه بسند آخر عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ(٤).

والجويباريّ واضع الحديث ينتمي إلى العصر العباسيّ، وهو ينسب إلى جوبار من أعمال هراة(٥)، فهذا يدلّ على براءة الأمويّين من وضعه.

- وما رواه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد المكّيّ عن ابن جُريج عن عطاء عن ابن عباس قال :« القدريّة كفر، والشيعة هلكة، والحروريّة بدعة، وما نعلم الحقّ إلا في المرجئة». والخبر ظاهر الكذب، وإن كان موقوفًا على ابن عبّاس، وقد اتهم ابنُ حبّان به عبد المجيد فإنّه كان من المرجئة وأدخل والده في الإرجاء أيضًا، وغمزه فقال: منكر الحديث

---

(١)الموضوعات(155/2).

(٢) يُنظر المجروحين (1 /250) لابن حبان البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط1- 1396هـ-1976م، ميزان الاعتدال (1 /574)، لسان الميزان (2 /335).

(٣) أحمد بن عبدالله بن خالد الجويباري، وجوبار من عمل هراة، ويعرف بستوق ، يروي عن ابن عيينة وطبقته. قال ابن عدي: كان يضع الحديث لابن كرام على ما يريده، فكان ابن كرام يخرجها في كتبه عنه. وقال ابن حبان:دجال من الدجاجلة، روى عن الأئمة ألوف أحاديث ما حدثوا بشيء منها. ميزان الاعتدال (1 /106-107).

(٤) يُنظر الموضوعات (156/2-157).

(٥) يُنظر ترجمته في ميزان الاعتدال (1 /106).

جدًا يقلب الأخبار ويروي المناكير عن المشاهير فاستحقّ الترك[١].

و مع أنّ الذهبيّ حكم بالوضع على الخبر [٢]، إلا أنّه قال: ثقة مرجئ داعية غمزه ابن حبّان[٣].

قلت: والصحيح ردّ كلام المبتدع الداعي إلى بدعته فيما ينصر به بدعته، وهذا الخبر من ذلك الجنس.

وقد فتح الذهبيّ باب الاحتمالات في واضع هذا الخبر عندما قال: لم يوصله ابن حبان بنفسه[٤]، فأحسبه موضوعًا على عصام بن يوسف البلخي[٥] الراوي عن عبد المجيد، والبلخيّ هذا ولد ومات في العصر العباسيّ.

وقال الدارقطني في الأفراد ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا علي بن مسلم ثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال:((كلام القدريّة كفر، وكلام الحروريّة ضلالة ، وكلام الشيعة تلطّخ بالذنوب، والعصمة من الله واعلموا أن كلًّا بقدر الله)).

قال الدارقطني: تفرّد به عبد المجيد. وقال الذهبيّ: وبقية رجاله ثقات[٦]. قلت: هذا الخبر الخبر ليس فيه ما ينكر، فلعلّ غلطًا وقع في رواية الخبر من طريق عصام عن عبد المجيد.

قلت: عبد المجيد هذا توفي سنة 214هـ، وقيل سنة 206 هـ و لم يذكروا سنة ولادته أو عمره يوم مات، ولكن غالب الظنّ أنّه لم يدرك عصر بني أميّة أو أدركه صغيرًا، وكذلك فإنّ الراوي عن عبد المجيد هو عصام البلخيّ، من بلخ لم يدرك عصر بني أميّة، فاجتمع له البعد المكانيّ عن الشام، والبعد الزمانيّ عن عصر بني أميّة، مما يدلّ على أنّ الحديث مما شاع

---

(١) يُنظر الطبقات الكبرى لابن سعد (5 /500)،كتاب المجروحين (2 /160-161).

(٢) يُنظر ميزان الاعتدال (2 /648)

(٣) ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق – للذهبي (ص 124) المحقق : محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير المياديني ، مكتبة المنار ــ الزرقاء،ط1، 1406هـ – 1986م.

(٤) يعني جاء به معلّقًا عن عصام بن يوسف البخاري.

(٥)عصام بن يوسف البلخي روى عن سفيان وشعبة حدّث عنه عبد الصمد بن سليمان وغيره قال ابن عدي: روى أحاديث لا يتابع عليها وذكره ابن حبّان في الثقات وقال: كان صاحب حديث ثبتًا في الرواية ربما أخطأ ، وقال ابن سعد: كان عندهم ضعيفًا في الحديث ، وقال الخليلي : هو صدوق . مات ببلخ سنة خمس عشرة ومائتين . يُنظر الثقات لابن حبان (8 /521)،الكامل في الضعفاء (5 /371)، لسان الميزان (4 /168).

(٦)تهذيب التهذيب (6 /340).

في عصر العباسيّين

وعمومًا فإنّه لا يوجد في الخبر ما يشير إلى تهمة لبني أميّة في الخبر.

وأمّا **أحاديث ذمّ المرجئة** فهي عديدةٌ، ولكن لاشكّ أنّ الأمويّين منها براء على فرضيّة تبنيّ الأمويّين لهم أو سكوتهم عنهم، وفي كلا الحالتين فإنّ جملة الأحاديث المرفوعة إلى النبيّ ﷺ في شأن المرجئة تثبت أنّ الأمويّين لم يكن لهم سيطرة على الروايات في عصرهم.

ولكن مع ذلك لابدّ لنا من وقفة سريعة مع هذه الأحاديث، لأنّها نتاج حراك فكريّ بدأ في العصر الأمويّ واستمرّ بعده.

ما رواه عكرمة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ الْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ»(١).

والحديث أخرجه الترمذي وابن ماجة من طريق عليّ بن نزار بن حيان الأسديّ الكوفيّ مولى بني هاشم عن أبيه. وعليّ ضعيفٌ، قال ابن معين: ليس حديثه بشيء(٢)، وقال ابن حبّان: ينفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات ثم ذكر حديثه في المرجئة(٣).

وقال الأزدي: ضعيف جدًّا، واشتهر بهذا الحديث(٤).

ونزار بن حيّان والد عليّ ضعيف وقد اتّهمه ابن حبّان فقال: منكر الحديث جدًّا يأتي عن عكرمة بما ليس من حديثه حتى يسبق إلى القلب أنّه كان المتعمِّد لها لا يجوز الاحتجاج به بحال(٥).

وذكر ابن عديّ في الكامل في ترجمة ابنه علي بن نزار حديثه عن عكرمة عن ابن عباس في المرجئة والقدريّة ثم قال: هذا الحديث أحد ما أنكر على علي بن نزار وعلى والده (٦).

---

(١) أخرجه الترمذيّ (4 /454) رقم (2149) ، وابن ماجه (1 /24) رقم(62).

(٢)الجرح والتعديل (6 /207).

(٣)المجروحين (2 /112).

(٤)ميزان الاعتدال (3 /159)، تهذيب التهذيب (7 /340).

(٥)المجروحين (3 /56).

(٦) الكامل في الضعفاء (5 /194)،تهذيب التهذيب (10 /377).

والحديث رواه الترمذي وابن أبي عاصم [١] من حديث سَلامِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ عن عِكرمة عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ نحوه. أي نحو حديث علي بن نزار السابق.

وقد رواه ابن أبي عاصم [ت : 287هـ] [٢] بهذا السند بلفظ « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمْ فِي الإِسْلامِ سَهْمٌ الْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ».

وهذا الحديث ضعيفٌ لمكان سَلامِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ؛ قال ابن معين: ليس بشيء له في الترمذي حديث واحد في المرجئة والقدرية، وقال الأزديّ: واهي الحديث[٣].

وقال ابن حبّان: يروي عن الثقات المقلوبات لا يجوز الاحتجاج بخبره[٤].

وفي الباب أحاديث عن جماعة من الصحابة ولكنها لا تخلو من علّة من السند.

قال العقيلي: الرواية في هذا الباب فيها لين[٥].

ومن الموضوعات في هذا الباب:

- ما رواه الطبراني في الأوسط [٦] عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ:«صنفان من هذه الأمة لا تناله‍ما شفاعتي: المرجئة والقدرية ».وفيه محمد بن محصن وهو متروك[٧].

-وما رواه كذلك عن جابر بنحوه من طريقين الأوّل[٨] فيه بحر بن كنيز السقاء وهو وهو متروك[٩]، والثاني[١٠] فيه قرين بن سهل وهو كذّاب[١١].

---

(١)السنة لابن أبي عاصم (1 /153) تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط :1، 1400هـ.

(٢)السنة لابن أبي عاصم (1 /153).

(٣)تهذيب التهذيب (4 /251).

(٤)المجروحين (1 /341).

(٥)ضعفاء العقيلي (3 /98)،اللآلي المصنوعة (1 /239)

(٦) المعجم الأوسط (2 /174)رقم (1625).

(٧)محمد بن محصن العكاشي كذّبوه . يُنظر ميزان الاعتدال (4 /25)، تقريب التهذيب (ص 505).

(٨)المعجم الأوسط (6 /69) رقم(5817).

(٩)متروك الحديث بصريّ توفي 1606 .الضعفاء والمتروكين (ص 24)، الكامل في الضعفاء (2 /50)، ميزان الاعتدال (1 /298).

(١٠) المعجم الأوسط (6 /154) رقم (6065)

(١١) يُنظر الكامل في الضعفاء (3 /443)، ميزان الاعتدال (3 /389).

-حديث« لعن الله المرجئة قوم يتكلّمون على الإيمان بغير علم فيقولون إنّ الصلاة والزكاة والحج ليست بفريضة، فإن عمل فحسن، وإن لم يعمل فليس عليه شيء». رواه ابن عدي عن ابن عباس مرفوعًا وفي إسناده وضّاع وهو محمد بن سعيد الأزرق[١]. ويُروى الخبر أيضًا من طريق أحمد السمرقنديّ. قال الذهبيّ: نكرة لا يُعرف وخبره كَذِب[٢].

المطلب الثاني: موقف الأمويّين من الجبريّة والقدريّة:

العلاقة بين الجبريّة والقدريّة علاقة جدليّة فهما طرفان متقابلان في مسألة القدر، فالجبريّة يغلون في إثباته إلى درجة يُسلب العبدُ فيها الاختيار والكسب، والقدريّة بدورهم يغلون في نفي القدر لدرجة نفي العلم والتقدير المسبق للخالق بأفعال العباد وهم بذلك ينكرون ركنًا من أركان الإيمان.

والحقّ وسطٌ بينهما فالقدر حقٌّ يجب الإيمان به، والعبد مسؤول عن أفعاله أمام خالقه لأنها من كسبه كما سبق بيانه.

لكن هذه المقابلة العقديّة بين الجبر و نفي القدر لم تسلم من الإسقاطات السياسيّة قديمًا وحديثًا فنسبوا ظهور القول بالجبر إلى الأمويين ترسيخًا لسلطانهم، وأنّ القول بالقدر كان مذهب المعارضين لسلطان بني أميّة.

وقد وجدتُ أنّ المعتزلة – وهم قدريّة- أوّلُ من نسب القول بالجبر إلى الأمويين.

يقول القاضي المعتزلي عبد الجبّار الهمذانيّ نقلًا عن شيخه أبي علي الجبّائيّ (ت 303هـ) «وذكر شيخنا أبو عليّ رحمه الله، أن أوّل من قال بالجبر وأظهره معاوية، و أنّه أظهر أن ما يأتيه بقضاء الله، ومن خلقه، ليجعله عذرًا فيما يأتيه ، ويوهم أنّه مصيبٌ فيه، وأنّ الله جعله

---

(١)كذّاب يضع الحديث . الكامل في الضعفاء (6 / 294)، الموضوعات (2 / 352)، ميزان الاعتدال (3 /565)،لسان الميزان (5 /177)، الفوائد المجموعة للشوكاني (ص 506) المكتب الإسلامي – بيروت، ط3 ، 1407هـ، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي.

(٢)يُنظر ميزان الاعتدال (1 /166)، لسان الميزان (1 /329).

إمامًا وولاه الأمر، وفشا ذلك في ملوك بني أمية)).[١]

فالجبائيّ يرى أنّ الأمويّين حاولوا إقناع الناس أنّ الله اختارهم للخلافة، و آتاهم الملك، وأنهم يحكمون بإرادته ويتصرفون بمشيئته، ليحيطوا خلافتهم بهالة من القداسة التي تمنع المسلمين من الثورة عليهم.

وهذه دعوى تفتقر إلى الدليل، وقد استدلّ القاضي عبد الجبّار لرأي شيخه الجبائيّ بقولين لمعاوية:

-الأوّل في الإمامة والرياسة: ((لو لم يرني الله أهلاً لهذا الأمر ما تركني وإيّاه، ولو كره الله ما نحن فيه لغيَّره.)) [٢]

-والثاني في السياسة الماليّة: ((أنا خازن من خزّان الله تعالى، أعطي من أعطاه الله، وأمنع من منعه الله، ولو كره الله أمرًا لغيَّره.)) [٣]

ولو ثبت هذان القولان أو أحدهما لكان ذلك حجةً دامغةً فيما ذهب إليه المعتزلة، ولكنّ القاضي لم يذكر لهما سندًا يتمكّن الباحث من نقده، وما وجدتُ لهذه الأخبار أثرًا في المصادر التاريخيّة والحديثيّة والأدبيّة ، وهذا دليل على أنّه مما اختلقه القدريّة في الطعن على بني أميّة.

ومما يردّ هذه الدعوى أنّ الجاحظ (ت 255 هـ)[٤] -وهو إمام في الاعتزال، وقد كان قبلهما- لم ينسب إلى معاوية القول بالجبر مع سوء قالته فيه، وكان جلُّ ما حكاه في نشوء الجبريّة أنّها ظهرت في العراق في ولاية زياد بن أبيه[٥].

وتسرّبت هذه الدعوى إلى المعاصرين بفعل كتابات المعتزلة قديمًا، وبفعل الاستشراق

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، لهمداني، عبد الجبار بن أحمد (ت 415هـ)، تحقيق عبد الكريم عثمان، ط 2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988، ج 8 - ص4.

(٢) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة- ص 143، لأبي القاسم البلخيّ وللقاضي عبد الجبار المعتزليّ. تحقيق:فؤاد السيد،الدار التونسيّة للنشر، طبعة عام 1974م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة.مولده ووفاته في البصرة .له تصانيف كثيرة. يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (11 / 526 وما بعدها)، الأعلام للزركلي (5 /74).

(٥) رسائل الجاحظ – (189/2) من رسالة له في ذمّ أخلاق الكتاب، مكتبة الخانجي- القاهرة، طبعة عام 1964م.

الذي كرّس هذه المقولة [١]، ومن أشهر المعاصرين الذين تبنّوا نسبة الجبر إلى بني أميّة أحمد أمين، فقد قال : ((وبنو أميّة كما يظهر كانوا يكرهون القول بحريّة الإرادة لا دينيًّا فقط ولكن سياسيًّا كذلك ؛ لأن الجبر يخدم سياستهم. فالنتيجة للجبر أن الله الذي يسير الأمور قد فرض على الناس بني أميّة كما فرض كلّ شيء، ودولتهم بقضاء الله وقدره فيجب الخضوع للقضاء والقدر))[٢] .

وكرّر النشار مقولة الجبائيّ فقال: ((كان معاوية يُعلن الجبر بالشام)) [٣].

كما زعم شاكر مصطفى أنّ فلسفة الجبريّة كانت تقوم في أساس الفكر الأمويّ، فلو أراد الله غير ما هو كائن لفعل فدلّ ذلك على أنّ سلطانهم من مراد الله[٤] .

وكذلك فإنّ شرعيّة البيت الأمويّ بالذات استندت إلى القدر الإلهيّ فالله هو المعطي للأمويين والمانع لسواهم[٥].

وقد تنوّعت الأقوال في آلية نشوء الجبريّة والقدريّة:

- فقد رسم بعضهم رؤيةً فلسفيّة بنكهةٍ سياسيّة لنشوء هاتين الفرقتين تقوم على أنّ قرّاء الشام أعلنوا فكرة الجبر المطلق، وأنها التفسير الوحيد للنصوص القرآنية، إرضاءً للخليفة المُغتصب، والخليفة بدوره أمر عُماله في مختلف بقاع العالم الإسلامي بنشر الفكرة، وأخْذ الناس بها، ليهرم عليها الكبير، ويشبَّ عليها الصغير، فتذلَّ أعناق الناس لهم بالجبر الإلهي، ويخضعوا لحكمهم على أنّه قدَرُ الله الأزليّ، فلما أنكر القدريّة ذلك، ودعوا إلى

---

(١) يُنظر ما ذكره المستشرق غولدتسهير في كتابه الشهير مقدمة في العقيدة والشريعة في الإسلام ص86.
فقد استدلّ لتأكيد فكرة الجبر ببعض الأحداث التي لم أجد لها أصلًا كقول عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو ابن سعيد الأشدق: لقد قتل أمير المؤمنين رئيسكم كما قضى الله في حكمه المحكوم .
Introduction To Islamic Theology And Law, Goldziher, Ignas, Princeton University Press, Princeton, 1981, P86.

(٢) ضحى الإسلام (3 / 81).

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام- علي سامي النشار (231/1-232)، ط 7، دار المعارف، القاهرة، 1978 م.

(٤) يُنظر "دولة بني العباس " (1 / 28) وكالة المطبوعات- الكويت 1974م، وقد قال بنسبة الجبر إلى الأمويين معظم الدارسين المعاصرين في مجال العقائد والفرق، ينظر التفكير الفلسفي في الإسلام ، د عبد الحليم محمود ص145، الخلافات السياسية بين الصحابة، محمد الشنقيطي ص28

(٥) السلطة والمعارضة ص254 .

مذهب الإرادة الحرة في الاختيار، حاربهم الأمويون(١).

-وذهب بعضهم إلى أنّها ردّة فعل على انتشار المعاصي بفعل الترف الذي شاع بين الناس، في عصر بني أميّة، فقد سمع معبد بن خالد الجهني (٢) في البصرة من يتعلل في المعصية بالقدر، فقام بالردّ عليه: ينفي كون القدر سالبًا للاختيار في أفعال العباد، وهو يريد الدفاع عن شرعيّة التكاليف، فضاقت عبارته، وقال: «لا قدرَ والأمر أُنُفٌ» (٣).

-وقيل إنّها ردّة فعل على جبريّة ملوك بني أميّة، والتي كانوا يعلّلون بها أفعالهم الظالمة(٤).وقد ذكر العقيلي في الضعفاء (٥)بسنده إلى حمّاد بن زيد: أنّ معبد الجهني وعطاء بن أبي ميمونة (٦) كانا يأتيان الحسن- يعني البصري- فيقولان: يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون الأموال ويفعلون ويقولون : إنما تجر ي أعمالنا على قدر الله .قال فقال: كذب أعداء الله .

قلت: لئن كان بعض خلفاء بني أميّة قد سوّغ وصوله إلى الخلافة بقضاء الله وقدره، فدليلهم ظاهر قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل

---

(١) يُنظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام – علي سامي النشار (3/ 286، 314)، التفكير الفلسفي في الإسلام – عبد الحليم محمود..ص145

(٢) معبد بن خالد الجهني القدري ويقال إنّه ابن عبد الله بن عكيم ويقال اسم جده عويمر صدوق مبتدع وهو أوّل من أظهر القدر بالبصرة، قُتل سنة ثمانين. ويلاحظ التميز بينه وبين الصحابي معبد بن خالد الجهني. يُنظر تقريب التهذيب (ص 539)

(٣) مقدمة الشيخ زاهد الكوثري على كتاب تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعريّ- لابن عساكر ص11.

(٤) يُنظر التفكير الفلسفي في الإسلام د عبد الحليم محمود ص 146.

(٥) ضعفاء العقيلي (3 /403).

(٦) وقد نقل الدكتور عبد الحليم محمود القصّة من كتاب المعارف لابن قتيبة الذي وَهَم في عطاء فسمّاه عطاء بن يسار وهو تابعي ثقة لم يرمَ بالقدر؛ والصواب أنه ابن ميمونة كما ذكره العقيلي. يُنظر المعارف لابن قتيبة ج1/ص441- دار المعارف - القاهرة ، تحقيق: د. ثروت عكاشة ، و يُنظر التفكير الفلسفي في الإسلام ص146. و عطاء بن أبي ميمونة البصري هو أبو معاذ واسم أبي ميمونة منيع ثقة رمي بالقدر مات سنة (131هـ) خ م د س ق . تقريب التهذيب (ص 392)

عمران:26].ولكن لم يصحّ عن أحد منهم أنّه سوّغ سفكه الدماء وأخذ الأموال بالقدر.

ولا شكّ أن الظروف السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة في العصر الأمويّ أسهمت في نشوء هذه الفرق العقديّة، ومن الممكن أن تكون الأفكار الجبريّة أسهمت في توكيد سلطان الأمويين بين الجبريين، وكذلك من المحتمل أن تكون القدريّة أسهمت في تحريك الثائرين على بني أميّة ولكنّها تبقى مجرد احتمالات لا أكثر .

وبالعودة إلى جذور الجدل في القدر نجد أنّها أثيرت لأوّل مرّة على سبيل الإنكار [١] في الشام زمن عمر بن الخطاب يوم خطب الناسَ بالجابية في الشام، قال: «من يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له». فردّ عليه الْجَاثَلِيقُ - رأس النصارى ــ وقال: إن الله يهدي ولا يُضل، أو قال: إنّ الله لا يضل أحدًا.

فقال عمر :كذبت يا عدو الله، بل الله خلقك، وهو أضلّك، وهو يدخلك النار إن شاء الله، والله لولا وَلْثُ[٢] عهدٍ لك لضربتُ عنقك .

ثم قال: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق آدم عليه السلام نثر ذريّته ، فكتب أهل الجنة وما هم عاملون، وأهل النار وما هم عاملون ، ثم قال : هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه .

ولقد كان الناس تذاكروا القدر، فافترق الناس وما يذكره أحدٌ.

وهذا الخبر ذكره جماعة من المصنّفين[٣] بروايات متقاربة مدارها على خالد بن مهران الحذاء

---

(١) لأنّه رُوي عن بعض الصحابة أنّهم سألوا رسول الله ﷺ عن القدر والعمل على سبيل التعلّم والاستيضاح. ومنه ما رواه مسلم (4 /2040) في القدر باب كيفية خلق الآدمي.. رقم(2648) عَنْ جَابِرٍ قَالَ جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلاَمُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ ؟ قَالَ: « لاَ.بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلاَمُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ». قَالَ : فَفِيمَ الْعَمَلُ ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ فَسَأَلْتُ مَا قَالَ؟ فَقَالَ: « اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ».

وروى أحمد(1 /200) رقم (19):عن أبي بكر بسند حسن لغيره أنّه قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنَعْمَلُ عَلَى مَا فُرِغَ مِنْهُ ، أَوْ عَلَى أَمْرٍ مُؤْتَنَفٍ ؟ قَالَ: « بَلْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ » ، قَالَ: قُلْتُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: « كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ».

(٢) الوَلْثُ عَقْدُ العَهْدِ بين القوم وقيل هو ضَعْفُ العُقْدَة .لسان العرب (2 /203).

(٣) يُنظر الشريعة للآجري (2/ 839)، واعتقاد أهل السنة (4 /655)، والإبانة لابن بطة (2 /129)رقم(1560) تحقيق : د.عثمان عبدالله آدم الأثيوبي، دار الراية – الرياض، ط2 ، 1418هـ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (27 /315-316).

عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشيّ[١] عن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشميّ عن عمر بن الخطاب.

وهذا إسناد جيّد رجاله ثقات إلا عبد الأعلى بن عبد الله فإنّ ابن حبان ذكره في الثقات[٢] وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً[٣]، وقال ابن حجر مقبول[٤].

وقد روي أن معبدًا الجهنيّ أخذ القول بالقدر عن رجل نصرانيّ[٥]، فالظاهر أنّ أصل إنكار القدر كان من الموروث الفكريّ للنصارى[٦]، وقد انتقل إلى ساحة الجدل الإسلاميّ بعد الفتوح الإسلاميّة للشام والعراق ومصر، والنصرانيّة دين قديم في هذه الأقاليم الثلاثة، وقد تشبّع هؤلاء بالفلسفة اليونانية، فلمّا دخلوا الإسلام كانت في رؤوسهم أفكار من ديانتهم القديمة، وكانت هذه الأديان تسلّحت من قبل بالفلسفة اليونانيّة، كما كانت البلاد الإسلاميّة مملوءة بأصحاب هذه الأديان الذين ظلّوا على دينهم، وكانوا يجادلون المسلمين ويطارحونهم المسائل الدينيّة المختلفة.

---

(١) وفي بعض الروايات الخزاعي وهو وهم وإنّما هو القرشيّ كما أثبتّه. يُنظر تاريخ دمشق (27 /315).

(٢) الثقات لابن حبان (7 /129)ترجمة رقم (9312).

(٣) الجرح والتعديل (6 /27) رقم (141).

(٤) تقريب التهذيب (ص 331)

(٥) يُنظر البداية والنهاية (9 /42)

(٦) فقد روي بسند ضعيف عن مسلم بن يسار أنّه قال: إنّ معبدًا يقول بقول النصارى يعني معبد الجهني . السنة للخلال (3 /528)

موقف بني أميّة من القدريّة:

لقد ثبت أنّ بني أميّة حاربوا القدريّة بالفكر والسيف، فقد كان رأي عمر بن عبد العزيز في القدريّة أن يُبيَّن لهم وأن يُرفَق بهم حتى يرجعوا [(١)]، ولكن لما رأى إصرارهم على ذلك، استشار فيهم فأشار عليه العلماء باستتابتهم وإلا عرضوا على السيف. فقد روى ابن عبد البرّ في الاستذكار عن مالك- إمام دار الهجرة- عن عمّه أبي سهيل بن مالك أنّه قال : كنت أسير مع عمر بن عبد العزيز ، فقال: ما رأيك في هؤلاء القدريّة ؟ فقلت: رأيي أن تستتيبهم، فإن تابوا وإلا عرضتهم على السيف ، فقال عمر بن عبد العزيز : ذلك رأيي. قال مالك: وذلك رأيي.[(٢)]

وهذا ما حصل بالفعل فقد استتاب عمر غيلان بعد أن ناظره بآيات القرآن العظيم فحجّه، ثم قال: ما تقول يا غيلان؟ قال: أقول: قد كنت أعمى فبصّرتني، وأصمّ فأسمعتني، وضالاً فهديتني، فقال عمر: اللّهم إن كان عبدك غيلان صادقًا، وإلّا فاصلبه[(٣)].

وروي أنّ عمر قال: اللّهم إن كان أعطاني بلسانه ومحنته في قلبه فأذقه حرّ السيف[(٤)].

ولكنّ غيلان عاد إلى القول بالقدر بعد وفاة عمر ﷺ، فلما ولي هشام بن عبد الملك أرسل إليه فقال له: أليس قد كنت عاهدت الله لعمر لا تتكلّم في شيء من هذا أبدًا.

قال: أقِلني، فوالله لا أعود .

قال: لا أقالني الله إن أقلتك هل تقرأ فاتحة الكتاب؟

قال: نعم .

قال: اقرأ الحمد لله رب العالمين ، فقرأ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: 2 - 5].

---

(١) الشريعة للآجري (2/ 917).

(٢) الاستذكار لابن عبد البر(8 /266) تحقيق: سالم محمد عطا-محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت - 2000م، ط:1، ويُنظر الشريعة للآجري (2/ 917)، وقد روي عنه أنّه قال في أصحاب القدر يستتابون فإن تابوا، وإلا نفوا من ديار المسلمين.يُنظر اعتقاد أهل السنة (4 /710).

(٣) الشريعة للآجري (2/ 919-920).

(٤) تاريخ دمشق (48 /209).

قال: قف؛ علامَ استعنته؟! على أمر بيده لا تستطيعه، أو على أمر في يدك[١].

وروي أنّ الأوزاعي ناظره في حضرة هشام فحجّه وخصمه، فأمر به هشام فصُلب [٢]، وقتل معه كذلك صالح بن سويد[٣] من خاصة أصحاب غيلان.

قال محمد بن الحسين – الآجريّ [٤] رحمه الله : «كان غيلان مُصرًّا على الكفر بقوله في القدر، فإذا حضر عند عمر نافق، وأنكر أن يقول بالقدر، فدعا عليه عمر بأن يجعله الله ﷻ آية للمؤمنين، إن كان كذاباً، فأجاب الله عز وجل فيه دعوة عمر، فتكلّم غيلان في وقت هشام، هو وَصالح مولى ثقيف، فقتلهما وصلبهما، وقبل ذلك قطع يد غيلان ولسانه، ثم قتله وصلبه ، فاستحسن العلماء في وقته ما فعل بهما »[٥].

ومن العلماء الذين استحسنوا ذلك رجاء بن حيوة فقد كتب إلى هشام بن عبد الملك: « بَلَغَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ وَقَعَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ مِنْ قِبَلِ غَيْلَانَ وَصَالِحٍ، فَوَاللَّهِ لَقَتْلُهُمَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفَيْنِ مِنَ الرُّومِ وَالتُّرْكِ »[٦]، ومنهم عباد بن نسي الذي علّق على الخبر بقوله: « أصاب والله فيه القضية والسنّة، ولأكتبنّ إليه فلأحسننّ له ما صنع » [٧].

وكذلك فقد بلغ نُمير بن أوس – قاضي دمشق– أنّ هشامًا وقر في صدره من قتل غيلان شيء، فكتب إليه نمير: لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنّ قتل غيلان كان من فتوح الله العظام على

---

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها ، اعتقاد أهل السنة (4 /715)، وفي سنده مؤمّل بن إسماعيل صدوق سيء الحفظ.تقريب التهذيب (ص 555)

(٢)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، لأبي القاسم اللالكائي(4 /718)– تحقيق : د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة – الرياض ، 1402هـ ، تاريخ دمشق (48 /204–208).

(٣) صالح بن سويد ويقال بن عبد الرحمن يُكنّى أبا عبد السلام ، كان يرى القدر قتله هشام بن عبد الملك في خلافته هو وغيلان القدر ي، وكان من حرس عمر بن عبد العزيز، وقد ناظره مع غيلان واستتابه كذلك.يُنظر تاريخ دمشق (23 /334)،لسان الميزان (3 /170).

(٤) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري ت(360هـ): الإِمَامُ، المُحَدِّثُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الحَرَمِ الشَّرِيْفِ ، فقيه شافعي محدّث، نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها، وحدّث ببغداد، قبل سنة 330هـ ثم انتقل إلى مكة، فتنسّك، وتوفي فيها. سير أعلام النبلاء (16 /133–135) الأعلام للزركلي (6 /97).

(٥)الشريعة للآجري (2/ 929).

(٦) الشريعة للآجري (2/ 922)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة –اللالكائي(4 /717).

(٧) المرجعين السابقين الجزء والصفحة نفسهما.

هذه الأمّة[١].

أمّا معبد الجهنيّ القدريّ فقد كان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله[٢]، وقيل: بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله[٣].

وكان هشامٌ قد عمل بقول عمر بن عبد العزيز في نفي القدريّة، فنفى أقوامًا منهم إلى جزيرة دَهْلَك[٤]، و لم يقبل من بعده الخليفة الوليد بن يزيد الشفاعة فيهم وقال: « والله ما عمل هشام عملًا أرجى له عندي أن تناله المغفرة به من قتله القدريّة وتسييره إيّاهم. »[٥]

والخلاصة أنّ الدولة الأمويّة حاربت القدريّة منذ بداياتها فكرًا ومناظرةً، فلمّا استفحل أمر القدريّة أعملوا السيفَ في أئمتهم ونفوا أقومًا منهم، وكان هشام بن عبد الملك أكثر الخلفاء الأمويّين شدّةً عليهم، وقد حُكي أنّ يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له الناقص لما وَلي دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرّب غيلان[٦].

وانتقد الذهبيّ وابن كثير هذه الرواية بأنّ غيلانَ كان قَدْ صَلَبَه هِشَامٌ قَبْلَ هَذَا الوَقْتِ بِمُدَّةٍ[٧]، وهذا دليل على كذب هذه الرواية التي نُسبت إلى الشافعيّ و التي لم أجد لها إسنادًا إسنادًا إليه، وكذا فإنّ الشافعيّ ولد في عصر بني العباس سنة 150هـ، و لم يدرك يزيد الناقص الذي توفي سنة 126هـ.

---

(١) تاريخ دمشق (48 /211).

(٢) يُنظر المعرفة والتاريخ – للفسوي ج2/ص162.

(٣) البداية والنهاية (9 /43).

(٤) دَهْلَك: هي جزيرة بين اليمن والحبشة، كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه. معجم البلدان (2 /492).

(٥) تاريخ الطبري (4 /236).

(٦) يُنظر سير أعلام النبلاء (5 /376)، البداية والنهاية (10 /17)، تاريخ الخلفاء – للسيوطي (ص 222).

(٧) يُنظر سير أعلام النبلاء (5 /376)، البداية والنهاية (10 /19).

موقف الأمويّين من أئمة الجبريّة:

ينسب القول بالجبر إلى الجعد بن درهم وعنه أخذ الجهم بن صفوان الذي تُنسب إليه الجهمية.

وقد نال الجعد حظوة في بلاط الأمويّين، فقد كان مؤدِّبًا لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة، وكان مروان يُنسب إليه على سبيل الذّم من أعدائه فيُقال مروان الجعديّ [١]، وإنما نفقت آراؤه عند الناس بعض الشيء لهذا السبب فيما يراه ابن القيم[٢].

وقد انتهى المطاف بالجعد والجهم إلى القتل بسيوف أمراء بني أميّة، أمّا الجعد فقتله أمير واسط خالد بن عبد الله القسري بأمرٍ من هشام بن عبد الملك فذبحه ذبحًا بواسط في يوم الأضحى على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين[٣].

واستحسن المسلمون فعله و لم ينكر أحد على الأمير، قال الدارميّ: « وأما الجعد فأخذه- يعني خالد القسريّ- لا يعيبه به عائب ولا يطعن عليه طاعن ، بل استحسنوا ذلك من فعله وصوّبوه من رأيه. » [٤]

وأمّا الجهم بن صفوان فقد كان بمرو ، فكتب هشام بن عبد الملك إلى واليه على خراسان نصر بن سيار يأمره بقتله ، فكتب إلى سلم بن أحوز وكان على مرو فضرب عنقه بين نظارة أهل العلم وهم يحمدون ذلك [٥] .

وفي بعض الروايات أنّ هشام بن عبد الملك كتب إلى سلم بن أحوز مباشرةً أن يقتل جهمًا حيث ما لقيه فقتله سلم بن أحوز وكان والي مرو [٦].

---

(١) يُنظر تاريخ ابن خلدون (3 /132) ، الأعلام للزركلي (2 /120).

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم (3 /1071)- تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة – الرياض، ط:3 1418هـ - 1998م.

(٣) الرد على الجهمية - عثمان بن سعيد الدارمي (ص 21)- تحقيق:بدر بن عبدالله البدر، دار ابن الأثير – الكويت، ط2 ، 1995م.

(٤) الرد على الجهمية - الدارمي (ص 21)، ويُنظر بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – لابن تيمية(2 /470) - تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة - مكة المكرمة، ط:1، 1392هـ.

(٥) بيان تلبيس الجهمية (1 /277).

(٦)شرح أصول اعتقاد أهل السنة –اللالكائي (3 /381).

وظاهر الروايات أنّ قَتْل جَهْم كَانَ فِي خِلَافَة هِشَام بْن عَبْد الْمَلِك ، وهذا وهمٌ، والصحيح أنّ هشامًا أمر بقتله ولكن حدث ذلك بعد عهد هشام في سنة 128هـ، بعد مقتل الحارث بن سُريج التميمي الخارج على الأمويين والذي كان جهم ينصره ويدعو له [١].

وقد عدّ بعض الباحثين قتل أئمة الجبريّة دليل براءة للأمويين مما نسب إليهم من القول بالجبر والدعوة إليه[٢].

ولكن التتبّع الدقيق للروايات يدلُّ على أنّ القول بالجبر لم يكن سبب قتلهما المباشر، بل قولهما بخلق القرآن وتعطيل صفات الرحمن هو السبب الذي صرّحت به الروايات.

أمّا الجعدُ فالإدانة التي وجّهها له خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ كانت واضحةً، فعن عبد الرحمن يعني بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال : شهدتُ خالدَ بنَ عبد الله القسريّ وقد خطبهم في يوم أضحى بواسط فقال : ارجعوا أيّها الناس فضحّوا تقبلَ الله منكم فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، **إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَعْدُ عُلُوًّا كَبِيرًا !** ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ[٣].

ونلاحظ أنّ خالدًا القسريّ لم يذكر في خطبته عقيدة الجبر، بل أكدّ على عقيدة الجعد في تعطيل الصفات بنفيه صفة المحبّة، وصفة الكلام عن الله جلّ وعلا.

وكذلك فإنّ نصّ كتاب هشام إلى نصر بن سيّار عامله على خرسان يوّضح أنّ سبب الأمر بقتل جهمٍ ليس الجبريّة بل الزندقة، ونصّه: أمّا بعد فقد نَجَمَ قِبلك رجلٌ من الدهريّة من الزنادقة يُقال له جهم بن صفوان ، فإن أنتَ ظفرتَ به فاقتله ، وإلا فأدسسْ إليه من

---

(١) يُنظر فتح الباري لابن حجر (20 /437)،ويُنظر تاريخ الطبري (6 /2). والحارث بن سريج التميمي (ت: 128 هـ): ثائر من الأبطال.كان من سكان خراسان، وخرج على أميرها سنة 116هـ، فلبس السواد خالعًا طاعة بني مروان (والخليفة يومئذ هشام بن عبد الملك) وداعيًا إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضا، وعَظُم أمره فقيل: إن عدّة جيشه بلغت ستين ألفا.قتل أمام سور مرو . يُنظر البداية والنهاية – (10 / 28)، والأعلام للزركلي (2 /154)

(٢) يُنظر " منهج كتابة التاريخ الإسلامي " الدكتور محمد بن صامل السلمي (ص 202-203).

(٣) خلق أفعال العباد للبخاريّ (ص 29) تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ، دار المعارف السعودية – الرياض ، 1398هـ – 1978م ، الرد على الجهمية – الدارمي (ص 209)، سنن البيهقي الكبرى (10 /205)، الشريعة للآجري (3/ 1122).

الرجال غيلةً ليقتلوه[١].

قال ابن حجر: وَأَخْرَجَ اِبْنُ أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن صَالِحٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِم قَالَ: قَالَ سَلْم حِين أَخَذَهُ : يَا جَهْم إِنِّي لَسْت أَقْتُلك؛ لِأَنَّك قَاتَلْتَنِي، أَنْتَ عِنْدِي أَحْقَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَلَكِنِّي سَمِعْتُك تَتَكَلَّم بِكَلَامٍ أَعْطَيْت اللَّه عَهْدًا أَنْ لَا أَمْلِكك إِلَّا قَتَلْتُك فَقَتَلَهُ، وَمِنْ طَرِيق مُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان عَنْ خَلَّاد الطُّفَاوِيّ بَلَغَ سَلْم بْن أَحْوَز وَكَانَ عَلَى شُرْطَة خُرَاسَان أَنَّ جَهْم ابن صَفْوَان يُنْكِر أَنَّ اللَّه كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا فَقَتَلَهُ[٢].

في ضوء هذه المرويّات التي سجّلت سبب قتل الجعد ثمّ تلميذه جهم نجد أنّ الدافع إلى قتلهما كان دافعًا دينيًّا وليس سياسيًّا، وهذا الدافع لا يتعلّق مباشرةً بعقيدة الجبر بل في تعطيل الصفات وما يستلزمه من القول بخلق القرآن، بل هما أوّل من أحدث هذا القول في أمّة الإسلام.

قال الإمام اللّالكائي:« ولا خلاف بين الأمّة أن أوّل من قال القرآن مخلوق جعد بن درهم في سني نيف وعشرين ثم جهم بن صفوان »[٣] .

ولقد تعلّق بهذا القول بعدهما المعتزلة الذين ورثوا من معبدٍ وغيلانَ الكلام في القدر، ومن جعدٍ وجهمٍ تعطيل الصفات والقول بخلق القرآن الكريم.

ولعلّ الأمويّين لم يحاسبوا أئمة الجبر على مذهبهم لأمرين :

الأوّل: سياسيٌّ لأنّ القول بالجبر يعززّ بشكل أو بآخر مكانة الحكم الأمويّ وشرعيّته، ومع عدم قيام الحجّة القاطعة على الأمويّين في قولهم بالجبر، فكلّ هذه التحليلات لا تعدو رتبة الظنِّ والتخمين.

والثاني: دينيّ لأنّ القول بالقدر شاع في ذلك العصر؛ وأخذ العلماء بالردّ عليه، وفي مثل هذه الظروف التي ينشأ فيها الفعل وردُّ الفعلِ يحصلُ في العادة تجاوز في الردّ القويّ على الفعل المستهجن، وعادةً فإنّ المجتمع يتسامح في الردّ ولو تطرّف في موقفه، وسبق أن ذكرنا أنّ القدريّة الأوائل كانوا ينفون القدر جملةً، فكانت ردّة الفعل أن تجد من ينفي قدرة المكلّف ومشيئته جملةً.

---

(١)شرح أصول اعتقاد أهل السنة –اللالكائي (3 /381).

(٢) فتح الباري لابن حجر (20 /437).

(٣)شرح أصول اعتقاد أهل السنة –اللالكائي (2 /312).

وفي سياق الفعل وردّ الفعل نجد أنّ جهمَ بنَ صفوانَ كان يردّ بنفي الصفات على معاصره مقاتل بن سليمان الذي كان يثبت الصفات إثباتًا يوهم بالتجسيم.

قال العباس بن مصعب في تاريخ مرو: كان مقاتل لا يضبط الإسناد، وكان يقصّ في الجامع بمرو، فقدم جهم فجلس إلى مقاتل، فوقعت العصبية بينهما، فوضع كل واحد منهما على الآخر كتابًا ينقض عليه[١].

وفي هذا يروى عن أبي حنيفة رحمه الله أنّه قال: « أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال إنّه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه.»[٢] .

وكذلك الشأن في القدر نفيًا وإثباتًا يقول الشيخ زاهد الكوثري: ولما بدأ يذيع رأي معبد أخذ في الردّ عليه "جهم بن صفوان" بخراسان فوقع في الجبر؛ ونشأ عنه مذهب الجبريّة[٣].

وثمّة أمرٌ آخر يرجع إلى العامل الديني وهو أنّ أدلّة المجبّرة هي أدلّة المثبتين للقدر من أهل السنّة، ولكنّ أهل السنّة يثبتون القدر والمسؤوليّة، والمجبّرة يثبتون القدر وينفون المسؤوليّة، فهم يحتجّون لذلك بالأدلّة التي يحتجّ بها أهل السنّة في حين يرفضها القدريّة، والجبريّة يثبتون القدر كما يثبتها أهل السنّة، والقدريّة ينفونه بالكامل.

والجبريّة مع مقالتهم يقولون بالجنة والنار والنعيم والعذاب كقول سواد المسلمين. ولكن هنا تظهر عورة بدعتهم؛ إذ إنّ الله جل جلاله حرّم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرمًا، فكيف يرضى لنفسه الظلم بأن يقدر للعاصي المعصية ويجبره عليها ثم يدخله النار!!..

وهكذا كانت السلطة الأمويّة أكثر قابلية للتسامح مع الجبريّة منه مع القدريّة، ولو على مبدأ "عدو عدوي صديقي"، ولكن لما دخل أئمة الجبريّة في بدع عقديّة جديدة أثارت الوسط الدينيّ لم يتردّد خلفاء بني أميّة وأمراؤهم في قتلهم، و لم تكن لتشفع لهم مقولتهم بالجبر عن ما أحدثوه في الدين من التعطيل .

وهذا يُسجّلُ للأمويّين في استجابتهم لواجب الذود عن العقيدة، وإن كان على حساب سياساتهم ومصالحهم.

---

(١) ميزان الاعتدال (4 /173)

(٢) ميزان الاعتدال (4 /173)، تهذيب التهذيب (10 /251)،معارج القبول (1 /273) لحافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ،دار ابن القيم – الدمام، ط1 ، 1410هـ - 1990م.

(٣)تبيين كذب المفتري لابن عساكر، المقدّمة للشيخ محمد زاهد الكوثريّ ص 11 .

المطلب الثالث: أثر الصراع العقديّ في مسألة القدر في الحديث في العصر الأمويّ:

لقد كان لذلك الصراع العقديّ بين الغلاة في إثبات القدر إلى درجة الجبر، وبين نفاة القدر القدريّة والمعتزلة معهم أثرٌ واضح في الحديث، وقد خاض علماء أهل السنّة ولاسيما المحدّثون منهم الصراع مع كلا الطرفين، مع القدريّة في إثبات القدر ومع الجبريّة في توضيح مفهوم القدر الذي لا يلغي إرادة الإنسان ومسؤوليّته عن أفعاله، وقد ظهر ذلك من خلال الأمور التالية:

أولًا: مواقف الصحابة وإظهار السنن:

لم يُروَ عن أحدٍ من الصحابة الكرام إنكار القدر، بل ثبت عنهم ما هو صريح برفض هذه الأفكار المبتدعة رفضًا شديدًا.

وحسبك بموقف عبد الله بن عمر فقد أخرج مسلم في صحيحه [(١)] عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلاَءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلاَمَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ – وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ – وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لاَ قَدَرَ وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ.

قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ .. ثم ساق حديث جبريل الطويل الذي فيه: «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وكذلك أنكر عليهم كلٌّ من أبي هريرة (ت 57 هـ أو 59 هـ)، وعقبة بن عامر الجهني

---

(١) صحيح مسلم (1/ 36)في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى رقم (8).

(ت 58 هـ)، وعبد الله بن عباس (ت 68 هـ)، مقالتهم. و جابر بن عبد الله (ت 78 هـ)، وأنس بن مالك (ت 91 هـ أو 93 هـ)، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة.

وقد كان لظهور القدريّة في بدايات العصر الأمويّ أثر واضح في إظهار الصحابة للأحاديث التي تؤكّد ضرورة الإيمان بالقدر، وتذمّ من جحده.

ولذا نجد أنّ معظمها رُوي عن طريق صغار الصحابة كابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وغيرهم الذين أدركوا في حياهم ظهور القول بالقدر فأظهروا ما عندهم من علم بخصوص هذا الموضوع.

ثانيًا: مواقف التابعين من القدر والقدريّة:

لقد أنكر أئمة التابعين على القدريّة قولهم، وحكي عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت 106 هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت 108 هـ)، وهما من أئمة الناس وخيارهم وفقهائهم في الحجاز، أنهما كانا يلعنان القدرية[1].

وجعل بكر بن عبد الله المزني البصري (ت 108 هـ) على نفسه أن لا يسمع رجلين يتنازعان في القدر إلاّ قام فصلّى ركعتين تجنّبًا للدخول في الحديث في القدر. وقال الحسن البصري (ت 110 هـ): من كفر بالقدر كفر بالإسلام. [2]

وكان مكحول الشامي (ت 113هـ أو 116هـ) يدعو إلى هجر غيلان الدمشقي لقوله في القدر. ونهى ميمون بن مهران (ت 117 هـ) الناس عن مجالسة أهل القدر[3].

وكان رجاء بن حيوة الكندي (ت 112 هـ)، وعبادة بن نسي الكندي (ت 118 هـ)، وعدي بن عدي الكندي (ت 120 هـ) وهم من قيل فيهم إن الله تبارك وتعالى يترل بهم الغيث، وينصر بهم على الأعداء ، وغيرهم من علماء الشام كثير، كانوا ينكرون مقالة القدرية، وأنكرها نمير بن أوس الأشعري (ت 122 هـ)، وربيعة الرأي بن أبي عبد الرحمن

(١) المعارف لابن قتيبة ص 76، 80؛ ، الفرق بين الفرق، البغدادي ص 15؛ سير أعلام النبلاء، (5/ 53- 59)؛ (ترجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر).

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي(2 / 29)؛ وسير أعلام النبلاء (4/ 533). (ترجمة بكر بن عبد الله المزني).

(٣) المعارف لابن قتيبة ص198؛ سير أعلام النبلاء(5/ 71) (ترجمة ميمون بن مهران).

(ت 136 هـ)(١).

وقد حملت هذه المقولات المبتدعة علماء التابعين على رواية الأحاديث التي سمعوها عن الصحابة في هذا الشأن كما فعل زيد بن وهب(ت نحو 83هـ)(٢) في رواية حديث عبد الله ابن مسعود عن النبيّ ﷺ « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا »(٣).

كلّ هؤلاء من الصحابة والتابعين وغيرهم كرهوا مقالة القدرية وأنكروها، وحملوا على القدريّة واستبشعوا بدعتهم، وهذا يؤكّد انسجام موقف بني أميّة مع موقف علماء عصرهم، بل إننا لم نجد في عصرهم من عاب عليهم قتل أحدٍ من هؤلاء القدريّة، كما فعلوا عند قتل حِجر وأصحابه، وقتل سعيد بن جبير، بل وجدنا من استحسن حربهم على القدريّة وقتل أئمتها كما مرّ ذكره.

ثالثًا: دور الأمويّين في الرواية في عقيدة الإيمان بالقدر

لقد كان للأمويّين حظّ في الرواية عن رسول الله ﷺ في شأن عقيدة الإيمان بالقدر فهذه السيدة الجليلة أمّ حبيبة يُروى عنها أنّها قالت: « اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ– وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ فَقَالَ النبيّ – ﷺ– « قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ

---

(١)تاريخ دمشق(48 /200)، ترجمة غيلان الدمشقي .

(٢) الإمام الحجّة زَيْدُ بنُ وَهْبٍ أَبُو سُلَيْمَانَ الجُهَنِيُّ الكُوْفِيُّ، مُخَضرَمٌ قَدِيْمٌ.ارْتَحَلَ إِلَى لِقَاءِ النبيّ – ﷺ– وَصُحْبَتِهِ، فَقُبِضَ –ﷺ– وَزَيْدٌ فِي الطَّرِيْقِ .سَمِعَ: عُمَرَ، وَعَلِيّاً، وَابْنَ مَسْعُوْدٍ، وَأَبَا ذَرٍّ الغِفَارِيَّ، وَطَائِفَةً. تُوُفِّيَ: بَعْد وَقْعَةِ الجَمَاجِمِ ، فِي حُدُوْدِ سَنَةِ ثَلاَثٍ وَثَمَانِيْنَ.سير أعلام النبلاء (4 /196)

(٣)البخاري (6/ 2713)في التوحي، باب: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين رقم (7016)، صحيح مسلم (4 /2036)في القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته رقم(2643).

وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ ». (١)

وهذا معاوية يؤكّد على مفهوم القدر في خطبة له على المنبر: « اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ، مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ .» ويقول: سَمِعْتُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ(٢) .

وقوله (عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ): يدلّ على أنّ خطبته هذه كانت في المدينة المنوّرة، ولعلّ السرّ في ذلك أنّ معبدًا الجهنيّ قدم المدينة فأفسد بها أناسًا(٣)، فكانت تلك الخطبة ردًّا على من يقول بالقدر.

وقد ثبت في الصحيح أنّ معاوية كان يأمر الناس بذلك القول بعد كلّ صلاة بعدما كتب له بذلك المغيرة بن شعبة(٤) .

ولاشكّ أنّ هذه الكلمات فيها إجابة عن كثير من الأسئلة التي كانت تدور على الألسنة، أو تخطر في النفوس عن مدى شرعيّة حكم معاوية أو على الأقل أحقيّته في حكم الدولة الإسلامية في زمن فيه كبار الصحابة وبقيّة العشرة المبشرين بالجنة.

ولاسيما في أوساط الصحابة وأبناء الصحابة في المدينة المنورة الذين لا تزال ذاكرتهم حيّةً بمشاهد حرب أبي سفيان ومعه ولده معاوية للمسلمين حتى فتح مكّة.

فقد جاء في صحيح البخاريّ عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أنّه شهد معاوية يخطب ويقول: مَن كان يريدُ أن يتكلّمَ في هذا الأمر فَلْيُطْلِعْ لنا قَرْنه (٥)، فَلَنَحْنُ أحقُّ به منه ومِنْ أبيه، قال حَبيب بن مَسْلَمةَ: فَهَلاَّ أجَبْتَه؟ قال عبد الله: فَحَلَلْتُ حَبوَتي، وهَمَمْتُ أنْ أَقولَ: أحقُّ بهذا الأمر منك من قَاتَلَك وأباك على الإسلام، فخشيتُ أن أقولَ كلمة تُفَرِّق

---

(١)صحيح مسلم (4 /2050)في القدر باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر رقم(2663).

(٢) مسند أحمد (28 /55)رقم (16839) وهو حديث حسن، في إسناده أسامة بن زيد: وهو اللّيثي، روى له الشيخان متابعة، وهو حسن الحديث، وقد توبع، وبقيّة رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٣) تهذيب التهذيب (10 /203).

(٤) صحيح البخاري (6 /2439) في القدر باب لا مانع لما أعطى الله رقم(6241).

(٥)أي يظهر نفسه. فتح الباري (1 /150).

بين الجمع وتَسْفِكُ الدَّمَ، ويُحْمَلُ عنيّ غيرُ ذلك، فذكرتُ ما أعدَّ الله تعالى في الجنان . قال حَبيبِي: حُفِظْتَ وعُصِمتَ »[١] .

رابعًا: انتشار الأحاديث في ذمّ المرجئة والقدريّة:

شاعت أحاديث في ذمّ هذه الفرق العقديّة المبتدعة، وغالبها ضعيف أو موضوع.

منها ما رُوي عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النبيّ -ﷺ- قَالَ:« الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِنْ مَرِضُوا فَلاَ تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلاَ تَشْهَدُوهُمْ ».

وهو حديث ضعيف: أخرجه أبو داود[٢]، والحاكم [٣]، والبيهقي [٤]، من طريق عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه أبي حازم سلمة بن دينار، عن ابن عمر.

قال المنذري: هذا منقطع، أبو حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر، وقد روي هذا الحديث من طرق، عن ابن عمر ليس فيها شيء يثبت[٥].

وأخرجه أحمد[٦] بسند فيه عمر بن عبد الله مولى غُفرة ضعّفه ابن معين، وقال: لم يسمع من أحد من أصحاب النبيّ ﷺ، وقال أحمد: أكثر أحاديثه مراسيل[٧]، وقال النسائيّ: ضعيف[٨]، وقال ابن حبّان: كان ممن يقلب الأخبار، ويروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات، لا يجوز الاحتجاج به ولا ذكره في الكتب إلا على سبيل الاعتبار [٩].

ولذا أخرجه ابن الجوزي في "العلل المتناهية" [١٠] من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد وقال: هذا لا يصحّ.

---

(١)صحيح البخاري (4 /1508) في المغازي، باب: غزوة الخندق رقم(3882).

(٢)سنن أبي داود (2 /634)في السنة، باب في القدر رقم (4691).

(٣)المستدرك للحاكم (85/1).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (203/10) .

(٥) عون المعبود (296/12).

(٦) مسند أحمد (9 /415)رقم(5584) .

(٧) يُنظر الجرح والتعديل (6 /119).

(٨)كتاب الضعفاء والمتروكين (ص 81).

(٩) كتاب المجروحين (2 /81).

(١٠)العلل المتناهية (1 /152) رقم(227).

وقد رواه زكريا بن منظور، عن أبي حازم، عن نافع، عن ابن عمر، فأدخل نافعًا بين أبي حازم وابن عمر [١]، لكن زكريا بن منظور ضعيف، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن حبان: منكر الحديث جدًّا، يروي عن أبي حازم ما لا أصل له من حديثه[٢].

وكذلك رواه ابن الجوزيّ بهذا الإسناد وقال: وهذا حديث لا يصحّ[٣].

قال الدارقطني : ورواه الثوري وابن وهب، عن عمر بن محمد، عن نافع، عن ابن عمر، موقوفًا، ثم قال: والصحيح الموقوف عن ابن عمر[٤].

وأخرجه أحمد [٥]، وابن أبي عاصم [٦] من طريق عمر مولى غفرة، عن رجل من الأنصار، عن حذيفة. وقد اجتمع في هذا السند علّتان فالرجل من الأنصار مجهول، وعمر مولى غفرة ضعيف، وقد اضطرب في إسناده، فرواه كذلك، وجعله من مسند حذيفة، ورواه عن ابن عمر مرّةً، ورواه عن نافع عن ابن عمر مرّة أخرى[٧] .

وفي الباب عن أنس بن مالك ذكره العقيليّ في الضعفاء [٨]، في ترجمة عبد الوارث بن غالب العنبريّ وقد تفرّد بالخبر عن ثابت البناني عن أنس. وقال العقيليّ: حديثه غير محفوظ ولا يعرف إلا به[٩].

وعن جابر بن عبد الله عند ابن ماجه [١٠]،وإسناده ضعيف، فيه محمّد بن المصفى الحمصيّ، وبقيّة بن الوليد، وهما يدلسان تدليس التسوية، وفيه كذلك عنعنة ابن جريج وأبي

---

(١)أخرجه بهذا السند الآجري في " الشريعة"ص 190، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (4 /639) رقم (1150) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (1 /151) رقم (225).

(٢)المجروحين (1 /314).

(٣)العلل المتناهية (1 /152)رقم (225).

(٤)علل الدارقطني (13 /102) دار طيبة الرياض – ط1، 1405 هـ - 1985 م.

(٥) مسند أحمد ط الرسالة (38 /443) رقم(23456).

(٦)السنة لابن أبي عاصم (1 /145)رقم (329) تحقيق: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت–ط1، 1400هـ

(٧) مسند أحمد (10 /252) رقم (6077).

(٨) ضعفاء العقيلي (3 /98).

(٩) المصدر السابق، وقال الذهبيّ: لا يعرف، والخبر منكر.ميزان الاعتدال (2 /678).

(١٠)سنن ابن ماجه (1 /35) في الإيمان باب في القدر رقم (92). وأخرجه بهذا السند ابن أبي عاصم في السنة (1 /144) رقم (328)، والأجري في "الشريعة" ص 190-191

الزبير.

ورُوي عن مكحول عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ «القدريّة مجوس هذه الأمّة»

والحديث يرويه سليمان التيميّ واختلف عنه فرواه معاذ بن معاذ عن سليمان التيمي عن مكحول عن أبي هريرة، وقيل عنه عن سليمان التيمي عن رجل عن أبي هريرة.

و كلاهما معلول الأول لأنّ مكحولاً لم يسمع من أبي هريرة ، وهذا يعني وجود مجهول في الإسناد[١].

وذكر ابن الجوزيّ بإسناده عن مجاهد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « يكونون قدريّة ثم يكونون زنادقة ثم يكونون مجوسًا، وإن لكلّ أمّة مجوسًا وإنّ مجوس أمتي المكذّبة بالقدر، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تتبعوا لهم جنازة ».ثمّ قال: هذا حديث لا يصحّ وفيه مجاهيل.قال أبو عبد الرحمن النسائي: هذا الحديث باطل كذب[٢].

وتجاوزت الأحاديث ذمّ القدريّة كفرقة دينيّة مبتدعة إلى ذمّ رؤوسِها وامتداح خصومها في حديث من طريق الأَحْوَصِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « يَكُونُ فِي أُمَّتِي رَجُلانِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ وَهْبٌ يَهَبُ اللَّهُ لَهُ الْحِكْمَةَ وَرَجُلٌ يُقَالُ لَهُ غَيْلانُ وَهُوَ أَضَرُّ عَلَى أُمَّتِي مِنْ إِبْلِيسَ.»

والمراد بوهب وهب بن منبّه [٣] الذي كان ينهى عن الكلام في القدر، وغيلانُ هو صاحب بدعة القول بالقدر وقد سبق ذكره.

والحديث رواه الحارث بن أسامة [٤]، والعقيليّ في ترجمة مروان بن سالم الجزريّ [٥]

---

(١) يُنظر العلل للدارقطني (8 /289).

(٢)الموضوعات 2 /350

(٣)الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الأَخْبَارِيُّ، القَصَصِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الأَبْنَاوِيُّ، اليَمَانِيُّ، الصَّنْعَانِيُّ.أَخُو هَمَّامٍ، وَمَعْقِلٍ، وَغَيْلاَنَ أولاد مُنَبِّهٍ. وكان ينهى عن الكلام في القدر يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (4 /544).

(٤)بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثميّ(2 /641)، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري،الناشر : مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط1 ، 1413هـ – 1992م.

(٥) مروان بن سالم الغفاري أبو عبد الله الجزري متروك ورماه الساجي وغيره بالوضع ق .تقريب التهذيب (ص 526)

وقال: أحاديثه مناكير [١]، وقال ابن كثير: لا يصحّ لأنّ مروان بن سالم هذا متروك [٢]، وحكم السيوطيّ بوضعه [٣].

وكذلك ذكره ابن الجوزيّ من طريق أبي يعلى الموصلّي وحكم بوضعه [٤]، وأعلّه ابن حبّان بالأَحْوَصِ بْنِ حَكِيمٍ ، وقال: الأحوص كان يروي المناكير عن المشاهير ، وقال: لا أصل لهذا الحديث[٥].

وهكذا فاللّافت في مُجمل هذه الأحاديث أنّ عددًا منها موضوعٌ، وما بقي فلا يخلو واحد منها من طعن في سنده، ولكن مع ذلك فقد حكم بعض العلماء بتحسين بعض هذه الأحاديث اغترارًا بتعدد الطرق والمخارج[٦]، ولكنّ قليلًا من التأمّل في متون هذه الأحاديث الأحاديث يكفي للكشف عن كونها إحدى تجليات أو انعكاسات الصراع العقديّ بين المذاهب في العصرين الأمويّ والعباسيّ. فالتصريح باسم المرجئة والقدريّة وغيرها في أحاديث مرفوعة إلى النبيّ ﷺ مع كونها فرقًا ناشئة في العصر الأمويّ يجعل في النفس منها شيئًا.

وقد يُقال: إنّ ذلك من الغيب الذي كشفه الله لرسوله ﷺ، ولكنّ ذلك يُشكل مع عدم استشهاد ابن عمر مثلًا بهذه الأحاديث الصريحة في الدلالة على ضلال القدريّة، مع أنّه ممن يُنسب إليه رواية في ضلال المرجئة والقدريّة [٧]، فساق لذلك حديث جبريل الطويل والذي يستنبط منه ذلك المعنى استنباطًا لا صراحةً.

وكذلك جواب أبي وائل عن سؤال زُبيد بحديثٍ يُستنبط منه بعد تأمّل بطلان قول المرجئة[٨]، وقد رُوي في ذلك أحاديث صريحة عن جمع من الصحابة؟! علمًا أنّ الرجل

---

(١)ضعفاء العقيلي (4 /204).

(٢)البداية والنهاية (6 /240).

(٣)اللآلئ المصنوعة (1 /416)- السُّيوطي، جلال الدين، دار الكتب العلميّة- بيروت.

(٤)الموضوعات(10/3).

(٥)المجروحين- لأبي حاتم ابن حبان (1 /176).

(٦)سنن الترمذي (4 /454).

(٧)سنن الترمذي (4 /454)، تاريخ بغداد (5 /367).

(٨) يُرجع إلى ص260.

مخضرم عُمّر طويلًا حتى قيل: إنّه مات في زمن الحجاج بعد الجماجم سنة اثنتين وثمانين وقال الواقدي: مات في خلافة عمر بن عبد العزيز[1].

وعليه فأعتقد أنّ ذمّ القدريّة والمرجئة بالاسم إنّما هو من كلام صغار الصحابة وغيرهم من كبار التابعين. وقد ذكرت كلام الدارقطني: في تصحيح الموقوف عن ابن عمر[2].

وأعتقد أنّ هذه الإشكالات وغيرها كانت حاضرة في أذهان نقّاد الحديث عندما تكلّموا في نكارة الروايات المصرّحة بالمرجئة والقدريّة وحكموا بوضعها.

وبالعودة إلى دور الأمويّين نجد أنّ غالب المتّهمين بوضع الأحاديث في الفرق العقديّة ذمًّا أو مدحًا يحسبون على العصر العباسيّ وهذا ما يقدم براءة للأمويّين من دعوى التدخل بوضع الأحاديث في هذا المجال على أقلّ تقدير.

---

(١)تهذيب الكمال (12 /554)

(٢)علل الدارقطني (13 /102)

الفصل الثاني:

أثر العامل السياسيّ في الحديث درايةً

مطلب في مفهوم العامل السياسيّ:

السياسة لغةً: من سَاس الأَمرَ سِياسةً قام به، والسَّوْسُ الرِّياسَةُ، يُقال: ساسوهم سَوْساً، وإِذا رَأَّسُوه قيل: سَوَّسُوه وأَساسوه، ورجل سَاسٌ من قوم ساسة وسُوَّاس، وسَوَّسَه القومُ جَعَلوه يَسُوسُهم، ويقال: سُوِّسَ فلانٌ أَمرَ بني فلان أَي كُلِّف سِياستهم . وفي الحديث « كانت بنو إِسرائيل تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ »[١] أَي تتولى أُمورَهم كما يفعل الأُمَرَاء والوُلاة بالرَّعِيَّة، والسِّياسةُ القيامُ على الشيء بما يُصْلِحه . والسياسةُ فعل السائس يُقال: هو يَسُوسُ الدوابَّ إِذا قام عليها وراضَها والوالي يَسُوسُ رَعِيَّتَه[٢].

فسائس الخيل راعيها، وساس الأمة رعى شؤونها.

وعلى ذلك فإنّ السّياسة في اللّغة تدلّ على التّدبير، والإصلاح، والرياسة.

وفي الاصطلاح تأتي لمعانٍ منها[٣]:

- **الأوّل**: معنًى عامّ يتّصل بالدّولة، والسّلطة.

فيُقال:هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطّريق المنجّي في العاجل والآجل[٤].

وقد أطلق العلماء على السّياسة اسم: « الأحكام السّلطانيّة » أو« السّياسة الشّرعيّة»، أو « السّياسة المدنيّة » .

ولمّا كانت السّياسة بهذا المعنى أساس الحكم، سمّيت أفعال رؤساء الدّول، وما يتّصل بالسّلطة « سياسة » وقيل: بأنّ الإمامة الكبرى - رئاسة الدّولة - موضوعة لخلافة النّبوّة في حراسة الدّين، **وسياسة** الدّنيا.

---

(١) أخرجه البخاري (3 /1273) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ في كتاب الأنبياء: باب ما ذكر عن بني إسرائيل رقم (3268)، ومسلم في الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول رقم (1842).

(٢) يُنظر لسان العرب (6 /107)

(٣) يُنظر الموسوعة الفقهية الكويتية (25/ 294- 296) مادة(ساس).

(٤)كتاب الكليات ــ لأبي البقاء الكفوي (ص 808) تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت -1419هـ - 1998م.

- المعنى الثّاني: يتّصل بالعقوبة، وهو أنّ السّياسة: « فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها، وإن لم يَردْ بذلك الفعل دليلٌ جزئيّ »[١]. وهي مجموعة الأحكام التعزيرية التي يسنّها الحاكم لمصلحة عامة يرتئيها.

وعليه فالسياسيّ نسبة إلى السياسة : ما له صِلة بالسياسة التي هي رئاسة عامة للدولة، وهي نسبة تطلق اليوم على جميع أنواع النشاط الفردي والحزبي الذي يدور في فلك مفهوم نظام الحكم وأهدافه ومؤسساته .

وقد قسّم العلماء الفرق الإسلامية إلى فرق سياسية وفرق عقدية [٢]، وبين الفرق السياسيّة والدينيّة تداخل لا يُنكر لما بين السياسيّ والعقديّ من تشابك كبير ولاسيما في دين الإسلام الذي تشمل تعاليمه شؤون الحياة كلّها.

فالعامل السياسيّ الذي نعنيه في هذا البحث هو المؤثرات السياسية في عصر بني أميّة، وهم الأمويون في موقع السلطة من جهة، والأحزاب والتيارات المعارضة في الجهة الأخرى.

وسوف نجد في هذا الفصل وغيره مصطلحات حديثيّة أُضيفت إلى مصطلح السياسة، كالرد السياسيّ، والتأويل السياسيّ... وهي بجملتها تفيد تخصيص البحث في مواضيع هذه المصطلحات فيما يتصل بالمؤثرات السياسية المتبادلة بين السلطة والمعارضة في العصر الأمويّ.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الحقائق(18/5)، لابن نجيم المصريّ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1418هـ.

(٢) سبق بيانها في الفصل الأوّل من هذا الباب.

المبحث الأوّل: الردّ السياسي للحديث:

المطلب الأوّل:مفهوم الردّ السياسيّ :

الردّ لغةً: صرف الشيء ورَجْعُه ، وفعله ردد يردّ ردًّا، و رَدَّ عليه الشيء إذا لم يقبله وكذا إذا خطّأه ، وفي حديث عائشة : « مَن عمل عملاً ليس عليه أَمرنا فهو رَدٌّ .»[١] أَي مردودٌ عليه وهو مصدرٌ وُصِف به[٢].

أمّا الردّ في مصطلح أهل الحديث فهو مستعمل في وجوه:

١ -فقد يكون بمعنى تصحيح اللّحن الذي قد يقع فيه راوي الحديث، وقد ذكره الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي « القول في ردّ الحديث إلى الصواب إذا كان راويه قد خالف موجب الإعراب » [٣].

ومذهب المحقّقين في ذلك: ردّ الحديث إلى الصواب وإن كان سمعه ملحونًا[٤].

٢ -وقد استعمل بعض المحدثين «ردّ الحديث » بمعنى ترداد الحديث أي إعادته، وقد كان بعض المحّدثين يستثقله ومنهم ا بن شهاب الزهري وكان يقول «ردّ الحديث أشدّ من نقل الحجارة » وفي لفظ آخر يوضح المراد كان الزهريّ يقول: «تكريره أشدّ من نقل الحجر »[٥] .

٣ -وأمّا الاستعمال الاصطلاحي الشائع لمفهوم ردّ الحديث فهو في مقابل قبول الحديث لأنّ الحديث إمّا متواتر وهو قطعي الثبوت فلا يتوقف الاستدلال به على البحث عن أحوال رواته، وإمّا آحاديّ يحتاج في قبوله أو ردّه إلى البحث في أحوال الرواة وهو إمّا مقبول أو مردود.

فالمقبول: هو ما ترجّح صدقُ المُخبر به، والمردود: هو الذي لم يترجّح صدق المُخبر به.

---

(١) صحيح البخاري (2 /959)في الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود رقم 2550، ومسلم(3 /1343) في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور رقم 1718 .

(٢) يُنظر النهاية في غريب الأثر (2/ 513)، يُنظر لسان العرب (3 /172) مادة ردد .

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (2 /21).

(٤) المرجع السابق .

(٥) المحدث الفاصل (ص 567)للرامهرمزي، تحقيق : د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر – بيروت،ط3، 1404هـ.

وعرّف بعضهم المردود بأنّه ما يرجّح كذب المخبر به [١] . ولكن هذا يخرج من المردود ما لم يترجّح فيه صدقُ المخبر ولا كذبه وهو المُتوقف فيه، فإن وجدت قرينة تلحقه بأحد القسمين التحق به، وإنما جُعل في مفهوم المردود لا لثبوت صفة الردّ بل لكونه لم تُوجد فيه صفة تُوجب القبول .

والمقبول: يشمل الصحيح لذاته والصحيح لغيره والحسن لذاته والحسن لغيره[٢].

أمّا المردود فلا حاجة إلى تقسيمه، لأنَّه لا ترجيح بين أفراده ؛ واعتُرضَ بأنَّ مراتبه أيضًا مُتفاوتة، فمنه ما يصلح للاعتبار، وما لا يصلح، فكانَ ينبغي الاهتمام بتمييز الأوَّل من غيره.

وأُجيب: بأنَّ الصَّالح للاعتبار، داخلٌ في قسم المقبول، لأنَّه من قسم الحسن لغيره، وإن نُظر إليه باعتبار ذاته فهو أعلى مراتب الضعيف[٣].

ومع ذلك فهو أقسام كثيرة[٤] لكنها ترجع جميعًا إلى أحد سببين: إمّا أن يكون لسقط في السند أو طعن في الراوي [٥].

فالسقط في السند يعني الانقطاع ويشمل: المعلّق والمرسل والمعضل والمدلس والمرسل الخفي.

---

(١) قفو الأثر في صفوة علوم الأثر(1 /48)، لرضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة،مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب،ط2 ، 1408هـ.

(٢) الصحيح لذاته : وهو الحَدِيثُ الْمُسْنَدُ الَّذِي اتَّصَلَ سَنَدُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ بِنَقْلِ الْعَدْلِ التَّامِّ الضَّبْطِ عَنْ مِثْلِهِ، وَلا يَكُونُ شَاذًّا ولاَ مُعَلَّلاً .

الصحيح لغيره : وَهُوَ الحَدِيثُ الَّذِي اتَّصَلَ سَنَدُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ بنَقْلِ الْعَدْلِ الَّذِي قَلَّ ضَبْطُهُ عَنِ الدَّرَجَةِ العُلْيَا، ولَكِنَّهُ تُوبِعَ بِطَرِيْقٍ آخَرَ مُسَاوٍ أو رَاجِحٍ، وَلاَ يَكُونُ شَاذًّا ولاَ مُعَلَّلاً . وَهُوَ دُونَ الصَّحِيْحِ لِذَاتِهِ فِي القُوَّةِ .

الحسن لذاته : وَهُوَ الحَدِيثُ الَّذِي اتَّصَلَ سَنَدُهُ بِنَقْلِ الْعَدْلِ الَّذِي قَلَّ ضَبْطُهُ عَنْ دَرَجَةِ الصَّحِيْحِ، وَلاَ يَكُونُ شَاذًّا وَلاَ مُعَلَّلاً . وَهُوَ أَنْزَلُ رُتْبَةً مِنَ الصَّحِيْحِ لِغَيْرِه .

الحسن لغيره : وَهُوَ الحَدِيثُ الَّذِي ضُعِّفَ رَاوِيهِ لاَ بِفِسْقٍ أوْ كِذْبٍ ، أوِ انْقَطَعَ سَنَدُهُ وَلكِنَّهُ انْجَبَرَ ضَعْفُهُ بِمُتَابِعٍ أو شَاهِدٍ .وَهُوَ دُونَ الحَسَنِ لِذَاتِهِ .

(٣) تدريب الراوي (1 /62).

(٤) كالمنقطع ، والمعضل ،و الشاذ ، والمنكر ، والمضطرب ، والمتروك ، والمرسل الخفي ،والموضوع وغيرها...

(٥) يُنظر نخبة الفكر (ص 16)

والطعن في الرواي ويكون بعشرة أشياء (١):

خمسة تتعلق بالعدالة وخمسة تتعلق بالضبط وواحد مشترك بينهما:

فما يتعلق بالعدالة:

١. كَذِبُ الرَّاوِي في الحديثِ النبويِّ بأَنْ يرويَ عنهُ ﷺ ما لَمْ يَقُلْهُ متَعمِّداً لذلك.

٢. تُهْمَتُهُ بالكذب؛ بأَنْ لا يُرْوى ذلك الحديثُ إلاَّ مِن جِهتِهِ، ويكونَ مُخالِفاً للقواعِدِ المعلومةِ .

٣. مَنْ عُرِفَ بالكذبِ في كلامِهِ، و لم يَظْهَرْ منهُ وقوعُ ذلك في الحَديثِ النبويِّ . وهذا دُونَ سابقه .

٤. فِسْقُ الرَّاوي ؛ أي : بالفعلِ والقَوْلِ ممَّا لا يبلُغُ الكُفْرَ. و بينَهُ وبينَ الأوَّلِ عُمومٌ وخصوص مطلق ، وإِنَّما أُفْرِدَ الأوَّلُ لكونِ القَدْحِ بهِ أَشدَّ في هذا الفنِّ .

٥. بِدْعَةُ الرَّاوي: وهي اعتقادُ ما أُحْدِثَ على خِلافِ المَعروفِ عن النبيّ ﷺ، لا بِمعانَدَةٍ، بل بنَوْعِ شبهةٍ .

وأمّا ما يتعلّق بالضبط:

١. فُحْشُ غَلَطِ الرَّواي؛ أي : كَثْرَتُه .

٢. أَو غَفْلَتُهُ عن الإِتْقانِ .

٣. وَهَمُهُ بأَنْ يَرْوِيَ على سبيلِ التوهُّمِ .

٤. مُخالَفَتُه للثِّقاتِ .

٥. سوءُ حِفْظِهِ ، وهو من يكونَ غَلَطُهُ أَقلّ مِن إِصابتِه .

والمشترك بينهما(٢):

- جَهالَةُ الرّاوي بأَنْ لا يُعْرَفَ فيهِ تعديلٌ و لا تَجريحٌ مُعيَّنٌ .

فالحديث الذي فيه سقط في السند أو طعن قادح في الرواي مردودٌ وهو أحد صنفين: إمّا أن يكون موضوعًا مكذوبًا على النبيّ ﷺ أو ضعيفًا. والضعيف منه ما يمكن أن ينظر فيه

(١) يُنظر نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ص84-85.

(٢) وابن حجر لم يميّز بين أسباب الطعن في الراوي ورتّبها من الأشدّ إلى الأخفّ، وقد فصلتُ بينهما وجعلت تهمة الراوي بالكذب إحدى رتب الجرح المستقلة ، وجعلت الجهالة طعنًا مشتركًا بين العدالة والضبط .

ويعتبر به كالشواهد والمتابعات، ومنه مالا يُنظر فيه لشدّة ضعفه وهو كالموضوع في ردّه مطلقًا.

ردّ الحديث الذي ظاهره الصحة لأساب خارجة عن الطعن في الراوي أو السندّ:

فإذا روى الثقة المأمون خبرًا متصل الإسناد ردّ بأمور[1] :

أحدها: أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه، لأنّ الشرع إنّما يرد بمجوّزات العقول، وأما بخلاف العقول فلا.

والثاني: أن يخالف نصّ الكتاب أو السنة المتواترة، فيعلم أنّه لا أصل له أو منسوخ.

والثالث: أن يخالف الإجماع، فيستدلّ على أنه منسوخ أو لا أصل له، لأنّه لا يجوز أن يكون صحيحًا غير منسوخ ، وتجمع الأمة على خلافه.

والرابع: أن ينفرد الواحد برواية ما يجب على الخلق كافة علمه، فيدلّ ذلك على أنه لا أصل له، لأنّه لا يجوز أن يكون له أصل، وينفرد هو بعلمه من بين الخلق العظيم.

والخامس: أن ينفرد الواحد برواية ما جرت به العادة، بأن ينقله أهل التواتر فلا يُقبل ،لأنّه لا يجوزأن ينفرد في مثل هذا بالرواية.

وبالتالي **فالردّ السياسي: هو ردّ الحديث لاعتبارات أو أغراض سياسيّة،** فلا يكون الردّ لا لطعن في السند ولا لطعن في الراوي، بل لاعتبار يصبّ في صالح الموقف السياسيّ لمن يردّ الخبر.

---

(١) يُنظر الفقيه والمتفقّه للخطيب البغدادي(1 /194) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة 1417هـ.

المطلب الثاني: حالات الردّ السياسيّ في العصر الأمويّ:

لا يستطيع الدارس أن يقف على ظاهرة واضحة تدلّ على تبنّي الأمويين لمنهج ردّ الأحاديث ذات الدلالة السياسيّة التي يمكن أنّ تمسّ شرعية حكمهم أو مكانتهم في الوسط الإسلامي، ولكن ثمة حالات متفرّقة تحتاج إلى تحقيق لبيان حقيقة الأمر منها والتأكّد من أسباب الردّ ومنهجيّته:

الحالة الأولى:ردّ الحديث بالقرآن:

جاء في بعض كتب الأدب [1] أنّ الزّهريّ دخل على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديثٌ يحدّثنا به أهل الشام؟

قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات و لم يكتب له السيئات؛ قال: باطلٌ يا أمير المؤمنين، أنبيٌّ خليفةٌ أكرم على الله أم خليفةٌ غير نبيّ؟ قال: نبيٌّ خليفةٌ؛ قال: فإنّ الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام:{ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: 26]؛ فهذا يا أمير المؤمنين وعيده لنبيٍّ خليفة، فما ظنّك بخليفةٍ غير نبيّ! قال: إنّ الناسَ لَيُغْرُونَنَا عَنْ دِينِنَا.

هذا الخبر جاء بصيغة الحكاية دون سند معروف له، ولكنّ الحافظ ابن حجر ذكره فقال: قَرَأْت فِي (كِتَاب الْقَضَاء) لِأَبِي عَلِيّ الْكَرَابِيسِيّ أَنْبَأَنَا الشَّافِعِيّ عَنْ عَمّه - هُوَ مُحَمَّد ابن عَلِيّ [2]- قَالَ دَخَلَ اِبْن شِهَاب عَلَى الْوَلِيد بْن عَبْد الْمَلِك فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيث « إِنَّ اللَّه

---

(١)العقد الفريد (1 /18)، نهاية الأرب في فنون الأدب (6 /12-13) لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري- تحقيق : مفيد قمحية وجماعة-دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1424 هـ / 2004م، ط1، سمط النجوم العوالي (328/3).

(٢)محمّد بن عليّ بن شافع المطلبيّ المكيّ ؛ وهو ابن عمّ جدّ الشافعي، روى عن عبد الله بن علي بن السائب ، والزهري، وروى عنه ابن بنته إبراهيم بن محمد الشافعي ، والحسن بن محمد بن أعين الحراني ، ومحمد بن إدريس الشافعي، ويونس بن محمد المؤدّب، قال الشافعي: ثقة ؛ أخرج له أبو داود والنسائي. يُنظر تقريب التهذيب (ص 497)، تهذيب الكمال (26 /146)

إِذَا اِسْتَرْعَى عَبْدًا الْخِلَافَة كَتَبَ لَهُ الْحَسَنَات وَلَمْ يَكْتُب لَهُ السَّيِّئَات »، فَقَالَ لَهُ : هَذَا كَذِب، ثُمَّ تَلَا ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاك خَلِيفَةً فِي الْأَرْض – إِلَى قَوْله – بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَاب ﴾ فَقَالَ الْوَلِيد: إِنَّ النَّاس لَيُغْرُونَنَا عَنْ دِينِنَا[1].

والسند الذي ذكره ابن حجر سند حسنٌ، فإنّ الكرابيسيّ هو أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ ابنِ يَزِيْدَ عالم مصنّف، وقد تكلّم فيه أحمد وابن معين لخوضه في مسألة خلق القرآن، ولكن ذكره ابن حبّان في الثقات، ورتبته عند ابن حجر صدوق [2].

وكذلك فإنّ الوجادة[3] هي إحدى الطرق المعتبرة في التلقّي[4]، ولاسيما من عالم كابن حجر، وقد جزم بنسبة الكتاب إلى الكرابيسيّ.

وبالرجوع إلى نصّ الخبر، نجد أنّ الزهريّ ردّ الحديث الذي افتراه بعض الكاذبين، من المتزلّفين لخلفاء بني أميّة، وهذا دليل على الإرجاء الخاص ببعض ملوك بني أميّة والذي سبق بحثه في العامل العقديّ.

والردّ كان بعرض هذا الخبر على القرآن الكريم دون السؤال عن سنده، ولعل ذلك لمعرفة الزهريّ بعدم اشتغال الوليد بالحديث وحفظ أسانيده فانتقل إلى نقد المتن مباشرةً، أو لأنّ بطلان الحديث جليٌّ لمخالفته القرآن الكريم، وعندئذٍ فلا قيمة للسند مهما كان ظاهره الصحّة.

وخبر الزهريّ مع الوليد يشفّ بمجمله عن العلاقة الصحيحة بين الحاكم والعالم،

---

(١) فتح الباري – ابن حجر (13 /113).

(٢) يُنظر ترجمته في الثقات لابن حبّان (8 /189)، وسير أعلام النبلاء (12 /79)، وتهذيب التهذيب (2 /310)، وتقريب التهذيب (ص 167).

(٣) صورتها أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه و لم يلقه أو: لقيه ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه ولا له منه إجازة ولا نحوها . مقدّمة ابن الصلاح (ص 101)، الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث (ص 179).

(٤) قال ابن كثير : ((الوجادة ليست من باب الرواية،وإنما هي حكاية عمّا وجده في الكتاب ، وأما العمل بها: فمنع منه طائفة كثيرة من الفقهاء والمحدثين، أو أكثرهم، فيما حكاه بعضهم ، ونقل الشافعي وطائفة من أصحابه جواز العمل بها. قال ابن الصلاح: وقطع بعض المحقّقين من أصحابه في الأصول بوجوب العمل بها عند حصول الثقة به. وهذا هو الذي لا يتّجه غيره في الأعصار المتأخرة لتعذر شروط الرواية في هذا الزمان، يعني: فلم يبق إلا مجرد وجادات)). الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث (ص 180).

ويُسجِّل بالوقت نفسه منقبةً للزهريّ وللوليد بن عبد الملك، الأوّل بالنصح وترك المداهنة، وقوّة الحجة في ردّ ما يُروى بغير علمٍ، والثاني: في سؤاله عن أمر دينه، وإقراره بالحقّ وإن لم يوافق الهوى؛ ولذا قال: إِنَّ النَّاس لَيُغْرُونَنَا عَنْ دِينِنَا.

أصل الإغراء في اللّغة الإلصاق [1] ومعناه أنّ هؤلاء الكاذبين يولعوننا بأشياء ليست من ديننا. فهذا يعني أنّه وافق الزهريّ في ردّ الحديث لمخالفته صريح القرآن الكريم.

وهنا نجد أنّ هذا الردّ كان منهجيًّا يوافق أصول ردّ الحديث العلميّة، لحديث موضوعٍ لأغراض سياسيّة.

(١) يُنظر لسان العرب (15/ 121) مادة (غرا)

الحالة الثانية: ردّ الحديث بالحديث:

أولًا– ردّ معاوية النبوءة التي تنصّ على ملك رجل من قحطان[١]:

ما رواه البخاريّ من طريق الزُّهْرِيِّ قَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ عِنْدَهُ فِي وَفْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ ، فَقَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا تُؤْثَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ ؛ فَإِيَّاكُمْ وَالْأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :« **إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ** »[٢] .

وموقف معاوية بما حمله من انفعال نفسيّ حمله على أن يخطب في الناس خطبةً يشدّد فيها النكير على صاحب هذه المقولة، ويؤكّد الحساسيّة الشديدة لمسألة الخلافة، ولاسيما بعد أحداث الفتنة الكبرى التي جرّت على المسلمين مواجع ومآسي كبيرة.

والقول بملك رجل من قحطان على لسان صحابي من أشهر الرواة وهو عبد الله بن عمرو بن العاص يدغدغ أحلام القبائل الكبيرة التي لا ترى أن يكون الحكم في قريش، والأخطر أنّه يؤيّد مذهب الخوارج الذين لا يشترطون أن يكون الخليفة قرشيًّا[٣].

وقحطان هو جدُّ العرب اليمانيّة وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي أَنْسَاب أَهْل الْيَمَن مِنْ حِمْيَر وَكِنْدَة وَهَمْدَان وَغَيْرهمْ[٤]. وهؤلاء كانوا غالب جند الشام وهذا القول ربما يرفع سقف طموح

---

(١) هو قَحْطانُ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح: أصل العرب القحطانية، وأبو بطون حمير، وكهلان، والتبابعة، (ملوك اليمن) واللّخميّين (ملوك الحيرة) والغساسنة (ملوك الشام) في الجاهلية ، وهو أوّل من لبس التاج من ملوك اليمن وجزيرة العرب. يُنظر طبقات خليفة (ص 125)، تاريخ الطبري (1 /142)، الأعلام للزركلي (5 /190-191).

(٢) صحيح البخاري (3 /1289) في المناقب ، باب مناقب قريش رقم(3309) ؛ وذكره(6 /2611) في الأحكام باب الأمراء من قريش رقم (6720) .

(٣) يُنظر الفصل في الملل – لابن حزم (4 / 74)، المواقف – للإيجي (3 / 585).

(٤) يُنظر فتح الباري لابن حجر (10 /319).

سادة القبائل القحطانية من النصرة إلى طلب الحكم[١].

وظاهر سياق الحديث أنّ مقولة عبد الله بن عمرو هي حديث عن رسول الله ﷺ لأنّ نصّ الخبر صرّح بأنه يحدّث، ولكن معاويّة ردّ هذه المقولة لا لطعن في الراوي ولكن لأنّها لم ترد بكتاب الله، و لم تؤثر أي تُروى عن رسول الله ﷺ ثمّ ساق من حديثه ﷺ ما يدلّ على خلاف هذه المقولة ليتبيّن شذوذها ومخالفتها لصريح المأثور عن النبيّ ﷺ .

وابن الجوزي يتأوّل الموقف بأنّ ما حدّث به عبد الله بن عمرو كان مما قرأه في صحف أهل الكتاب، ويستدلّ لذلك باستعمال معاوية لكلمة الأماني، والأماني بمعنى التلاوة كما في قول الشاعر[٢] :(من الطويل)

تَمَنّى كتابَ اللهِ أوَّلَ لَيلِهِ ... وآخِرَهُ لاقَى حِمامَ المَقَادِرِ

فيكون المعنى إيّاكم وقراءة ما في الصحف التي تؤثر عن أهل الكتاب مما لم يأت به الرسول ﷺ ، ولو كان حدّث به عن رسول الله ﷺ لم ينكر عليه لأنّه ما كان متّهمًا[٣].

وقد روى نعيم بن حماد في الفتن ما يؤكّد هذا التأوّل: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : « وجدت في بعض الكتب يوم غزونا -يوم اليرموك -: أبو بكر الصديق أصبتم اسمه ، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه ، عثمان ذو النورين أوتي كفلين من الرحمة -لأنّه قتل مظلومًا -أصبتم اسمه، ثم يكون سفاح ،ثم يكون منصور ، ثم يكون مهدي ثم يكون الأمين ، ثم يكون سين وسلام يعني صلاحًا وعافية ، ثم يكون أمير الغضب ستة منهم من ولد كعب بن لؤي،ورجل من قحطان كلهم صالح لا يرى مثله» [٤].

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (13 /115):ومناسبة ذكر ذلك تحذير من يسمع من القحطانيين من التمسك بالخبر المذكور فتحدّثه نفسه أن يكون هو القحطاني.

(٢) هو حسان بن ثابت ﷺ شاعر رسول الله ﷺ و لم أجد البيت في ديوانه بتحقيق د. وليد عرفات طبعة لندن 1971م، ولا في طبعة دار الكتب العلمية – تحقيق: عبد أ.مهنا.

(٣) يُنظر كشف المشكل من حديث الصحيحين ج4/ص97-98، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار الوطن - الرياض – 1418هـ- 1997م، تحقيق : علي حسين البواب.

(٤) كتاب الفتن (1 /115) تحقيق : سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد – القاهرة، ط1 ، 1412هـ

وسند الخبر جيّد[1] ولكن في متنه نكارة تشفُّ عن وضعه في عصر العباسيين لأنّه تجاهل رابع الخلفاء الراشدين عليّ بن أبي طالب وولده الحسن بن علي رضي الله عنهما وتجاهل ملوك الأمويّين جميعًا، ثمّ تابع في ألقاب ملوك بني العباس، ولا يخفى على ذي نظر أنّ الأمويّين والعلويّين أعداءُ العباسيّين وخصومهم السياسيّين والتتابع المنطقي الصريح بأسماء وألقاب الخلفاء الراشدين الثلاثة ثمّ التتابع التاريخي الصريح بألقاب الخلفاء العباسيين إلى عهد الأمين، ثمّ الترميز البعيد الغور على من بعدهم مؤشّر مهمٌ على وضع الحديث وتاريخ وضعه والله أعلم.

وعلى التسليم بتأويل ابن الجوزي لا يكون معاوية قد ردّ حديثًا نبويًّا وإنما ردّ مقولة لأهل الكتاب تخالف مأثورًا عن النبيّ ﷺ .

وأمّا لفظ «أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ» فما وجدت لعبد الله بن عمرو حديثًا مرفوعًا أو موقوفًا بلفظه[2]؛ فهل هذا يعني أنّ عبد الله امتثل أمرَ معاوية وكذلك فعل كل من بلغه حديث عبد الله؟.

فلو صحّت هذه الفرضية لكان ذلك دليلًا إضافيًّا على أنّ مقولة عبد الله مستمدّة من بعض صحف أهل الكتاب، إذ لا يتصوّر من عبد الله أن يكتم هذا الحديث لو كان سمعه من رسول الله ﷺ، كما لا ينبغي لمعاوية أن يردّه، بل كان يتأوّله كما فعل من قبلُ بحديث قتل عمار رضي الله عنه[3].

ولكن بالنظر في كتب الحديث النبويّ نجد أحاديثَ صحيحةً وثيقةَ الصّلة بمضمون مقولة عبد الله عن ملك رجل من قحطان.

منها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا : « **لَا تَقُوم السَّاعَة حَتَّى يَخْرُج رَجُل مِنْ قَحْطَان**

---

(١) قال ابن حجر: وَقَوْل عَبْد اللَّه بْن عَمْرو " يَكُون مَلِك مِنْ قَحْطَان " بَيَّنَ نُعَيْم بْن حَمَّاد فِي كِتَاب الْفِتَن مِنْ وَجْه قَوِيّ عَنْ عَمْرو بْن عُقْبَة بْن أَوْس عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو أَنَّهُ ذَكَرَ الْخُلَفَاء ثُمَّ قَالَ : " وَرَجُل مِنْ قَحْطَان " فتح الباري – ابن حجر (6 /535).

(٢) قال ابن حجر : لَمْ أَقِف عَلَى لَفْظ حَدِيث عَبْد اللَّه بْن عَمْرو بْن الْعَاصِ فِي ذَلِكَ وَهَلْ هُوَ مَرْفُوع أَوْ مَوْقُوف . فتح الباري – ابن حجر (13 /115).

(٣) سندرسه في المبحث القادم (التأويل السياسيّ).

يَسُوق النَّاس بِعَصَاهُ »[١] .

ولَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيث اِبْن عُمَر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **ليسوقنّ رجلٌ من قحطان الناسَ بعصا** » [٢] .

والسوق بالعصا كناية عن تسلّط هذا القحطانيّ على الناس وتسخيره لهم كما يسوق الراعي الغنم.

ولفظ حديث أبي هريرة يدلّ على أنّ ذلك يحدث في آخر الزمان، وتكرار البخاري لحديث أبي هريرة في باب تغيّر الزمان حتى تعبد الأوثان يشير إلى هذا المعنى.

فإن كان ما بلغ معاوية من حديث عبد الله بن عمرو يفيد أن ذلك يقع في أوائل الإسلام، فمعاوية معذور في إنكار ذلك عليه، وإن كان في الأزمنة التي تكون في آخر الزمان ففي إنكار معاوية للحديث نظر، لأنّ الحديث الذي استدلّ به مقيّد بإقامة الدين فيحتمل أن يكون خروج القحطاني إذا لم تُقِمْ قريشٌ أمرَ الدين[٣].

وثمّة تأويلات أخرى تدفع التعارض بين حديث أبي هريرة وحديث معاوية.

والمهمّ أنّ معاوية بوصفه خليفة أمويًّا لم يكن ليقبل أن يشيع في الناس أنّ الخلافة يجوز أن تخرج من قريش فذلك سوف يجرّئ العرب وغيرهم على طلب الأمر، وهو بنظره البعيد يخشى أن يؤدي ذلك إلى تفتّت الدولة الإسلاميّة الكبرى إلى دويلات صغيرة ويفقد الإسلام سلطانه.

والحقيقة أننا لا نعلم هل بلغ حديثُ أبي هريرة معاويةَ أم لا؟

وهل يمكن أن نتنبّأ بموقف معاوية منه؟

لا أظنّ أنّ معاوية سوف يرتاح لرواية أبي هريرة ولو كانت عن آخر الزمان، لأنّ مفهوم آخر الزمان مفهوم نسبيّ، فقد كان في المئة الأولى من يعتقد أنّه آخر الزمان وما فتئ

---

(١) صحيح البخاري (3 /1296) في المناقب باب ذكر قحطان رقم 3329، وكرره في (6 /2604) برقم 6700 في الفتن باب تغيّر الزمان حتى تعبد الأوثان، وأخرجه مسلم (4 /2232) في الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل . . رقم 2910 .

(٢) المعجم الكبير (12 /308) قال في مجمع الزوائد (5 /429):رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس والحسين بن عيسى بن ميسرة لم أعرفه.

(٣) يُنظر فتح الباري لابن حجر (10 /301)- (13 /115).

الكذابون على مرّ العصور يدّعي كلّ واحد منهم أنه مهديّ آخر الزمان.

لقد كان على معاوية أن يتصدى لكلّ فكرة يمكن أن تحدث صدعًا أو خرقًا في صفوف المسلمين بعد سنوات قاسية من الفتنة وحروبها الدامية، وهذا الموقف بحساسيته التاريخيّة والسياسيّة أضيق من أن يحتمل تقديم المسوغات التي يمكن أن يقدّمها العلماء على قراطيسهم لدفع التعارض بين الحديثين.

و الحديث الذي ساقه معاوية :« **إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ** »[١] صرف للسامع إلى حكم من عادى قريشًا وأراد أن يستبدّ بالأمر دونهم، قال القرطبي: هذا الحديث خبر عن المشروعية، أي: لا تنعقد الإمامة الكبرى إلا لقرشيّ مهما وجد منهم أحد، وكأنّه جنح إلى أنه خبر بمعنى الأمر[٢].

وأيًّا يكن فثمّة قسط من السياسة أسهم في ردّ معاوية لحديث عبد الله بن عمرو بمعارضته بحديث الأمر في قريش والله أعلم .

ثانيًا: ردّ معاوية حديثًا في فضل الأزد بدعوى أنّ ذلك الحديث في قريش:

أخرج الطبراني بسنده إلى بِشْرِ بن عِصْمَةَ[٣]، صَاحِبِ النبيّ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **الأَزْدُ**[٤] **مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُمْ، أَغْضَبُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا، وَأَرْضَى لَهُمْ إِذَا رَضُوا**».

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِقُرَيْشٍ، فَقَالَ بِشْرٌ: أَفَأَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟! لَوْ كَذَبْتُ عَلَيْهِ جَعَلْتُهَا لِقَوْمِي[٥].

---

(١) صحيح البخاري (3 /1289) في المناقب ، باب مناقب قريش رقم 3309 . وذكره(6 /2611) في الأحكام باب الأمراء من قريش رقم 6720 .

(٢) فتح الباري 118/13

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (1 /301).

(٤)الأَزْدُ لغة في الأَسْد تجمعُ قبائلَ وعمائر كثيرة في اليمن تنتهي إلى قحطان جدّ اليمانية، وأَزْدٌ: أَبو حيّ من اليمن وهو أَزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأه وهو أَسْدٌ بالسين أَفصح يقال أَزد شَنُوءة وأَزْدُ عُمان وأَزْدُ السراة . يُنظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص310-311، لسان العرب (3 / 71)، الأنساب للسمعاني (1/120).

(٥)المعجم الكبير (2 /38) .

وهذا الحديث يتبع سابقه في حرص معاوية على إبراز قيمة قريش ومكانتها التي تجعل العجم والعرب يعرفون لها حقّها في الملك والرياسة عليهم.

قلت: راوي الحديث بشر بن عصمة لا يُعرف إلا بهذا الحديث.

والحديث ضعيف الإسناد؛ قال الحافظ ابن حجر: في إسناده ضعف(١).

وقال الهيثمي : فيه من لم أعرفهم(٢) .

والمشكل أنّه لا يُعرف في فضل قريش حديث بهذا اللّفظ، ولكن ثمّة أحاديث تفيد هذا المعنى؛ منها ما رواه الطبرانيّ عن عديّ بن حاتم عن رسول الله ﷺ:«يا معاشر الناس أحبوا قريشًا، فإنّه من أحبّ قريشًا فقد أحبّني، ومن أبغض قريشًا فقد أبغضني»(٣).

قال الهيثميّ: رواه الطبرانيّ وفيه حسين السلولي لم أعرفه(٤)، وبقيّة رجاله ثقات(٥).

والظاهر أنّ معاوية ردّ الخبر بهذا الحديث، أو بحديثٍ قريب منه.

ولكن نعجب من ردّ بشر بن عصمة الليثيّ، فقد أجاب معاوية بلا خوف ولا وجل، بقوله: أَفَأَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ لَوْ كَذَبْتُ عَلَيْهِ جَعَلْتُهَا لِقَوْمِي ؟! والظاهر أنّه حجّه بهذا الجواب، إذ ما مصلحة الرجل في الكذب في فضائل قبيلة من العرب، ولو كذب لكان ذلك في فضائل قومه لأنّ ذلك يرجع عليه.

والخلاصة: في مسألة ردّ الحديث عند الأمويّين:

- أنّه لم يكن ظاهرة شائعة بين الأمويّين
- أنّه وإن كان لأغراض سياسيّة، فإنّه لا يخرج عن ضوابط عامة منها مخالفة القرآن أو مخالفة الحديث .

---

(١)الإصابة (301/1 ، ترجمة 668 بشر بن عصمة الليثي).

(٢) مجمع الزوائد (50/10).

(٣)المعجم الكبير (17 /86).

(٤) لم أعثر له على ترجمة. فهو بحكم المجهول.

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9 /448).

المبحث الثاني : التأويل السياسيّ للحديث في العصر الأمويّ

المطلب الأوّل: مفهوم التأويل السياسي:

التأويل في اللغة :مصدر أوّل يؤوّل ، وللتأويل في كلام العرب معانٍ متعددة يمكن أن نجملها بثلاثة فيما يلي[(١)]:

- **الرجوع والردّ** :من آل الشيءُ يَؤُول أَولًا ومآلًا رَجَع وأَوَّل إِليه الشيءَ رَجَعَه وأُلْتُ عن الشيء ارتددت وفي الحديث « من صام الدهر فلا صام ولا آل » [(٢)] أَي لا رجع إِلى خير[(٣)]. ويُقال في الدعاء للمُضِلِّ أَوَّل اللهُ عليك، أَي رَدَّ عليك ضالَّتك وجَمَعها لك.

- **التحوّل والصيرورة**: مأْخوذ من آل يؤول إِلى كذا أَي صار إِليه وأَوَّلته صَيَّرته إِليه فالتأْويل المَرجِع والمَصير ،و التأْويل تفسير ما يؤول إِليه الشيء ومنه قول الأَعْشَى :(من الطويل)

على أَنّها كانت تَأَوُّلُ حُبِّها تَأَوُّلَ رِبْعِيِّ السِّقاب فأَصْحَبا[(٤)]

قال أَبو عبيدة[(٥)]: تَأَوُّلُ حُبِّها أَي تفسيره ومرجعه أَي أَن حُبّها كان صغيرًا في قلبه فلم يَزَلْ يَثِبت حتى أَصْحَب فصار قَديماً كهذا السَّقْب الصغير لم يزل يَشِبُّ حتى صار كبيراً مثل أُمه وصار له ابن يصحبه [(٦)]. ومنه قولهم آل الدُّهْن والقَطِران والعسل يؤول أَوْلاً وإِيالاً خَثُر.

- **التحكّم والتدبير والتقدير**: من أَوَّلَ الكلامَ وتَأَوَّله أي دَبَّره وقدَّره، وهي ترجع إلى مفهوم الإيالة « قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ : مَأْخُوذٌ مِنْ الْإِيَالَةِ وَهِيَ السِّيَاسَةُ . يُقَالُ : فُلَانٌ

---

(١) يُنظر لسان العرب (11 /32).

(٢) الحديث أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده(5 /164) رقم (2286) .

(٣) النهاية في غريب الأثر (1 /192).

(٤) ديوان الأعشى الكبير ص163– شرح وتعليق محمّد حسين– دار النهضة العربية.

والسقاب: ولد الناقة، وربعي السقاب: الذي نُتج في أول الربيع. وأصحب:صار ذا صاحب، وهو يعني أنّه كَبُرَ وصار له ابن يصحبه.

(٥) معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري، أبو عبيدة النحوي(110 – 209 هـ) : من أئمة العلم بالأدب واللغة له (مجاز القرآن). يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (9 /445)، الأعلام للزركلي (7 /272).

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة (1/86-87).

آيِلٌ عَلَيْنَا، أَيْ سَائِسُنَا، فَكَانَ الْمُؤَوَّلُ بِالتَّأْوِيلِ، كَالْمُتَحَكِّمِ السَّائِسِ عَلَى الْكَلَامِ الْمُتَصَرِّفِ فِيهِ »[١]، وآل مالَه يَؤوله إِيالة إذا أَصلحه وساسه والائتِيال الإِصلاح والسياسة ، ولاشك أن الإصلاح والسياسة تحتاج إلى تحكّم وتدّبر وحسن تقدير..

وعليه فالتأويل باستعمال العرب « حركة بالشيء أو الظاهرة، إمّا باتجاه الأصل المألوف (بالرجوع) وإمّا باتجاه الغاية والعاقبة (الأمر المفترض المتوقع الذي ينتهي إليه المؤوَّلُ) وهذه الحركة بالشيء هي تغيّرٌ في هيئته، لذلك استعملت الكلمة بمعنى التغيّر أيضًا، ولا يخفى أن الرعاية والسياسة أو التحكّم والتدبّر سمة أساسيّة من سمات هذه الحركة بالشيء، فكان أن استُعملت الكلمة بهذا المعنى أيضًا » [٢].

التأويل اصطلاحًا:

تطوّر مفهوم التأويل تطوّرًا دلاليًّا من مرادفٍ للتفسير [٣] الذي يُستعمل لتوضيح معاني آيات القرآن الكريم [٤]، إلى بيان متشابه آيات القرآن كالأحرف المقطّعة في فواتح السور وآيات الصّفات، إلى نوع من أنواع التفسير الذي يعتمد على الرأي وإعمال الفكر وإنعام النظر وهو قسيم للتفسير بالمأثور.

وكان لظهور الفرق الكلاميّة دور كبير في توسيع دائرة التأويل، وقد تسبب استفاضة الفرق الباطنيّة في استعماله خارج قواعد اللغة إلى الحاجة الماسّة لضبطه بضوابط اللّغة والشرع.

ومع وجود تعريفات متعدّدة له إلا أنّها تلتقي في أنّ التأويل ترك لظاهر المعنى وانتقال إلى معنى آخر فإن كان بدليل كان حقًّا، وإن كان بغير دليل كان تحكّمًا وهو مرفوض مذموم.

وقد وجدت أنّ الإمام الجرجانيّ [٥] قدّم تعريفًا جيّدًا للتأويل بقوله: « صرف اللّفظ عن

---

(١) البحر المحيط للزركشي (3 /26)، إرشاد الفحول (ص 263) .

(٢) تأويل النصّ القرآني وقضايا النحو – د محمود حسن الجاسم، دار الفكر، ط1: 1431هـ/2010م.

(٣) وهو ما ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن: 86/1 ، ويُروى عن ثعلب أنّ التأويل والمعنى والتفسير واحد.يُنظر لسان العرب (11 /32).

(٤) كما استعمله محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري،(224 – 310 هـ) في تفسيره (جامع البيان عن تأويل القرآن).

(٥) السيد الشريف الجرجاني (740 – 816 هـ) علي بن محمد بن علي، فيلسوف،من كبار العلماء بالعربية له نحو من

معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنّة مثل قوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} [الأنعام: 95] إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرًا، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلًا ›› [١] .

ولا يخفى أنّ الأصوليين تعاملوا مع مصطلح التأويل عند حديثهم عن دلالات الألفاظ (النصّ والظاهر والمؤوّل..) إذ إنّ اللفظ إمّا أن يحتمل معنًى واحدًا فيكون نصًّا أو يحتمل أكثر من معنى، فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المؤوَّل.

يقول الشيخ **زكريا الأنصاري**[٢] في الحدود الأنيقة:‹‹ المؤوّل مشتقّ من التأويل وهو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ›› [٣].

وهذا التعريف يشمل التأويل بإطلاق المقبول الصحيح والمردود الباطل، أمّا التأويل المقبول الصحيح كما نصّ عليه الآمديّ فهو:‹‹ حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له بدليل يعضده ››[٤] .

وقوله: (حمل اللفظ على غير مدلوله) احتراز عن حمله على نفس مدلوله.

وقوله: (الظاهر منه) احتراز عن صرف اللفظ المشترك من أحد مدلوليه إلى الآخر، فإنه لا يسمى تأويلاً.

وقوله: (مع احتماله له) احتراز عما إذا صرف اللفظ عن مدلوله الظاهر إلى ما لا يحتمله أصلًا، فإنه لا يكون تأويلًا صحيحًا.

وقوله: (بدليل يعضده) احتراز عن التأويل من غير دليل، فإنّه لا يكون تأويلاً صحيحًا أيضًا، والدليل يعمّ القاطع والظني وعلى هذا فالتأويل لا يتطرق إلى النص ولا إلى المجمل،

من خمسين مصنّفًا. البدر الطالع – للشوكاني (488/1)، الأعلام للزركلي (5 /7).

(١) التعريفات – للجرجاني (ص 34).

(٢)هو شيخ الإسلام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي(823 – 926 هـ) أخذ أنواع العلوم عن شيوخ عصره وبرع وتفنّن، ولزم الجد والاجتهاد في القلم والعلم والعمل . و أقبل على نفع الناس إقراءً وإفتاءً وتصنيفاً مع الدين المتين، وولي مشيخة الصلاحية وغيرها ، وقضاء القضاة . يُنظر شذرات الذهب – ابن العماد (8 / 133)، نظم العقيان في أعيان الأعيان –للسيوطي (ص 113)، الأعلام للزركلي (3 /46) .

(٣) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لزكريا الأنصاري (ص 80).

(٤) الإحكام للآمدي (3 /59).

وإنما يتطرق إلى ما كان ظاهرًا لا غير(١) .

ضوابط التأويل:

لاشكّ أنّ فتح باب التأويل على مصراعيه لكلّ من هبّ ودبّ مفسدة عظيمة، وقد اجتذب التأويلُ قديمًا أهل الأهواء فجعلوه مطيّةً لتحميل نصوص الشريعة ما لا تحتمله نصرةً للهوى، ووسيلةً لتفريغها من مضامينها بغيةَ التملّص من مقتضيات الأوامر والنواهي.

وقد غرق في بحار التأويل قديمًا وحديثًا خلقٌ كثير لأنهم ما امتلكوا آلة النجاة فيه.وآلة النجاة تكمن في أمورٍ عدّة:

أوّلها وأعلاها: تقوى الله جلّ وعلا الصارفة عن التألّي على الله والكذب عليه فإنّ ذلك من أعظم الذنوب، قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116) } [النحل: 116].

والتأويل لنصوص الشريعة بغير دليل صحيح قول على الله بغير علم وهو من خطوات الشيطان الرجيم، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169) } [البقرة: 168، 169]

وقال عزّ من قائل: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: 33].

ثانيها: المعرفة الواسعة والدقيقة بلسان العرب لأنّ القرآن الكريم نزل بلسانهم قال تعالى: { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } [الشعراء: 193 – 195]، وقال عزّ وجلّ : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [يوسف: 2]، وقال: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) } [طه: 113] إلى غير ذلك من الآيات التي تدلّ على أنّ فهم

---

(١) يُنظر المرجع السابق (60/3).

دلالات آيات القرآن الكريم لا يكون إلا بمعرفة لسان العرب، والتصدّر لتأويل السنّة النبويّة يتطلّب المعرفة بالعربيّة وعلومها كذلك، فنبيّنا محمد ﷺ الهاشميّ القرشيّ أفصح العرب لسانًا، وأبلغهم بيانًا، وقد وهبه الله جوامع الكلم، واختُصر له الكلامُ اختصارًا، فلابدّ للمتصدّي لتأويل الكتاب والسنّة أن يكون على بصيرة بأساليب العرب في البيان وإلا زلقت قدمه واندقّت عنقه.

ثالثها: الرسوخ في علوم القرآن وأصول الحديث وأصول الفقه لأنها قائمة على ضوابط منطقيّة تستند إلى العقل والنقل، تعصِمُ المرء من سوء الفهم وتهديه إلى معرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد والقطعي والظنيّ وغير ذلك مما تمسّ الحاجة إليه.

وأيًّا يكن فالتأويل لا يصحّ إلا بتوافر شروط وهي(١):

١ - أن يكون اللّفظ المؤوّل قابلًا للتأويل،فلا يؤوّل قطعيّ الدلالة، بل اللّفظ المحتمل لأكثر من معنى .

٢ - أن يكون بدليل، فلا يمكن أن يُؤول بغير دليل.

٣ - أن يقع فيه مُوجب للتأويل.

٤ - أن يكون اللّفظ الذي أُوِّلَ إليه محتملًا، أي: مقبولًا في العربيّة، فلا يمكن أن يُحمل اللّفظ على ما لا تقتضيه اللّغة بوجه من الوجوه، فذلك تأويل فاسد. فشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِوَضْعِ اللُّغَةِ أَوْ عُرْفِ الِاسْتِعْمَالِ أَوْ عَادَةِ صَاحِبِ الشَّرْعِ ؛وكُلُّ تَأْوِيلٍ خَرَجَ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَبَاطِلٌ.

وقد بيّن العلماء أوجه التأويل المحتملة: فالتأويل في نفسه إمّا أن يكون

- قريبًا فيترجح بأدنى مُرجح
- أو بعيدًا فلا يترجّح إلا بمرجِّحٍ قويّ فحسبْ.
- أو متعذرًا لا يحتمله اللفظ فيكون مردودًا قولاً واحدًا (٢).

وعليه فالتأويل ليس مذمومًا بإطلاق كما يوهم ظاهر كلام من ذمّ التأويل، بل ذمّهم

---

(١) يُنظر البحر المحيط للزركشي (32/3) ، ويُنظر إرشاد الفحول ص300 .

(٢) يُنظر إرشاد الفحول ص301 .

له حينما يطلق إنّما لما كان ترجيحًا بغير مرجِّح ، فإذا كان الترجيح يصدر عن هوى وعصبية كان أبعد في الذّم .

مفهوم التأويل السياسي:

لقد بدأ التأويل السياسيّ لآيات القرآن الكريم ونصوص الحديث النبوي الشريف مُبكراً، ومتزامناً مع الفتن التي أعقبت مقتل الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، في تلك الفترة التي شهدت بواكير تشكّل الأحزاب السياسية في المجتمع المسلم.

فحيث لا يمكن ردّ الحديث الذي يشير بظاهره إلى مشروعية موقف ما لطرف من أطراف الصّراع السياسي أو يُقدّم بظاهره تغطية لبعض الأطراف دون بعض، تبدأ المحاولات في تأويله للالتفاف على ظاهره، وإعادة استثماره بما يخدم مصلحة الفريق الذي تأوّله.

المطلب الثاني: تطبيقات التأويل السياسيّ في العصر الأموي:

لقد ظهر التأويل السياسيّ للقرآن والحديث بكثرة في تضاعيف الصراعات السياسيّة في العصور الإسلاميّة المختلفة، ولكن في هذا المبحث سوف ندرس بعض التطبيقات التي وقعت والتي كان الحديث فيها طرفًا في عمليّة التأويل إمّا تأويلًا للقرآن الكريم، أو أن يكون الحديث نفسه مادةً يتناولها التأويل بالرأي.

الحالة الأولى: تأويل القرآن بالحديث:

لاشكّ أن القرآن الكريم هو النصّ الديني الأسمى والأعلى في هذا العالم وآياته حجّة يدين بها كل مسلم، ولذا فإنّ مختلف أطراف الصراع في العصر الأمويّ حرصت على استعماله في تثبيت مشروعية مواقفها أو سحب الغطاء الشرعي عن مواقف خصومها.

ولما كان القرآن- بالحفظ الربانيّ- لا يمكن تحريفه لفظًا، فقد تمّ من خلال تفسيره بالمأثور صرف عموم لفظه إلى معاني خاصة ذات أبعاد سياسيّة حزبيّة.

وسوف نرى في هذا المطلب صورًا من هذا الالتفاف على النصّ القرآني بغية قصره على بني أميّة أو أفراد منهم في محاولة لشيطنة الأمويّين بوضعهم في الضفّة المعادية للحق دائمًا. فمن ذلك:

أولاً- ما جاء في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[الحج : 78]، « فعن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ قال : قال عمرُ لعبد الرحمن بن عوف : أما علمت أنّا كنا نقرأ: جاهدوا في الله حقّ جهاده في آخر الزمان كما جاهدتم في أوّله. قال: فقال عبد الرحمن: ومتى ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إذا كان بنو أميّة الأمراء، وبنو المغيرة الوزراء ».

وفي لفظ آخر: « قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: أَلَمْ نَجدْ فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْنَا: جَاهِدُوا كَمَا جَاهَدْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّا لَا نَجدُهَا، قَالَ: أُسْقِطَتْ فِيمَا أُسْقِطَ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: أَتَخْشَى أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ كُفَّارًا ؟ قَالَ: مَا شَاءَ اللهُ . قَالَ: لَئِنْ رَجَعَ النَّاسُ كُفَّارًا لَيَكُونَنَّ أُمَرَاؤُهُمْ بَنِي فُلَانٍ وَوُزَرَاؤُهُمْ بَنِي فُلَانٍ .»

ولدى تتبّع طُرق هذه الرواية نجد أنّه تفرّد بها ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة، وتفرّد بها المسور عن عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما . وهذا يعني أنّ الحديث غريب سندًا ومتنًا.

وقد روى الخبر عن ابن أبي مليكة راويان هما عمرو بن دينار ونافع بن عمر.

وكذلك فقد تفرّد سفيان بن عيينة بروايته عن عمرو بن دينار.

ومن هذا الطريق جاءت رواية البيهقيّ في الدلائل عن أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق بن همّام عن سفيان به(١).

وأخرجه الخطيب و ابن عساكر في تاريخيهما (٢) والعجلي في كتابه الثقات (٣) من طريق أبي عثمان البغداديّ، عن عبد الرزاق بن همّام عن سفيان به .

وأمّا نافع فرواها عنه ثلاثة هم داود بن عمرو الضبي(٤)، وابن أبي مريم، و يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي عَبَّادٍ(٥).

وقد أخرجها ابن عساكر بسند عالٍ من حديث عبد الله بن محمد وهو ابن أبي الدنيا (٦) عن داود عن نافع به(٧).

وأخرجه الطحاويّ في شرح مشكل الآثار (٨) من طريق يَزِيدَ بْنِ سِنَان عن ابن أبي مريم عن نافع به. وكذلك ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٩) عن يعقوب بن سفيان عن ابن أبي

---

(١)دلائل النبوة للبيهقي(6 /422).

(٢) تاريخ بغداد (14 / 407)، تاريخ دمشق (7 / 265).

(٣) الثقات للعجلي (2 / 415).

(٤) داود بن عمرو بن زهير بن عمرو بن جميل الضبي أبو سليمان البغدادي ثقة مات سنة (228هـ) وهو من كبار شيوخ مسلم م س. تقريب التهذيب – (ص 199).

(٥) قال الهيثمي: يعقوب بن أبي عباد القلزمي و لم أعرفه.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (7 / 329)

(٦)عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي الأموي مولاهم أبو بكر بن أبي الدنيا البغدادي صدوق حافظ صاحب التصانيف المشهورة المفيد ة . كان يؤدّب غير واحد من أولاد الخلفاء .تهذيب الكمال (16 / 72-73) تقريب التهذيب (ص 321).

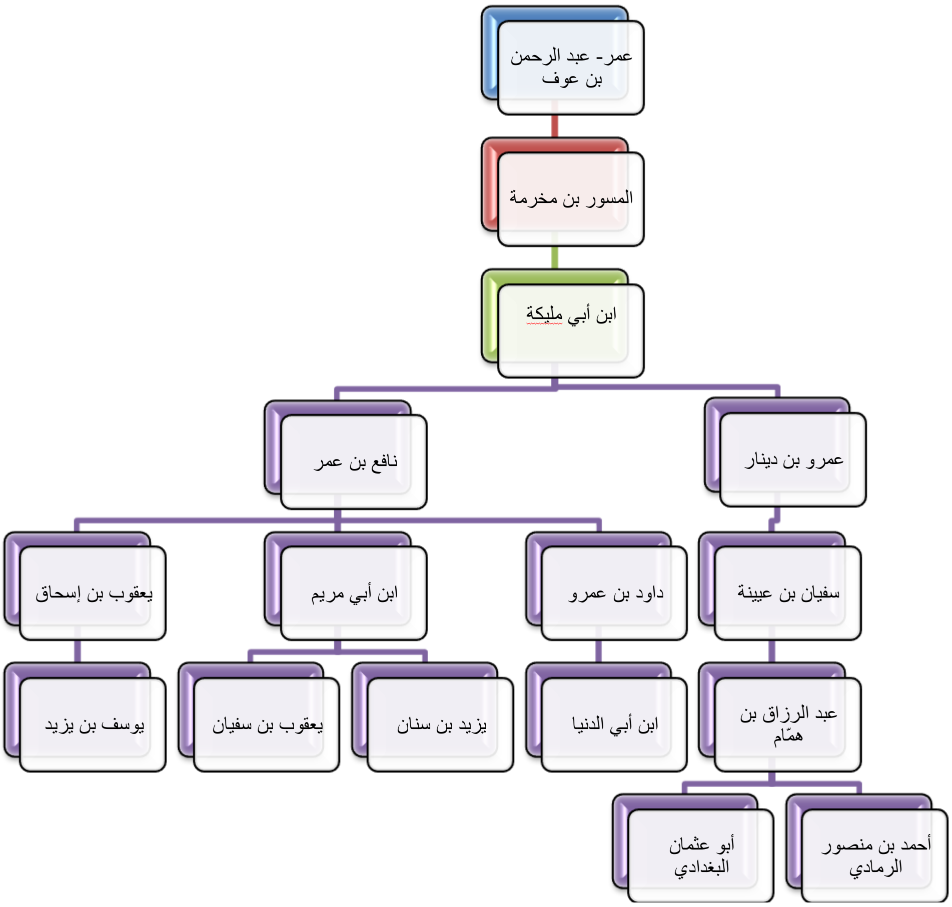
(٧) تاريخ دمشق (7 / 266).

(٨) شرح مشكل الآثار للطحاويّ(12/8-9) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،ط:1، 1415هـ/ 1494م.

(٩) نواسخ القرآن – لابن الجوزي (1 / 36).

مريم به.

وأخرجه الطحاويّ[١] من طريق يُوسُفَ بْنِ يَزِيدَ عن يعقوب بن إسحاق عن نافع به.



أمّا سند رواية البيهقي وغيره عن عبد الرزاق الصنعاني فظاهره الصّحة إلا أن يكون الرماديّ أخذها منه بعد اختلاطه سنة 200 هـ، بعدما عميَ فكان يُلقّن فيتلقّنُ.

وأمّا رواية الخطيب و ابن عساكر في تاريخيهما والعجلي في كتابه الثقات فعن أبي عثمان البغداديّ وهو سعيد بن نصير وهو صدوق[٢] .

أمّا رواية الطحاويّ من طريق يعقوب بن إسحاق بْنِ أَبِي عَبَّادٍ فهي معلولة بجهالة يعقوب حيث لم أعثر له على ترجمة، وقد سبق إلى ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد حينما

---

(١)شرح مشكل الآثار (5/ 273-274).

(٢)سعيد بن نُصير بالتصغير البغدادي نزيل الرقة أبو عثمان أو أبو منصور الدورقي الورّاق ، صدوقٌ، أخرج له أبو داود. يُنظر تقريب التهذيب (ص 241).

عرض له في حديث آخر[1].

ورواية ابن عساكر لا بأس بها لأنّ ابن أبي الدنيا صدوق حافظ، وشيخه داود بن عمرو ثقة .

وأمّا رواية الطحاويّ عن يزيد بن سِنَان عن سعيد بن الحكم بن أبي مريم فمعلولة؛ لأنّ يزيد بن سنان بن يزيد التميميّ الجزريّ أبو فروة الرهاويّ ضعيف[2]. قال ابن حبّان: كان ممن يخطئ كثيرًا حتى يروي عن الثقات مالا يشبه حديث الأثبات لا يُعجبني الاحتجاج بخبره إذا وافق الثّقات فكيف إذا انفرد بالمعضلات[3]؟! وقال النسائيّ: متروك الحديث[4].

وللخبر شاهد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ سَأَلَهُ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: { وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } [الأحزاب: 33] هَلْ كَانَتْ جَاهِلِيَّةٌ غَيْرَ وَاحِدَةٍ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا سَمِعْتُ أُولَى إِلَّا وَلَهَا آخِرَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ: هَاتِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى مَا يُصَدِّقُ ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللهَ جَلَّ اسْمُهُ يَقُولُ: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ كَمَا جَاهَدْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، فَقَالَ عُمَرُ: مَنْ أَمَرَنَا اللهُ أَنْ نُجَاهِدَهُ ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَخْزُومٌ وَعَبْدُ شَمْسٍ. وفي رواية قال عمر: صدقتَ.

والشاهد أخرجه الطبري في تفسيره [5] من حديث ثور بن زيد، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهذا الشاهد منقطع لأنّ ثورًا لم يدرك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما [6].

ولكنّه رُوي موصولاً من طريق آخر فقد أخرجه الطحاويّ[7] من حديث عبد العزيز بن مُحَمَّدٍ[8] عَنْ ثَوْرٍ[9]، عَنْ عِكْرِمَةَ[1]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما .

---

(١)فقال:وفيه يعقوب بن أبي عباد القلزمي و لم أعرفه. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (7 / 329).

(٢) يُنظر تهذيب الكمال (32 /155 وما بعدها)، تقريب التهذيب (ص 602).

(٣) كتاب المجروحين (3 /106).

(٤) كتاب الضعفاء والمتروكين (ص 111).

(٥) تفسير الطبري (18 / 688)، (20 / 261-262).

(٦) تهذيب الكمال (4 / 416).

(٧) شرح مشكل الآثار (12 / 8).

(٨) عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي أبو محمد الجهني مولاهم المدني صدوق ؛ كان يحدّث من كتب غيره فيخطئ، قال النسائي: حديثه عن عبيد الله العمري منكر، مات سنة (186أو 187هـ) ع. التقريب (ص 358).

(٩) ثور بن زيد الدِّيلي المدني ثقة مات سنة (135هـ) ع. تقريب التهذيب (ص135).

والخبر غريب أيضًا فقد تفرّد به عكرمة عن ابن عباس. و قوله: مَخْزُومٌ وَعَبْدُ شَمْسٍ . محمول على المجاهدة الأولى للمشركين ومخزوم وعبد شمس كانتا أكبر بطون قريش وفيهما زعامة المشركين في حربهم على الإسلام. فهو يصلح شاهدًا لموضوع نسخ القرآن ولا يصلح شاهدًا لحديث المسور في قتال بني أمية وبني مخزوم في آخر الزمان.

وخبر ابن عبّاس مشكل لأنّ الأصل أن يكون عمر أدرى بناسخ القرآن ومنسوخه من ابن عبّاس لأنّ رسول الله ﷺ توفي وابن عبّاس في عامه الثالث عشر وقد صحب النبيّ ﷺ في آخر عمره عامين ونصف العام فقط(٢).

ومع صحّة أسانيد هذا الخبر، ولاسيما رواية عبد الرزاق عن سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور، فإنّه إسناد مسلسل بالأئمة الأعلام، ولكنّ المشكلة تكمن في الغرابة :

فحديث بهذه الدلالات الخطيرة على المستوى الديني والسياسيّ، مع تعلّقه بمسألة مهمّة وهي مسألة ناسخ القرآن ومنسوخه، حقّه أن ينتشر ويشتهر؛ ولكن على العكس وجدنا أنّ الحديث بقي في طور الغرابة لمراحل طويلة مع أنّ راوي الخبر المسور بن مخرمة رضي الله عنهما من صغار الصحابة وقد تأخرت وفاته إلى سنة(64هـ)، وحدّث عنه خلق كثير، فكيف ينفرد بروايتها عنه راوٍ واحد فقط هو ابن أبي مليكة؟

ومع مراعاة الخلفيّة الحزبيّة للمسور وابن أبي مليكة يزداد عجبنا من غرابة هذا الخبر، فقد انحاز المسور إلى مكّة مع ابن الزبير، وسخط إمرة يزيد بن معاوية (٣)، وأمّا ابن أبي مليكة فقد ولي القضاء والأذان لابن الزبير(٤) وبقي حتى مقتل ابن الزبير سنة (73هـ) ثم عُمّر إلى سنة(117هـ) ثمّ لا نجد من يرويها عن ابن مليكة إلا راويان فقط. مع أنّ مثل هذه الرواية تعطي مشروعية واضحة في الخروج على الأمويّين وقتالهم.

---

(١) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة ، مات سنة أربع ومائة وقيل بعد ذلك ع .تقريب التهذيب (ص 397).

(٢) يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (3 /331 وما بعدها).

(٣) يُنظر سير أعلام النبلاء – (3 / 391).

(٤) المصدر نفسه – (5 / 89).

وكذلك فإنّ رواية البيهقيّ مسلسلة بالأئمة الأعلام عبد الرزاق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار به.. وهؤلاء الأئمة حدّث عن كل واحد منهم خلق كثير، مما يجعلنا نتساءل مرّة أخرى عن غرابة هذه الرواية!. ولا سيما أنّ عبد الرزاق بن همّام كان رجلًا مشهورًا بتشيعه، معروفًا بكرهه للأمويين، وعاش في زمن بني العباس حيث لا خوف من أن يذيع هذا الحديث بين طلابه وتلاميذه، فلمَ تفرّد أحمد بن منصور الرمادي بها، دون جميع من أخذ عن عبد الرزاق؟.

والعجيب أيضًا أنّ لعبد الرزاق تفسيرًا للقرآن بالمأثور لم ترد فيه هذه الرواية، وكان حقّها أن ترد فيه، فعدم ورودها في تفسيره مؤشّر على عدم علمه بها، فكيف إذا علمتَ أنها لم ترد لا في تفسيره ولا في مصنّفه رحمه الله [١]. مع أنّه كما قال ابن عديّ: « روى أحاديث في الفضائل مما لا يُوافقه عليه أحد من الثقات ، فهذا أعظم ما ذمّوه من روايته لهذه الأحاديث، ولما رواه في مثالب غيرهم، وأما في باب الصدق فإني أرجو أنه لا بأس به إلا أنه قد سبق منه أحاديث في فضائل أهل البيت ومثالب آخرين مناكير» [٢]

وكان رحمه الله قد عمي سنة مائتين للهجرة، وكان يُلقّن فيتلقّن، جاء في ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي[٣] :« قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول في حديث أبي هريرة، حدّث به عبد الرزاق " النار جبار ": لم يكن في الكتب، باطل، رواها الأثرم عن أحمد، وزاد: ثم قال: ومن يحدّث به عن عبد الرزاق ؟ قلت: حدثنا أحمد بن شبويه، قال: هؤلاء سمعوا بعدما عمي[٤]، كان يُلقّن، فلقّنوه، وليس في كتبه، وقد أسندوا عنه أحاديث ليست

---

(١) علمًا أنّ تفسيره يقع في مجلّدين، ومصنّفه الشهير طُبع في أحد عشر مُجلّدًا،ولكنني وجدتها في كتاب يُسمّى الأمالي في آثار الصحابة(ص60)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم- مكتبة القرآن – القاهرة.

وهو ينسب إلى عبد الرزاق الصنعاني ولكنه في الحقيقة عبارة عن أمالي أبي عبد الله الحسين بن عبد الجبار السكري عن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصّفار عن أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق بسنده.وهو السند نفسه الذي ساقه البيهقي لروايته.

(٢)الكامل في الضعفاء (5 /315)، تهذيب الكمال (18 / 61).

(٣) سير أعلام النبلاء - (9 / 568-569) ، تهذيب الكمال (18 / 57).

(٤) وقد حدث له ذلك سنة 200 هـ، قال أحمد بن حنبل:« أتينا عبد الرزاق قبل المئتين وهو صحيح البصر ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع » تهذيب الكمال (18 / 58) فمن سمع منه قبلها كان سماعه صحيحاً لأنه سمع قبل الاختلاط، ولكن العلّة فيمن سمع منه – من غير كتبه- بعد اختلاطه إلى وفاته سنة

في كتبه)).

وبناءً على ما تقدم أظنّ أن الغرابة التي لازمت هذه الرواية من راويها الأوّل حتى تدوينها دليل على وضعها.

ونتذكر قول أحمد بن حنبل : لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنّها مناكير وعامتها عن الضعفاء (١).

وعن مالك قال: شرّ العلم الغريب وخير العلم الظاهر الذي قد رواه النّاس.

وقال عبد الرزاق: كنا نرى أن غريب الحديث خير فإذا هو شرّ (٢).

ولهذا كلّه فإنّي لا أشكّ أنّ هذه الرواية من مخلّفات الصراع بين الحزب الزبيريّ والأمويّين.

ثانيًا– جاء في تفسير قوله تعالى:﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء : 3 ، 4]

عن ابن عباس قال: ((**نزلت هذه الآية فينا وفي بني أُمّية قال : سيكون لنا عليهم الدولة فتذلّ لنا أعناقهم بعد صعوبة، ويلحقهم هوان بعد عزّة .**))

هكذا ذكره جماعة من المفسرين(٣) دون إسناد.

وهذا الأثر ذكره الثعالبيّ(٤) بسندٍ مُظلم ، وهو لا يصحّ عن ابن عباس لأنّ فيه أبا حمزة الثماليّ(٥) وهو ضعيف (٦)، والظاهر أنّ الثماليّ كان متحاملاً على الأمويّين بل حتى على

211هـ. يُنظر حاشية الدكتور نور الدين عتر رقم (2) من كتاب شرح علل الترمذي (577/2).

(١)الشذا الفياح (2 /446).

(٢)الشذا الفياح (2 /448).

(٣)تفسير القرطبيّ – (13 / 90)، تفسير الكشاف للزمخشريّ (3 / 306) دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تفسير البحر المحيط – (8 / 390)، روح المعاني – (19 / 60).

(٤) الكشف والبيان ـــ للثعلبيّ – (9 / 413).

(٥) ضعيف رافضي تُنظر ترجمته في (ص161) من البحث.

(٦) ضعّفه أحمد وابن معين وقال أبو زرعة وأبو حاتم ليّن. تهذيب الكمال – (4 / 358-359).

خيارهم كأمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ فقد جاء في ميزان الاعتدال للذهبي[١]: ((قال عبيد الله بن موسى: كنا عند أبي حمزة الثمالي، فحضره ابن المبارك فذكر أبو حمزة حديثًا في ذكر عثمان فنال من عثمان، فقام ابن المبارك ومزّق ما كتب ومضى.))

وأبو حمزة يروي عن الكلبي وهو محمد بن السائب وحاله في الحديث كما تعلم.

والكلبي يروي عن أبي صالح مولى أمّ هانئ بنت أبي طالب وهو ضعيف أيضاً [٢]، وأكثر رجال هذا الإسناد مجاهيل لم أعثر لهم على تراجم[٣].

وقد عثرت على هذه الرواية في بعض كتب الإمامية [٤]بالسند الذي ذكره الثعالبيّ، على ما فيها من آفاتٍ.

وهذا الخبر من الغرائب والعجائب التي لا يفرح بها إلا جاهل قال ابن عاشور[٥]: ((ومن ((ومن بِدع التفاسير وركيكها ما نسبه الثعلبيُّ إلى ابن عباس أنّه قال : (**نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية فتذلّ لنا أعناقهم بعد صعوبة، ويلحقهم هوان بعد عزّة**) وهذا من تحريف كَلِم القرآن عن مواضعه، ونُحاشي ابنَ عباس رضي الله عنه أن يقوله وهو الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يعلِّمه التأويل .

وهذا من موضوعات دعاة المسودة مثل أبي مسلم الخراساني ، وكم لهم في الموضوعات من اختلاق، والقرآن أجلّ من أن يتعرّض لهذه السفاسف.))

---

(١)ميزان الاعتدال (1 / 363).

(٢) باذام بالذال المعجمة ويقال آخره نون - باذان- أبو صالح مولى أم هانئ ضعيف (مدلس) يرسل ، أخرج له الأربعة. يُنظر تقريب التهذيب - (ص 120).

(٣) وهذا هو السند بطوله:(الثعالبي أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن حبّان قال: حدّثنا إسحاق بن محمد قال : حدّثنا أبي قال: حدّثنا إبراهيم بن عيسى قال: حدّثنا عليّ بن عليّ قال: حدّثني أبو حمزة الثمالي قال: حدّثني الكلبي عن أبي صالح مولى أم هاني أنّ عبد الله بن عباس حدّثه قال : نزلت هذه الآية فينا وفي بني أُمّية ...) فما عرفت مَن إبراهيم بن عيسى ولا مَن عليّ بن عليّ..؟

(٤) يُنظر شواهد التنزيل - الحاكم الحسكاني (1 / 540)- تحقيق: محمد باقر محمودي- مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابع لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي- ط1 - 1411هـ .

(٥) التحرير والتنوير - لابن عاشور(1 / 2997) مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.

ثالثًا– في تاريخ ابن عساكر [١] عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اسمي في القرآن {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} واسم علي بن أبي طالب { وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} ، والحسن والحسين {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا} واسم بني أمية {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} ثم قال رسول الله ﷺ: إنّ الله بعثني رسولًا إلى خلقه فأتيت قريشًا فقلت لهم : معاشر قريش إنّي قد جئتكم بعزّ الدنيا وشرف الآخرة أنا رسول الله ، فقالوا: كذبت لست برسول الله؛ فأتيت بني هاشم فقلت لهم: معاشر بني هاشم إنّي قد جئتكم بعزّ الدنيا وشرف الآخرة أنا رسول الله إليكم ، فقالوا لي: صدقت فآمن بي مؤمنهم عليّ بن أبي طالب وصدّقني كافرهم فحماني –يعني أبا طالب– فبعث الله بلوائه فركزه في بني هاشم فلواء الله فينا إلى أن تقوم الساعة ، ولواء إبليس في بني أميّة إلى أن تقوم الساعة، وهم أعداء لنا وشيعتهم أعداء لشيعتنا.»

قال الخطيب: هذا الحديث منكر جدًا بل هو موضوع ، وفي إسناده ثلاثة مجهولون وهم محمد بن عمر الحوضي وموسى بن إدريس وأبوه ولا يصحّ بوجه من الوجوه.

والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات [٢] وأعلّه بما أعلّه به الخطيب، وكذلك ورد في عموم الكتب المصنّفة في الأحاديث الموضوعة[٣].

قلت: لقد بلغت صورة الأمويّين من التشويه حدًّا جعلهم يُصوَّرون على أنّهم أمراء ظلام في حين يتم تصوير الهاشميين على أنّهم مظاهر تجلي النور، ولا ريب في نورانيّة البيت النبوي الذي أشرقت أنواره على الكون، ولكن المريب حقًّا أن تطمس كل محاسن الأمويين وأن يُصوَّروا على أنّهم مظهر من مظاهر تجليات الشرّ والشيطان والظلام إلى يوم القيامة، وأن يؤوّل القرآن بطريقة لا تمتُّ إلى المنطق السليم ولا إلى روح الإسلام العظيم بصلة.

رابعًا: رُوي عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما تأويل لقوله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾ [إبراهيم : 28]

---

(١) تاريخ دمشق – (57 / 273– 272).

(٢) الموضوعات – (2/ 477–478).

(٣) تنزيه الشريعة المرفوعة (1 / 355)، الفوائد المجموعة (1 / 368)، لسان الميزان (5 / 329)، اللآلئ المصنوعة (1 / 326).

بأنّهم بنو مخزوم وبنو أميّة. وهو أحد الأقوال المشتهرة في كتب التفسير[١].

ونبدأ بما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

-فقد أخرج البخاري في تاريخه[٢] وابن جرير في تفسيره[٣] كلاهما من طريق سفيان، عن عليّ بن زيد، عن يوسف بن سعد، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا**﴾. قال : هما الأفجران من قريش : بنو المغيرة وبنو أمية، فأمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمُتّعوا إلى حين .

وسفيان هو الإمام الثوري، وعلي بن زيد هو ابن جدعان وهو ضعيف [٤]، ويوسف بن سعد مختلف في اسمه وتحديد شخصه[٥]. فالرواية ضعيفة.

-وأخرج الطبري[٦] من طريق حمزة الزيّات، عن عمرو بن مرّة ، قال : قال ابن عباس لعمر رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين ، هذه الآية ﴿ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ ؟ قال: هُمْ الْأَفْجَرَانِ مِنْ بَنِي مَخْزُوم وَبَنِي أُمَيَّةَ أَخْوَالِي وَأَعْمَامك، فَأَمَّا أَخْوَالِي فَاسْتَأْصَلَهُمْ اللَّه يَوْمَ بَدْر، وَأَمَّا أَعْمَامك فَأَمْلَى اللَّه لَهُمْ إِلَى حِين. وَمِنْ طَرِيق عَلِيّ قَالَ : هُمْ الْأَفْجَرَانِ بَنُو أُمَيَّة وَبَنُو الْمُغِيرَة ، فَأَمَّا بَنُو الْمُغِيرَة فَقَطَعَ اللَّه دَابِرَهُمْ يَوْمَ بَدْر ، وَأَمَّا بَنُو أُمَيَّة فَمُتِّعُوا إِلَى حِينٍ .

وأخوال عمر رضي الله عنه هم بنو مخزوم فأمّه حنتمةُ بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم[٧]، وأعمام ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو أميّة يلتقون في عبد مناف.

---

(١) يُنظر تفسير القرطبي (9/ 311)، زاد المسير (4 / 362) .

(٢) التاريخ الكبير - (8 / 373) مختصرًا. قال عمر: هم الأفجران.

(٣) تفسير الطبري - (16 / 5).

(٤)علي بن زيد بن عبدالله بن زهير بن عبدالله بن جدعان التيمي البصري ينسب أبوه إلى جدِّ جدِّه ، ضعيف مات سنة (131هـ) وقيل قبلها بخ م 4 تقريب التهذيب - (ص 401).

(٥)يوسف بن سعد الجمحي مولاهم أبو يعقوب ويقال أبو سعد البصري ويقال يوسف بن مازن وقيل هما اثنان . وقال الترمذي يوسف بن سعد رجل مجهول وقيل يوسف بن مازن . فإن كان الجمحيّ فهو ثقة وإن كان غيره فهو مجهول كمال قال الترمذيّ. يُنظر تهذيب الكمال - (32 / 426-428)، تهذيب التهذيب (11 /363) .

(٦) تفسير الطبري - (16 / 6).

(٧) وقيل إنّ أمه حنتمة بنت هشام فيكون خاله أبو جهل ولكن الصحيح أنّ جده لأمّه هو هاشم أخو هشام فيكون أبو جهل ابن عمّ أمه، يُنظر الإصابة (4 / 588)، تهذيب الكمال (21 / 317).

أمّا سند الحديث: فحمزةُ هو ابن حبيب الزيات الإمام المقرئ ولكنه ضعيف الضبط له أوهام[١]، وعمرو بن مرّة الجملي المراديّ ثقة إلا أنّه كان يُرسل عن ابن عباس[٢] .

وهذا يعني أنّ السند فيه انقطاع بين عمرو وابن عباس . لذا فهذه الرواية معلولة بأمرين ضعف حمزة والانقطاع بين عمرو وابن عباس رضي الله عنهما .

وأمّا ما رُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: فمداره على أبي إسحاق السبيعي عن عمرو ذي مرّ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، والخبر أخرجه ابن جرير في التفسير [٣] والطبراني في الأوسط [٤] والحاكم في المستدرك ولفظه عند الحاكم: « عن علي رضي الله عنه في قوله عزّ و جلّ: ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ قال: هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فأمّا بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدرٍ، وأمّا بنو أمية فمتّعوا إلى حين » [٥].وقد علّق الحاكم بقوله:" هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه"ووافقه الذهبي[٦].

وهذا التصحيح للإسناد مُشكل لوجود **عمرو ذي مر**[٧] وهو مجهول لأنّه لم يروِ عنه غير أبي أبي إسحاق السبيعي، والعجب من الذهبيّ في موافقته الحاكم على صحّة الإسناد رغم أنّه نصّ على جهالته في ميزان الاعتدال [٨]، ولا يُغترّ بتوثيق العجلي له [٩] فإنهّ مخالف طريقة سائر علماء الرجال بعدم توثيق المجهول حتى ترتفع جهالته بأن يروي عنه اثنان فصاعدًا، وهو ما لم يتحقق في

---

(١)حمزة بن حبيب الزيات القارئ أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم صدوق زاهد ربما وهم ، مات سنة ست أو ثمان وخمسين و مئة ، وكان مولده سنة ثمانين م 4.تقريب التهذيب -(ص179).

(٢) موسوعة أقوال الدارقطني (23 / 252).

(٣) تفسير الطبري (16 / 6).

(٤) المعجم الأوسط (1 / 237).

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم (2 / 383) رقم3343.

(٦) المرجع السابق.

(٧) عمرو ذو مر الهمداني الكوفي عن عليّ وغيره في قصة غدير خم ، وعنه أبو إسحاق السبيعي وحده . قال البخاري: لا يُعرف، وقال ابن عدي: هو في جملة مشائخ أبي إسحاق المجهولين الذين لا يحدث عنهم غيره ، وقال مسلم وأبو حاتم : لم يرو عنه غير أبي إسحاق .وقال ابن حبان: في حديثه منا كير . وقال العجلي : كوفي تابعي ثقة. يُنظر الكامل في الضعفاء(5 / 142)، ميزان الاعتدال (3 / 294)، تهذيب التهذيب(8 / 106)، التقريب (ص428).

(٨)ميزان الاعتدال (3 / 294).

(٩) فقد قال العجلي في معرفة الثقات (2 / 188): عمرو ذو مر تابعي ثقة كوفي.

عمرو ذي مرّ. ولذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد [١]: ((رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمرو ذو مر ولم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي، وبقيّة رجاله ثقات)).

وهكذا نجد أنّ هذه الرواية عن عليّ رضي الله عنه معلولة بجهالة أحد رواتها.

وقد رُوي عن عليٍّ رضي الله عنه من غير وجه وابن عباس رضي الله عنهما أنّ المراد من الآية كفار قريش دون تخصيص[٢] .

ثمّ يَرِد على الروايتين أنّ الاستئصال الكامل لم يقع لبني مخزوم فقد قُتل بعضهم يوم بدر، وأنّه قد قُتل من بني أميّة رجال كذلك يوم بدرٍ فلم يمتّعوا جميعًا إلى حين.

والخبر مشكلٌ إلا إذا تمّ قصر العام على الخاص فيكون المراد بعضهم لا كلّهم كما قال الحافظ ابن حجر : ((الْمُرَاد بَعْضهمْ لَا جَمِيع بَنِي أُمَيَّة وَبَنِي مَخْزُوم فَإِنَّ بَنِي مَخْزُوم لَمْ يُسْتَأْصَلُوا يَوْم بَدْر، بَلْ الْمُرَاد بَعْضهمْ كَأَبِي جَهْل مِنْ بَنِي مَخْزُوم وَأَبِي سُفْيَان مِنْ بَنِي أُمَيَّة))[٣] .

وقد أحصيتُ من قُتل من كفّار قريش ببدر من بني مخزوم فكانوا ثمانية من رجالاتهم، واثنين من حلفائهم ومواليهم، وأمّا بنو أميّة فقد قُتل سِتّةٌ من رجالهم وسبعة من حلفائهم ومواليهم[٤].

فهذا يكشف عن ضعف الفكرة التي بُني عليها تفسير الآية المنسوب إلى عمر وعليّ رضي الله عنهما فقد نال كلّ بطن من بطون قريش حظّه من القتل؛ فكان الأولى في تفسير هذه الآية ما صحّ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: « هم والله كفار قريش »[٥]. وما رُوي عن عليّ رضي الله عنه قال : هم كفار قريش. أو قال: هم كفار قريش يوم بدر[٦].

واللّطيف أنّ ابن عاشور استشكل هذه الأقوال المنسوبة إلى عمر و علي رضي الله عنهما

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (6 / 414).

(٢) يُنظر تفسير ابن كثير / دار الفكر (2 /655)، الدر المنثور (5 /42).

(٣)فتح الباري – ابن حجر (8 /378).

(٤) الروض الأنف (5/ 302-305).

(٥) صحيح البخاري – (4 / 1462) كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل رقم(3758).

(٦) سنن النسائي الكبرى – (6 / 372) في التفسير رقم 11267 . من حديث شعبة ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن أبي الطفيل عن عليّ رضي الله عنه .

مستشعرًا أثر العامل السياسي في وجود هكذا روايات فقد قال:" فلا أحسبه إلا من وضع بعض المغرضين المضادين لبني أمية. وفي روايات عن علي " كرّم الله وجهه " أنّه قال : هم كفار قريش ولا يريد عمر ولا علي رضي الله عنهما مَن أسلموا من بني أمية، فإنّ ذلك لا يقوله مسلم فاحذروا الأفهام الخاطئة ."(١)

خامسًا: تأويل الأمويّين آيةً للطعن في عليّ رضي الله عنه: وهي قوله تعالى: {وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [النور: 11]

فقد روى الذهبي في السير(٢) وابن عساكر في تاريخ دمشق(٣) من طريق الشافعيّ قال: حدثنا عمّي(٤)، قال: دَخلَ سُلَيْمَانُ بنُ يَسَارٍ(٥) عَلَى هِشَامِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ، فَقَالَ: يَا سُلَيْمَانُ، سُلَيْمَانُ، مَنِ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُم؟

قَالَ: عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُوْلٍ.قَالَ: كَذَبتَ، هُوَ عَلِيٌّ.

[قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول](٦)

فَدَخَلَ ابْنُ شِهَاب، فَسَأَلَهُ هِشَامٌ، فَقَالَ: هُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ.

قَالَ: كَذَبتَ، هُوَ عَلِيٌّ.

فَقَالَ: أَنَا أَكْذِبُ لاَ أَبَا لَكَ! فَوَاللهِ لَوْ نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ أَحَلَّ الكَذِبَ، مَا كَذَبتُ، حَدَّثَنِي سَعِيْدٌ، وَعُرْوَةُ، وَعُبَيْدٌ، وَعَلْقَمَةُ بنُ وَقَّاصٍ، عَنْ عَائِشَةَ:أَنَّ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ.

---

(١) التحرير والتنوير - (1 / 2280).

(٢)سير أعلام النبلاء (5 /339).

(٣)تاريخ دمشق (55 /370).

(٤)هو محمد بن العباس بن عثمان بن شافع الشافعي المكّيّ عمّ محمد بن إدريس الشافعي صدوق ، عزيز الحديث ذكره ابن حبان في كتاب الثقات روى له ابن ماجة. تهذيب الكمال (25 /448)، تقريب التهذيب (ص 486).

(٥) سليمان بن يسار الهلالي المدني مولى ميمونة وقيل أم سلمة ثقة فاضل أحد الفقهاء السبعة مات بعد المائة وقيل قبلها ع . تقريب التهذيب (ص: 255).

(٦) هذه الزيادة عند ابن عساكر.

قال الألوسيّ: ومن الإفك الناشئ من النصب قول هشام بن عبد الملك -عليه من الله تعالى ما يستحقّ- حين سأل الزهريّ عن الذي تولى كبره ؟ فقال له : هو ابن أبيٍّ ، كذبتَ هو عليٌّ؛ يعني به أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب كرّم الله تعالى وجهه(١).

قلت : هذا الخبر إسناده حسن لمكان عمّ الشافعيّ محمد بن العباس فإنّه صدوق كما قال ابن حجر(٢). ولكنّ محمد بن العباس أرسل الخبر فلم يخبرنا ممن سمع الخبر؟

وهذا في ميزان النقد الحديثيّ يجعل الخبر ضعيفًا.

ومع ذلك فللخبر أصل في الصحيح فقد أخرج البخاري من حديث الزُّهري قال: قال لِي الوليدُ بن عبد الملك: أَبَلَغَكَ أنَّ عليًّا كان فيمن قَذَف عائشة ؟ قُلتُ : لا ، ولكن قد أخبرني رُجلان من قومِك : - أبو سلمةَ بن عبد الرحمن ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام - أنَّ عائشة قالت لهما : كان عليٌّ مُسَلِّمًا في شأنِها(٣).

قال ابن حجر: اختلفوا- في مُسَلِّما- فلبعضهم بسكون السين وكسر اللام أي لم يقل فيها شيئًا فسَلِم، ولبعضهم بالتشديد أي وقف لم يثبت و لم ينكر(٤).

وقد قدّم ابن حجر تصوّره عن الموضوع فقال: وَكَأَنَّ بَعْض مَنْ لَا خَيْر فِيهِ مِنْ النَّاصِبَةِ تَقَرَّبَ إِلَى بَنِي أُمَيَّة بِهَذِهِ الْكِذْبَةِ ، فَحَرَّفُوا قَوْل عَائِشَة إِلَى غَيْر وَجْهه لِعِلْمِهِمْ بِانْحِرَافِهِمْ عَنْ عَلِيٍّ فَظَنُّوا صِحَّتَهَا، حَتَّى بَيَّنَ الزُّهْرِيُّ لِلْوَلِيدِ أَنَّ الْحَقَّ خِلَاف ذَلِكَ، فَجَزَاهُ اللَّه تَعَالَى خَيْرًا.وَقَدْ جَاءَ عَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّ هِشَام بْن عَبْد الْمَلِك كَانَ يَعْتَقِد ذَلِكَ أَيْضًا (٥). أي اعتمادًا على خبر الأصل الذي سبق ذكره، وقد عزاه رحمه الله إلى مسند يعقوب ابن شيبة(٦) .

ولا يفوتنا أن نذكّر بشجاعة الزهريّ رحمه الله مرّة أخرى في ردّ كلّ ما هو مخالف للسنّة، وفي قوله كلمة الحقّ لا يخشى فيها لومة لائم. ولو خالف في ذلك هوى السلطان، أو استثار سخطه.

---

(١)روح المعاني (18 /117).

(٢)تقريب التهذيب (ص 486).

(٣) صحيح البخاري (4 /1522)في المغازي باب حديث الإفك رقم(3911).

(٤)فتح الباري - ابن حجر (1 /79).

(٥)فتح الباري - ابن حجر (7 /437).

(٦) المرجع السابق.

الحالة الثانية: تأويل الحديث بالرأي:

أولًا: خبر مقتل عمّار بن ياسر[1] رضي الله عنهما:

يُعدّ تأوّل معاوية لخبر مقتل عمار على يد الفئة الباغية من أشهر التأويلات السياسية للحديث، وقد صدر من معاوية بن أبي سفيان خلال حربه لعليّ رضي الله عنه في صفين، وذلك إثر مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

والمنهج العلميّ يقتضي البدء بتوثيق خبر الأصل للتأكّد من صحّة نسبته إلى النبيّ ﷺ، ثمّ نتأكّد من صحّة نسبة تأويل الخبر لمعاوية يوم مقتل عمّار رضي الله عنه.

وبعدها نقوم بدراسة تأويل معاوية للخبر في ضوء التأويلات المتاحة لغويًّا وموقف العلماء منها.

توثيق خبر الأصل:

خبر الأصل مخرّج في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه – واللّفظ للبخاريّ–: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ ، فَرَآهُ النبيّ ﷺ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ:« وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ ».قَالَ يَقُولُ: عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ [2]. وعند مسلم من حديث أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ:«تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ »[3].

---

(١) هو عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة، أبو اليقظان، حليف بني مخزوم، وأمّه سميّة مولاة لهم، كان من السابقين الأوّلين، هو وأبوه، وكانوا ممن يعذب في الله، فكان النبيّ ﷺ يمرّ عليهم، فيقول: صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة، شهد المشاهد كلّها، واستعمله عمر على الكوفة، وأجمعوا على أنه قتل بصفّين سنة 37هـ وله ثلاث وتسعون سنة . يُنظر ترجمته في الاستيعاب 1135/3وما بعدها، والإصابة 575/4ـــ576.

(٢)البخاري (1 /172) في الصلاة باب التعاون في بناء المسجد رقم 436، ومسلم (4 /2235) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء رقم (2915).

(٣) مسلم (4 /2236) في الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء رقم (2916).

فالحديث صحيحٌ وهو مرويّ عن جماعة من الصحابة(١)، حتى بلغ حدّ التواتر(٢)

قال ابن عبد البرّ: «تواترت الآثارُ عن النبيّ ﷺ أنّه قال:« تقتل عماراً الفئة الباغية» وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوّته ﷺ وهو من أصحّ الأحاديث» (٣).

فلا مجال للشكّ في صحّة خبر الأصل(٤).

توثيق خبر تأويل معاوية لحديث مقتل عمار رضي الله عنه :

مع أنّ أصل حديث مقتل عمّار بلغ حدّ التواتر إلّا أنّ خبر تأوّل معاوية له خبر آحاد رُويَ من طريقين:

الأوّل: الأعمشُ عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ (٥)، قَالَ: إِنِّي لَأَسِيرُ مَعَ مُعَاوِيَةَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: يَا أَبَتِ، مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِعَمَّارٍ: «وَيْحَكَ

---

(١) ذكر الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" 543/1: رواه جماعة من الصحابة، منهم قتادة بن النعمان، وأمّ سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان، وحذيفة، وأبو أيوب، وأبو رافع،وخزيمة بن ثابت، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو اليسر، وعمار نفسه، وكلّها عند الطبراني وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عدّهم.

(٢)ويُنظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر (197/1)، لمحمد بن جعفر الكتاني ، دار الكتب السلفية - مصر، تحقيق: شرف حجازي.

(٣) الاستيعاب (1140/3).

(٤) وقد نُقل عن ابن معين وأحمد بن حنبل أنّهم قالوا: ما فيه حديث صحيح. (يُنظر فتح الباري لابن رجب 309/3 -310، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، ط 1، 1416هـ/1996م)، و رُوي عن أحمد بن حنبل قوله: رُوي في عمار «تقتله الفئة الباغية» ثمانية وعشرون حديثًا، ليس فيها حديث صحيح. السنة للخلال (2 /463) أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر، تحقيق : د. عطية الزهراني، دار الراية – الرياض،ط1 ، 1410هـ).

قلتُ: وهذا لا يصحّ عن هؤلاء الأئمة الأعلام، فلا يصحّ النقل إليهم ، قال ابن رجب: وهذا الإسناد غير معروف- للخبر المروي عن أحمد، وقد رُوي عن أحمد خلاف هذا. فتح الباري لابن رجب(310/3).

(٥) عَبْدُ اللهِ بنُ الحَارِثِ بنِ نَوْفَلٍ الهَاشِمِيُّ وُلِدَ فِي حَيَاةِ النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- و هُوَ ابْنُ أُخْتِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَاسْمُهَا: هِنْدٌ ، وقد أخرج له الجماعة. يُنظر سير أعلام النبلاء (1 /200).

يَا ابْنَ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ » قَالَ: فَقَالَ عَمْرٌو لِمُعَاوِيَةَ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ هَذَا ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَا تَزَالُ تَأْتِينَا بِهَنَةٍ[١] **أَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ ؟ إِنَّمَا قَتَلَهُ الَّذِينَ جَاءُوا بِهِ**[٢].

وقد أخرجه من هذا الطريق أحمد في مسنده — واللّفظ له–، وابن سعد في طبقاته، والنسائيّ في خصائص عليّ، والطبرانيّ في المعجم الكبير. قلت: وهذا إسنادٌ صحيح[٣] .

الطريق الثاني: مَعْمَرٌ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ[٤]، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ دَخَلَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ عَلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: قُتِلَ عَمَّارٌ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ »، فَقَامَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَزِعًا يُرَجِّعُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ: قُتِلَ عَمَّارٌ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ قُتِلَ عَمَّارٌ، فَمَاذَا ؟ قَالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ » فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: دُحِضْتَ فِي بَوْلِكَ، أَوَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ ؟ إِنَّمَا قَتَلَهُ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ، جَاءُوا بِهِ حَتَّى أَلْقَوْهُ بَيْنَ رِمَاحِنَا، أَوْ قَالَ: بَيْنَ سُيُوفِنَا.

وقد أخرجه من هذا الطريق عبد الرزاق في مصنّفه، ومن طريقه أخرجه أحمد في مسنده، وأبو يعلى وغيرهم.[٥]

قلتُ: وجميع رجال الحديث ثقاتٌ من رجال الصحيحين إلّا محمّد بن عمرو بن حزم. قال النسائي: ثقة، وقال ابن سعد عن الواقدي: كان ثقة قليل الحديث[٦]، وذكره ابن حبّان في الثقات[٧]، فالحديث بهذا الطريق صحيح الإسناد أيضًا.

---

(١) والهنة: كناية عن الأمر القبيح والمستهجن.

(٢) مسند أحمد (11 /42) رقم(6499)، مسند أحمد (11 /522) رقم(6926)، الطبقات الكبرى لابن سعد (3 /253)، خصائص علي (ص 174) رقم(168)، المعجم الكبير (19 /330).

(٣)رجاله ثقات رجال الشيخين، إلا عبد الرحمن بن زياد، وقيل ابن أبي زياد مولى بني هاشم وثّقه ابن معين وابن حبّان والعجلي،روى له النسائي في "الخصائص". يُنظر الثقات للعجلي (2 /77)، تهذيب التهذيب (6 /160).

(٤)عبد الله بن طاوس بن كيسان اليماني أبو محمّد ثقة فاضل عابد مات سنة (132هـ) ع .تقريب التهذيب (ص 308).

(٥)مصنف عبد الرزاق (11 /240)رقم(20427) تحقيق :حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي — بيروت، ط2، 1403هـ، ومسند أحمد (29 /316-317)رقم (17778)، مسند أبي يعلى (13 /94) رقم(7175) تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث- دمشق، ط1، 1404هـ / 1984م.

(٦)تهذيب التهذيب (9 /329).

(٧)الثقات لابن حبان (5 /347).

موقف الصحابة من مقتل عمّار:

لقد كان لمقتل عمّار ﷺ أثر في معركة صفين، على طرفي المعركة:

- ففي جيش عليّ ﷺ كان عمّار عَلَمًا لأصحاب رسول الله ﷺ يتّبعونه حيث سار، قال النووي(١): «وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه؛ لعلمهم بأنّه مع الفئة العادلة لهذا الحديث».

- ودفع قتلُه ﷺ بعض الصحابة المعتزلين إلى دخول المعركة لصالح عليّ ﷺ بعد أن عرفوا الفئة الباغية، فمثلًا كان خزيمة بن ثابت(٢) قد حضر صفّين وكان كافّاً سلاحه، فلما رأى مقتل عمّار سلّ سيفه وقاتل أهل الشام، واستمرّ في القتال حتى قُتل، فقد أخرج أحمد في مسنده عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: «مَا زَالَ جَدِّي، كَافًّا سِلَاحَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ حَتَّى قُتِلَ عَمَّارٌ بِصِفِّينَ، فَسَلَّ سَيْفَهُ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ »(٣)».

-وكذلك كان لمقتل عمّار أثر في معسكر معاوية، فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال!، قال: وأيّ رجل؟ قال: عمّار بن ياسر. قال فيه رسول الله ﷺ:« تقتله الفئة الباغية »، فقال

---

(١) تهذيب الأسماء (352/2).

(٢) خزيمة بن ثابت بن الفاكِه الأنصاري الأوسي ثم الخطمي من السابقين الأولين شهد بدرًا وما بعدها وقيل أوّل مشاهده أحد وكان يكسر أصنام بني خطمة وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح، وقد جعل النبيّ ﷺ شهادته شهادة رجلين، قتل بصفين مع عليّ ﷺ .يُنظر الإصابة في تمييز الصحابة (2/ 278).

(٣) مسند أحمد (36/ 198) رقم (21873)، وفي السند أبو معشر -وهو نَجِيح بن عبد الرحمن السندي المدني- ضعيف، ومحمد بن عمارة بن خزيمة لم يشهد القصة، فحديثه هذا منقطع. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (16/ 369) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه(7/ 552)رقم(37875)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (448/3) رقم (5697)، والطبراني في المعجم الكبير (4/ 82)رقم (3711)و في المعجم الكبير (4/ 85)رقم (3720) من طرق عن أبي معشر، به. ووقع في رواية الطبراني في الموضع الثاني: عن أبي معشر، عن محمد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن أبيه، قال: كان أبي كافّاً سلاحه، فذكر نحوه =

= وأخرجه ابن سعد (259/3)، والحاكم في المستدرك (435/3) من طريق الواقدي، قال: حدثني عبد الله بن الحارث بن فضيل، عن أبيه عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، قال: شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يسلّ سيفاً، فذكره مطولاً، وزاد فيه قصة مقتل عمار ﷺ. والواقدي متروك، وباقي رجاله ثقات.

عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺما قال! فقال معاوية: **اسكت فو الله ما تزال تَدْحَضُ[١] في بولك أنحن قتلناه؟ إِنَّمَا قَتَلَهُ مَن جاء به [٢].**

وقد بَيَّنتِ الأحاديثُ التي سبق ذكرها اضطرابَ حالِ كلٍّ من عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ [٣]، وعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ حتى إنّ ابن العاصِ قَامَ فَزِعًا يُرَجِّعُ[٤]، فهي بنظره مصيبة يُسترجع عند وقوعها.

وقد لقي تأويل معاوية للحديث ترحيبًا في جند الشام « فخرج الناس من عند فساطيطهم وأخبيتهم وهم يقولون: إنّما قتل عمارًا مَن جاء به »[٥] وانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم[٦].

وهكذا استطاع معاوية بحنكةٍ عجيبة صرف دلالة الحديث عن ظاهرها إلى معنًى يبرّئ ساحة المتأوّل من تبعاتها ويلقي باللائمة على الخصم، وهذا يُسجَّل له في البداهة والدهاء والحفاظ على تماسك الجيش في لحظاتٍ مصيريّة بالنسبة لمستقبل جيش الشام.

وفي الضفة الأخرى للمعركة استُقبل تأويل معاوية في معسكر عليّ رضي الله عنه بالإنكار والاستهجان، فيروى أنّ عليًّا رضي الله عنه لما بلغه قول معاوية أجابه:« فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزةَ حين أخرجه» و هذا من علي رضي الله عنه إلزام لا جواب عنه و حجّة لا اعتراض عليها[٧].

فلو صحّت الرواية — التي لم أجدها مسندةً– لكنّا أمام سجال فقهيّ سياسيّ يقدّم دليلًا جديدًا على بداهة الرجلين وفطنتهما.

---

(١) تدحض: تزلق، والدحض الزلق، والداحض لمن لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور . يُنظر لسان العرب (7 /148).

(٢) مسند أحمد (206/2) إسناده حسن . وقال الهيثمي بعد أن ذكر الحديث بطوله: رواه الطبراني وأحمد باختصار وأبو يعلى بنحو الطبراني والبزار بقوله: "تقتل عماراً الفئة الباغية". عن عبد الله بن عمرو وحده،ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات. .مجمع الزوائد (7 /484).

(٣) عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي الأنصاري أبو الضحاك شهد الخندق وهو ابن 15 سنة واستعمله النبيّ ﷺ على أهل نجران وهو ابن 17 سنة، قال خليفة: مات سنة إحدى أو اثنتين وخمسين- يُنظر تهذيب التهذيب (8 /18)

(٤) تَرَجَّع الرجل عند المُصِيبة واسْتَرْجَع قال: إِنّا لله وإِنا إِليه راجعون.لسان العرب (8 /114).

(٥) تاريخ الطبري (3 /99) ، البداية والنهاية (7 /299).

(٦) معاوية بن أبي سفيان-شخصيّته وعصره،د علي محمد محمد الصلابي ، ص 124.

(٧) التذكرة في أحوال الدنيا والآخرة للقرطبي (223/2).

وتأويل معاوية لم يحظ بالقبول من الصحابة الكرام، حتى الصحابة في جيش معاوية: عبد الله بن عمرو وعمرو بن حزم، بل حتى لدى عمرو بن العاص وزير معاوية وصاحب مشورته، الذي دبّ الوهن في عزمه إثر مقتل عمّار ومال إلى الصلح وكان له دور كبير في إقناع معاوية برفع المصاحف وإيقاف القتال وبدء التحكيم بين الفريقين [١]. وغيرهم ، ولكنّه كان كافيًا لإقناع جند الشام.

وشخصيّة معاوية الذي كان واثقًا بمشروعيّة موقفه فهو وليّ دمّ الإمام المقتول ظلمًا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، جعلت لكلماته وقعًا في جيشه.

ويدلّ على ثقته الشديدة بصوابيّة موقفه قولُه لعمرو بن العاص في بعض الروايات: ((أعيذك بالله من الشكّ، أفي الشكّ أنت؟ أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به.)) [٢]

وجه آخر في تأويل هذا الحديث:

نُسب إلى معاوية تأويل آخر لهذا الحديث، وذلك بتأوّل الفئة الباغية على أنّها الفئة الباغية لدم عثمان، أي الطالبة له. ذكره القاضي عياض ثم قال: وقد كان قبل ذلك قال : إنّما قتله من أخرجه لينفيَ عن نفسه هذه الصفة، ثم رجع إلى هذا الوجه الآخر [٣].

قلت: و لم أجد لهذا القول رواية مسندة، فلا يثبت عن معاوية.

ولكن ذكر ابن تيمية هذا الوجه فقال: ((تَأَوَّلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَاغِيَةِ الطَّالِبَةُ بِدَمِ عُثْمَانَ، كَمَا قَالُوا : نَبْغِي ابْنَ عفان بِأَطْرَافِ الأسل [٤])) [٥] .

---

(١) يُنظر معاوية بن أبي سفيان- صحابي كبير وملك مجاهد لمنير محمد الغضبان ص 208،215، ومعاوية بن أبي سفيان-شخصيّته وعصره،د علي محمد محمد الصلابي- ص 124.

(٢) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري (8 /6) طبعة دار الوطن، 1420هـ /1999م، رواها عن مسند أبي يعلى الموصليّ.

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض (8 /229).

(٤) وهذا عجز بيت لرجل من ضبّة كان يقود الجمل في معركة الجمل ويرتجز:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ... ننازل الموت إذا الموت نزل

والموت أحلى عندنا من العسل ... نبغي ابن عفان بأطراف الأسل

يُنظر تاريخ خليفة بن خياط (ص 44)، وفي رواية أخرى (ننعى) بدل(نبغي) يُنظر تاريخ الطبري (54/3).

(٥) مجموع الفتاوى (74/35)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة ابن تيمية، ط2، منهاج السنة النبوية (405/4).

ويبدو أنّ هذا الرأي كان له من يؤيّده من فقهاء الحنابلة مثل أبي عليّ النجاد الصغير[١] الذي حدّث أنّه جاءه رجل فقال: لا نسبّ أبا بكر وعمر بل معاوية وعمرو بن العاص ، فقلت له: وما لمعاوية؟ قال: لأنّه قاتل عليًّا، قلت له: إنّ قومًا يقولون إنّه لم يقاتل عليًّا وإنّما قاتل قتلة عثمان.

قال: فقول النبيّ ﷺ لعمار:« تقتلك الفئة الباغية ». قلت : إن أنا قلتُ لم يصحّ وقعت منازعته، ولكن قوله ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية» يعني به الطالبة لا الظالمة لأن أهل اللّغة تُسمي الطالب باغيًا ومنه بغيت الشيء أي طلبته ،ومنه قوله تعالى: { قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي } [يوسف: 65]، وقوله عزّ وجلّ: {وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } [الجمعة: 10] ومثل ذلك كثير فإنّما يعني بذلك الطالبة لقتلة عثمان ﷺ.[٢]

(١) وهو الحسن بن عبد الله أبو عليّ النجاد الفقيه الحنبلي البغدادي صنّف في الأصول والفروع وتوفي في حدود الستين والثلاثمائة . الوافي بالوفيات (47/12).

(٢) شذرات الذهب (3/36-37)، طبقات الحنابلة (141/2).

مواقف العلماء من تأويل خبر مقتل عمّار:

لقد ذهب عامة علماء السنّة إلى إقرار هذا الحديث على ظاهره دون تأويل وهو مرويّ عن الإمام أحمد .فقد سُئل عن حديث النبيّ ﷺ في عمار : «تقتلك الفئة الباغية» فقال: كما قال رسول الله ﷺ: «قتلته الفئة الباغية» . وقال : في هذا غير حديث صحيح عن النبيّ ﷺ، وكره أن يتكلّم في هذا بأكثر من هذا(١) .

وهو ينقضُ ما رُوي عنه من قوله في الحديث: لا أتكلّم فيه، تركه أسلم (٢).

أمّا التأويل الأوّل الذي صحّت نسبته إلى معاوية، ف هذا القول لا أعلم له قائلاً من الأئمة الأربعة و أصحابهم و نحوهم من أهل السنّة ، ولكن هو قول كثير من المروانيّة ومن وافقهم وقد انقرض بانقراضهم.

وأكثر هؤلاء من جند الشام وموالي بني أميّة، وهو أحد الآثار العمليّة لتأوّل معاوية للحديث، فقد ذكرنا كيف تلقّفه جيش معاوية وذاع بينهم، وعلى كلٍّ فإنّ موقفهم ينسجم مع السياق التاريخيّ لأحداث الفتنة، فقد كان من هؤلاء من يقول شارك عليّ في دم عثمان، فمنهم من يقول أمر علانيةً ، ومنهم من يقول أمر سرًّا ، ومنهم من يقول بل رضي بقتله وفرح بذلك ومنهم من يقول غير ذلك.

وهذا كله كذب على عليٍّ ﷺ ،وافتراءٌ عليه، فعليٌّ ﷺ لم يشارك في دم عثمان ولا أمر ولا رضي(٣).

وأمّا التأويل الثاني: فلا تصحّ نسبته إلى معاوية بل يُنسبُ إلى مجهول، فيُقال: قد تأوّله بعضهم على أن المراد بالباغية الطالبة بدم عثمان.

وكذلك لا أعلم قائلًا له من أهل السنّة إلا ما ذكرته عن أبي عليّ النجاد في حجاجه مع رجل أراد الطعن بمعاوية، فلا أظنّه إلا جاء به على سبيل الجدل والمناظرة، لقطع السبيل على المتوسّلِ بالخبر إلى سبّ معاوية وذمّه.

---

(١) فتح الباري لابن رجب(3/310).

(٢)السنة للخلال (2/ 462)، فتح الباري لابن رجب(3/311) . وفي سند الخلال من لم أعرفهم: أحمد بن محمد بن حازم، وعبيد الله بن العباس الطيالسي، و لم أقع لهم على ترجمة.

(٣) يُنظر منهاج السنة النبوية (4/ 406).

وأجملَ ابن تيمية القول في هذين الوجهين من التأويل فقال: «وأما تأويل من تأوّله أنّ عليًّا وأصحابه قتلوه وأن الباغية الطالبة بدم عثمان فهذا من التأويلات الظاهرة الفساد التي يظهر فسادها للعامة والخاصة»[1].

ولكن بعد أن ردّ ابن تيمية كلا التأويلين، أوّله بطريقة ثالثة تقوم على تخصيص الفئة الباغية بالعصابة أو الجماعة التي حملت عليه وباشرت قتله، ثمّ يلحق بهم كلّ من رضي بقتله، وبالتالي وصف البغي لا يلحق جميع جيش معاوية[2].

أوجه فساد تأويل خبر مقتل عمّار:

خبر مقتل عمّار يقوم على ثلاث كلمات « تقتله الفئة الباغية»، وقد تعلّق بكلّ كلمة منها تأويل للخبر: فمعاوية تأوّل «تقتله»، وأبو عليّ النجاد وغيره تأوّلوا«الباغية»، وابن تيمية تأوّل «الفئة».

أولًا– تأويل معاوية(الوجه الأوّل):

تأويلُ معاوية يستند إلى مفهوم التسبّب بالشيء، فقد يُقال: فلان قتل فلانًا إذا أمره بأمر كان فيه حتفه؛ ولكن هذا مع القرينة ولا يُقال عند الإطلاق؛ بل القاتل عند الإطلاق الذي قتله دون الذي أمره .

ولذلك كان تأويل معاوية تأويلًا بعيدًا يخالف قواعد التأويل، يقول ابن كثير [3]:« فقول معاوية: إنّما قتله من قدّمه إلى سيوفنا، تأويلٌ بعيد جدًّا، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يُقتلون في سبيل الله، حيث قدّمهم إلى سيوف الأعداء» .

فالقاتل هو من باشر القتل أصلًا، وهو حقيقة في اللّفظ فلا يُصار إلى المجاز إلّا بقرينة ظاهرة أو دليل صحيح، قال ابن القيّم [4] :« فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللّفظ وظاهره، فإنّ الذي قتله هو الذي باشر قتله لا من استنصر به ، ولهذا ردّ عليهم من هو أولى بالحق والحقيقة منهم فقال : فيكون رسول الله وأصحابه هم الذين قتلوا حمزة والشهداء معه

---

(١)منهاج السنة النبوية(414/4).

(٢)الفتاوى (76/35).

(٣) البداية والنهاية (6 /240).

(٤) الصواعق المرسلة (1 /185).

لأنهم أتوا بهم حتى أوقعوهم تحت سيوف المشركين».

ومع التسليم جدلًا بأنّ القاتل من أمر المقتول بالقتال لا من باشر قتله، فإنّ الروايات تدلُّ على أنّ عمارًا لم يأمره أحد بقتال أصحاب معاوية ، بل كان عمارٌ من أحرص النّاس على قتالهم وأشدّهم رغبة في ذلك ، وكان حرصه على ذلك أعظم من حرص غيره ، وكان يحضّ عليًّا على قتالهم[1].

ثمّ إنّ سياق الحديث يدفع تأويل معاوية لأنّ مضمون الحديث يتكلم عن فئتين إحداهما على الحق والثانية باغية عليها، وأنّه سيحصل بينهما اقتتال وعمار علامة واضحة للتفريق بينهما على من اشتبهت عليه الأمور، فالسياق سياق حرب واقتتال ولا مكان للكنايات والمجازات في أمر أراده النبيّ ﷺ علامة فارقة.

ولهذا لم يذهب أحد من أهل العلم إلى هذا التأويل ، وهنا نقطة تسجّل لأهل الحديث فإنّهم وإن كانوا يحكمون لمعاوية بالعدالة كسائر الصحابة ﷺ، ويرون أنّه إمام شرعيّ صحّت خلافته، فإنّهم حكموا ببغيه على عليّ ﷺ، استنادًا إلى هذا الحديث وغيره[2]، وقد خطّؤوه في قوله، وبيّنوا فساد تأويله لهذا الحديث كما رأينا.

ثانيًا– تأويل بعضهم «الباغية» بالطالبة لدم عثمان ﷺ:

سبق أن ذكرنا أنّه نُسب هذا القول لمعاوية، ولكن لم يثبت ذلك عنه، بل هو قول من مجهول احتجّ به بعض علماء الحنابلة.

وقد ذكره ابن تيمية فقال : « وليس بشيء » [3]، وقال مرّةً أخرى : « وهو تأويل ضعيف » [4].

والسبب في ضعف هذا التأويل أنّه متكلّف إذ المقدّر في الكلام أكبر من أصل الخبر كلّه لأنّ تقدير الباغية بالطالبة وحدها لا معنى له والحديث حينئذٍ سيكون أحجيةً وليس علمًا من أعلام النبوّة، ولذا وجب تأويلها بالطالبة للقصاص ممن سفك دم عثمان ﷺ، وهذا لا

---

(١) يُنظر منهاج السنة (4 /419).

(٢) يُنظر شرح النووي على مسلم (18 /40)، وفتح الباري – ابن حجر (6 /619).

(٣)الفتاوى (76/35).

(٤)منهاج السنة النبويّة(390/4).

يستقيم مع لسان العرب، وفصاحة سيّد البلغاء سيّدنا محمّد ﷺ، وحسبك في ردّ هذا التأويل أنّ أحدًا من الصحابة أو التابعين لم يقل بهذا، وهم أعلم الناس بالعربيّة وأقدرهم على فهم كلام النبيّ ﷺ .

ثالثًا: تأوّل «الفئة»:

وهو كما سبق قول ابن تيمية حيث قصر مفهوم الفئة الباغية على العصابة التي باشرت قتل عمّار وأعانت عليه ورضيت به.

وهو تخصيص بلا مخصص، حمله عليه أمران: صحّة الخبر، وحرصه على تبرئة الصحابة في جيش معاوية من صفة البغي.

قلتُ: وذلك مردودٌ بلفظ حديث البخاري:« وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ ». فالدعوة يحملها من كلّ فئة رؤوسها، ولاشكّ أن معاوية وعمرو ابن العاص وغيرهما من الصحابة في الجيش الشاميّ كانوا من رؤوس هذه الفئة الباغية، فلا يستقيم تخصيص الفئة الباغية بمن باشر قتل عمار فحسب.

وقد بيّن ابن حجر وجه الاستشكال وبيّن المخرج منه فقال: « فَإِنْ قِيلَ كَانَ قَتْله بِصِفِّينَ وَهُوَ مَعَ عَلِيّ وَالَّذِينَ قَتَلُوهُ مَعَ مُعَاوِيَة وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة فَكَيْف يَجُوز عَلَيْهِمْ الدُّعَاء إِلَى النَّار؟ فَالْجَوَاب أَنَّهُمْ كَانُوا ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْجَنَّة، وَهُمْ مُجْتَهِدُونَ لَا لَوْم عَلَيْهِمْ فِي اِتِّبَاع ظُنُونهمْ، فَالْمُرَاد بِالدُّعَاءِ إِلَى الْجَنَّة الدُّعَاء إِلَى سَبَبهَا وَهُوَ طَاعَة الْإِمَام، وَكَذَلِكَ كَانَ عَمَّار يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَة عَلِيّ، وَهُوَ الْإِمَام الْوَاجِب الطَّاعَة إِذْ ذَاكَ، وَكَانُوا هُمْ يَدْعُونَ إِلَى خِلَاف ذَلِكَ لَكِنَّهُمْ مَعْذُورُونَ لِلتَّأْوِيلِ الَّذِي ظَهَرَ لَهُمْ »[1].

---

(١)فتح الباري – ابن حجر (1 /542).

ثانيًا: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ينصح الحسين رضي الله عنه بعدم الخروج إلى العراق متأوّلًا حديثًا نبويًّا:

أخرج الطبراني في الأوسط[١] واللّفظ له، وابن حبّان في صحيحه [٢]، وابن أبي عاصم في الزهد[٣] وابن الأعرابي في معجمه[٤] جميعهم من طريق يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسديّ عن الشعبيّ قال: لما أراد الحسين بن عليّ أن يخرج إلى أرض العراق أراد أن يلقى ابن عمر فسأل عنه فقيل له: إنّه في أرض له فأتاه ليودعه فقال له: إنّي أريد العراق فقال: لا تفعلْ ، فإنّ رسول الله ﷺ قال: « خُيّرت بين أن أكون مَلِكًا نبيًّا أو نبيًّا عبدًا فقيل لي: تواضع فاخترت أن أكون نبيًّا عبدًا»؛ وإنّك بَضْعَةٌ من رسول الله ﷺ فلا تخرجْ . قال : فأبى فودّعه وقال : أستودعك الله من مقتول .

وهذا اللّفظ للطبراني، وألفاظ الجميع متقاربة، والحديث سنده حسن لأنّ يحيى بن إسماعيل ابن سالم الأسديّ ذكره البخاري[٥] وابن أبي حاتم [٦] فلم يذكروا فيه جرحًا ولا تعديلًا، في حين ذكره ابن حبّان في ثقاته[٧].

وقال الهيثميّ: رواه البزّار والطبراني في الأوسط ورجال البزّار ثقات[٨] .

وقال الحافظ العراقيّ في تخريجه لأحاديث الإحياء: رواه الطبراني في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ، و لم يقل على مسيرة ثلاثة أيام . وكذا رواه البزّار بنحوه ، وإسنادهما حسن[٩] .

---

(١) المعجم الأوسط (1 /189) رقم(597).

(٢)صحيح ابن حبّان (15 /424) رقم(6968) .

(٣)الزهد لابن أبي عاصم(ص134)تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث- القاهرة، ط2/ 1408هـ.

(٤) معجم ابن الأعرابي (3 /1116) رقم (2409)- تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418 هـ - 1997 م.

(٥)التاريخ الكبير (8 /260).

(٦)الجرح والتعديل (9 /126).

(٧)الثقات لابن حبّان (9 /256).

(٨) مجمع الزوائد(9 /307)، و لم أجده في المطبوع من مسند البزّار. وأورده الهيثميّ في كشف الأستار(3/232-233).

(٩) إحياء علوم الدين للغزالي (2 /233) ومعه تخريج الحافظ العراقي، دار المعرفة – بيروت.

ألفاظ تأوّل ابن عمر للحديث المرفوع:

تختلف الروايات في لفظ ابن عمر عقب استشهاده بحديث التخيّر:

ففي لفظ الطبراني يقتصر على قوله: وإنّك بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فلا تخرجْ .

ولفظ ابن حبّان زيادة: وإنّك بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺكذلك يريد منكم.

ولفظ ابن أبي عاصم: وَإِنَّكُمْ بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، والله لا ينالها رجل منكم أبدًا.

ولفظ ابن الأعرابيّ: وَإِنَّكُمْ بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا يَلِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ أَبَدًا، وَمَا صَرَفَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ إِلَّا لِلَّذِي هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ.

وجه تأوّل ابن عمر:

أنّ النبيّ ﷺ اختار الآخرة على الدنيا، وهذا الحكم يلحق بنيه من بعده لأنّهم بَضْعَةٌ منه ﷺ [1]، وكأنّه قد اختار لهم كذلك، والحسين هو ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، ولذا فالحكم يشمله. وهذا يفهم من لفظ ابن أبي عاصم، ولفظ ابن الأعرابي. وفي قوله (لَا يَلِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ أَبَدًا) ما يفيد بأنّ اختيار النبيّ ﷺ أصبح حكمًا قدريًّا يلحق جميع ذريّته ﷺ.

وأمّا لفظ ابن حبّان فيفهم منه شيء آخر، وهو أنّ رسول الله اختار الآخرة على الدنيا فرفض صفة الملك، فينبغي على الحسين أن يختار ما اختاره رسول الله ﷺ لنفسه، وذلك بترك الخروج إلى العراق لطلب الملك، وقوله:(كذلك يريد منكم)، واضح الدلالة في ترغيب ابن عمر للحسين بالزهد في الملك تأسّيًا بجَدِّه المصطفى ﷺ.

قلت: ويرد على تأوّل ابن عمر أمور منها:

- أنّ رسول الله ﷺ قد حكم المسلمين، مع أنّه اختار الآخرة على الدنيا.
- أنّ الحكم ينافي الزهد في الدنيا، وهذا ليس بلازمٍ فقد ولي أبو بكر وعمر الخلافة وهم أزهد الناس بالدنيا بعد رسول الله ﷺ.

---

(١) البضعة من اللّحم: القطعة منه، و يُقال هو بَضعة منّي أي هو في قرابته كالجزء منّي . يُنظر النهاية في غريب الأثر (1 /345)، لسان العرب (8 /12)، المعجم الوسيط (1 /60).

ثالثًا: تأوّل الحجاج حديث أسماء بنت أبي بكر

كان الحجاج بن يوسف الثقفي — أشهر ولاة بني أمية- قد فرغ من حربه على عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما في مكّة حينما واجهته أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بحديث رسول الله ﷺ الذي يتضمّن نبوءته ﷺ بخروج كذّاب ومبيرٍ من ثقيف.

فتأوّل الحديث بتخصيصه بصنف من الناس.

فقد أخرج الحاكم في مستدركه بسند صحيح رجاله رجال الشيخين عن أبي الصديق[١] أنّه قال:«لما ظفر الحجاج على ابن الزبير فقتله ومثل به، ثم دخل على أم عبد الله- وهي أسماء بنت أبي بكر- فقالت: كيف تستأذن علي وقد قتلت ابني؟! فقال: إنّ ابنك ألحد في حرم الله فقتلته مُلحدًا عاصيًا حتى أذاقه الله عذابًا أليمًا وفعل به وفعل. فقالتْ: كذبتَ يا عدو الله وعدو المسلمين، والله لقد قتلته صوّامًا قوّامًا برًّا بوالديه حافظًا لهذا الدين، ولئن أفسدت عليه دنياه لقد أفسد عليك آخرتك، ولقد حدثنا رسول الله - ﷺ - أنّه يخرج من ثقيف كذابان الآخر شرٌّ من الأول وهو المُبير. وما هو إلا أنت يا حجاج »[٢] .

ثمّ أعقب الحاكم برواية أخرى عن **حُصَيْنِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبيُ الهُذَيْلِ السُّلَمِيِّ**[٣] قال :فذكر الحديث نفسه وزاد فيه : " فقال الحجاج: صدقَ رسول الله - ﷺ- وصدقتِ، أنا المبير أبير المنافقين"[٤].

والحديث صحّح الحاكم إسناده ووافقه الإمام الذهبي، وهو بالتحقيق كما قالا.

وثمّة رواية أخرى أخرجها الحميديّ في مسنده من طريق سفيان قال ثنا أبو المحياة عن أمّه[٥] أنها قالت : « لما قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير دخل الحجاج على أسماء

---

(١) بكر بن عمرو وقيل بن قيس أبو الصدّيق الناجي بصري ثقة مات سنة(108هـ) ع.تقريب التهذيب (ص 127).

(٢) المستدرك على الصحيحين (570/4) ،في كتاب الفتن والملاحم رقم 8601 .

(٣) حصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي ثقة تغيّر حفظه في الآخر ، مات سنة ست وثلاثين ومئة، وله ثلاث وتسعون ع .تقريب التهذيب (ص 170)

(٤) المستدرك على الصحيحين (571/4) ، في كتاب الفتن والملاحم رقم 8603 .

(٥) قلت :هذا غلط بل عن أبيه.كما في رواية الطبري التالية، ونصّ الرواية كما ذكرها البخاري في التاريخ الكبير (8 /416): عن أبيه . والبخاري أدرى بمسند شيخه الحميدي وهو أقرب عهدًا فالظاهر أنّ هذا من أخطاء النسّاخ والله أعلم.

بنت أبي بكر فقال لها: يا أمه إن أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة؟

قالت: مالي من حاجة ولست لك بأمّ ، ولكني أمّ المصلوب على رأس الثنيّة ولكن انتظر أحدّثك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول:« يخرج من ثقيف كذّاب ومُبير » فأمّا الكذّاب فقد رأيناه -يعني المُختار- وأمّا المُبير فأنت. فقال الحجاج: مُبيرٌ للمنافقين.» (١).

و قد أخرج الطبراني في المعجم الكبير (٢) هذه الرواية بلفظ مقارب من طريق أبي المحياة لكن عن أبيه بدل أمّه .

وقد أعّل الهيثميّ هذه الرواية بجهالة بعض رواتها قال الهيثمي : أبو المحياة وأبوه لم أعرفهما(٣) .

قلتُ: وهذه العلّة غير قادحة لأنّ أبا المحياة معروف هو وأبوه، قال البخاري في التاريخ الكبير(٤): « يعلى بن حرملة التيمي عن أسماء بنت أبي بكر عن النبيّ ﷺ قال:« يخرج من ثقيف كذاب ومبير » قاله الحميدي عن ابن عيينة عن أبي المحياة ، واسمه يحيى بن يعلى عن أبيه.»، وكلاهما موثّق، فيحيى بن يعلى بن حرملة التيمي ثقة (٥)، وأبوه هو يعلى بن حرملة ذكره ابن حبّان في الثقات (٦) .

وأصل الحديث مذكور في صحيح مسلم (٧) دون زيادة التأوّل، وفيه أنّ الحجاجَ دَخَلَ عَلَيْهَا- على أسماء ﵂ فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ قَالَتْ : رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَهُ : يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ ، أَنَا وَاللَّهِ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَأَمَّا الآخَرُ: فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لاَ تَسْتَغْنِي عَنْهُ أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- حَدَّثَنَا « أَنَّ فِي

---

(١) مسند الحميدي (1 /156) رقم 326 . دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبي - بيروت ، القاهرة ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

(٢)المعجم الكبير (24 /101)رقم 273.

(٣) مجمع الزوائد (256/7) .

(٤) التاريخ الكبير (8 /416).

(٥) يحيى بن يعلى التيمي أبو المُحَيّاة بضم الميم وفتح المهملة وتشديد التحتانية وآخره هاء ، الكوفي، ثقةٌ. م ت س ق تقريب التهذيب (ص 598).

(٦) الثقات (5 /556).

(٧)صحيح مسلم (4/ 1971) في فضائل الصحابة، باب: ذكر كذاب ثقيف ومبيرها رقم(2545).

ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا ». فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلاَ إِخَالُكَ إِلاَّ إِيَّاهُ – قَالَ – فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا.

ففي هذه الرواية أنّه لم يراجعها في قولها ، فالظاهر أنّ الحادثة تكرّرت، ففي المرة الأولى لم يراجعها، وفي المرة الثانية راجعها بتأويله لحديث النبيّ ﷺ والله أعلم.

ومعنى مُبير مُهلك من بارَ فلانٌ أَي هلك، وأَباره الله أَهلكه، يُقال: بارَ الرَّجُلُ يَبُور بَوْراً وأَبارَ غَيْرَهُ، فهو مُبِير، ودارُ البَوارِ دارُ الهَلاك.ومنه حديث أسْماء « في ثقيف كَذَّابٌ ومُبِيرٌ » أي مُهْلِك يُسْرِف في إهْلاك الناس [١].

وقد رُوي أنّهم أحصوا ما قتل الحجّاج صبرًا فبلغ مائة ألف وعشرين ألف قتيل[٢].

وأظنّ أنّ هذا الرقم مبالغ فيه جدًّا، ولذا ذكره الترمذيّ بصيغة التمريض، بل جميع من قتل الحجاج في السلم والحرب، لا يبلغون هذا العدد، فكيف يكون قد قتل صبرًا هذا العدد، ولكنّ المشهور أنّ الحجّاج كان كثير القتل متسرّعًا فيه يأخذ بالظنّة والله أعلم.

ومُبير لفظ ذمٍّ كما ترى، ولكنّ الحجّاج حاول أن يتأوّلها بما يجعلها منقبة له، فخصّها بالمنافقين.

وهو بهذا التأويل يعطي لنفسه مُسوّغًا لقتل أعداء الأمويّين حينما جعلهم في عداد المنافقين، ولذا فهو يقول صدق رسول الله ﷺ وصدقتِ ، ثم يقول: أنا مبير المنافقين.

وهذا تأويلٌ فاسد، لا يمرُّ على ذي نظر، لأمرين:

الأوّل: أنّ سياق الحديث يدلُّ على ذمّ ذلك المبير لأنّه عطفه على الكذّاب.

والثاني: لأنّ خصوم الحجاج لم يكونوا كما زعم، بل فيهم الأتقياء الأصفياء مثل عبد الله ابن الزبير وسعيد بن جبير وغيرهم .

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْمُرَاد بِالْكَذَّابِ هُنَا الْمُخْتَار بْن أَبِي عُبَيْد [٣]، وَبِالْمُبِيرِ الْحَجَّاج بْن

---

(١) يُنظر النهاية في غريب الأثر (1 /422)، لسان العرب (4 /86) مادة (بور).

(٢) يُنظر سنن الترمذي (4 /499) في الفتن باب 44 ما جاء في ثقيف كذاب ومُبير، رقم 2220 .

(٣) وهو الكذّاب المفتري الضال المضل زعم أنّ جبريل عليه السلام يترل عليه، وكان بايع ابن الزبير فولّاه الكوفة، ثم استقلّ بها، ودعا إلى محمد بن الحنفية، وظهرت منه أكاذيب عجيبة، وقد انتقم الله به ممن اشتركوا في دم الحسين عليه السلام، ثمّ كانت نهايته على يد مصعب بن الزبير.قتل سنة 67هـ. يُنظر:سير أعلام النبلاء (3 /538-542)، لسان الميزان (6 /6)، الأعلام للزركلي (7 /192)

بن يُوسُف[١] .

ولكن ثمّة شبهة يمكن أن تطرأ على الحديث بالنظر إلى شخصية كلٍّ من الرجلين: المختار الثقفي والحجاج بن يوسف الثقفي اللذين تحققت فيهما النبوءة .

فإذا كان الحجّاج أمويّ الولاء، فإنّ المختار كان شيعيّ الهوى والولاء، فالحديث لن يخدم الأمويّين، ولن يخدم الشيعة في العراق، ولكنه يخدم الحزب الزبيري الذي يمثّل طرفًا سيّء العلاقة مع الرجلين: الحجاجِ قاتلِ عبد الله بن الزبير، والمختارِ الذي بايع ابن الزبير ثم نكث بيعته وكانت نهايته على يد مصعب بن الزبير .

فهل يمكن أن تعدّ هذه الرواية مما أدخله رواة الحزب الزبيريّ على السنّة النبوية انتقامًا من أعدائهم؟

أنا أعلم أنّ هذا الطرح يليق بكتب الأدب أكثر منه بالكتابات المختصّة بالدراسات الحديثية، ولكن ازدحام الشبهات يفرض علينا في كثير من الأحيان أن نجيب على أيّ خاطر أو شبهة عارضة.

والجواب: أنّ هذا الحديث من أعلام نبوّته ﷺ وقد تحقّقت بالفعل، وأنّ أحدًا من العلماء لم يشكّك في صحّة هذا الحديث، بل الحجّاج نفسه- كما في الروايات- صدّق بالحديث وصدّق أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، ولم يردّ الحديث، بل تأوّل موقفه تأوّلاً يخرجه من دائرة الذم إلى دائرة المدح كما رأينا.

والأهمّ أنّ الحديث له شاهد من حديث عبد الله بن عمر، وهو زوج صفية أخت المختار نفسه[٢]، فقد روى الترمذي بسنده إلى ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «في ثقيف كذاب ومبير» [٣]. قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب .

وله شاهد آخر من حديث سلامة بنت الحر- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -ﷺ-:«في ثقيف مبير». رواه أبو يعلى[٤].

---

(١) شرح النووي على مسلم (8 /328).

(٢) يُنظر سير أعلام النبلاء (3 /544).

(٣) سنن الترمذي (4 /499) في الفتن باب 44 ما جاء في ثقيف كذّاب ومُبير، رقم(2220).

(٤) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (8 /29) رقم (7524).

وعليه فإنّ تعدّد مخارج الحديث يدفع تلك الشبهة وينقشع ذلك الوهم ليبقى الحديث علمًا من أعلام نبوّته ﷺ.

وأخيرًا:

فإنّ أهم وظائف التأويل للنصّ الدينيّ هو الخروج من ظاهر اللّفظ المشكل إلى معنى آخر ينسجم مع باقي الحقائق، ولذا فإنّ التوسّع فيه بغير حاجة مذموم، ولاسيما إذا استثمر لنصرة هوىً أو مذهب عقدي أو سياسيّ .

وضوابط التأويل تبقى الضمانة الحقيقية للفكر من الشطحات الخرافية أو التأثيرات النفسيّة من هوىً أو تعصب يلوي أعناق النصوص ويسرف في تحميلها ما لا تحتمل.

والذي يُسجّل لأهل الحديث حيطتهم وحذرهم من تلك التأويلات وبيان وجه الحقّ فيها، كما فعل الزهريُّ مع هشام والوليد من قبله، وكما فعل المحدّثون في ردّ تأويل معاوية لخبر مقتل عمّار.

المبحث الثالث: التوظيف السياسيّ للحديث:

مفهوم التوظيف السياسيّ:

التوظيف في اللغة يفيد إلزام شيء بآخر، قال صاحب لسان العرب: الوَظِيفةُ من كلّ شيء ما يُقدَّر له في كلّ يوم من رِزق أَو طعام أَو علَف أَو شَراب ، وجمعها الوَظائف والوُظُف. ووظَف الشيءَ على نفسه ووَظَّفَه توظِيفاً أَلزمها إيّاه ، وقد وظَّفْتُ له توظِيفاً على الصبي كلّ يوم حفظ آيات من كتاب اللّه عزّ وجلّ[١].

وقد سبق بيان المراد بلفظ (السياسيّ).

وليس للتوظيف تعريف اصطلاحيّ مُعيّن وهذا يلزمني بتقديم مفهوم التوظيف السياسيّ وفق تصوّري.

فالتوظيف السياسيّ : استعمال نصّ دينيّ ذي دلالة عامة بطريقة ما لخدمة غرض سياسيّ. وهو يلتقي مع المعنى اللغويّ بإلزام النص مفهومًا جديدًا لم يوضع له أصالةً.

وهو إقرار بالحديث ابتداءً، مع وضعه في تراتبيّة ذهنيّة لدى السامع أو القارئ تجعله يعدّه دليلًا على مشروعيّة واقع سياسيّ قائم أو عدم مشروعيّته.

وسوف أقدّم في هذا المبحث نماذج على هذا التوظيف السياسيّ للأحاديث النبويّة من كلا الفريقين السلطة الأمويّة والمعارضة المناوئة لها.

---

(١) لسان العرب (9 /358)

المطلب الأوّل: توظيف نعت " الطّلقاء" للطعن في شرعية الحكم الأمويّ:

أوّلًا: أصل اللّفظ ودلالته اللغويّة والفقهيّة:

نبدأ بأصل الخبر الذي ورد فيه هذا النعت حيث تحدّثنا كتب السير والتاريخ[١] أنّ النبيّ ﷺ وقف بعد فتح مكّة موقفه الشهير فخطب في الناس ف قَالَ: « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ » قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ قَالَ : « فَإِنّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: { لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ }- [يوسف: 92]- اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطّلَقَاءُ» .

وهذا الحديث على شهرته ليس له إسناد ثابت، ،فقد ذكره ابن كثير وسكت عنه[٢]، و هو عند ابن هشام مُعضل أو مرسل[٣]، وذكره الواقديّ بغير سندٍ [٤]، و قد ضعّفه الحافظ العراقيّ في تخريجه لأحاديث الإحياء من رواية أبي هريرة، وقال في رواية سهيل بن عمرو: « لم أجده» [٥].

قلت: وقد روى البيهقيّ في سننه الكبرى [٦] خبر أبي هريرة ولكن ليس فيه قوله ﷺ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطّلَقَاءُ».ثمّ أعقبه برواية منقطعة فقال:« وفيما حكى الشافعي عن أبي يوسف في هذه القصة..» زاد فيها هذا اللفظ[٧].

مفهوم الطلقاء لغةً:

الطلقاء جمع طليق، و يقال للإنسان إذا عُتِق : طَلِيقٌ، أي صار حرّاً ، وأَطْلَق الناقة من عِقَالها وطَلَّقَها فطَلَقَت هي بالفتح وناقة طَلْق وطُلُق لا عِقال عليها .

---

(١) يُنظر السيرة النبويّة لابن هشام (74/5)، عيون الأثر (2 /199)، زاد المعاد (3 / 359)، تاريخ الطبري (2 /161)، البداية والنهاية (4 /344).

(٢) البداية والنهاية (4 /344).

(٣) فقد قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ..الحديث. السيرة النبويّة لابن هشام (74/5).

(٤) فقال: « قَالُوا : فَلَمّا أَشْرَفَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى النّاسِ..الحديث » مغازي الواقدي (2/ 836).

(٥) إحياء علوم الدين (3 /183) محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، في هامشه تخريج الحافظ العراقي لأحاديث الإحياء- دار االمعرفة – بيروت.

(٦) سنن البيهقي الكبرى (9 /118) رقم (18054).

(٧) سنن البيهقي الكبرى (9 /118) رقم(18055) ، ويُنظره في كتاب الأمّ للشافعي (7 /382) كتاب الأمّ للشافعي مع مختصر المزني – دار الفكر – بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.

وأَطْلَقَه فهو مُطْلَق وطَلِيق سرّحه وأَنشد سيبويه:(من الوافر)

طَلِيق الله لم يَمْنُنْ عليه   أَبُو داودَ وابنُ أَبي كَبير[١]

والجمع طُلَقَاء، والطُّلَقاء الأُسراء العُتَقاء، والطَّليق الأَسير الذي أُطْلِق عنه إِسارُه وخُلِّيَ سبِيلُه، والطَّلِيقُ الأَسِير يُطْلَق، فهو فَعِيلٌ بمعنى مفعول.

وأَطْلَقْت الأَسير أَي خليَّته ، وفي حديث غزوة حنين «خرج ومعه الطُّلَقاء »[٢]: ه م الذين خَلَّى عنهم يوم فتح مكّة وأَطْلَقَهم ، فلم يَسْتَرِقَّهم واحدهم طَلِيق وهو الأَسِير إِذا أُطْلِق سبيله. وفي الحديث:« الطُّلَقاءُ مِنْ قُرَيش والعُتَقاءُ من ثَقِيف »[٣] كأَنَّه ميَّز قريشًا بهذا الاسم حيث هو أَحسن من العُتَقاء، والطُّلَقاء الذين أُدخِلوا في الإِسلام كرهًا [٤].

مفهوم الطلقاء عند الفقهاء

قال ابن حجر :« الطليق:اسم لكلّ من كان بمكّة يوم الفتح ومَنَّ عليه النبيّ ﷺ لقوله صلى الله عليه وسلّم لهم : أنتم الطلقاء» [٥].

لم يذكر الفقهاء مفهومًا محدّدًا " للطلقاء" ولكنّ اختلافهم في فتح مكّة هل كان صلحًا أم كان عنوةً؟ سوف يترك أثرًا في تحديد مصاديق هذا المفهوم، ولاسيما مع مراعاة الدور المفتاحيّ لهذه الكلمة في الحِجاج الفقهيّ بين الفقهاء .

فقد ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في أظهر روايتيه إلى أنّها فتحت عنوةً، وذهب الشافعيّ وأحمد في الرواية الأخرى إلى أنّها فُتحت صلحًا [٦].

وقد أجمعوا عَلَى أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَغْنَمْ مِنْهَا مَالًا وَلَمْ يَسْبِ فِيهَا ذُرِّيَّةً.

---

(١) هذا البيت لإمام بن أقرم النميريّ سجنه أبان بن مروان، وكان على ولاية فلسطين لأخيه عبد الملك، وكان الحجّاج بن يوسف على شُرطه. وكان أَبُو دَاوُد يَزِيد بْن هبيرة المحاربي ، وابن أَبِي كبير قد شفعا فيه فلم يُشفّعا، فاحتال حتى خرج من السجن وقال هذا البيت. يُنظر تاريخ دمشق (9/ 217).

(٢) سوف يأتي تخريجه.

(٣) سوف يأتي تخريجه.

(٤) يُنظر لسان العرب (10 /225)، النهاية في غريب الأثر (3 /299).

(٥) نزهة الألباب في الألقاب (447/1) لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري ، مكتبة الرشد – الرياض، ط1: 1409هـ-1989م.

(٦) يُنظر جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود (1 /385) لمحّد بن أحمد المنهاجي الأسيوطي، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1،1417 هـ/ 1996م.

فَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ إِلَى أَنَّهُ دَخَلَهَا عَنْوَةً فَعَفَا عَنْ الْغَنَائِمِ، وَمَنَّ عَلَى السَّبْيِ، وَإِنَّ لِلْإِمَامِ إِذَا فَتَحَ بَلَدًا عَنْوَةً أَنْ يَعْفُوَ عَنْ غَنَائِمِهِ وَيَمُنَّ عَلَى سَبْيِهِ .

وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّهُ دَخَلَهَا صُلْحًا عَقَدَهُ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ كَانَ الشَّرْطُ فِيهِ أَنَّ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ كَانَ آمِنًا ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ [(١)].

وبقطع النظر عن أدلّة الفريقين فإنّ استعمال لفظ" الطلقاء "في خطبته عليه السلام كان عاملًا رئيسًا في اختلاف الفقهاء في هذه المسألة.

فمن قال إنّها فتحت عنوةً استدلّ بظاهر قوله ﷺ فِي خُطْبَتِهِ لِأَهْلِ مَكَّةَ « اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ» لأنّ الطلقاء جمع طليق وهو المحرر من الرقّ أو الأسر، كما سبق بيانه لغةً.

ومن قال إنّها فُتحت صُلحًا تأوّل هذه العبارة على معنى أنّهم الَّذِينَ أَطْلَقَهُمْ اللَّهُ بِوَاسِطَةِ تَرْكِهِمْ لِلْقِتَالِ مِنْ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِمْ أَسْرٌ أَوْ اسْتِرْقَاقٌ ، وَحِينَئِذٍ فَهُوَ دَلِيلٌ لِلصُّلْحِ لَا لِلْعَنْوَةِ.

واعتُرض بأنّه لَوْ كَانَ صُلْحًا لَأَمَّنَ جَمِيعَ النَّاسِ وَلَمْ يَخُصَّهُ بِمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ وَأَغْلَقَ بَابَهُ، والجواب: أَنَّهُ جَعَلَ عَقْدَ الْأَمَانِ مُعَلَّقًا بِهَذَا الشَّرْطِ، فَصَارَ خَاصًّا فِي اللَّفْظِ عَامًّا فِي الْحُكْمِ[(٢)] .

وهو ﷺ إنّما أطلقهم بالأمان الأوّل الذي عقده على شرط قبولهم ، فلمّا قبلوه قال : أنتم الطلقاء يعني بالأمان الأوّل[(٣)].

وعليه فالطلقاء عند من قال أنّه ﷺ دخل مكّة عنوة تشمل جميع مسلمة الفتح لأنّه ﷺ مَنّ عليهم وكان حقّهم أن يكونوا سبي حرب.

في حين أنّ الطلقاء بمفهوم من قال إنّها فُتحت صُلحًا هم:

-إمّا جماعة لم يلتزموا بشرط الأمان ثمّ عفا عنهم رسول الله – ﷺ–،وهم على ذلك

---

(١) يُنظر الأحكام السلطانية للماورديّ (1 /336)، الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء(ص 188) صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط2،1421 ه/ 2000 م.

(٢) يُنظر:الحاوي في فقه الشافعي– الماورديّ (14 /232). دار الكتب العلمية– بيروت، ط :1، 1414ه / 1994م.

(٣) يُنظر السنن الكبرى للبيهقي (9 /118).

قليل؛ قال ابن القيّم:« وَأَطْلَقَ يَوْمَ فَتْحِ مَكّةَ جَمَاعَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُمْ الطّلَقَاءُ»(١) وكلامه رحمه الله يُشعر بقلّتهم. وقد ورد عددهم في جيش حنين في بعض الروايات أنّهم عشرة آلاف فردّ ذلك ابن حجر وقال: «إِنَّ الطُّلَقَاءِ لَمْ يَبْلُغُوا هَذَا الْقَدْر وَلَا عُشْر عُشْره»(٢). ومقتضاه أنّهم لم يبلغوا المئة.

أو أنّهم جميع مسلمة الفتح ولكن ليس بمفهوم الأسرى الذين أطلقوا من عقوبة القتل أو الرّق، وإنّما أطلقوا بعقد الصلح المشروط بكفّ اليد عن القتال ودخول البيوت أو المسجد الحرام، وحسبك بهذا الشرط منّةً عظيمةً من رسول الله ﷺ إذ لا تكلفة فيه ولا مشقّة، فحسب الرجل أن يلزم بيته أو يدخل المسجد الحرام حتى ينال أمان الرسول ﷺ.

---

(١) زاد المعاد (5 /59).

(٢) فتح الباري – ابن حجر (8 /55) في شرحه لحديث أنس بن مالك في البخاري (4 /1575) كتاب المغازي: باب غزوة الطائف رقم(4078) وسوف يأتي نصّ الحديث لاحقًا.

ثانيًا: استعمال نعت " الطلقاء " في أحاديث النبيّ ﷺ:

بتتبّعٍ دقيق لأحاديث النبيّ ﷺ نجد أنّه لم يثبت عنه ﷺ أنّه استعمل هذا المصطلح إلا مرّةً واحدة فحسب في هذا المعنى[١].

وذلك فيما أخرجه أحمد[٢] من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « الطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ».

والحديث أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير بلفظ: « الطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ، وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ»[٣].

والحديث مع صحّة سنده مشكلٌ في لفظ أحمد لما فيه من تقسيم الولاء بين المؤمنين بحسب طبقاتهم، المهاجرون والأنصار طبقة، والطلقاء والعتقاء طبقة ثانية، وهذا خلاف أمر الله تعالى المؤمنين جميعًا بموالاة بعضهم بعضًا بقطع النظر عن أي اعتبار آخر وذلك في قوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة:71].

ويمكن أن يُتأوّل بأنّ الرسول ﷺ أراد أن يربط آخر المسلمين بعد الفتح وحنين، وهم الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف برباط الإيمان الذي يقتضي الولاية وهي المحبة والنصرة، كما ربط من قبلُ بين السابقين إلى الإيمان من المهاجرين والأنصار.

ومع ذلك فلفظ الطبرانيّ أقرب إلى روح الإسلام التي تصهر المؤمنين جميعًا في بوتقة الأخوّة الإيمانية .

ولكن يُشكل في الحديث أيضًا مفهوم " عتقاء ثقيف" لأنّ ثقيف هداهم الله وأتوا النبيّ

---

(١) أي طلقاء قريش، وذلك للتميز بينهم وبين الطلقاء الذين يمنّ الله عليهم في الآخرة كما في حديث جابر عند الطبراني في الأوسط (3/ 243) قال: قال رسول الله ﷺ: « يفتقد أهل الجنة ناسًا كانوا يعرفونهم في الدنيا ، فيأتون الأنبياء فيذكرونهم فيشفعون فيهم فيشفعون فيقال لهم الطلقاء ، وكلّهم طلقاء يُصبّ عليهم ماء الحياة . » وإسناده حسن. يُنظر مجمع الزوائد(11/ 322).

(٢) مسند أحمد (31/ 549) رقم (19218) قلت: إسراده صحيح على شرط مسلم. وإلى ذلك ذهب محقّقو المسند وأشاروا إلى خطأ في النسخ في اسم بعض الرواة وقد راعيت ذلك في الحكم على الحديث .

(٣) المعجم الكبير (2/ 316) رقم(2456) قلت: سنده صحيح، رجاله ثقات رجال البخاري إلا عليّ بن عبد العزيز البغوي وثّقه الدارقطني وأبو حاتم، يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (13/ 348) .

ﷺ مسلمين طائعين بعد منصرف رسول الله ﷺ عن حصار الطائف، وكان ﷺ قد دعا لهم بالهداية بقوله ﷺ: « اللهم اهد ثقيفًا »[١]، فهم ليسوا بأسرى فيطلقوا، ولا عبيدًا فيُعتَقوا.

وعليه فلا يُؤثر عن عتقاء ثقيف إلا ما أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه[٢] عن أبي بكرة أنّه خرج إلى رسول الله ﷺ- وهو محاصِرٌ أهلَ الطائف - بثلاثة وعشرين عبدًا ، فأعتقهم رسول الله ﷺ فهم الذين يُقال لهم: العتقاء.

وأصل هذا الحديث في صحيح البخاريّ دون التصريح بأنّهم العتقاء، فقد كان أبو عثمان النّهديّ[٣] يحدّث عن أبي بكرة ﷺ ويقول عنه:«وكان تسوّر حصن الطائف في أناس فجاء النبيّ ﷺ »[٤]، وفي رواية:«فنــزل إلى النبيّ ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف» [٥].

والقصّة معروفة في السيرة[٦] حيث نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللّهِ ﷺ — في غزوة الطائف-: « أَيّمَا عَبْدٍ نَزَلَ مِنْ الْحِصْنِ وَخَرَجَ إلَيْنَا فَهُوَ حُرّ »، فَخَرَجَ مِنْ الْحِصْنِ رِجَالٌ بقيادة أبي بكرة الذي تَدَلّى مِنْ سُوَرِ الطّائِفِ عَلَى بَكْرَةٍ فَكُنّيَ أَبَا بَكْرَةَ [٧].

ولا أرى وجهًا للمقابلة بين الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف:

- لأنّهم- أي العتقاء- ليسوا ثقفيّين بل هم عبيدٌ في ثقيف خرجوا من الحصن مسلمين فأعتقهم رسول الله ﷺ، ولذا لما جاء أهل الطائف مسلمين طالبوا بهم

---

(١) من حديث جابر كما في مسند أحمد (23 /50) رقم (14702) ، وأخرجه الترمذيّ (5 /729) في المناقب باب في مناقب ثقيف وبني حنيفة رقم (3942) وقال الترمذيّ: حسن صحيح غريب . وهو كما قال ولا يُلتفت إلى تضعيف بعض المعاصرين.

(٢) مصنف عبد الرزاق (5 /301)رقم(9682) قلت: سنده صحيح على شرط البخاريّ ومسلم.

(٣) أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُلٍّ :مُخَضْرَمٌ، مُعَمَّرٌ، أَدْرَكَ الجَاهِلِيَّةَ وَالإِسْلاَمَ.وَغَزَا فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ وَبَعْدَهَا غَزَوَاتٍ.وَحَدَّثَ عَنْ: عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَابْنِ مَسْعُوْدٍ، وَأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، و جماعة كبيرة من الصحابة .ثقة ثبت عابد مات سنة خمس وتسعين وقيل بعدها وعاش مائة وثلاثين سنة وقيل أكثر ، أخرج له الجماعة. يُنظر سير أعلام النبلاء (4 /175-178)،تقريب التهذيب (ص 351) .

(٤) صحيح البخاري (4 /1572)في المغازي، باب: غزوة الطائف رقم(4071).

(٥) صحيح البخاري (4 /1572)في المغازي، باب: غزوة الطائف رقم(4072).

(٦) مغازي الواقدي (ص 931) . عيون الأثر (2 /232).

(٧) الروض الأنف (7/274-275)، ويُنظر تهذيب التهذيب (10 /418).

فرفض رسول الله أن يردّهم وقال « أُولَئِكَ عُتَقَاءُ اللّهِ » [١].

-ولأنّ أعدادهم قليلة فهم بضعة وعشرون رجلًا، قياسًا إلى طلقاء قريش الذين بلغ عددهم في جيش النبيّ ﷺ في غزوة حنين ألفي رجلٍ [٢].

ثمّ إنّ لفظ عبد الرّزاق في المصنّف أطلق كلمة " العتقاء" و لم يخصّصها بثقيف. ونصّ حديث أحمد والطبراني "العتقاء من ثقيف"، فقصرُ المعنى على مَن خرج مِن الحصن اجتهاد فيه نظر، علمًا أنّه ثمّة أقوالٌ عدّة فيمن أطلق عليهم لفظ "العتقاء":

١ -قيل:إنّهم جماعة من قريش نحو سبعين أو ثمانين رجلًا خرجوا في الحديبية للإيقاع بالمسلمين بينما كان السفراء يمشون بينهم في الصلح فأطلقهم رسول الله ﷺ فهم الذين يُسمّون العتقاء، وإليهم ينسب العتقيون فيما يزعمون ومنهم معاوية وأبوه فيما ذكروا[٣]. ذكروا[٣].

وقد أخرج مسلمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ– مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ يُرِيدُونَ غِرَّةَ النبيّ – ﷺ– وَأَصْحَابِهِ، فَأَخَذَهُمْ سَلَمًا ، فَاسْتَحْيَاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ } [الفتح: 24][٤].

٢ -وقيل: هم جماعة من عدّة قبائل قيل: مُنَّ عليهم فسُمّوا العتقاء[٥].

٣ -وقيل: هم جماعة من القبائل كانوا يقطعون الطريق على من أراد الإتيان إلى النبيّ ﷺ فبعث إليهم النبيّ ﷺ فأُتي بهم أسرى فأعتقهم، فقيل لهم العتقاء[٦].وهو يختلف عن سابقه سابقه في معرفة مَن مَنّ عليهم.

(١) الروض الأنف (7/ 238).

(٢) يُنظر السيرة النبويّة لابن هشام (108/5)، السيرة النبويّة لابن كثير (3 /615)، الروض الأنف (7/ 164) ، زاد المعاد (3 /411).

(٣) الدرر في اختصار المغازي والسير (194/1).

(٤) صحيح مسلم (3 /1442) في الجهاد والسير، باب: باب قول الله تعالى:{هو الذي كفّ أيديهم عنكم} رقم(1808).

(٥) توضيح المشتبه (179/6).

(٦) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (147/1) لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت .

و العتقاء في القول الأوّل من قريش، فلا ينطلق عليهم اسم " العتقاء من ثقيف"، وإن كانوا أشبه بأن يكونوا طلقاء قريش إذا قلنا إنّ الطلقاء أخصّ من مسلمة الفتح.

وفي القولين الثاني والثالث يحتمل أن يكون فيهم من ثقيف بحمل (مِن) على التبعيض لا البيان.

قلت: هذا الغموض الذي يلّف دلالة هذا الحديث- أعني حديث جرير عند أحمد والطبراني- ولاسيما الدافع حيث لم تُؤثر حادثة تربط بين الفريقين الطلقاء والعتقاء، مع عدم وضوح مصاديق الأسماء للطلقاء وللعتقاء على الأخصّ، وخفاء وجه الرابط بينهما، كلّ هذا يجعلني أضع إشارات استفهام حول هذا الحديث، ولا سيما أنّ رواية أحمد يمكن أن تُحَمّل دلالةً سياسيّة تاريخيّة، على خلفية العلاقة بين المهاجرين والأنصار في الخلافة الراشدة، ثمّ العلاقة بين الأمويّين والثقفيّين في العصر الأمويّ[١].

وهذه الدلالة السياسيّة للولاء المذكور في رواية أحمد يعزّزها ما سبق ذكره من إشكالات متراكبة في دلالة الحديث .

ثالثًا: نعت "الطّلقاء" على ألسنة صحابة الرسول ﷺ:

ورد لفظ الطلقاء في سياق أحاديث الصحابة عن رسول الله ﷺ عند أنس بن مالك وأمّه الرميصاء أمّ سُليم، وأمّ هانئ بنت أبي طالب وهي كما يلي:

- حديث أنس بن مالك ﷺ قَالَ: « لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ الْتَقَى هَوَازِنَ، وَمَعَ النبيّ صلى الله عليه وسلم عَشَرَةُ آلاَفٍ **وَالطُّلَقَاءُ**، فَأَدْبَرُوا قَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ لَبَّيْكَ، نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ فَنَزَلَ النبيّ ﷺ، فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، فَأَعْطَى **الطُّلَقَاءَ** وَالْمُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا ... الحديث»[٢].

فالطلقاء هنا من خرج إلى حنين مع رسول الله ﷺ من مسلمة الفتح.

---

(١) كالعلاقة بين معاويةَ بن أبي سفيان و زِيَادِ بنِ أَبِيْهِ الثَّقَفِيُّ، يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (3 /494)، والعلاقة بين عبد الملك بن مروان وابنه الوليد من جهة والحجّاج بن يوسف الثقفيّ من جهة أخرى. يُنظر ترجمته في تاريخ مدينة دمشق (12 /113).

(٢) البخاري (4 /1575)في: كتاب المغازي: باب غزوة الطائف رقم(4078)، مسلم (2 /733) في الزكاة باب إعطاء المؤلّفة قلوبهم رقم (1059).

-وكذلك استعملته أمّ سُليم فيما رواه أنسٌ أيضًا أَنَّهَا اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خَنْجَرٌ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم- « مَا هَذَا الْخَنْجَرُ ». قَالَت : اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّ ي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَضْحَكُ . قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ **الطُّلَقَاءِ** انْهَزَمُوا بكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ » [١]. وقولها:« اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ **الطُّلَقَاءِ**» هم الذين أسلموا من أهل مكّة يوم الفتح ، وكان في إسلامهم ضعف ، فاعتقدت أمّ سُليم أنّهم منافقون ، وأنّهم استحقّوا القتل بانهزامهم [٢].

-وكذلك رُوي عن أمّ هانئٍ بنت أبي طالب [٣] أنّها استعملته، قالت: خَطَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ، فَعَذَرَنِي، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :{ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ الْآيَةَ } [الأحزاب: 50]. قَالَتْ: فَلَمْ أَكُنْ أَحِلُّ لَهُ لِأَنِّي لَمْ أُهَاجِرْ كُنْتُ مِنْ **الطُّلَقَاءِ**[٤]. أي من مُسلمة الفتح.

وبالنظر في هذه الأحاديث نجد الصحابة الكرام استعملوا لفظ " الطلقاء " بمفهوم مُسلمة الفتح، وقد وقع ذلك لمامًا في كلامهم.

ومع ما في حديثَي أنسٍ وأمّه رضي الله عنهما من تصويرٍ لفرار الطلقاء من المعركة، وهو أمر مذموم شرعًا وعرفًا، مع ذلك فإنّه لا ينبغي أن ننسى أنّ الطلقاء كانوا حَدِيثي عهدٍ بإسلام، ولم يكن الإيمان تمكّن من قلوبهم، فكانت غزوة حنين أوّل تجربة لمسلمة الفتح

---

(١) صحيح مسلم (3 /1442) في الجهاد والسير باب غزوة النساء مع الرجال رقم (1809).

(٢) شرح النووي على مسلم (12 /188).

(٣) السَّيِّدَةُ، الفَاضِلَةُ، أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ عَمِّ النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبِي طَالِبِ عَبْدِ مَنَافٍ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ الهَاشِمِيَّةُ، المَكِّيَّةُ. اسْمُهَا: فَاخِتَةُ.وَقِيْلَ: هِنْدٌ.تَأَخَّرَ إِسْلاَمُهَا. رَوَتْ أَحَادِيْثَ. بَلَغَ مُسْنَدُهَا: سِتَّةً وَأَرْبَعِيْنَ حَدِيْثاً ، ماتت في خلافة معاوية ع . سير أعلام النبلاء (2 /311-314). تقريب التهذيب (ص 759).

(٤) سنن الترمذيّ (5 /355) في تفسير القرآن، باب:سورة الأحزاب رقم (3214) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح لا أعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السديّ.

بعد مدّة وجيزة جدًّا من إسلامهم، وقد كانت هزيمتهم لحكمة ربانيّة اقتضت بيان أنّ النصر من عند الله تعالى فلا يغترّ المسلمون بكثرة عددهم.

ولقد جاء هذا صريحًا في كتاب الله تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ } [التوبة: 25، 26]

وهكذا فإنّه لم يثبت مع رسول الله ﷺ إلا قليل من الصحب والآل، وفرّ باقي الجيش حتى أمر النبيّ ﷺ عمّه العباس أن ينادي في الناس أين الأنصار؟! فرجعوا إليه بعد فرارهم(١).

فالفرار كان ردّة فعل طبيعيّة على الكمين الذي أعدّ لهم، ولكنّ العظيم حقًّا هو رجوع الأنصار إلى النبيّ ﷺ نصرةً له واستجابةً لدعوته، والأعظم ثبوت النبيّ ﷺ وثلّة قليلة من أصحابه في الميدان.

ومن ثَمَّ فلا ينبغي المبالغة في إلقاء اللّوم على الطلقاء أو مسلمة الفتح؛ لأنهم لم يكونوا يشكّلون أكثر من سدس الجيش، ولأنّ النبيّ ﷺ نفسه لم يحمّلهم وزر ذلك كما رأينا في سياق ردّه ﷺ على كلام أمّ سليم رضي الله عنها.

رابعًا: منزلة الطلقاء في الإسلام:

تبيّن لنا مما سبق أنّ لفظ « اذهبوا فأنتم الطلقاء » لم يرد بسند صحيح عن رسول الله ﷺ، وهذا اللفظ لم يكن مكرّرًا على لسان الرسول ﷺ، و لم يصف به أحدًا من أصحابه بعينه كأن يقول: يا طليق أو فلان الطليق...

وعلى افتراض صدوره عنه ﷺ يوم الفتح فهو إمّا أن يكون خاصًا بجماعة من قريش لا يبلغون المئة ممن عفا رسول الله ﷺ عنهم رغم عدم التزامهم بشرط الأمان، أو أنّهم جميع مسلمة الفتح وهم عدد كبير من قبائل قريش كلّها، أسلموا وحسن إسلامهم، و لم يؤثر أنّ أحدًا منهم ارتدّ فيمن ارتدّ من قبائل العرب، ومن ثَمّ كان فيهم جلّة من قادة المسلمين في

---

(١) يُنظر صحيح مسلم (3 /1398) في الجهاد والسير باب في غزوة حنين رقم (1775) من حديث العباس بن عبد المطلب.

حروب الردّة وحروب الفتح .

وحسبك دليلًا على سلامة دينهم وحسن إسلامهم شهادة الإمام جعفر الصادق فيهم حيث يقول: «كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفًا، ثمانيةُ آلافٍ من المدينة وألفان من أهل مكّة، وألفان من الطلقاء لم يُر فيهم قدريّ، ولا مرجيّ، ولا حروريّ، ولا معتزليّ ولا صاحب رأي، كانوا يبكون الليل والنهار ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير» [1].

وإذا كان النبيّ ﷺ منّ على هؤلاء فعفا عنهم وأطلقهم من القتل أو الأسر، فمن المؤسف حقًّا أن تتحوّل منّة الرسول- ﷺ- وعفوه عن قومه بتقادم الأيام إلى سبّةٍ يُنبزون بها، ومعرّةٍ يُغمزون بها .

ولقد عيّر بعض الصحابة عثمان بن عفان رضي الله عنه بفراره يوم أحد فأجابه عثمان رضي الله عنه بقوله : كَيْفَ يُعَيِّرُنِي بِذَنْبٍ وَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ؟!! ثمّ تلا قوله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ }[آل عمران:155]..الحديث [2].

وما أجمل قول الألوسي في تفسير هذه الآية:ولا تعيير بعد عفو الله تعالى عن الجميع [3].

وكذلك فلا تعيير بعد عفو رسول الله ﷺ عن مسلمة الفتح.

فإذا تبيّن لنا أنّ لفظ الطلقاء ليس نعت ذمٍّ [4]، بيد أنّه يعطي تراتبيّة زمانيّة لتاريخ إسلام الصحابيّ، فإذا قيل فلان من الطلقاء فهذا يعني انّه أسلم بعد الفتح، وقد شاع هذا الاستعمال في كتب التراجم.

والتراتبيّة الزمانيّة في الإسلام ذات قيمة معنويّة في المفاضلة بين الناس.

---

(١) كتاب الخصال للقمي ص (640) تحقيق: علي أكبر غفاري، نشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم؛ بحار الأنوار 305/22. قلت: هذا بشهادة أئمة القوم أنفسهم من كتبهم . والحديث سنده صحيح عند الشيعة كما نصّ عليه المحقق النوريّ الطبرسيّ في خاتمة مستدرك النجاة(212/1)- تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث –قم ، المطبعة: ستارة –قم، ط1: 1415هـ.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (1 /525) رقم(490).قال الهيثمي:" رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني باختصار والبزّار بطوله بنحوه، وفيه عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث وبقيّة رجاله ثقات ". (مجمع الزوائد 460/7).

(٣) روح المعاني للألوسي(99/4).

(٤) يُنظر منهاج السنة النبويّة (381/4).

ولكن من المعلوم أنّ التفاضل لغةً وعقلاً إنما يكون بين أهل الفضل كلّ بحسب سهمه فيه، ولا يكون بين من له فضل، ومن لا فضل له بحال من الأحوال؛ إذ المفاضلة تكون بين فاضل ومفضول لا بين فاضل ومن لا فضل له على الإطلاق؛ بل مجرّد عقد مقارنة بين صاحب فضل ومن لا فضل له، ينقلب نوعًا من الذّمّ لصاحب الفضل كما قال الشاعر: (من الطويل)

ألم ترَ أنّ السيفَ ينقص قدره *** إذا قيل إنّ السيف أمضى من العصا[١]

وكما قال غيره: (من الطويل)

إذا أنت فضّلت امرأً ذا براعةٍ *** على ناقصٍ ،كان المديحُ من النقصِ[٢]

ولذلك حينما نقول بالتفاضل بين الصحابة ﷺ ، فنحن بالضرورة اللغويّة والعرفيّة نشهد لهم جميعًا بقسط مشترك من الفضل يتمثّل باشتراكهم جميعًا بشرف :

- الإيمان بالنبيّ ﷺ .
- و رؤيته أو الاجتماع به ﷺ .
- و مفارقتهم الحياة الدنيا وهم على حالهم من الإيمان بالله ورسوله ﷺ.

وهذه الأمور الثلاثة أدنى درجات الصحبة، وهي متحقّقة في الطلقاء أو مسلمة الفتح، بل فيهم من حظي بشرف الجهاد مع رسول الله ﷺ كما في حنين والطائف وتبوك، والإنفاق في نصرة الإسلام، وفيهم من استعمله النبيّ ﷺ، وفيهم من روى عنه الأحاديث وبلّغ عن النبيّ ﷺ هدي الإسلام.

وبإيجاز رائع يكثّف لنا القرآن هذه المعاني في قوله تعالى: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الحديد: 10]. فالنصّ القرآنيّ يبيّن أنّ التفاوت بين الفريقين هو تفاوت في الدرجة والفضل، إذ الجميع مشمولون بعموم الثناء ومتفاوتون في الدرجة، وموعودون جميعًا بالحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات[٣].

---

(١) البيت لأبي درهم البندنيجي – يُنظر قرى الضيف لابن أبي الدنيا (5/ 299).

(٢) لم أقف على قائله ؛ ولكن استشهد بالثاني ابن هشام في مغني اللبيب ص548 الشاهد رقم (805).

(٣) يُنظر تفسير الطبري (23 /177)، تفسير القرطبي (17 /241).

وهكذا فإنّ وصف الطلقاء لا يقتضي الذّم مطلقًا، ولاسيما أنّ مرهم أعلامًا كبارًا من خيار المسلمين كالحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، ويزيد بن أبي سفيان وحكيم بن حزام، وأبي سفيان بن الحارث، ابن عم النبيّ ﷺ الذي كان يهجوه ثم حسن إسلامه، وعتّاب بن أسيد الذي ولّاه النبيّ مكة لما فتحها، وغير هؤلاء ممن حسن إسلامهم وعرف الناس فضلهم.

خامسًا: أثر نعت" الطلقاء" في شرعية الحكم الأمويّ:

لقد جرى الطعن في مكانة الأمويّين والحطّ من أقدارهم بحجّة أنّهم كانوا من الطّلقاء الذين أسلموا مُكرهين بعد فتح مكّة (١).

ومن الجهل بمكان أن يُنعت الأمويّون جميعًا بالطلقاء؛ إذ ليس جميع الطلقاء أمويّين ولا جميع الأمويّين طلقاء، بل منهم السابقون إلى الإسلام والهجرة ومنهم البدريّون ومنهم من شارك في فتح مكّة، وبالمقابل منهم من أسلم يوم الفتح فكان من مسلمة الفتح أو من الطلقاء بالمفهوم الأوسع للكلمة.

ولولا وصول معاوية بن أبي سفيان إلى الحكم في الدولة الإسلاميّة لما كان لمفهوم الطلقاء ذلك الرصيد التاريخيّ التراكميّ من الجدل والنقاش حول شرعيّة الطلقاء للحكم وأهليتهم لذلك. أقول: لولا ذلك لاقتصر البحث في هذا الشأن على ما ورد في الأحاديث السابقة فحسب، و لم يكن للكلمة تلك الدلالات السلبيّة التي حملتها.

وأظنّ أن الدافع على التركيز على وصف الأمويّين، أو بعض كبار رجالهم بالطلقاء يرجع إلى سببين :

الأول: سبب واقعيّ ناتج عن التحوّل من الخلافة الراشدة إلى الملك الأمويّ، وما صاحبه من تغيير للمفاهيم والتصوّرات على أرض الواقع، إذ لم يكن يتصوّر أحدٌ ولا حتى معاوية

(١) كالقول المنسوب لعليّ في نهج البلاغة ص 450 ((وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتميّز بين المهاجرين الأوّلين))، ويُنظر خطبة أبي حمزة الخارجي في الأغاني (253/23)، الإمامة والتبصرة- ابن بابويه القمي ص 151 ، الصوارم المهرقة- الشهيد نور الله التستري ص 9، تاريخ اليعقوبي- (2/ 216)، الإمامة والسياسة - لابن قتيبة الدينوري ،(1/ 74) تحقيق الشيري.

نفسه أن يؤول الأمر إليه في وجود كبار الصحابة من المهاجرين كسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، لأنّ الشورى كانت تراعي الفضل والسبق إلى الإسلام. فقد رُوي عن أبي مسلم الخولانيّ أنه قال لمعاوية: علامَ تقاتل عليًّا وهو ابن عمّ رسول الله ﷺ، وله من القدم والسابقة ما ليس لك وإنما أنت رجل من الطلقاء؟!

فقال له معاوية: أجل والله ما نقاتل عليًّا وأنا لست أدّعي في الإسلام مثل الذي له، ولكن أقاتله على دم أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأنا أطلبه بدمه... الخبر[١].

وقد ظهر ذلك الاضطراب جليًا في العصر الأمويّ من خلال نقاشات كانت تدور بين الصحابة والتابعين مثل قول الأسود بن يزيد النخعيّ لعائشة: إنّ رجلًا من الطلقاء يُبايع له يعني معاوية. فقالت: يا بُني لا تعجب هو ملك الله يؤتيه من يشاء [٢].

وهي بذلك تشير إلى قوله تعالى: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[آل عمران: 26].

وفي رواية أخرى عند ابن عساكر[٣] بسند ضعيف[٤] عن الأسود بن يزيد قال: قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد ﷺ في الخلافة؟ قالت: وما تعجب من ذلك هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة.

وقيل للحسن بن علي: تركت إمارتك وسلّمتها إلى رجل من الطلقاء، وقدمت المدينة؟! فقال: إني اخترت العار على النار[٥].

وكذلك رُوي بسندٍ منقطعٍ أنّ أبا الأسود الديليّ قال لمعاوية بن أبي سفيان: لو كنت بمكان أبي موسى (يعني الأشعريّ) ما صنعتُ ما صنع [٦]. قال: وما كنت تصنع؟ قال: كنت

---

(١) الثقات لابن حبّان (284/2)، ويُنظر البداية والنهاية (7 /288).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (6 /186) رقم (30547). بسند صحيح على شرط الشيخين.

(٣) تاريخ مدينة دمشق (145/59).

(٤) فيه أيوب بن جابر بن سيار السحيمي أبو سليمان اليمامي ثم الكوفي ضعيف .تقريب التهذيب (ص 118)، ويُنظر لسان الميزان (7 /181).

(٥) تاريخ مدينة دمشق (266/13) بسند ضعيف.

(٦) يعني يوم التحكيم بعد صفّين.

أنظر رهطًا من المهاجرين ورهطًا من الأنصار فأناشدهم الله المهاجر ون أحقّ بالخلافة أو الطلقاء؟ فقال معاوية: أقسمت عليك لا تذكرنّ هذا الحديث ما عشتَ[١].

وهذه الأحقيّة التي يحكيها الخبر السابق عن أبي الأسود الديليّ، سوف نجد لها مرجعيّة في خبر يُنسب إلى عمر بن الخطاب حيث يقال: إنّه قال لأهل الشورى: «لا تختلفوا، فإنّكم إن اختلفتم جاءكم معاوية من الشام، وعبد الله بن أبي ربيعة [٢] من اليمن، فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم، وإنّ هذا الأمر لا يصلح للطّلقاء ولا لأبناء الطّلقاء»[٣].

وهذه الفتوى العمريّة التي وردت في خبر بغير سندٍ، لا تجد لها مكانًا في شروط الإمامة الكبرى حيث لم يشترط أحدٌ من الفقهاء أن لا يكون الإمام من الطلقاء، اللهم إلا أن يكون المراد بها الأفضليّة، يعني أنّ الأولى بها هم السابقون من المهاجرين.

والسبب الثاني: وهو التعصّب والتحزّب ضد الأمويّين وما أكثر أعداءهم في عصرهم، وبعد عصرهم. وهذا يفسّر كثرة الروايات الضعيفة أو الموضوعة في هذا الشأن كبعض الذي ذكرته، أو هذا الخبر الذي رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى[٤] بسندٍ واهٍ[٥] أنّ عبد الملك الملك ابن مروان كتب إلى محمد بن عليّ(ابن الحنفيّة): من عبد الملك أمير المؤمنين إلى محمّد بن عليّ، فلما نظر إلى عنوان الصحيفة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! الطلقاء ولعناء رسول الله ﷺ على منابر الناس والذي نفسي بيده إنّها لأمور لم يقرّ قرارُها.

و أمارات الوضع بادية على هذا الخبر، فالإمام محمّد بن الحنفيّة أجلّ من أن ينطق بمثل هذا الجواب المشحون بالبغض والتحريض خلاف سيرته الطيبة وسمته الحسن وموادعته وبعده

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (180/25).بسند منقطع.

(٢) عبد الله بن أبي ربيعة واسمه عمرو وقيل حذيفة ويلقب ذا الرمحين بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم يكنى أبا عبد الرحمن كان اسمه بجيرا بالموحدة فغيّره النبيّ ﷺ من الطلقاء، وهو والد عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر المشهور.يُنظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة (4 /79).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (4 /79).

(٤) الطبقات الكبرى (109/5).

(٥) في سنده إسماعيل بن مسلم الطائي من السابعة مجهول ، قال الدارقطني : متروك الحديث. وقال الخليلي: شيخ ضعيف ليس بالمشهور قال كان يعلم ولد المهدي ، وشحن كتابه في التفسير بأحاديث مسندة يرويها عن شيوخه محمود بن يزيد ويونس الأيلي لا يتابع عليها. يُنظر تقريب التهذيب (ص 110)، لسان الميزان (1 /406).

عن الفتن. قال الذهبيّ : « كَانَ مَائِلاً لِعَبْدِ المَلِكِ؛ لإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَلإِسَاءَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ إِلَيْهِ»[١].

وأحبّ أن أشير إلى نقطة مهمّة تتعلق بوصف الطلقاء وهي[٢]:أنّ أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية ليسا من الطلقاء بالمعنى الدقيق السابق لهذه الكلمة ، فقد أسلم أبو سفيان قبيل فتح مكّة، والرسول وجيشه بمرّ الظهران خارجها، وقد جاء فور إسلامه يدعو قومه إلى المسالمة والفتح[٣]، أمّا معاوية ابنه فقد أكّدت بعض الروايات أنه أسلم قبل الفتح أيضً ا، غير أنّه كان يخفي إسلامه -شأن بعض الناس آنذاك - لمكانته من أبيه الذي كان يقود القتال ضد المسلمين، فقد رُوى أنه أسلم سرًا يوم عمرة القضاء، أو عام الحديبية[٤]، وإنّما وضعهم المؤرِّخون في زمرة هؤلاء الطلقاء لقرب وقت إسلام أبي سفيان من الفتح، ولأنّه كان زعيم مكّة الذي ارتبط إسلامه ا بإسلامه، كما أنّه ذُكر عن معاوية أنّ إسلامه كان في عمرة القضاء قبل الفتح ولكنّه أسرّه[٥] ، فلم يُعرف إسلامه إلا مع الطلقاء بعد فتح مكّة.

وأخيرًا: بعد الاطلاع على الأحاديث والآثار الواردة في موضوع الطلقاء نجد أنّ هذا النعت لم يُستعمل في عهد النبوّة على محمل الذّم، وإنّما حصل ذلك التطور الدلالي لهذا النعت بعد الفتنة حيث جرى توظيفه سياسيًّا،في جملةٍ من الآثار الضعيفة والموضوعة والتي تدلّ على أنّ هذا الأمر كان وليد عصر الخصومة الحزبيّة الحادة، لّما تفجّرت الأحقاد ضد بني أمية في أواخر عهد عثمان ﷺ وبعد بروز نجم معاوية بن أبي سفيان وخلافه مع علي بن أبي طالب ﷺ، حيث أصبح ذلك الوصف يعني عندهم أنهم قوم ضعاف الإيمان، دخلوا الإسلام رغبة في غنائمه، أو رهبة من القتل ، وأنّهم استغلّوا الإسلام مطيّة للوصول إلى مآربهم في الحكم والسيطرة.

وهذا كما ترى محض وهم لا يقوم به دليل ولا تنهض به حجّة، والغاية منه الحطّ من

---

(١) سير أعلام النبلاء (4 /112).

(٢) يُنظر الدولة الأموية المفترى عليها ص 144 .

(٣) يُنظر صحيح مسلم - (3 / 1405) في الجهاد والسير باب فتح مكّة رقم 1780 ، تاريخ الطبري (2 /330-333)، تاريخ دمشق (23 /448)وما بعدها، البداية والنهاية (4 /331)وما بعدها.

(٤) روي عن معاوية أنّه قال: أسلمت يوم عمرة القضاء ولكني كتمت إسلامي من أبي إلى يوم الفتح .البداية والنهاية (8 /23)، ويُنظر نسب قريش ص124.

(٥) يُنظر سير أعلام النبلاء (3 /120)، تاريخ دمشق (59 /60).

قدر بني أميّة والطعن في شرعية وصولهم إلى الحكم.

المطلب الثاني: توظيف حديث الخلافة :« الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ » في الطعن على حكم الأمويّين:

روى سعيد بن جهمان عن سَفِينة ﷺ(١) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ ». هذه رواية الترمذي(٢) وقريب منها لفظ أحمد(٣).

وفي رواية أبي داود قال: قال رسولُ الله ﷺ :« خِلافَةُ النبُوَّةِ ثَلاثُونَ سَنَة، ثُمَّ يُؤتي اللهُ المُلكَ مَنْ يَشَاء »(٤).

ثمّ يستطرد سفينة في توضيح الأمر فيحصي مجموع خِلافَةِ أبي بَكْرٍ، وخلافَةِ عمر، وخِلافَةِ عثمان ليجدها ثلاثين سنةً.

ولكن الحوار الذي دار بين سعيد بن جهمان وسفينة يفيد ما يمكن أن ندرجه في التوظيف السياسيّ للحديث في الموقف من حكّام بني أميّة بعدهم ؟

هذا الذي أثاره سعيد بن جهمان في رواية الترمذيّ. قال سعيدٌ : فقلتُ له: إنَّ بني أُمَيَّةَ يَزعُمُونَ : أنَّ الخِلافةَ فيهم ؟ قال -يعني سفينة-: كَذَبُوا بَنُو الزَّرقاء، بَلْ هُمْ مُلُوكٌ مِن شَرِّ المُلوك.

والملاحظ أنّ حكم سفينة هنا جاوز مستوى الإسقاط النصيّ على التسلسل الزمنيّ مرّتين:

المرّة الأولى: عندما قفز فوق مدّة حكم الفرع السفيانيّ لمعاوية ويزيد ومعاوية الثاني، ليكذّب بني مروان وهم بنو الزرقاء كما صرّحت به رواية أبي داود. علمًا أنّ سعيدًا نقل الزعم عن بني أميّة عامّةً أنّ الخلافة فيهم، فتخصيص بني مروان بالتكذيب في الجواب يفيد أحد أمرين:

- إمّا أنّ هذه الدعوى(أنّ الخلافة فيهم) أثارها حكّام من الفرع المرواني من بني

(١)سفينة مولى النبيّ ﷺ أبوعبد الرحمن كان اسمه مهران، كان من مولدي الأعراب فاشتراه النبيّ ﷺ فأعتقه. معجم الصحابة للبغوي (3 /252)، الجرح والتعديل (4 /320).

(٢) الترمذي (4 /503) في الفتن باب رقم (47) رقم الحديث(2226) .

(٣)مسند أحمد (36/ 248) رقم (21919). و (36/ 252) رقم (21923).

(٤) أبو داود (2 /622)في السنة باب في الخلفاء رقم (4647).

أميّة، ولكنّ السائل عمّم الدعوى على بني أميّة، فردّها سفينة على من أثارها فقط.

-أو أنّ سفينة يرى أنّ حكّام الفرع السفيانيّ يدخلون في الخلافة وهو خلاف النصّ، أو أنّه يرى أنّهم ملوك ولكن لا يشملهم قوله (مِن شَرِّ المُلوك).

والمرّة الثانية: حينما لم يكتفِ بالحكم عليهم بالملوك كما يفيد لفظ الحديث، ليحكم عليهم بأنّهم (مِن شَرِّ المُلوك).

ونصّ الحديث النبويّ لا يفيد هذا المعنى، فهل هو مجرّد اجتهاد، أو استنباط من أحاديث أخرى سمعها و لم يروِها؟!

وكذلك فإنّ حواريّة سعيد وسفينة تختلف اختلافًا كبيرًا بين رواية الترمذيّ ورواية أبي داود.

فعند الترمذي يسأل سعيدُ فيقول: إنَّ بني أُمَيَّةَ يَزعُمُونَ : أنَّ الخِلافةَ فيهم ؟

وعند أبي داود قال سعيد: قلتُ لِسَفِينةَ: إنَّ هؤلاء يَزعمونَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ بِخَلِيفةٍ ؟ قال: كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَني الزَّرقَاء. يعني : بَني مَروَانَ.

و الفرق كبير بين زعمهم أنّ الخلافة في بني أميّة، وزعمهم بنفي الخلافة عن عليّ رضي الله عنه.

وقد احتجّ به أحمد واستدلّ به على من توقّف في خلافة عليّ رضي الله عنه من أجل افتراق الناس عليه حتى قال أحمد: مَن لم يربّع بعليّ في الخلافة فهو أضلّ من حمار أهله[١].

و(الزرقاء) والدة مروان بن الحكم، أو إحدى أمهاته وكان يعيّرُ هو وأولادُه بها[٢].

و(الأستاه) جمع مفرده السَّتْهُ والسَّتَهُ ويقال الأست وهو العجز أو حلقة الدبر[٣].

وهذا الأسلوب في التكذيب مع طريقة التعيّر بأمر من أمور الجاهليّة يشكلُ نسبته إلى صحابيٍّ رفض أن يفصح عن اسمه الحقيقيّ لمجرد أنّ رسول الله ﷺ دعاه سفينةً في حادثة أخبر بها سعيدَ بن جهمان عندما لقيه زمنَ الحجّاج [٤].

وقد ضعّف ابن خلدون هذا الحديث فقال: «ولا يُنظر في ذلك إلى حديث الخلافة

---

(١)كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (35/18-19).

(٢) يُنظر الأغاني ج1/ص40، تاريخ مدينة دمشق (10/21)، عون المعبود (260/12).

(٣)لسان العرب (13 /495).

(٤)أخرجه أحمد في المسند(36 /256) رقم (21928).

بعدي ثلاثون سنة فـإنّه لم يصحّ))[١]، وكان قد سبقه إلى ذلك ابن العربيّ في العواصم من القواصم، ووافقه محبّ الدين الخطيب في تحقيقه للكتاب[٢].

وهذا التضعيف لا يتّفق مع ما ذهب إليه المحدّثون، فقد قال الترمذيّ: ((هذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جهمان ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جهمان)).

قلت: علّة الحديث عند من أعلّه سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ راوي الخبر عن سفينة، فقد اختُلف فيه، وثّقه ابن معين وقال : روى عن سفينة أحاديث لا يرويها غيره ، وأرجو أنّه لا بأس به ، وقال النسائيّ: ليس به بأس وذكره ابن حبّان في الثقات.

في المقابل قال أبو حاتم: يُكتب حديثه ولا يُحتجّ به ، وقال البخاري : في حديثه عجائب، وقال الساجيّ: لا يُتابع على حديثه [٣].

ولذا فقد جعله ابن حجر في مرتبة صدوق[٤].

وقد أثار تضعيف محبّ الدين الخطيب للحديث سجالًا بين المعاصرين، فذهب بعضهم إلى تصحيح حديث جمهان، ورجّح توثيقه على جرحه لأنّه جرح غير مفسّرٍ [٥]، فردّ عليه معاصر آخر بأنّ جرح البخاريّ مفسرّ، فإنّه بالنظر إلى متون الأحاديث التي يرويها فإنّه يأتي فيها بعجائب أي أشياء منكرة لا تقبل بمنطق الدين أو منطق العلم، وكذلك قول الساجيّ: لا يتابع على حديثه: معناه: أنّه ينفرد بالغرائب من الحديث، لا يتابعه عليها أحد، ومن كان كذلك ردّت أحاديثه[٦].

وأنا أميل إلى تضعيف الحديث، ولا أرى تحسينه ولو بوجود شاهدٍ له عند البيهقي في الدلائل من حديث أبي بكرة ولفظه: «خلافة نبوّة ثلاثين عامًا ثم يؤتي الله الملك من يشاء »

---

(١) تاريخ ابن خلدون (2 /188).

(٢) يُنظر العواصم من القواصم لابن العربيّ ص 208.تحقيق محبّ الدين الخطيب، مكتبة السنة – القاهرة، ط 6: 1412هـ.

(٣) يُنظر ميزان الاعتدال (2 /131)، تهذيب التهذيب (4 /13).

(٤) تقريب التهذيب (ص 234).

(٥) يُنظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم الحديث (459).

(٦) يُنظر كتاب (تاريخنا المفترى عليه)- يوسف القرضاوي ص98، دار الشروق- القاهرة، ط3- 2006م.

فقال معاوية: قد رضينا بالملك.[١] إذ في سنده علي بن زيد وهو ابن جدعان ، وهو ضعيف الحفظ وكان يغلو في التشيّع [٢]، وموضوع الحديث فيه غمزٌ لمعاوية ﷺ، حيث يصوّره بمظهر اللّاهث وراء الملك أيًّا كانت طبيعته ، ولذا فآثار التشيّع بادية على هذا الشاهد فلا يصلح لتقوية الحديث.

ولفظ رواية أبي داود: فيه تنابز بالألقاب وتعيير بأمر من أمور الجاهلية التي جبّها الإسلام، وهذا لا يليق بآحاد المسلمين فضلًا عن صحابيّ. فهذا مما يثير الشكّ في متن الحديث كذلك.

ولأنّ الحديث يتعارض مع باقي الأحاديث الصحيحة في باب الخلفاء كما بيّنه محبّ الدين الخطيب، ولكن الزيادة في لفظ أبي داود " خلافة النبوّة ثلاثون سنة ... " يسّرت رفع التعارض، فتكون تلك الأحاديث تنصّ على مطلق الخلافة، وهذا الحديث مقيّدٌ بخلافة النبوة[٣]. وهذا الجمع في نظري غير كافٍ لتمرير الحديث، لأنّ خلافة عمر بن عبد العزيز كانت على طريقة الراشدين، وكذلك خلافة عبد الله بن الزبير في نظر من عدّه واحدًا من الاثني عشر خليفة الذين نطقتْ بذكرهم الأحاديث الصحيحة كحديث جابر بن سمرة سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– يَقُولُ « لاَ يَزَالُ الإِسْلاَمُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَىْ عَشَرَ خَلِيفَةً ». ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً لَمْ أَفْهَمْهَا فَقُلْتُ لأَبِي مَا قَالَ؟ فَقَالَ: « كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ ». [٤].

ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ " الْخِلَافَةُ " الَّتِي لَا يَشُوبُهَا مُلْكٌ بَعْدَهُ " ثَلَاثُونَ سَنَةً " وَهَكَذَا كَانَتْ خِلَافَةُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ . وَمُعَاوِيَةُ : قَدْ شَابَهَا الْمُلْكَ ؛ وَلَيْسَ هَذَا قَادِحًا فِي خِلَافَتِهِ؛ كَمَا أَنَّ مُلْكَ سُلَيْمَانَ لَمْ يَقْدَحْ فِي نُبُوَّتِهِ وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَقِيرًا . فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ شَوْبَ الْخِلَافَةِ بِالْمُلْكِ جَائِزٌ فِي شَرِيعَتِنَا وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَافِي الْعَدَالَةَ وَإِنْ كَانَتْ الْخِلَافَةُ الْمَحْضَةُ أَفْضَلَ[٥].

(١) دلائل النبوة (342/6).

(٢) فقد روى له مسلم مقرونًا بغيره، ويُنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (7 /283-284).

(٣) يُنظر فتح الباري – ابن حجر (13 /212).

(٤) صحيح مسلم (3/ 1452) في الإمارة؛ باب الناس تبع لقريش رقم(1821).

(٥)مجموع الفتاوى (27/35)، وقد سبق بيان ذلك في الفصل الثالث من الباب الأوّل.

المطلب الثالث: صور من التوظيف الأمويّ للحديث:

لقد سبق أن وظّف معاوية قوله تعالى: {وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} [الإسراء: 33] في تسويغ موقفه برفض بيعة عليٍّ ﵁، ومن ثمّ خروجه عليه ومحاربته إيّاه.

وقد يكون أفلح في إقناع شيعته في الشام وغيرهم، ولكنّ الأمر لم يلتبس على أهل السنّة، فعدّوه باغيًا على عليّ كما سبق بيانه في خبر مقتل عمّار.

وهناك صور للتوظيف السياسيّ للأخبار من قبل الأمويّين أذكر منها ما يلي:

أولًا: قول معاوية في خطبة له: وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوهُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ. وذلك بعد أن روى حديث زيد بن أرقم أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ».

والحديث أخرجه أحمد[(١)] بسند ضعيف لجهالة أبي عبد الله الشاميّ التابعيّ الذي سمع معاوية يخطب، فإنّه لم يروِ عنه إلا شعبة، قال ابن أبي حاتم: لا يُسمّى ولا يُعرف وهو شيخ[(٢)]. ولكنّ مرفوع الحديث في شأن الطائفة المنصورة صحيح بل متواتر، فقد رواه بضعة عشر صحابيًّا بألفاظ متقاربة، والمعنى واحد فهو من المتواتر[(٣)].

وفي قول معاوية: **وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوهُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ**. محاولةٌ من معاوية لتوظيف هذا الحديث الصحيح في تماسك جبهته السياسيّة ضدّ أعدائه.

ولا يُنكر ما يتضمّنه كلامه من شحنة معنويّة إيمانيّة تُسهم في تقوية عزيمة أهل الشام، وفي شدّ صفوف الجند، ورفع معنويّات أتباعه وأنصاره.

وهذه الأمنية التي كان يرجوها معاوية، جاء من يرويها حديثًا يرفعه إلى النبيّ ﷺ ليقع من معاوية موقع الرضا، فيكرّره رافعًا بذلك صوته، فقد أخرج أحمد من حديث عُمَيْرِ بْنِ

---

(١)مسند أحمد (32 /46) رقم (19290).

(٢)الجرح والتعديل (9 /399).

(٣)نظم المتناثر من الحديث المتواتر للشيخ محمد جعفر الكتاني (ص 141)، دار الكتب السلفية بمصر، ط2 .

هَانِئٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ »، فَقَامَ مَالِكُ بْنُ يَخَامِرٍ السَّكْسَكِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، يَقُولُ: «وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ »، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ -وَرَفَعَ صَوْتَهُ-: هَذَا مَالِكٌ، يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا، يَقُولُ: « وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ »[1].

وقد يُقال: إنّ مالك بن يُخامر وضع هذه الزيادة ليرضي بها معاوية.

والجواب: أنّ ننظر في حال مالك هذا، ثمّ ننظر في هذه الزيادة هل رويت من طريق آخر أو عن صحابيّ آخر؟

فنقول: مَالِكُ بْنُ يَخَامِرٍ السَّكْسَكِيُّ تابعيّ ثقة ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن سعد: كان ثقةً إن شاء الله تعالى، وقال العجليّ: شامي تابعي ثقة[2].

وهذه الزيادة من قبل معاذ لا تُحفظ إلا في هذا الحديث [3] وهي صحيحة على كلّ حال، فقد رواها البخاريّ في صحيحه[4] ولكن لفظها عنده « وهم بالشام ».

قلت: ولخبر مالكٍ عن معاذ شاهدٌ من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد [5]، ومن طريق آخر أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط[6]، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء[7] بلفظ:« بلفظ:« لا تزال عصابة من أمتي قائمة على أمر الله لا يضرّها من خالفها تقاتل أعداءها كلّما ذهبت حرب نشبت حرب قوم آخرين ، يرفع الله قومًا ويرزقهم منه حتى تأتيهم الساعة، ثم قال رسول الله ﷺ: هم أهل الشام».

وفي السند موسى بن عيسى بن المنذر الحمصيّ عن محمد بن المبارك الصوري عن يحيى

---

(١)مسند أحمد (28 /128) رقم(16932) و إسناده صحيح، وأخرجه أبو يعلى في مسنده(13 /309) رقم (7383).

(٢)يُنظر تهذيب التهذيب (10 /23).

(٣) يُنظر حلية الأولياء (5 /159).

(٤)البخاري (3 /1331) في المناقب، باب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبيّ ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر رقم(3442).

(٥) مسند أحمد (14 /25) رقم (8274).

(٦)المعجم الأوسط (8 /55) .

(٧)حلية الأولياء (9 /307).

ابن حمزة، وموسى ضعيف من قدماء شيوخ الطبرانيّ، كتب النسائي عنه: حمصيّ لا أحدث عنه شيئًا ليس هو شيئًا[١].

ولكن تابعه أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسويّ الثقة الحافظ [٢] في كتابه المعرفة والتاريخ[٣] عن عَبْدِ اللهِ بنِ يُوْسُفَ الكَلاَعِيِّ وهو ثقةٌ متقنٌ[٤] عن يحيى بن حمزة به. وهذا إسناد صحيح.فثبت الخبر عن أبي هريرة أيضًا.

ولذلك فهذه الزيادة صحيحةٌ، ولكن لا ينبغي أن ننسى أن معاوية كان دقيقًا في أسلوب نقله عن مالك، فهو لم يدخل الزيادة في حديثه مباشرةً، وإنما نقلها بتحفّظ فقال: هَذَا مَالِكٌ، يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا، يَقُولُ: « وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ ». والتحفّظ يبدو من استعماله كلمة يزعم، بدل يحدّث أو يقول.

وهذا منهج رصين من معاوية الذي عرف بكراهته الإكثار من الرواية، وحرصه على التثبّت في الأخبار، ولاسيما أنّ معاذ بن جبل كان قد تُوفي سنة 17 أو 18 للهجرة.

وظاهرُ خبرِ الأصل يدلُّ على أنّ خطبة معاوية كانت زمن خلافه مع عليّ ﷺ أو ما بعد ذلك.

وما يعنينا هو طريقة تعامل معاوية مع زيادة مالك، وكيف وظّفها في خدمة موقفه وموقعه بذكاء وألمعيّةٍ.

---

(١)لسان الميزان (6/ 126).

(٢)تقريب التهذيب (ص 608).

(٣) المعرفة والتاريخ (2/ 296) تحقيق : د أكرم العُمَري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1 ، 1981م.

(٤) يُنظر سير أعلام النبلاء (19/ 341)، تقريب التهذيب (ص 330).

ثانيًا: التوظيف لهجرة النبيّ ﷺ وقتل عثمان رضي الله عنه:

أخرج الطبرانيّ عن أبي ميمونة[١] قال: قال معاوية بن أبي سفيان: إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَخْرَجُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلا تَكُونُ فِيهِمُ الْخِلافَةُ، وَإِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَتَلُوا عُثْمَانَ رضي الله عنه فَلا تَعُودُ الْخِلافَةُ فِيهِمْ أَبَدًا[٢].

ووجه التوظيف السياسيّ هو صرف الخلافة عن أهل مكّة والمدينة، وهذا ما لم يرد به نصٌ شرعيٌّ، وإنما هو استنباط ضعيف، يردّه حكم عبد الله بن الزبير معظم أصقاع الدولة الإسلاميّة سنوات عدّة.

والخبر سحب لشرعية الخلافة عن أهل مكّة وأهل المدينة، لتبقى الخلافة في الشام، في بني أميّة، وهو تسويغ أيضًا لجعل دمشق عاصمةً للخلافة الأمويّة بدلًا من المدينة أو مكّة.

غير أنّ سند هذا الخبر ضعيف لعلّتين:

الأولى: عنعنة قتادة بن دعامة السدوسيّ عن أبي ميمونة، وقتادة ثقة ثبت غير أنّه مدلّس[٣] لم يصرّح بالسماع.

والثانية: ضعف الراوي عن قتادة وهو سعيد بن بشير الأَزْدِيُّ ، فقد اختلفوا فيه فوثّقه جماعة، وضعّفه آخرون[٤]، وجزم ابن حجر فقال: ضعيف[٥] .

فهذا الخبر غريب ضعيف. ولا يثبت عن معاوية، ولعلّه مما حُكي على لسانه لاحقًا، لا على سبيل التوظيف، بل على سبيل التبرير ليكون تبريرًا لخروج الخلافة من الحجاز إلى الشام.

---

(١) أبو ميمونة الفارسي المدني الأبّار قيل اسمه سليم وقيل سلمان وقيل أسامة ، قال ابن معين: أبو ميمونة الأبار صالح وقال العجلي: سليم بن أبي ميمونة مدني تابعي ثقة ، وقال النسائي: أبو ميمونة ثقة. يُنظر تهذيب التهذيب (12 /277).ووثّقه ابن حجر تقريب التهذيب (ص 677).

(٢)المعجم الكبير (19 /358) رقم(839).

(٣) ميزان الاعتدال (3 /385).

(٤) يُنظر سير أعلام النبلاء (13 /345).

(٥)تقريب التهذيب (ص 234).

ثالثًا: توظيف مروان طريقة استخلاف أبي بكر لعمر لتمرير بيعة يزيد:

في صحيح البخاري عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايَع له بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن ابن أبي بكر[١] شيئًا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا فقال مروان إنّ هذا الذي أنزل الله فيه {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي}[الأحقاف: 17]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري [٢].

وثمّة روايات ضعيفة للخبر فيها تفصيل بعض ما أجملته رواية الصحيح كجواب عبد الرحمن بن أبي بكر لمروان، فقد روي أنّه قال له: ((جئتم بها هرقليّة وفوقيّة ! تبايعون لأبنائكم؟))[٣].

ورُوي أنّه قال:((يا مروان إنّما هي هرقليّة كلمّا مات هرقل كان هرقل مكانه ؛ ما لأبي بكر لم يستخلفني، وما لعمر لم يستخلف عبد الله))[٤].

وجميع هذه الروايات من طريق محمّد بن زياد .قال الذهبي: محمد بن زياد لم يدرك عائشة، فهو منقطع[٥] . ولكن له شاهد رواه البزّار مختصرًا بإسناد حسن عن عبد الله البهيّ مولى الزبير[٦].

وفي جميع هذه الروايات نجد أنّ مروان لم يمتلك الحجّة للرد على عبد الرحمن سوى استعمال القوّة أو ذمّ عبد الرحمن بما ليس فيه، وأظن أن ذلك جاء نتيجة الصدمة التي أحدثها

---

(١) من سادات قريش وأشدِّهم وأسدِّهم رمياً ، أسلم قبل الفتح ثم لم يُحفظ عليه كذبة منذ أسلم، وأبلى يومَ اليمامة بلاءً حسنًا، وكان فيه مع دينه وصلابته دعابة حسنة، وكانت وفاته سنة أربع، أو خمس أو ست وخمسين، ودفن بمكة. يُنظر "سير أعلام النبلاء" (471/2).

(٢)صحيح البخاري (4 /1827)في التفسير؛ باب: سورة حم الدخان رقم (4550).

(٣) معجم الصحابة للبغوي (4 /416).

(٤) تاريخ دمشق (35 /35).

(٥)إتحاف المهرة لابن حجر (17 /522).

(٦) مسند البزار (البحر الزخار) (6 /241) (2273)، ويُنظر مجمع الزوائد (5 /435).

اعتراض عبد الرحمن، ولكن يبدو أنّ مدّة أخذ البيعة ليزيد أعطت مروان فرصة التفكير في حجّة تردّ هكذا اعتراض، وهذا ما حدث بالفعل فقد رُوي من طريق محمّد بن زياد أنّه لما بايع معاوية لابنه يزيد، قال مروان: سنّة أبي بكر وعمر، فقال: عبد الرحمن بن أبي بكر: سنّة هرقل وقيصر[١].

من المعلوم أنّ أبا بكر استشار واستخار فيمن يخلفه فوقع اختياره على عمر فبايع له المسلمون في حياته[٢]، فوظّف مروان هذه الطريقة في الاستدلال على صحّة استخلاف يزيد ابن معاوية، ولكنّ عبد الرحمن رفض استدلاله وأجابه بأنها سنّة هرقل وقيصر، لأنّ أبا بكر لم يستخلف أحدًا من أولاده، ولأنّ عمر لم يفعل ذلك أيضًا؛ فاستدلاله قياس مع الفارق، ولذا فهو فاسد غير مقبول.

رابعًا: توظيف حديث في ذمّ عبد الله بن الزبير لتسويغ انتهاك حرمة مكّة من قبل الحجاج.

أخرج أحمد والبزّار في مسنديهما عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ : قَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ حِينَ حُصِرَ: إِنَّ عِنْدِي نَجَائِبَ قَدْ أَعْدَدْتُهَا لَكَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَحَوَّلَ إِلَى مَكَّةَ فَيَأْتِيَكَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَكَ ؟ قَالَ: لَا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ : « يُلْحَدُ بِمَكَّةَ كَبْشٌ مِنْ قُرَيْشٍ، اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ، عَلَيْهِ مِثْلُ نِصْفِ أَوْزَارِ النَّاسِ » [٣].

هذا الحديث المرويّ عن عثمان رضي الله عنه سوف يوظّفه الحجّاج لاحقًا في تسويغ قتاله لابن الزبير، وانتهاك حرمة مكّة المكرّمة. فقد أخرج الحاكم في مستدركه بسند صحيح رجاله رجال الشيخين عن أبي الصديق[٤] أنّه قال:«لما ظفر الحجاج على ابن الزبير فقتله ومثّل به، ثم دخل على أمّ عبد الله– وهي أسماء بنت أبي بكر– فقالت: كيف تستأذن عليّ، وقد قتلت ابني؟! فقال: إنّ ابنك ألحد في حرم الله فقتلته مُلحدًا عاصيًا حتى أذاقه الله عذابًا أليمًا وفعل

---

(١)سنن النسائي الكبرى (6 /458) رقم (11491)، المستدرك على الصحيحين (528/4)رقم (8483).

(٢)تاريخ الطبري (2 /352).

(٣)مسند أحمد (1 /507-508) رقم (461)، مسند البزار (البحر الزخار) (2 /31)رقم(375)

(٤) بكر بن عمرو وقيل بن قيس أبو الصديق الناجي بصريّ ثقة مات سنة ثمان ومائة ع .تقريب التهذيب (ص 127).

به وفعل. فقالتْ: كذبتَ يا عدو الله وعدو المسلمين، والله لقد قتلته صوّامًا قوّامًا برًّا بوالديه حافظًا لهذا الدين، ولئن أفسدت عليه دنياه لقد أفسد عليك آخرتك، ولقد حدّثنا رسول الله - ﷺ - أنّه يخرج من ثقيف كذابان الآخر شرٌّ من الأول وهو المُبير. وما هو إلا أنت يا حجاج »[١] .

ومع أنّ الحجّاج لم ينصّ في كلامه على حديث عثمان إلا أن ألفاظه تشير إلى رسوخ معنى هذا الحديث في ذهنه.

ولكن لابدّ من التذكير بأنّ سند حديث عثمان ضعيف، ومتنه منكر.

قال ابن كثير بعد أن أورد الحديث من " المسند ": « وهذا الحديث منكر جدًّ ا، وفي إسناده ضعف، ويعقوب القمي فيه تشيّع، ومثل هذا لا يقبل تفرّده به، وبتقدير صحّته فليس هو بعبد الله بن الزبير، فإنّه كان على صفات حميدة، وقيامه بالإمارة إنّما كان لله عزّ وجلّ، ثم هو كان الإمام بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة، وهو أرشدُ من مروان بن الحكم، حيث نازعه بعد أن اجتمعت الكلمةُ عليه، وقامت له البيعة في الآفاق، وانتظم له الأمر» [٢].

قلتُ وهذا من أهمّ الأدلة على انتشار الأحاديث الباطلة بدوافع سياسيّة في مرحلة مبّكرة من تاريخ الأمّة الإسلاميّة، وهو ما أشار إليه ابن سيرين رحمه الله عندما قال: «كانوا لا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنّة فيؤخذ حديثهم، وإلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[٣].

وأكتفي بهذه الأمثلة على استعمال التوظيف السياسيّ لبعض الأحاديث والأخبار في العصر الأمويّ.

---

(١) المستدرك على الصحيحين (570/4) ،في كتاب الفتن والملاحم رقم 8601 .

(٢) البداية والنهاية (8/ 374).

(٣)صحيح مسلم – المقدمة(1/ 12)، ويُنظر العلل ومعرفة الرجال(2/ 559)، توجيه النظر إلى أصول الأثر (2/ 559).

الفصل الثالث:

أثر العصر الأموي في الحديث روايةً

يأتي هذا الفصل ليبحث أثر العصر الأمويّ في الحديث من جهة الرواية ويناقش في دراسة نقديّة المباحث التالية:

أولًا: دور الأمويّين في الرواية الشفاهيّة

ثانيًا: المشروع الرسميّ الأوّل لتدوين الحديث

ثالثًا: أثر السلطان الأمويّ في كتم الحديث

المبحث الأوّل: دور الخلافة الأمويّة في الرواية الشفاهيّة:

لقد ازدهرت الرواية الشفاهيّة للحديث في العصر الأمويّ، لأسباب عدّة أهمها:

- الاحتياج إلى سنن النبيّ ﷺ وهديه.
- إقبال التابعين وأتباع التابعين على تلقي الأحاديث النبويّة، وروايتها.
- دخول كثير من الشعوب والأمم في الإسلام، وشوق كثير منهم إلى التعرّف على أدقّ التفاصيل عن صفات النبيّ ﷺ، وسمته، وهديه.
- ظهور الفرق العقديّة والأحزاب السياسية واحتياج كل فرقة إلى الأحاديث التي يحتجّ بها على الفرق الأخرى.
- ظهور الآراء الضالّة، والأفكار المنحرفة، مما دفع المحدّثين من الصحابة وغيرهم إلى إظهار الحقّ برواية الأحاديث عن النبيّ ﷺ.
- الخلاف الفقهي بين العلماء ، والانتصار للمذهب بما يصلح للاحتجاج به من أحاديث.

وقد كان للأمويّين وولاتهم في العصر الأمويّ مشاركة واسعة في الرواية الشفاهيّة، ولاسيما في الصدر الأوّل للخلافة الأمويّة، وفي هذا المبحث سوف نعرض سريعًا للرواة من بني أميّة من خلفاء وأمراء وولاة.

المطلب الأوّل: الرواة من خلفاء بني أميّة وأبنائهم:

أ – الرواة من خلفاء بني أميّة:

ليس ثمّة دليلٌ أوضح على اهتمام الدولة الأمويّة بالرواية من أن يكون في خلفائهم من يروي أحاديث النبيّ ﷺ، مع انشغالهم بأعباء الخلافة، والفتن التي ماجت في عصرهم، وهو في الوقت نفسه دليلٌ على ردّ جميع التّهم الموجّهة إليهم في ترك السنن، أو إهمالها، فضلًا عن كتمها. وسوف أعرض لمن عُرف بالرواية منهم:

أولًا– معاوية بن أبي سفيان:

يُعدّ معاوية ﵁ من الصحابة الذين نالوا شرف الرواية عن رسول الله ﷺ ، ومردّ ذلك إلى ملازمته لرسول الله ﷺ بعد فتح مكة ، لكونه صهره وكاتبه ، هذا وقد روى معاوية (مائة وثلاثة وستين حديثاً) عن رسول الله ﷺ[١]، واتفق البخاري ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة[٢].

حدّث عنه من الصحابة : عبد الله بن عباس، وأبو سعيد الخدري ، وأبو الدرداء ، وجرير بن عبد الله، والنعمان بن بشير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ووائل بن حجر ، وعبد الله بن الزبير .

ومن التابعين : سعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص، وعروة بن الزبير، ومحمّد بن الحنفية، وعيسى بن طلحة، وحميد بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وسالم بن عبد الله بن عمر، والقاسم بن محمّد وآخرون[٣] .

وقد بيّنت في رسالة الماجستير أنّ كلّ التهم التي تحاول النيل من عدالته ﵁ تسقط أمام التتبع الدقيق لمروياته، فعدالة معاوية تجلّت من خلال مروياته لتكشف عن امرئ يأبى عليه دينه أن يكذب على نبيّه محمّد ﷺ مع كثرة مُصدّقيه ، وعدم تهمتهم له ، وما حال بينه وبين

---

(١) يُنظر أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من العدد لابن حزم (ص55) رقم الترجمة 26 .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (3 / 162) .

(٣) يُنظر معرفة الصحابة لأبي نُعيم (5 / 2497 – 2498) .

ذلك إلا عدالة حجزته عن الكذب، واختلاق الأحاديث على رسول الله ﷺ.

وبالفعل فقد تتبّع ابن الوزير في كتابه (العواصم والقواصم) [١] روايات معاوية في الكتب الستة وهي نحو (60) رواية، فلم يجد فيما صحّ عنه ما يوجب الريبة والتهمة ولا بما يخالف الشريعة وقواعدها، أو أنّه تفرّد برواية فيها نقضُ سنّةٍ من السنن، أو مخالفةٌ لروايات غيره من الصحابة.

ثمّ قرّر خلاصةً مهمّة في ذلك فقال: ((ولو لم يدلّ على ذلك إلا أنّ معاوية لم يروِ شيئاً قطّ في ذمّ عليّ - رضي الله عنه-، ولا في استحلال حربه ، ولا في فضائل عثمان- رضي الله عنه-، ولا في ذمّ القائمين عليه، مع تصديق جنده له، وحاجته إلى تنشيطهم بذلك، فلم يكن منه في ذلك شيء على طول المدّة، لا في حياة عليّ ولا بعد وفاته، ولا تفرّد برواية ما يُخالف الإسلام ويهدم القواعد، ولهذا روى عن معاوية غير واحد من أعيان الصّحابة والتّابعين؛ كعبد الله بن عبّاس، وأبي سعيد الخدريّ، وعبد الله بن الزّبير، ...))[٢].

قلت: ومما يدلّ على مكانته في الرواية أنّ مخالفيه في السياسة رووا عنه كابن عباس وابن الزبير، وقد روى عنه كذلك محمّد بن عليّ بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية.

ثانيًا: يزيد بن معاوية:

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأمويّ : روى عن أبيه وعنه ابنه خالد وعبد الملك بن مروان، وقد نصّ علماء الجرح والتعديل على أنّه مقدوحٌ في عدالته، وليس بأهل أن يروى عنه، وقال أحمد بن حنبل: لا ينبغي أن يُروى عنه[٣].

وهذا -والله- دليل على نزاهة المحدّثين وعلماء الجرح والتعديل، فلو كان قبولهم رواية معاوية بدافع العصبيّة لبني أميّة، أو بتأثير من سلطان بني أميّة لكانوا قبلوا رواية يزيد، ولكنّهم حكموا بميزان العدل والإنصاف فقبلوا رواية والده، وردّوا روايته، وقبلوا رواية بعض أبنائه وردّوا بعضها كما سنرى.

ولكن من الإنصاف أن نذكر أنّ مجرد إسهام يزيد في الرواية للحديث تكفي للدلالة

---

(١) يُنظر العواصم والقواصم (3/163-207).

(٢) الروض الباسم (2/ 119-120).

(٣) يُنظر تهذيب التهذيب (11/ 316)، لسان الميزان (6/ 293).

على احتجاج يزيدَ به، وهو دليل إسلامه، وفيه ردّ على كلّ الروايات التاريخية الباطلة التي تنسبه إلى الكفر بالرسالة الإسلاميّة، وتصفه بالحقد على النبيّ ﷺ وآل بيته الكرام رضوان الله عليهم.

فقد روى عن والده حديث : «من يردِ الله به خيرًا يفقّه في الدين » ، و حديث آخر في الوضوء، و قد عدّه أبو زرعة الدمشقي[١] في الطبقة التي تلي الصحابة، وهي الطبقة العليا. وقال: له أحاديث[٢].

ثالثًا- مروان بن الحكم:

وهو مختلف في صحبته[٣]، فقد قال البخاري :إنّه لم يرَ النبي ﷺ [٤]، **وقال الواقدي: رأى النبي ﷺ ولم يحفظ عنه شيئًا**[٥]، وعلى فرض ثبوت رؤيته للنبي ﷺ ، فإنّ له بذلك أدنى درجات الصحبة، لأنّه رآه عام الفتح أو سنة حجة الوداع وهو ابن ثماني سنين فما دون، ورؤية الصبيان تجعل الصحبة في أدنى درجاتها .

وعلى هذا فمن تساهل من العلماء في الكلام فيه ، فإنما لأنّه لم تثبت صحبته لديه فعدّه من طبقة كبار التابعين.

وفي حال عدم ثبوت الصحبة يلزم لقبول روايته أن يوثّقه العلماء.

وتوثيق العلماء له يُستدل عليه من وجهوه:

١ - شهرته بالرواية مع ترك النكير عليه ورواية الكبار عنه.

---

(١)عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو النصري شيخ الشام في وقته (ت:281هـ). يُنظر تهذيب التهذيب (6/ 215).

(٢) يُنظر البداية والنهاية (8/ 248).

(٣) صرّح الطبراني بأنه من تابعي المدينة بقوله: " من روى عن معاوية من تابعي المدينة مروان بن الحكم عن معاوية " المعجم الكبير (319/19) ، و لم يذكر ابن حزم اسمه في أسماء الصحابة وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (351/4-353) ولكن صرّح بعدم رؤيته للنبي ﷺ . في حين ذكره من صنف في تراجم الصحابة كابن عبد البرّ وابن حجر وذكروا الاختلاف فيه.

(٤) تهذيب التهذيب (10 / 82).

(٥) التعديل والتجريح (2 /731).

٢ – التوثيق الصريح .

٣ – الاحتجاج بروايته في الحديث، وآرائه في الفقه.

أما الوجه الأول: فقد اشتهر بالرواية إذ روى عن جماعة من الصحابة :

عن زيد بن ثابت وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وبسرة بنت صفوان ﭫ.

وروى عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث من التابعين .

وروى عنه سهل بن سعد الساعدي ﭬ **وهو صحابي جليل.**

وروى عنه جماعة من خيار التابعين: سعيد بن المسيب ، وعليّ زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعروة بن الزبير ؛كما روى عنه ابنه عبد الملك بن مروان ابن الحكم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ومجاهد بن جبر وغيرهم[١]..

و لم يُؤثر عن أحد منهم النكران عليه أو تكذيبه، بل مجرد روايتهم عنه يعدّ عند بعض أهل العلم توثيقًا للراوي[٢].

ولو كان الرجل كما يحلو لبعضهم أن يصوّره مجرّدًا عن الدِّين والأخلاق، لكان مجرّد أخذ العلم عنه جريمة بحقّ هؤلاء بما فيهم سعيد بن المسيب وعلي زين العابدين وهما حيث علمت جلالةً وعلمًا ودينًا.

أما الوجه الثاني: فقد ثبت توثيقه عن بعض أهل العلم منهم عروة بن الزبير رحمه الله، فقد قال فيه: ((**وما إخاله يتّهم علينا**))[٣]، و ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب بلفظ: ((**كان مروان لا يتّهم في الحديث**))[٤]؛ وهو أعمّ وأشمل، ولهذا قال ابن خلدون: ((وأمّا مروان فكان من الطبقة الأولى من التابعين، وعدالتهم معروفة)).

---

(١) يُنظر سير أعلام النبلاء (3/ 476– 477).

(٢) يُنظر الكفاية للخطيب ص 89 ، فقد ردّ على هذا القول ودافع عن القول الراجح عند المحدثين بأن رواية الثقة عن غيره لا تعتبر توثيقًا له.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (1/ 504) رقم (455) في مسند عثمان ﭬ.

(٤)تهذيب التهذيب(82/10).

الوجه الثالث: الاحتجاج بروايته في الحديث وآرائه في الفقه:

أهمّ ما يشير إلى عدالته وفضله إخراج حديثه في معظم دواوين السنّة بما فيها صحيح البخاري. قال ابن حجر: وقد اعتمد حتى مالك على حديثه ورأيه(١).

وهذه آراؤه في الموطأ حجّة يحتجّ بها مالك رحمه الله في مذهبه(٢).

فقد روى في الموطأ عن ابن شهاب أنّ مروان بن الحكم كان يقضي في الذي يطلّق امرأته البتة أنها ثلاث تطليقات. قال مالك: وهذا أحبّ ما سمعت إليّ في ذلك.(٣)

وقد تتبّعت روايته في الكتب التسعة فوجدتها تسعة أحاديث؛ لا أثر فيها لكذب أو شذوذ، وهي دليل على أنّ المحدّثين عندما قالوا بعدالته ، إنما قالوا ذلك عن علم بأنّ الرجل ما كذب على رسول الله ﷺ ، ولا على أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ ، ولذا أخرج البخاري له في صحيحه، ورواياته أصدق شاهد على صدق الرجل فيما نقل(٤).

رابعًا– عبد الملك بن مروان:

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة القرشيّ الأمويّ أبو الوليد المدني ثم الدمشقي أمير المؤمنين، بويع له بالخلافة بعد أبيه مروان بن الحكم بعهد منه.

وقد كان قليل الحديث ، روى عن جابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأبي بحرية عبد الله بن قيس ، وعثمان بن عفان ، وأبيه مروان بن الحكم ، ومعاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة ، وبريرة مولاة عائشة، وأم سلمة زوج النبي ﷺ.

روى عنه جماعة منهم: إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، وخالد بن معدان ، ورجاء ابن حيوة ، وعروة بن الزبير ، وابنه محمد بن عبد الملك بن مروان ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري وأخرج له البخاري في الأدب المفرد (٥).

---

(١)مقدمة الفتح (ص: 443).

(٢) يُنظر مثلًا رأيه فيما لفظ البحر، وفي صيد المجوسيّ للحيتان الموطأ – رواية يحيى الليثي (2/ 495).

(٣)الموطأ – رواية يحيى الليثي (2/ 551).

(٤)رسالة الماجستير" عدالة الصحابة وأثرها في رواية الحديث" ص370 .

(٥)تهذيب الكمال (18/ 408-409)، تهذيب التهذيب (6/373- 374).

خامسًا– عمر بن عبد العزيز بن مروان:

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس القرشيّ الأمويّ أبو حفص المدني ثم الدمشقي أمير المؤمنين .

روى عنه أنس، والسائب بن يزيد، وعبد الله بن جعفر، ويوسف بن عبد الله بن سلام، وخولة بنت حكيم ، وعقبة بن عامر الجهني ، والربيع بن سبرة الجهني ، وعروة بن الزبير وجماعة. وعنه أبو سلمة بن عبد الرحمن وهو من شيوخه وابناه عبد الله وعبد العزيز ابنا عمر بن عبد العزيز، وأخوه زبّان بن عبد العزيز، وابن عمه مسلمة بن عبد الملك بن مروان، وأبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، والزهري، وخلق.

وكان ثقة مأمونًا [١] له فقه وعلم وورع ، وروى حديثًا كثيرًا ، وكان إمام عدل ، وقد أخرج له الجماعة[٢].

ب – أبناء الخلفاء والأمراء من بني أميّة:

أولًا– أبناء يزيد بن معاوية: وهم ثلاثة: معاوية الخليفة، وخالد، وعبد الرحمن.

وقد شهد أبو زرعة الدمشقي لأبناء يزيد بالصلاح فقال: معاوية وعبد الرحمن وخالد بنو يزيد بن معاوية كانوا صالحي القوم[٣]. **عرف منهم اثنان برواية الحديث:**

-**خالد بن يزيد** بن معاوية أبو هاشم الدمشقي : روى عن أبيه ودحية الكلبي وعنه الزهري ورجاء بن حيوة وعلي بن رباح وعبيد الله بن العباس وغيرهم ، قال أبو حاتم : هو من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام، وهو صدوق مذكور بالعلم، مات سنة تسعين، ذكره ابن حبّان في الثقات[٤]، وأخرج له أبو داود [٥].

-**عبد الرحمن بن يزيد** بن معاوية: روى عن أبيه وثوبان ، وعنه محمد بن قيس القاص المدني، وعبد الله بن عبد الرحمن أبو طوالة ، وأبو حازم المدني ، وأبو أمية عبد الكريم بن أبي

---

(١) يُنظر التاريخ الكبير (6/ 174)، الثقات لابن حبّان (5/ 151).

(٢)تهذيب التهذيب (7/ 418).

(٣) المرجع السابق.

(٤)الثقات لابن حبّان (6/ 264).

(٥)سير أعلام النبلاء (4/ 382)، تهذيب التهذيب (3/ 110).

المخارق وغيرهم، قال مصعب الزبيري : كان رجلًا صالحًا ، ذكره ابن حبّان في الثقات [١]، وقال ابن حجر: صدوق[٢]، أخرج له النسائي وابن ماجة[٣].

ثانيًا– أبناء مروان بن الحكم:

- **الخليفة عبد الملك** وقد سبق ذكره.

-**عبد العزيز بن مروان** بن الحكم أبو الأصْبَغ أمير مصر وأخو الخليفة عبد الملك ولّاه أبوه على مصر فأقام بها أكثر من عشرين سنة ، وكان صدوقًا، مات بعد الثمانين. روى عن أبيه وأبي هريرة وابن الزبير وعقبة بن عامر ؛ وعنه ابنه عمرو وعلي بن رباح وكثير بن مرة ، وكعب بن علقمة، وبحير بن ذاخر، وعبيد الله بن مالك الخولاني والوليد بن قيس، والزهري. قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث ، وقال النسائي : ثقة وذكره ابن حبّان في الثقات ، وأخرج له أبو داود[٤].

-**مُحَمَّدُ بنُ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ الأُمَوِيُّ**: أَمِيْرُ الجَزِيْرَةِ، حَدَّثَ عَنْ أَبِيْهِ. ورَوَى عَنْهُ: ابْنُهُ مَرْوَانُ الحِمَارُ، وَالزُّهْرِيُّ، وَكَانَ مُفْرِطَ القُوَى، شَدِيْدَ البَأْسِ، مَوْصُوْفاً بِالشَّجَاعَةِ [٥]، قال علماء الجرح: مجهول [٦]، والمراد بالجهالة التي فيه جهالة العدالة و إلّا فنسبه معروفٌ، وكان من خير الأمراء من بني أمية، واظب الجهاد، وقاتل خوارج الجزيرة، توفي سنة إحدى ومائة للهجرة[٧].

ثالثًا– أبناء عبد الملك بن مروان:

-**مَسْلَمَةُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ الأُمَوِيُّ**: الأَمِيْرُ الضِّرْغَامُ، قَائِدُ الجُيُوْشِ، أَبُو سَعِيْدٍ،

---

(١)الثقات لابن حبّان (5/ 115).

(٢)تقريب التهذيب (ص: 353).

(٣) يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (5/ 49)، تهذيب التهذيب (6/ 268).

(٤) يُنظر التاريخ الكبير (6/ 8)، الثقات لابن حبّان (5/ 122)، تهذيب التهذيب (6/ 317)، تقريب التهذيب (ص: 359).

(٥)سير أعلام النبلاء (5/ 148).

(٦) يُنظر الجرح والتعديل (8/ 85)، ميزان الاعتدال (4/ 33)، لسان الميزان (5/ 375).

(٧) يُنظر ترجمته في التاريخ الكبير (1/ 231)، سير أعلام النبلاء (5/ 148)، لسان الميزان (5/ 375).

وَأَبُو الأَصْبَغِ الأُمَوِيُّ، الدِّمَشْقِيُّ. لَهُ مَوَاقِفُ مَشْهُوْدَةٌ مَعَ الرُّوْمِ، وَهُوَ الَّذِي غَزَا القُسْطَنْطِيْنِيَّةَ، وَكَانَ مَيْمُوْنَ النَّقِيْبَةِ، وَقَدْ وَلِيَ العِرَاقَ لأَخِيْهِ يَزِيْدَ، ثُمَّ أَرْمِيْنِيَةَ. مَاتَ مَسْلَمَةُ سَنَةَ عِشْرِيْنَ وَمائَةٍ. روى عن ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، وعنه أبو وقد صالح بن محمد الليثي ، وعبد الملك بن أبي عثمان ، وعبيد الله بن قزعة ، وَمُعَاوِيَةُ بنُ صَالِحٍ ، وعتبة بن أبي عمران الهلالي ويَحْيَى بنُ يَحْيَى الغَسَّانِيُّ، وذكره ابن حبّان في الثقات [1]، وقال ابن حجر: مقبول [2]، وَلَهُ حَدِيْثٌ فِي (سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ) [3].

-**سعيد بن عبد الملك بن مروان** : سمع مسلمة الجهني، يروي عن المدنيّين، روى عنه هشام بن عروة وأهل المدينة، وكان يقال له سعيد الخير، ذكره ابن حبّان في الثقات، وترجم له البخاري في التاريخ الكبير، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل[4].

-**محمد بن عبد الملك:** أمّه أمّ ولد، وكان يسكن الأردن وغلب عليه حين قتل الوليد ابن يزيد، ثم بايع ليزيد بن الوليد ، وكان محمد ناسكًا ، روى عن أبيه ، وروى عنه زيد بن واقد، والأوزاعي، ومعبد مولى الوليد بن المغيرة ، وحكى عنه عمرو بن دينار وهو أكبر منه[5].

خامسًا- أبناء عمر بن عبد العزيز:

-**عبد العزيز بن عمر** أبو محمد المدني الأمير كان أمير مكة والمدينة : روى عن أبيه ويحيى بن إسماعيل بن جرير وصالح بن كيسان ونافع مولى ابن عمر والربيع بن سبرة وخلق غيرهم، وعنه إبراهيم بن أبي عبلة ، وإبراهيم بن أبي ميسرة الطائفي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري وهم أكبر منه، وشعبة، ويونس بن أبي إسحاق، وابن جريج ومحمد بن بشر وأبو نعيم وغيرهم، وثّقه ابن معين وأبو داود، وقال النسائي: ليس به بأس عامة، وذكره ابن حبّان في الثقات وقال : يخطئ، يُعتبر حديثه إذا كان دونه ثقات ، وقال ابن حجر: صدوق

---

(١)الثقات لابن حبّان (7/ 490).

(٢)تقريب التهذيب (ص: 531).

(٣) يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (5/ 241)، تهذيب التهذيب (10/ 131).

(٤) يُنظر التاريخ الكبير (3/ 497)، الجرح والتعديل (4/ 44)، الثقات لابن حبّان (6/ 369).

(٥)تاريخ دمشق (54/ 144).

يخطىء، مات بعد سنة سبع وأربعين ومائة، وقد أخرج له الجماعة[١] .

-**عبد الله بن عمر** : الأمير وَلِيَ الكوفة ليزيد بن الوليد وروى عن أبيه ، وعبد الله بن عياض، وروى عنه شعبة وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ويزيد بن عثمان وابنه بشر بن عبد الله وعبد الرحمن بن عبد الله المسعودي ، وقد روى في فضائل الصحابة بسنده إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ صعد حراء فارتجّ بهم فقال رسول الله ﷺ: «اسكن حراء فما عليك إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد » وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد. فهذا دليل عمليّ على الأمويّين كانوا يروون في فضائل عليّ وغيره من الصحابة رضي الله عنهم. وقد ذكره ابن حبّان في الثقات، وقتله مروان بن محمّد آخر ملوك بني أميّة بعد سنة 130هـ[٢].

-**عاصم بن عمر**: يروي عن أبيه، وروى عنه برد أبو العلاء وحماد الأبح[٣].

-**إبراهيم بن عمر** : يروي عن أبيه، وابن شهاب الزهري، روى عنه بشر بن عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز واللّيث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة وحديثه في الشاميين[٤].

-**يزيد بن عمر** : حدّث عن أبيه عن أبي سلمة ، وقيل: إنّه روى عن أبي سلمة ، روى عنه معاوية بن إسحاق، وأبو عائشة السعدي[٥] .

-**عبيد الله بن عمر**: حدّث عن الربيع بن سبرة، روى عنه عبد ربه بن سعيد أخو يحيى ابن سعيد الأنصاريّ المدنيّ ، و لم أجد ذكره في كتاب النسب و لم يذكره البخاري ولا ابن

---

(١) يُنظر التاريخ الكبير (6/ 21)، الثقات لابن حبّان (7/ 114)، التعديل والتجريح (2/ 899)، من تُكلِّم فيه وهو موثّق (ص: 123)، تهذيب التهذيب (6/ 312)، تقريب التهذيب (ص: 358).

(٢) يُنظر التاريخ الكبير (5/ 145)، الثقات لابن حبّان (8/ 330)، الجرح والتعديل (5/ 107)، تاريخ دمشق (31/ 216).

(٣) يُنظر التاريخ الكبير (6/ 478)، الثقات لابن حبّان (8/ 505)، تاريخ دمشق (25/ 271).

(٤)التاريخ الكبير (1/ 308)، الثقات لابن حبّان (6/ 24-25)، تاريخ دمشق (7/ 83).

(٥) يُنظر تاريخ دمشق (65/ 322).

أبي حاتم(١).

المطلب الثاني: الرواة من الأمراء والولاة من بني أميّة وأبنائهم:

١ - **يحيى بن الحكم بن أبي العاص الأمويّ:** أخو مروان بن الحكم ، حدّث عن معاذ ابن جبل، روى عنه سلمة بن أسامة وسكن دمشق وولّاه ابن أخيه عبد الملك المدينة ثم ولّاه حمص(٢).

٢ - **أبناء عبد العزيز بن مروان:(أمير مصر)**

- **الخليفة عمر بن عبد العزيز:** وقد سبق ذكره.
- **زبّان بن عبد العزيز بن مروان** : يروي المراسيل، روى عنه الليث بن سعد وأسامة ابن زيد ، ذكره ابن حبّان في الثقات، وروى له ابن عساكر في تاريخ دمشق أحاديث متصلة إلى النبيّ ﷺ في هيئة صلاة الوتر (٣).
- **جُزَي بن عبد العزيز بن مروان** : يروى عن أخيه ز بلدّ وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، روى عنه موسى بن علي بن رباح ومعاوية بن صالح الحمصي، قيل: إنّه كان حاضرًا مع مروان وهرب إلى الأندلس. ذكره ابن حبّان في الثقات(٤).

٣ - **سَعِيْدُ بنُ العَاصِ بنِ أَبِي أُحَيْحَةَ** سَعِيْدِ بنِ العَاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، بنِ قُصَيٍّ، وَالِدُ عَمْرِو بنِ سَعِيْدٍ الأَشْدَق، وَوَالِدُ يَحْيَى، القُرَشِيُّ، الأُمَوِيُّ، المَدَنِيُّ، الأَمِيْرُ. قُتِلَ أَبُوْهُ يَوْم بَدْرٍ مُشْرِكاً، وَخلَّفَ سَعِيْداً طِفْلاً.

وَلِيَ إِمْرَةَ المَدِيْنَةِ غَيْرَ مَرَّةٍ لِمُعَاوِيَةَ ، وَقَدْ وَلِي أَمْرَ الكُوْفَةِ لِعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ ، وَقَدِ اعْتَزَلَ الفِتْنَةَ، فَأَحْسَنَ، وَلَمْ يُقَاتِلْ مَعَ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ أَمِيْراً، شَرِيْفاً، جَوَاداً، مُمَدَّحاً، حَلِيماً، وَقُوراً، ذَا حَزْمٍ وَعَقْلٍ، يَصْلُحُ لِلْخِلاَفَةِ.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَهُ صُحْبَةٌ. لكنّه لَمْ يَرْوِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- وَرَوَى عَنْ: عُمَرَ، وَعَائِشَةَ،

---

(١) تاريخ دمشق (38/ 78).

(٢)تاريخ دمشق (64/ 119).

(٣) يُنظر التاريخ الكبير (3/ 444)، الثقات لابن حبّان (6/ 347)، الجرح والتعديل (3/ 616)، تاريخ دمشق (18/ 301).

(٤) يُنظر التاريخ الكبير (2/ 244)، الثقات لابن حبّان (6/ 154)، إكمال الكمال (2/ 77).

وَهُوَ مُقِلٌّ.حَدَّثَ عَنْهُ: ابْنَاهُ، وَعُرْوَةُ، وَسَالِمُ بنُ عَبْدِ اللهِ. وأخرج له مسلم والنسائيّ[١].

وفي أولاد هذا الأمير الأمويّ وأحفاده وذريّته جماعة من المحدّثين: أمّا أولاده فهم: عنبسة[٢] والأمير عمرو بن سعيد الأشدق:

٤ - **عمرو بن سعيد بن العاص** بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أبو أميّة المدني المعروف بالأشدق، الأمير، ولي المدينة لمعاوية، ولولده يزيد من بعده. ثم طلب الخلافة، وغلب على دمشق، ثم قتله عبد الملك بن مروان بعد أن أعطاه الأمان. روى عن النبيّ ﷺ مرسلًا، وعن أبيه وعن عمر وعثمان وعلي وعائشة وسيابة بن عاصم، وعنه أولاده سعيد وموسى وأمية وخثيم بن مروان السلمي ويحى بن سعيد الأنصاري وعبد الكريم أبو أميّة البصريّ.

وقد أخرج له مسلم وأبوداود في المراسيل والترمذي والنسائي وابن ماجة[٣].

وفي أولاده وأحفاده وذريته عددٌ من المحدّثين:

فأولاده سعيد[٤] وموسى[٥] وأميّة[٦]، وإسماعيل[٧] من رواة الحديث.

---

(١) يُنظر سير أعلام النبلاء (3/ 444-445).

(٢)ثقة وكان عند الحجاج بالكوفة مات على رأس المائة تقريبًا خ م د تقريب التهذيب (ص: 432)، ويُنظر ترجمته في تاريخ دمشق (47/ 3).

(٣)التاريخ الكبير (6/ 338)، تاريخ دمشق (46/ 29)، تهذيب التهذيب (8/ 33-34)، تقريب التهذيب (ص: 422).

(٤)حَدَّثَ عَنْ: أَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو، وَابْنِ عُمَرَ، وَأُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ، وَوَالِدِهِ. رَوَى عَنْهُ: بَنُوْهُ؛ عَمْرٌو، وَإِسْحَاقُ، وَخَالِدٌ، وَحَفِيْدُهُ؛ عَمْرُو بنُ يَحْيَى، وَشُعْبَةُ، وَآخَرُوْنَ. وَثَّقَهُ: النَّسَائِيُّ، وَغَيْرُهُ. وَكَانَ مِنْ سَرَوَاتِ قَوْمِهِ، وَعُلَمَائِهِم، وأخرج له الشيخان. سير أعلام النبلاء (5/ 200-201).

(٥) موسى والد أيوب، مستور، أخرج له الترمذي. تقريب التهذيب (ص: 553).

(٦) كان مع أبيه لما قتل بدمشق، ثم سكن مكّة، وروى عن أبيه وعنه ابنه إسماعيل، قلت: وذكره ابن حبّان في الثقات، وقال ابن حجر:صدوق.يُنظر تهذيب التهذيب (1/ 325) تقريب التهذيب (ص: 115).

(٧)صدوق ناسك مات بعد 130هـ، روى عن ابن عباس وعثمان بن عبد الله بن الحكم بن الحارث وغيرهم ا، وعنه شريك بن أبي نمر وسليمان بن بلال وخالد بن إلياس وغيرهم، وقال الزبير بن بكار: كان له فضل لم يتلبّس بشيء من سلطان بني أمية. وكان قليل الحديث. وذكره ابن حبّان في الثقات، وهو صاحب الأعوض والأعوض قصر بالمدينة وهو الذي قال عمر بن عبد العزيز لو كان إليّ من الأمر شيء لولّيت القاسم بن محمد أو صاحب الأعوض. تهذيب التهذيب (1/ 279)، تقريب التهذيب (ص: 109).

وأحفاده من أولاد سعيد وهم: عَمْرٌو[١]، وَإِسْحَاقُ[٢]، وَخَالِدٌ[٣]، وَحَفِيْدُهُ؛ عَمْرُو بنُ يَحْيَى[٤] من رواة الحديث.

وكذلك حفيداه من موسى: أيوب[٥] وعمران[٦] من رواة الحديث.

وحفيده من أميّة: إسماعيل[٧] من رواة الحديث أيضًا.

وهذا مشجّر بالرواة من أولاد سعيد بن العاص وأحفاده، لا يستثنى منهم غير يحيى، وجميعهم عاشوا في العصر الأمويّ.

---

(١) روى عن والده. يُنظر سير أعلام النبلاء (5/ 201).

(٢)كوفيّ ثقة، مات سنة مئة وسبعين وقيل بعدها خ م د ق. تقريب التهذيب (ص: 101).

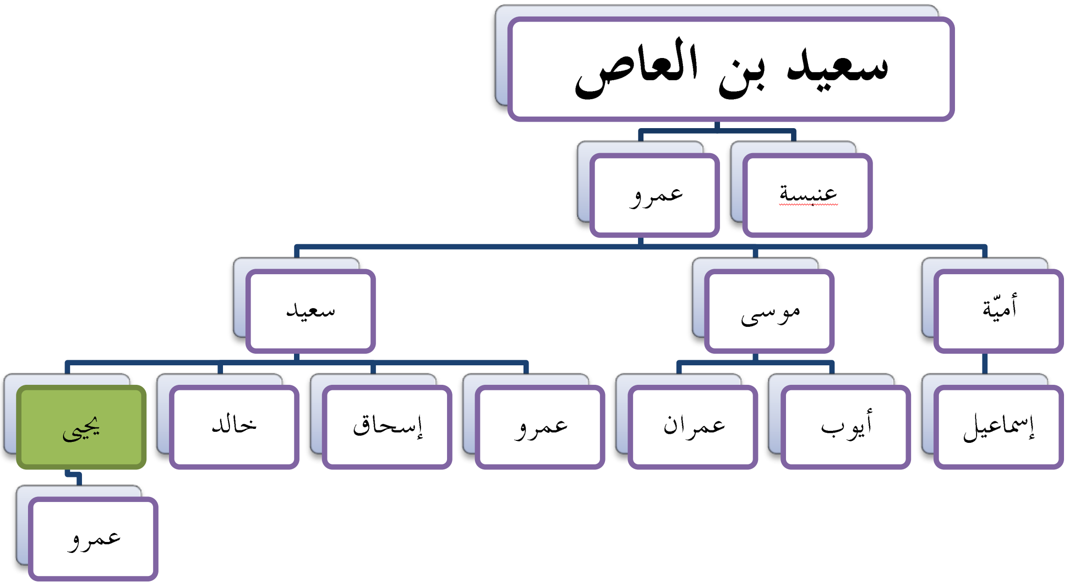
(٣)صدوق، أخرج له البخاري. تقريب التهذيب (ص: 188).

(٤) ثقة خ ق . تقريب التهذيب (ص: 428).

(٥)الإِمَامُ، المُفْتِي، حَدَّثَ عَنْ: عَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَمَكْحُوْل، وَنَافِعٍ، وَعَطَاءِ بنِ مِيْنَا، وَسَعِيْدٍ المَقْبُرِيِّ. وحَدَّثَ عَنْهُ: الأَوْزَاعِيُّ، وَرَوْحُ بنُ القَاسِمِ، وَشُعْبَةُ، وَالثَّوْرِيُّ، وَاللَّيْثُ، وَعَبْدُ الوَارِثِ، وَمَالِكٌ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ، وَابْنُ عُلَيَّةَ، وَخَلْقٌ.قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: كَانَ فَقِيْهاً، مُفْتِياً ، وَقَالَ أَحْمَدُ، وَأَبُو زُرْعَةَ: ثِقَةٌ.وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: صَالِحُ الحَدِيْثِ. قِيْلَ: تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَةٍ. سير أعلام النبلاء (6/ 135).

(٦) مقبول، أخرج له أبو داود والترمذي. تقريب التهذيب (ص: 430)، تهذيب التهذيب (8/ 125).

(٧) ثقة ثبت، مات سنة 144هـ وقيل قبلها، وأخرج له الجماعة. تقريب التهذيب (ص: 106).



والملاحظ: أنّ خروج هذه العائلة من المعترك السياسيّ إثر مقتل عمرو الأشدق صرف غالب أبنائه إلى الاشتغال بالعلم والرواية، فكان ذلك خير لهم في الدارين. على أنّني وقفت فقط على ذكر من عاش منهم في العصر الأمويّ وتركت عددًا من محدّثي هذه العائلة ممن عرفوا في الرواية في العصر العباسيّ.

٥ -**أَبَانُ بنُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ الأُمَوِيُّ المَدَنِيُّ** : الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، الأَمِيْرُ، أَبُو سَعْدٍ ابْنُ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ أَبِي عَمْرٍو الأُمَوِيُّ، المَدَنِيُّ.سَمِعَ: أَبَاهُ، وَزَيْدَ بنَ ثَابِتٍ. حَدَّثَ عَنْهُ: عَمْرُو بنُ دِيْنَارٍ، وَالزُّهْرِيُّ، وَأَبُو الزِّنَادِ، وَجَمَاعَةٌ. لَهُ أَحَادِيْثُ قَلِيْلَةٌ، أخرج له مسلم والأربعة.وَعَنْ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَعْلَمَ بِحَدِيْثٍ وَلاَ فِقْهٍ مِنْ أَبَانِ بنِ عُثْمَانَ. وَقَالَ خَلِيْفَةُ: إِنَّ أَبَاناً تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَمائَةٍ.[(١)]

٦ -**سعيد بنُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ الأُمَوِيُّ** : سمع أباه عثمان بن عفان ﷺ وطلحة بن عبيد الله ﷺ، روى عنه عبد الملك بن عمير وهانئ بن هانئ وعمرو بن نباتة وعبد الملك بن محمد ابن عمرو بن حزم وعبد الخالق بن عبد الله المروزي ، وقدم دمشق على معاوية ، وولّاه

(١)سير أعلام النبلاء (4/ 351-353).

خراسان وهو الذي فتح سمرقند[١].

٧ -**عمرو بنُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ الأُمَوِيُّ**:حدّث عن أبيه وأسامة بن زيد، روى عنه عليّ ابن الحسين، وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان ، وسعيد بن المسيب ، وكان وفد على معاوية فأغزاه أرض الروم[٢].

المطلب الثالث: الرواة من الولاة والأمراء من عمّال بني أميّة:

كان عامة ولاة معاوية على الأمصار من الصحابة أو التابعين ممن لهم رواية وأشهرهم:

١ - **راوية الإسلام أبو هريرة** ﷺ: اختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور عبد الرحمن بن صخر الدوسي حَمَلَ عَنِ: النَّبِيِّ -ﷺ- عِلْماً كَثِيْراً، طَيِّباً، مُبَارَكاً فِيْهِ، لَمْ يُلْحَقْ فِي كَثْرَتِهِ، وَعَنْ: أُبَيٍّ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأُسَامَةَ، وَعَائِشَةَ، وَالفَضْلِ، وَبَصْرَةَ بنِ أَبِي بَصْرَةَ، وَكَعْبٍ الحَبْرِ. حَدَّثَ عَنْهُ: خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ ، فَقِيْلَ: بَلَغَ عَدَدُ أَصْحَابِهِ ثَمَانِي مائَةٍ. كان معاوية إمارة المدينة، كَانَ مُعَاوِيَةُ يَبْعَثُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَى المَدِيْنَةِ، فَإِذَا غَضِبَ عَلَيْهِ بَعَثَ مَرْوَانَ، وَعَزَلَهُ[٣].

٢ - **المغيرة بن شعبة** ﷺ: ولّاه معاوية الكوفة وتوفّي وهو أميرها ، حَدَّثَ عَنْهُ: بَنُوْهُ؛ عُرْوَةُ، وَحَمْزَةُ، وَعَقَّارٌ، وَالمِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ، وَأَبُو أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ، وَقَيْسُ بنُ أَبِي حَازِمٍ، وَمَسْرُوْقٌ، وَأَبُو وَائِلٍ، وَعُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ، وَالشَّعْبِيُّ، وَأَبُو إِدْرِيْسَ الخَوْلاَنِيُّ، وَعَلِيُّ بنُ رَبِيْعَةَ

---

(١)تاريخ دمشق (21/ 220).

(٢)تاريخ دمشق (46/ 285).

(٣)يُنظر ترجمته في تاريخ دمشق (67/ وما بعدها295)، سير أعلام النبلاء (2/ 578 وما بعدها).

الوَالِبيُّ، وَطَائِفَةٌ، خَاتِمَتُهُم: زِيَادُ بنُ عِلاَقَةَ(١).

٣ - **عَمْرُو بنُ العَاصِ بنِ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ** ﷺ: **أمير مصر** وَلِيَ مصر لمعاوية سنتين ونيِّفًا، لَهُ أَحَادِيْثُ لَيْسَتْ كَثِيْرَةً؛ تَبْلُغُ بِالمُكَرَّرِ نَحْوَ الأَرْبَعِيْنَ. اتَّفَقَ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى ثَلاَثَةِ أَحَادِيْثَ مِنْهَا. وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِحَدِيْثٍ، وَمُسْلِمٌ بِحَدِيْثَيْنِ. وَرَوَى أَيْضاً عَنْ: عَائِشَةَ. حَدَّثَ عَنْهُ: ابْنُهُ؛ عَبْدُ اللهِ، وَمَوْلاَهُ؛ أَبُو قَيْسٍ، وَقَبِيصَةُ بنُ ذُؤَيْبٍ، وَأَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ، وَعُلَيُّ ابنُ رَبَاحٍ، وَقَيْسُ بنُ أَبِي حَازِمٍ، وَعُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ، وَجَعْفَرُ بنُ المُطَّلِبِ بنِ أَبِي وَدَاعَةَ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ مُنَيْنٍ، وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ مُرْسَلاً، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ شِمَاسَةَ المَهْرِيُّ، وَعُمَارَةُ بنُ خُزَيْمَةَ ابنِ ثَابِتٍ، وَمُحَمَّدُ بنُ كَعْبٍ القُرَظِيُّ، وَأَبُو مُرَّةَ مَوْلَى عَقِيْلٍ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ الأَشْعَرِيُّ، وَآخَرُوْنَ وأخرج له الجماعة.(٢)

٤ - **النُّعْمَانُ بنُ بَشِيْرٍ الأَنْصَارِيُّ** ﷺ: الأَمِيْرُ، العَالِمُ، صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ - ﷺ- كَانَ مِنْ أُمَرَاءِ مُعَاوِيَةَ؛ فَوَلاَّهُ الكُوْفَةَ مُدَّةً، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ دِمَشْقَ (1) ، ثُمَّ وَلِيَ إِمْرَةَ حِمْصَ.(مُسْنَدُهُ): مائَةٌ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ حَدِيْثاً.اتَّفَقَا لَهُ عَلَى خَمْسَةٍ، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِحَدِيْثٍ، وَمُسْلِمٌ بِأَرْبَعَةٍ ، وأخرج له الجماعة(٣).

٥ - **عُقْبَةُ بن عَامِرٍ الجُهَنِيُّ** ﷺ : شَهِدَ صِفِّيْنَ مَعَ مُعَاوِيَةَ ، وَوَلِيَ الجُنْدَ بِمِصْرَ لِمُعَاوِيَةَ، ثُمَّ عَزَلَهُ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِيْنَ، وَأَغْزَاهُ البَحْرَ. حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو الخَيْرِ مَرْثَدٌ اليَزَنِيُّ، وَجُبَيْرُ ابنُ نُفَيْرٍ، وَسَعِيْدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَأَبُو إِدْرِيْسَ الخَوْلاَنِيُّ، وَعُلَيُّ بنُ رَبَاحٍ، وَأَبُو عِمْرَانَ أَسْلَمُ التُّجِيْبِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ شُمَاسَةَ، وَمِشْرَحُ بنُ هَاعَانَ، وَأَبُو عُشَّانَةَ حَيُّ بنُ يُؤْمِنَ، وَأَبُو قَبِيْلٍ المَعَافِرِيُّ، وَسَعِيْدٌ المَقْبُرِيُّ، وَبَعْجَةُ الجُهَنِيُّ، وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ. وَكَانَ عَالِماً، مُقْرِئاً، فَصِيْحاً، فَقِيْهاً، فَرَضِيّاً، شَاعِراً، كَبِيْرَ الشَّأْنِ(٤).

---

(١)سير أعلام النبلاء (3/ 21)، تهذيب التهذيب (10/ 234)، الإصابة في تمييز الصحابة (6/ 197-199).

(٢)تاريخ دمشق (46/ 108)، سير أعلام النبلاء (3/ 54 وما بعدها)، الإصابة في تمييز الصحابة (4/ 650).

(٣)تاريخ دمشق (62/ 111-128)، سير أعلام النبلاء (3/ 411-412).

(٤) يُنظر تاريخ دمشق (40/ 486 وما بعدها)، سير أعلام النبلاء (2/ 467-468).

٦ - **سَمُرَةُ بنُ جُنْدُبِ بنِ هِلاَلٍ الفَزَارِيُّ** رضي الله عنه: مِنْ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ، نَزَلَ البَصْرَةَ. لَهُ أَحَادِيْثُ صَالِحَةٌ. حَدَّثَ عَنْهُ: ابْنُهُ؛ سُلَيْمَانُ، وَأَبُو قِلاَبَةَ الجَرْمِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ بُرَيْدَةَ، وَأَبُو رَجَاءِ العُطَارِدِيُّ، وَأَبُو نَضْرَةَ العَبْدِيُّ، وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ، وَابْنُ سِيْرِيْنَ، وَجَمَاعَةٌ.

وَكَانَ زِيَادُ بنُ أَبِيْهِ يَسْتَخْلِفُهُ عَلَى البَصْرَةِ إِذَا سَارَ إِلَى الكُوْفَةِ، وَيَسْتَخْلِفُهُ عَلَى الكُوْفَةِ إِذَا سَارَ إِلَى البَصْرَةِ. وَكَانَ شَدِيْداً عَلَى الخَوَارِجِ، قَتَلَ مِنْهُم جَمَاعَةً ، وَكَانَ الحَسَنُ وَابْنُ سِيْرِيْنَ يُثْنِيَانِ عَلَيْهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -[١] أخرج له الجماعة.

٧ - **مُعَاوِيَةُ بنُ حُدَيْجِ بنِ جَفْنَةَ بنِ قُتَيْرَةَ الكِنْدِيُّ** : الأَمِيْرُ، قَائِدُ الكَتَائِبِ، أَبُو نُعَيْمٍ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الكِنْدِيُّ، ثُمَّ السَّكُوْنِيُّ. لَهُ: صُحْبَةٌ، وَرِوَايَةٌ قَلِيْلَةٌ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -. وَرَوَى أَيْضاً عَنْ: عُمَرَ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَمُعَاوِيَةَ. حَدَّثَ عَنْهُ: ابْنُهُ؛ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَعُلَيُّ بنُ رَبَاحٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ شِمَاسَةَ المَهْرِيُّ، وَسُوَيْدُ بنُ قَيْسٍ التُّجِيْبِيُّ، وَعُرْفُطَةُ بنُ عَمْرٍو، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَالِكٍ الشَّيْبَانِيُّ، وَصَالِحُ بنُ حُجَيْرٍ، وَسَلَمَةُ بنُ أَسْلَمَ. وَوَلِيَ إِمْرَةَ مِصْرَ لِمُعَاوِيَةَ، وولده يزيد[٢].

٨ - **بُسر بن أبي أرْطاة** ، واسمه عُمير القرشي العامري أبو عبد الرحمن الشامي **مختلف في صحبته**[٣] ،كان من قادة جيوش معاوية وولي له البحر، وولّاه البصرة مدّةً، رَوَى عَنْهُ: جُنَادَةُ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَأَيُّوْبُ بنُ مَيْسَرَةَ، وَأَبُو رَاشِدٍ الحُبْرَانِيُّ. [٤]، وله حديثان فقط، **أحدهما**: «لا تُقْطَعُ الأيدِي في الغَزوِ» وهو حديث أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي[٥]،**و الحديث الثاني**: «اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ

---

(١)سير أعلام النبلاء (3/ 183-186)، الإصابة في تمييز الصحابة (3/ 178).

(٢)سير أعلام النبلاء (3/ 37)، الإصابة في تمييز الصحابة (6/ 147).

(٣) يُنظر تهذيب الكمال(4 /60)، الإصابة في تمييز الصحابة(1/ 289)، تهذيب التهذيب(381/1) .

(٤)سير أعلام النبلاء (3/ 410).

(٥)عند الترمذي في " الحدود - باب ما جاء أن لا تقطع الأيدي في الغزو رقم 1450 " ، وعند أبي داود في " الحدود – باب السارق يسرق في الغزو رقم 4408" ، والنسائي في قطع السارق باب القطع في السفر رقم 4979 . وعند أبي داود والنسائي بلفظ (في السفر) بدل(في الغزو).

الْآخِرَةِ » ، أخرجه أحمد [١] ، وقال الهيثمي : " رواه أحمد والطبراني وزاد : وقال : " من كان ذلك دعاءُه ، مات قبل أن يصيبه البلاء " . ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات"[٢].

٩ - **عَبْدُ اللهِ بنُ عَامِرِ بنِ كُرَيْزِ بنِ رَبِيْعَةَ بنِ حَبِيْبِ العَبْشَمِيُّ** : الأَمِيْرُ، وَلاَّهُ مُعَاوِيَةُ البَصْرَةَ. وهو الَّذِي افْتَتَحَ إِقْلِيْمَ خُرَاسَانَ.رَأَى النَّبِيَّ - ﷺ- وَرَوَى عَنْهُ حَدِيْثاً: «مَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَالِهِ ..».رَوَاهُ عَنْهُ: حَنْظَلَةُ بنُ قَيْسٍ. تُوُفِّيَ: قَبْلَ مُعَاوِيَةَ، فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِيْنَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: بِمَنْ نُفَاخِرُ؟ وَبِمَنْ نُبَاهِي بَعْدَهُ؟![٣]

١٠ - **مَسْلَمَةُ بنُ مُخَلَّدِ بنِ الصَّامِتِ الأَنْصَارِيُّ**: سكن مصر وكان واليًا عليها أيام معاوية وولده يزيد، روى عن النبي ﷺ، حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو أَيُّوْب الأَنْصَارِيُّ - وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ - وَأَبُو قَبِيْلٍ، وَابْنُ سِيْرِيْنَ، وَهِشَامُ بنُ أَبِي رُقَيَّةَ، وَجَمَاعَةٌ. وأخرج له أبو داود.

١١ - **زِيَادُ بنُ عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ** الأمير، وَهُوَ زِيَاد بْنُ سُمَيَّةَ، وَهِيَ أُمُّهُ، وَهُوَ زِيَادُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ الَّذِي اسْتَلْحَقَهُ مُعَاوِيَةُ بِأَنَّهُ أَخُوْهُ..

وَلِيَ لمعاوية المصرين الكوفة والبصرة.

سَمِعَ مِنَ: عُمَرَ، وَغَيْرِهِ.، رَوَى عَنْهُ: ابْنُ سِيْرِيْنَ، وَعَبْدُ المَلِكِ بنُ عُمَيْرٍ، وَجَمَاعَةٌ.

وَكَانَ مِنْ نُبَلاَءِ الرِّجَالِ رَأْياً، وَعَقْلاً، وَحَزْماً، وَدَهَاءً، وَفِطْنَةً.كَانَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي النُّبْلِ وَالسُّؤْدُدِ.

ومع ذلك فقد جرحه العلماء فـقال ابن حبّان: ظاهر أحواله المعصية، وقد أجمع أهل العلم على ترك الاحتجاج بمن كان كذلك[٤].

---

(١) مسند أحمد (29/ 170) رقم (17628).

(٢) مجمع الزوائد(10 / 282).

(٣)تاريخ دمشق (29/ 247-271)، سير أعلام النبلاء (3/ 18-21).

(٤) يُنظر المجروحين (1/ 305)، سير أعلام النبلاء (3/ 494)، ميزان الاعتدال (2/ 86)، لسان الميزان (2/ 493).

١٢ - **المُهَلَّبُ بنُ أَبِي صُفْرَةَ ظَالِمٍ الأَزْدِيُّ**: الأَمِيْرُ، البَطَلُ، قَائِدُ الكَتَائِبِ وولي لبني أمية ولايات، وتولّى حرب الأزارقة وكانت له معهم وقعة ، وقائعه مشهورة. حَدَّثَ المُهَلَّبُ عَنْ: عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَسَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَالبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ . رَوَى عَنْهُ: سِمَاكُ بنُ حَرْبٍ، وَأَبُو إِسْحَاقَ، وَعُمَرُ بنُ سَيْفٍ ، ذكره ابن حبّان في الثقات(١)، وهو من ثقات الأمراء توفي غازيًا 82هـ، وأخرج له أبو داود والترمذي والنسائي..(٢)

١٣ - **الحجّاج بن يوسف الثقفيّ**: أمير العراق ومن قبلها أمير الحجاز، لعبد الملك وابنه الوليد: وقد روى الحديث عن سمرة بن جندب وأنس وعبد الملك بن مروان وأبي بردة وروى عنه سعيد بن أبي عروبة ومالك بن دينار وحميد الطويل وثابت البناني وموسى بن أنس بن مالك وأيوب السختياني والربيع بن خالد الضبي وعوف الأعرابي والأعمش وقتيبة ابن مسلم وغيرهم. قال موسى بن أبي عبد الرحمن النسائي عن أبيه : ليس بثقة ولا مأمون ، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بأهل أن يروي عنه(٣).

١٤ - **يَزِيْدُ بنُ أَبِي كَبْشَةَ جِبْرِيْلَ بنِ يَسَارٍ البَتَلْهِيُّ** دمشقيّ من أهل بيت لهيا :مِنْ كِبَارِ الأُمَرَاءِ، عُدَّ فِي التَّابِعِيْنَ. كَانَ مُقَدَّمَ السَّكَاسِكِ، وَصَاحِبَ شُرْطَةِ عَبْدِ المَلِكِ، وَوَلِيَ عَلَى الغَزَاةِ، ثُمَّ وَلِيَ إِمْرَةَ العِرَاقَيْنِ لِلْوَلِيْدِ.فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ سُلَيْمَانُ، وَلاَّهُ خَرَاجَ السِّنْدِ، وَنَزَلَتْ رُتْبَتُهُ قَلِيْلاً، فَأَدْرَكَهُ الأَجَلُ بالسِّنْدِ قَبْلَ سَنَةِ مائَةٍ. وَوَرَدَ:أَنَّهُ كَانَ يَصُوْمُ فِي السَّفَرِ، وَوَلِيَ العِرَاقَيْنِ بَعْدَ الحجّاج، وَكَانَ كَبِيْرَ الشَّأْنِ -رَحِمَهُ اللهُ- رَوَى عَنْ: أَبِيْهِ؛ أَبِي كَبْشَةَ السَّكْسَكِيِّ، وَمَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ. ورَوَى عَنْهُ: مُعَاوِيَةُ بنُ قُرَّةَ، وَالحَكَمُ، وَأَبُو بِشْرٍ، وَإِبْرَاهِيْمُ السَّكْسَكِيُّ.لَهُ ذِكْرٌ فِي الصَّوْمِ فِي (البُخَارِيِّ)(٤).

١٥ - **خَالِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ القَسْرِيُّ، الدِّمَشْقِيُّ**: أَمِيْرُ العِرَاقَيْنِ لِهِشَامٍ، وَوَلِيَ قَبْلَ ذَلِكَ

---

(١)الثقات لابن حبّان (5/ 451).

(٢)تاريخ دمشق (61/ 280-305)،سير أعلام النبلاء (4/ 383-385)، تقريب التهذيب (ص: 549).

(٣)تهذيب التهذيب (2/ 186).

(٤)يُنظر سير أعلام النبلاء (4/ 443-4444)، تهذيب التهذيب (11/ 310).

مَكَّةَ لِلْوَلِيْدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ، ثُمَّ لِسُلَيْمَانَ. رَوَى عَنْ: أَبِيْهِ.وَعَنْهُ: سَيَّارٌ أَبُو الحَكَمِ، وَإِسْمَاعِيْلُ ابنُ أَوْسَطَ البَجَلِيُّ، وَإِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبِي خَالِدٍ، وَحُمَيْدٌ الطَّوِيْلُ. لَهُ حَدِيْثٌ فِي (مُسْنَدِ أَحْمَدَ)، وَفِي (سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ) (١).

١٦ – **قُتَيْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ البَاهِلِيُّ** : الأَمِيْرُ، أَبُو حَفْصٍ، أَحَدُ الأَبْطَالِ وَالشُّجْعَانِ، وَلِيَ خُرَاسَانَ عَشْرَ سِنِيْنَ، وَهُوَ الَّذِي فَتَحَ خُوَارِزْمَ، وَبُخَارَى، وَسَمَرْقَنْدَ، وفَرْغَانَةَ، وَبِلاَدَ التُّرْكِ، وَلَهُ رِوَايَةٌ عَنْ: عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ، وَأَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ(٢).

١٧ – **أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري** : أَمِيْرُ المَدِيْنَةِ وقاضيها لسليمان بن عبد الملك ثم لعمر بن عبد العزيز، وهو أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَثْبَاتِ . رَوَى عَنْ: أَبِيْهِ ، وَعَنْ: عَبَّادِ بنِ تَمِيْمٍ ، وَعَنْ: سَلْمَانَ الأَغَرِّ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ قَيْسِ بنِ مَخْرَمَةَ، وَعَمْرِو بنِ سُلَيْمٍ الزُّرَقِيِّ، وَأَبِي حَبَّةَ البَدْرِيِّ، وَخَالَتِهِ؛ عَمْرَةَ، وَطَائِفَةٍ ، وحَدَّثَ عَنْهُ: ابْنَاهُ؛ عَبْدُ اللهِ وَمُحَمَّدٌ، وَالأَوْزَاعِيُّ، وَأَفْلَحُ بنُ حُمَيْدٍ، وَالمَسْعُوْدِيُّ، وَآخَرُوْنَ، وَثَّقُوْهُ. (ت125هـ) وأخرج له الجماعة(٣).

١٨ – **ابْنُ أَبِي المُهَاجِرِ إِسْمَاعِيْلُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ الدِّمَشْقِيُّ** : مَوْلَى بَنِي مَخْزُوْمٍ، وَمُفَقِّهُ أَوْلاَدِ عَبْدِ المَلِكِ الخَلِيْفَةِ، مِنَ الثِّقَاتِ العُلَمَاءِ. حَدَّثَ عَنْ: السَّائِبِ بنِ يَزِيْدَ، وَأَنَسِ بنِ مَالِكٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ غَنْمٍ، وَأُمِّ الدَّرْدَاءِ، وَجَمَاعَةٍ.رَوَى عَنْهُ: الأَوْزَاعِيُّ، وَسَعِيْدُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ، وَطَائِفَةٌ. وَثَّقَهُ: أَحْمَدُ العِجْلِيُّ، وَغَيْرُهُ ، قَالَ رَجَاءُ بنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ مَعْنٍ التَّنُوْخِيِّ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَزْهَدَ مِنْهُ، وَمِنْ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ، وَقَدْ كَانَ وَلاَّهُ عُمَرُ المَغْرِبَ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ.قَالَ شَبَابٌ: أَسْلَمَ عَامَّةُ البَرْبَرِ فِي وِلاَيَةِ إِسْمَاعِيْلَ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيْرَةِ أخرج له الجماعة عدا الترمذي(٤).

---

(١)تاريخ دمشق (16/ 135)، سير أعلام النبلاء (5/ 425).

(٢)سير أعلام النبلاء (4/ 410 -411).

(٣)تاريخ دمشق (66/ 41)، سير أعلام النبلاء (5/ 314)، تقريب التهذيب (ص: 624) .

(٤)سير أعلام النبلاء (5/ 213).

وأخيرًا: فإنّ معظم ولاة الأمويّين على الأمصار كان لهم إسهام في الرواية كفيروز الديلميّ عامل معاوية على اليمن(١)، والربيع بن زياد عامله على خرسان(٢)، ونصر بن سيار نائب مروان بن محمد على خرسان(٣)، وغيرهم كثير.

قلت: هذا شأن الخلفاء والأمراء وقوّاد الجند في الرواية مع انشغالهم بالسياسة والغزو، ومعالجة أمور الناس، والعمران، فلاشكّ أنّ دولةً يكون فيها للخلفاء والولاة إسهام ومشاركة في الرواية هي دولة تؤمن بحجيّة السنة النبويّة وفضلها، ولذلك فهي تشجّع على الحديث وتحرص على نشره بين الناس.

ولذلك ازدهرت الرواية في العصر الأمويّ عمومًا، ونبغ في بلاد الشام– معقل الأمويّين– كبارُ العلماء من المحدّثين والرواة(٤).

والنتيجة تتلخص في أمرين:

الأوّل: إسهام الأمويّين من خلفاء وأمراء مع عمّالهم في الرواية الشفاهية.

الثاني: المنهج العلميّ لعلماء الجرح والتعديل، في قبول أو ردّ روايات هذا أو ذاك من الأمويّين أو أمرائهم، بعيدًا عن العصبيّات أو الأهواء، وبما يدفع أن يكون للأمويّين دورٌ سلبيّ في التأثير على المحدّثين وعلماء الجرح والتعديل، حيث لاحظنا أنّ المحدّثين ردّوا من اشتهر بالظلم والعسف كيزيد والحجّاج وغيرهما مع أنّهم لم يعرفوا بالكذب، ولكنهم خرجوا عن حدّ العدالة بجورهم، وشنائع أعمالهم، فردّ العلماء رواياتهم صونًا للحديث الشريف، وقد أغنى الله عن الظالمين برواية أهل العدالة والفضل، وكفى بالله حافظًا لكاتبه وسنّة نبيه الكريم

---

(١) يُنظر تاريخ دمشق (49/ 3).

(٢) يُنظر الثقات لابن حبّان (4/ 225).

(٣)سير أعلام النبلاء (5/ 464).

(٤) مثل قَبِيْصَةُ بنُ ذُؤَيْبٍ ، خَالِدُ بنُ مَعْدَانَ بنِ أَبِي كَرِبٍ الكَلاَعِيُّ الحمصيّ، و القَاسِمُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدِّمَشْقِيُّ، مُحَدِّثُ دِمَشْقَ، ورجاء بن حيوة، ومكحول الدمشقيّ، رَبِيْعَةُ بنُ يَزِيْدَ أَبُو شُعَيْبٍ الإِيَادِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، والزهريّ، و الأَوْزَاعِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَمْرِو بنِ يُحْمَدَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ، وَعَالِمُ أَهْلِ الشَّامِ، وغيرهم كثير.

ﷺ.

المبحث الثاني: المشروع الرسميّ الأوّل لتدوين الحديث – الدوافع والمنهج

لقد حظي القرآن الكريم وهو المصدر الأوّل للتشريع الإسلامي بعناية كبيرة من الصحب الكرام، وكان جمعه خطوة أولى نهض بها أبو بكر رضي الله عنه بمشورة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن استشهد كثير من القرّاء يوم اليمامة [1]، فلما كان عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه – ووقع

(١) صحيح البخاري (4 /1907) في فضائل القرآن باب جمع القرآن رقم(4701).

الاختلاف في القرآن- جمعَ الناس على مصحف جامع ونسخه إلى الأمصار [١] كخطوة ثانية . وقد تابع الأمويّون من بعدهم خدمة القرآن الكريم فنقطوه وضبطوه بالشّكل [٢].

وإذا كان الخلفاء الراشدون تحرّجوا من جمع الحديث وتدوينه - وهو المصدر الثاني للتشريع- فلم يكن جمعه أكثر من فكرة راودت الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ﷺ ثمّ عدل عنها[٣]، فمن المعروف تاريخيًّا أنّ التدوين الرسميّ الأوّل للحديث النبويّ كان مشروعًا أمويًّا لم يُسبقوا إليه.

وهذا المبحث إنما جاء ليقدم دراسةً علميّة عن مشروعية تدوين الحديث النبوي، ثم ليبحث مدى صدقيّة الشكوك الموجّهة قديمًا وحديثًا إلى مشروع تدوين الحديث الذي نهض به الخليفة الأمويّ عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-.

ويحقّق في مضمون الأمر الرسميّ الأمويّ بالتدوين وآلياته ومعاييره التي انتهجها الخليفة عمر بن العزيز – رحمه الله- .

الشبهات التي دارت حول تدوين الحديث في العصر الأمويّ:

حظيت تلك السابقة الأمويّة في تدوين الحديث النبوي من خلال تسخير مقدرات السّلطة لخدمة السنّة النبويّة باستحسان عامة العلماء عبر العصور الإسلامية، ولكنها لم تسلم من انتقادٍ شديدٍ لدى فريقين متناقضين في الطرح غير أنّهما متفقان على ذمّ تدوين السنّة النبويّة في العصر الأمويّ.

الفريق الأول: يرى أنّ الحجم الحالي للأحاديث النبويّة أقلّ بكثير من حجمه الحقيقي لأن

(١) صحيح البخاري (4 /1908) في فضائل القرآن باب جمع القرآن رقم (4702).

(٢)يُنظر التسهيل لعلوم التنزيل(4/1)،البرهان في علوم القرآن (250/1) .

(٣) فقد روى ابن عبد البر بسنده أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه « أراد أن يكتب السنّة ، ثم بدا له أن لا يكتبها، ثمّ كتب في الأمصار: من كان عنده شيء فليمحه » جامع بيان العلم وفضله (65/1)، وللتوسّع يُنظر كتاب السنة قبل التدوين (310-311).

السنّة النبويّة – وفق اعتقاده- منقوصة وقد تعرّضت للضياع ، ولذا فهو يرى أنّ تأخّر تدوين السنّة إنّما حصل لغايات تتصل بالواقع السلطوي، وهم ينظرون بعين الرّيبة إلى الصحابة وخصوصاً الخليفتين أبي بكر وعمر-رضي الله عنهما-الذين يحمّلونهما مسؤولية منع الناس من تدوين نصوص الحديث النبويّ وإتلاف بعض وثائقها؛ ويبررون ذلك بمحاولة طمس الأحاديث الواردة فيما يتعلق بالإمامة، وهؤلاء يمثّلون التيار السياسي المتمحور حول القول بالوصية لعليّ-رضي الله عنه-و النصّ على إمامته-رضي الله عنه-ولذلك فهم يتهمون الصحابة بمحاولة إخفاء الأدلّة على أولوية عليّ-رضي الله عنه-بالخلافة بعد النبي- ﷺ-.

ومع أنّه من المفترض أن يُلبّي مشروعُ تدوين السنّة مطلبًا مهمًا لهم بما يقدّمه من توثيق لفضائل عليّ وآل البيت عمومًا ، إلا أنّهم أصيبوا بخيبة أمل حينما وجدوا أنّ نصوص الحديث النبويّ الخاضعة لرقابة علماء الحديث ونقّاده خالية من النصّ على إمامة عليّ-رضي الله عنه-. فرجعوا باللّائمة مرّة أخرى على الأمويّين الذين —بزعمهم – قاموا بتدوين السنّة تحت أنظارهم، يثبتون ويحذفون ما يوافق أهواءهم ويعزز مشروعية حكمهم ويثبّت بنيان دولتهم(١) .

أمّا الفريق الثاني: فهو ذو نظرة مختلفة تمامًا، فهو يرى أنّ السنّة النبويّة تعرّضتْ للتضخيم وأنّ الأمويّين خالفوا تعاليم النبيّ ﷺ في منع كتابة السنّة، بل خالفوا سيرة الخلفاء الراشدين في تركهم تدوين السنّة ومحاولة التقلّل منها قدر المستطاع. وقد ابتدعوا في الدين بدعة تركت أثرها السيّئ في الإسلام وقيّدته بما هو خارج عن نطاق الإسلام الحقّ الذي جاء به الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم-ولكنّهم يتفقون مع الفريق الأول على أنّ الحامل على تدوين السنّة عند الأمويّين هو حامل سياسيّ بامتياز. وقد تبنّى هذه النظرة جماعة من المعاصرين(٢) .

---

(١) يُنظر "منع تدوين الحديث أسباب ونتائج" علي الشهرستاني ص 31-32، 357 وما بعدها، 504- 505، و(معالم المدرستين) مرتضى العسكري (2/ 60، 61) ، وكتاب "وركبت السفينة" مروان خليفات - فصل: ضياع السنّة ص 121 وما بعدها.

(٢) يُنظر " مشكلة الحديث " يحيى محمد" ص 87 وما بعدها، و " السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ " عبد الجواد ياسين ص 26- 30 .

وأوّد في هذا البحث أن أكشف عن المعايير التي اعتمدت في المشروع الرسميّ الأوّل لتدوين الحديث، وأبرهن على مشروعيّته من جهة، وبُعده عن جميع الأغراض السياسيّة التي تبناها الفريقان المشكّكان.

وهكذا أجدني مطالبًا بالتحقيق العلميّ في الأمور التالية:

١. مشروعيّة كتابة الحديث.

٢. مراحل تدوين الحديث حتى صدور الأمر الرسميّ الأمويّ بالتدوين.

٣. التحقيق في مضمون الأمر الرسميّ بالتدوين وآلياته ومعاييره.

المطلب الأوّل: مشروعيّة كتابة الحديث:

ولنبدأ بمشروعيّة كتابة الحديث فهي ذات بعد إشكاليّ على المستوى النصّيّ نفسه ، فقد تعارضت الأحاديث النبويّة في حظر كتابة أحاديث النبي- ﷺ -أو إباحتها، وهذا التعارض ترك أثرًا واضحًا في طبقة الصحابة الكرام ثمّ التابعين ، وحسم بصورة عمليّة في طبقة أتباع التابعين لصالح الإباحة والإذن المطلق.

((قال القاضي[١]: كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم فكرهها كثيرون منهم، وأجازها أكثرهم، ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف))[٢].

وأصحّ النصوص التي يُستدلّ بها على الحظر[٣] ما رواه مسلمٌ[٤] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– قَالَ « لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا

---

(١) هو القَاضِي عِيَاضٌ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبِيُّ (ت 544 هـ) تُرظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (20 /212 – 213)، وفي الأعلام للزركلي (5 /99).

(٢) شرح النووي على مسلم (18 /129–130) .

(٣) وقد استعمل عامة العلماء مصطلح كراهة بدل حظر في سياق الكلام عن كتابة الحديث، وآثرت استعمال ما يدلّ عليه ظاهر الحديث لأننا لو أعملنا القرائن الصارفة عن الظاهر بالحظر إلى الكراهة فإنه لا معنى للقول بالنسخ من جهة، ولا معنى كذلك للقول بالإباحة من جهة أخرى .

(٤) صحيح مسلم (2298/4)في الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم رقم(3004).

عَنِّي وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ – قَالَ هَمَّامٌ [١] أَحْسِبُهُ قَالَ: — ((مُتَعَمِّدًا)) فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ». وفي رواية للترمذي عنه قال : « استأذنّا النبيَّ في الكتابة فلم يأذنْ لنا »[٢].

وإعلال رواية أبي سعيد الخدريّ بالوقف مرفوضٌ، لأنّ الراوي الثقة إذا روى الحديث مرفوعًا وموقوفًا، فالحكم للرفع لأنّ معه في حالة الرفع زيادة، هذا هو المُرجَّح عند أهل الحديث[٣]، وقد دلّت رواية الترمذي على الرفع فقطع الخلاف بها.

وما يُروى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أنّه قَالَ: كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: « مَا هَذَا تَكْتُبُونَ ؟ » فَقُلْنَا: مَا نَسْمَعُ مِنْكَ، فَقَالَ: « أَكِتَابٌ مَعَ كِتَابِ اللهِ ؟ » فَقُلْنَا: مَا نَسْمَعُ، فَقَالَ: « أَكِتَابٌ غَيْرُ كِتَابِ اللهِ امْحِضُوا كِتَابَ اللهِ، وَأَخْلِصُوهُ » قَالَ: فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ، قُلْنَا: أَيْ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَتَحَدَّثُ عَنْكَ ؟ قَالَ: « نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَتَحَدَّثُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ: « نَعَمْ، تَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، فَإِنَّكُمْ لَا تَحَدَّثُونَ عَنْهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ أَعْجَبُ مِنْهُ» .

وهذا الحديث أخرجه أحمد وغيره [٤]، وفي سنده عبد الرحمن بن زيد أجمع أهل العلم بالنقل على تضعيف أخباره، وليس هو بحجّة فيما ينفرد به[٥].

---

(١) أحد رواة الحديث و هو همام بن يحيى بن دينار العَوْذِي أبو عبد الله أو أبو بكر البصري ثقة ربما وهم ، مات سنة(164 أو 165هـ) ع .تقريب التهذيب (ص 574).

(٢) أخرجه الترمذي (5/ 37) كتاب العلم: باب ما جاء في كراهية كتابة العلم رقم 2665 . قال أبو عيسى: وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه أيضًا عن زيد بن أسلم، رواه همام عن يزيد بن أسلم، وأخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث (1/ 131)رقم 451، والخطيب في تقييد العلم ص 32 .

(٣) يُنظر: فتح المغيث للسخاوي (1/ 194 ، 195) ، وتدريب الراوي للسيوطي (1/ 221 _ 223) ، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها (ص 268).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (17 /156) رقم 11092 ، والخطيب في تقييد العلم ص 34.

(٥) همام بن يحيى بن دينار العَوْذِي العدوي مولاهم ضعيف مات سنة (182هـ). تقريب التهذيب (ص 340)، وترجم له : أبو نعيم في "الضعفاء" ص 102 رقم 122 و ابن حبّان البستي في المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين2/ 57. وتعليق محققي مسند أحمد موهم فقد قالوا في الحاشية (4) (17 /157): حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف.

قلت: هو حكم إجماليّ على مضامين الحديث الأخرى الثابتة مثل « نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »،« تَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، فَإِنَّكُمْ لَا تَحَدَّثُونَ عَنْهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ

قوله: "أكتاب مع كتاب الله" ، أي: أيخلط كتاب آخر مع كتاب الله؟!، أو أيحسن اتخاذ كتاب آخر مع وجود كتاب الله بينكم؟!.

وقولهم: فقلنا ما نسمع، أي: نكتب ما نسمع منك، وليس أمراً آخر يقابل كتاب الله حتى نخاف منه على كتاب الله[١].

أما أحاديث إباحة الكتابة فأصحّها:

حديث أبي شَاهٍ الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، فَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا وَلَا تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُفْدَى وَإِمَّا أَنْ يُقِيدَ.» فَقَالَ الْعَبَّاسُ: إِلَّا الْإِذْخِرَ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِلَّا الْإِذْخِرَ »، فَقَامَ أَبُو شَاهٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ » [٢].

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عبد الله بن أحمد بن حنبل: ((لَيْسَ يُرْوَى فِي كِتَابَةِ الْحَدِيثِ شَيْءٌ أَصَحُّ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُمْ، قَالَ:« اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ ».))[٣] .

وفي مسند أحمد و سنن أبي داود و الدارمي وغيرهم بإسناد صحيح [٤] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي

كَانَ فِيهِمْ أَعْجَبُ مِنْهُ »، وأمّا ما يتعلق بموضوع كتابة الحديث فإنّه ضعيف إذ لم يروَ إلا من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(١) يُنظر حاشية الحديث في مسند أحمد (17 /158).

(٢) صحيح البخاري (2 /857) في اللقطة باب كيف تعرف لقطة أهل مكّة رقم(2302)، صحيح مسلم (2 /988) في الحج باب تحريم مكّة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام ، رقم (1355).

(٣) مسند أحمد (12 /185).

(٤) رجاله ثقات رجال الشيخين، غير الوليد بن عبد الله، وهو ابن أبي مغيث العبدريّ، من رجال أبي داود وابن ماجه، وهو ثقة. يُنظر تقريب التهذيب (ص582).

الْغَضَبِ وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَ:« اكْتُبْ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ » [١] .

وهو وإن كان من قبيل الإذن الخاص إلا أنّ مفهوم كلام النبي- ﷺ-يفيد عموم الاحتجاج بسنته- ﷺ-على خلاف ما ذهب إليه المستشار عبد الجواد ياسين [٢] حين احتجّ من الحديث بكلام قريش وترك – عفا الله عنه – الاستدلال بكلام النبي- ﷺ-الذي تعمّد حذفه من متن الحديث وهذا والله مطعن قاتل في الأمانة العلمية[٣].

وغالب الأحاديث التي تفيد الإذن العام بكتابة الحديث لا تخلو أسانيدها من كلام لنقّاد الحديث ومنها:

- حديث رافع بن خديج قال : خرج علينا رسول الله- ﷺ- فقال :« تحدثوا وليتبوّأ من كذب عليّ مقعدَه من جهنم ». قلت : يا رسول الله إنّا نسمع منك أشياء فنكتبها ؟ فقال : « اكتبوا ولا حرج »[٤] .و قد أعلّه الهيثمي بجهالة بعض رواته[٥].

- وحديث أبي هريرة : قال كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي- ﷺ-فيسمع من النبي- ﷺ-الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي- ﷺ -فقال: يا رسول الله إنّي أسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه، فقال رسول الله- ﷺ-:«استعن بيمينك »، وأومأ بيده للخطّ [٦].

---

(١) مسند أحمد (11 /57-58) رقم 6510، سنن أبي داود (2 /342)في العلم باب في كتابة العلم رقم (3646)، وسنن الدارمي(1 /136) باب من رخص في كتابة العلم رقم (484)، وأخرجه الحاكم المستدرك على الصحيحين (186/1) رقم(357) من طريقين عن ليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن عبد الواحد بن قيس، عن عبد الله بن عمرو، وصحّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) عبد الجواد ياسين مواليد 1954م قاض مصري سابق، تخرج من كلية الحقوق في جامعة القاهرة سنة 1976م ، من مؤلفاته "السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النصّ والتاريخ" .

(٣) يُنظر ذلك في كتابه "السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النصّ والتاريخ) ص248.

(٤) المعجم الكبير (4 /276)رقم (4410).

(٥) فقال:فيه أبو مدرك روى عن رفاعة بن رافع وعنه بقية و لم أر من ذكره. مجمع الزوائد (1 /380).

(٦) سنن الترمذي (5 /39) في كتاب العلم باب الرخصة فيه رقم(2666).

وفي سند الحديث الخليل بن مُرّة [١] . قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث إسناده ليس بذلك القائم، وسمعت محمد بن إسماعيل[٢] يقول: الخليل بن مُرّة مُنكر الحديث[٣].

-وحديث أنس بن مالك- رضي الله عنه -عن النبي- صلى الله عليه وسلم -:«قيّدوا العلم بالكتاب» [٤] . وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي[٥] .

وهذا الأثر اشتهر بين الصحابة موقوفًا عليهم فقد رُوي موقوفًا عن عمر بن الخطاب [٦] وابن عمر[٧].

وصحّ إسناده عن أنس بن مالك [٨]، وقد ضعّف السيد محمد رشيد رضا [٩] هذا الحديث لأنّ في سنده عبد الحميد بن سليمان وقد تكلّم فيه الذهبي [١٠]، كما ضعّفه من

---

(١) الخليل بن مرة الضُبَعي البصري نزل الرقة ضعيف (ت 160هـ) .تقريب التهذيب (ص 196) .

(٢) وهو الإمام البخاري رحمه الله.

(٣) سنن الترمذي (5 /39).

(٤) المعجم الكبير (1 /246) رقم 700 .

(٥) رواه الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن المؤمل عن عطاء عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله : قيّد العلم. قلت: وما تقييده؟ قال: الكتاب .

قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن عطاء إلا عبد الله بن المؤمل المعجم الأوسط (1 /259).

وقال الهيتمي: فيه عبد الله بن المؤمل وثّقه ابن معين وابن حبّان وقال ابن سعد : ثقة قليل الحديث وقال الإمام أحمد أحاديثه مناكير. مجمع الزوائد (1 /380)

(٦) سنن الدارمي (1 /138)رقم 497

(٧) المصدر السابق الموضع نفسه.

(٨) سنن الدارمي (1 /137) رقم 491، المعجم الكبير (1 /246)رقم 700، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .مجمع الزوائد (1 /381)، وقال المعلمي: وقد أخرج الدارمي بسند رجاله ثقات عن أنس أنه كان يقول لبنيه ((يا بني قيدوا هذا العلم)).الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص 42)

(٩) محمد رشيد بن علي رضا: (1282 - 1354 هـ = 1865 - 1935 م) القلموني، البغدادي الأصل،الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. يُنظر الأعلام للزركلي (6 /126)، ويُنظر تضعيفه الحديث في مجلة المنار 763/10 وما بعدها.

(١٠) قال الذهبي: ضعّفوه، يُنظر ترجمته في الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (616/1) رقم

طريق عبد الله بن المؤمل الذي قال فيه الإمام أحمد : (أحاديثه مناكير) [١] ، واستدرك عليه الدكتور محمد عجاج الخطيب بأنّ الحديث رُوي من طريق إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي ذئب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ولا يطعن فيه تفرّده به [٢].ثمّ قال: والسيد رشيد رضا ضعّف الحديث من طريقيه الأوليين فلا يُطعن برواية إسماعيل بن يحيى هذه [٣]؛ وقد وجدت له طريقًا أخرى في مسند الشهاب [٤] و في تاريخ أصبهان [٥]: من طريق إسماعيل بن أبي أويس عن إسماعيل بن إبراهيم ابن أخي موسى بن عقبة عن الزهري عن أنس مرفوعًا به..

و هذا إسناد حسن ، لوجود إسماعيل بن أبي أويس فقد تُكلّم فيه من قبل حفظه [٦]، وباقي رجاله ثقات على شرط البخاري، فلا وجه لتضعيف الحديث بعد وروده من عدّة طرق.

وفي ضوء الروايات فإنّه بوسعنا أن نقرر أنّ الصحابة الكرام كتبوا في حياته- ﷺ-

---

.(3106)

(١) العلل ومعرفة الرجال (1 /567). وعبد الله بن المؤمّل هو ابن وهب الله القرشيّ المخزوميّ (ت160هـ) ضعيف الحديث.بخ ت ق. يُنظر تهذيب التهذيب (6 /42)تقريب التهذيب (ص 325).

(٢) ولكنّ ابن الجوزي طعن فيه بعد أن ساقه فقال: ((قال الدارقطني تفرّد به إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي ذئب. قال المصنف: هذه الطرق كلّها لا تصح أمّا الطريقان الأولان ففيهما عبد الله بن مؤمل قال أحمد أحاديثه مناكير وقال يحيى بن معين: ضعيف، وقال أبو حاتم بن حبّان: لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد.

وأما الطريق الثالث ففيه إسماعيل بن يحيى قال ابن عدي: يحدّث عن الثقات بالبواطيل، وقال ابن حبّان: يروي الموضوعات عن الثقات وما لا أصل له عن الأثبات لا يحل الرواية عنه بحال، وقال الدارقطني: كذّاب متروك .)) العلل المتناهية (1 /87).

(٣) السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب، حاشية (6) ص 304-305 .

(٤) للقضاعي " (1 /370) رقم (637).

(٥) تاريخ أصبهان لأبي نعيم (199/2).

(٦)إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي أبو عبد الله بن أبي أويس المدني صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه مات سنة(226هـ) خ م د ت ق .تقريب التهذيب (ص 108).

وبمعرفته، وخير دليل على ذلك حديث صحيفة عليٍّ رضي الله عنه[١]، وحديث كتاب عمرو بن حزم الذي فيه الفرائض والسنن والديّات [٢]، وحديث كتاب الصدقة ونصب الزكاة الذي بعث به أبو بكر رضي الله عنه أنسًا- رضي الله عنه- حين وجّهه إلى البحرين[٣]، وحديث أبي هريرة أنّ ابن عمرو بن العاص كان يكتب ولا أكتب [٤]، وغير ذلك من الأحاديث تشهد بوقوع الكتابة في عهده- ﷺ -وتحت عينه وهذا يدفع فكرة أنّ النبيّ بقي معارضًا لكتابة الحديث حتى وفاته، ولا سيما أنّه طلب أن يكتب لهم كتابًا وهو على فراش الموت[٥].

والفريق الأوّل يرى أنّ روايات منع الكتابة إنما اختُلقت في وقت متأخّر لت سويغ منع الشيخين أبي بكر وعمر_ رضي الله عنهما _ ومن حذا حذوهما في منع كتابة أحاديث النبيّ ﷺ التي تنصّ على إمامة عليّ رضي الله عنه[٦].

في حين يشكّك الفريق الثاني بروايات الإباحة ويروهُا مرويّات تبريريّة لواقع التراكم

---

(١) فعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ قُلْتُ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قَالَ: لَا إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قَالَ قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ؟قَالَ: الْعَقْلُ وَفَكَاكُ الْأَسِيرِ وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ.

صحيح البخاري (1 /53) في العلم باب كتابة العلم رقم(111).

(٢) يُنظر سنن النسائي (8 /57) في القسامة، باب ذكر حديث ابن حزم في العقول واختلاف الناقلين له كتاب رقم (4853)، سنن الدارمي (1 /464) باب في زكاة الغنم رقم 1621، صحيح ابن حبّان (14 /501) باب كتب النبيّ ﷺ . جميعهم من حديث داود بن سليمان الخولانيّ الدمشقي وهو صدوق، أخرج له أبو داود في المراسيل، والنسائي. يُنظر تقريب التهذيب (ص 251) ولذا حسّن العلماء الحديث حتى أنّ أحمد بن حنبل قال: كتاب عمرو بن حزم في الصدقات صحيح. التحقيق في أحاديث الخلاف (2 /26).

وقيل: بل أخطأ بعض الرواة فسمّاه سليمان بن داود وهو الخولاني ، هو وهم وإنّما الراوي سليمان بن أرقم وهو ضعيف جدًا . ويُنظر التفصيل في تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق (1 /227 وما بعدها).

(٣) يُنظر سنن أبي داود (1 /489) باب في زكاة السائمة رقم 1567.بسند صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (1 /54) في العلم باب كتابة العلم رقم113.

(٥) أخرجه البخاري (1 /54) في العلم باب كتابة العلم رقم 114 .

و للتوسع في أدلّة الكتابة في زمن النبي – ﷺ- يُنظر دلائل التوثيق المبكر ص 239. وقد صنّف الخطيب البغدادي رحمه الله كتابًا خاصًّا بكتابة السنّة وهو" تقييد العلم".

(٦) كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها (ص 254).

التاريخي للنصوص الحديثيّة، والتي يع دّون أكثرها خارج إطار السنّة ، باستثناء الأحاديث المتواترة؛ والغاية النهائيّة لتلك المحاولات المحمومة تقديمُ ساحة فارغة تشريعيًّا تتيح للسياسات الوافدة من الغرب أن تحلّ بديلً ا عن هدي السنّة النبويّة، والطريق إلى ذلك لا يتمّ إلا بالتضحيّة بالأحاديث الآحادية -كما لحظته في كتابَي ((السلطة والنصّ)) لعبد الجواد ياسين وكتاب ((تدوين السنّة)) لإبراهيم فوزي[١].

وكلا الفريقين وقع في شَرَك الأحكام المسبقة،واعتمد الرفض للروايات التي لا تتناسب مع التصوّر المهمين على الفكر مُسبقًا .

في حين كان علماء الحديث أكثر مرونةً في تقديم الخيارات التوفيقيّة بين روايات المنع وروايات الإذن، هذه المرونة العلميّة أتاحت لقرائحهم أن تتفتّق عن عدّة آراء تغطّي الوجوه الاحتماليّة المتاحة في ضوء المنطق التاريخيّ واللغويّ للروايات ذات الصّلة ، ويمكن اختصارها كما يلي[٢]:

الأول: أنّ النّهي عن الكتابة كان في أوّل الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن، فلما كثُر عدد المسلمين وعرفوا القرآن معرفة رافعة للجهالة، وميّزوه من الحديث، زال الخوف عنهم فنسخ الحكم وصار إلى الجواز[٣].

الثاني: أنّ النهي إنما كان عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، لأنّهم كانوا يسمعون تأويل الآية، فربما كتبوه معه، فنهوا عن ذلك لخوف الاشتباه.

الثالث: أنّ النهي في حقّ من وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة، والإذن في حقّ من لا يوثق بحفظه كأبي شاه. ومبنى هذا القول على أنّ الأصل في التوثيق عند العرب كان على الحفظ وقوة الذاكرة مع ما يمكن أن يلابس الكتابة من ضياع أو تزوير أو تصحيف أو تحريف، ولاسيما أنّها لم تكن بعد قد نُقطت ولا شُكّلت .

الرابع: أنّ النهي كان عامًا وخصّ بالسماح له من كان قارئًا كاتبًا مُجيدًا لا يُخطئُ

---

(١)" السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ " عبد الجواد ياسين ص 26- 30، تدوين السنة إبراهيم فوزي ص12 وما بعدها .

(٢) انظرها موسعة في كتاب السنة قبل التدوين ص 306-309.

(٣) ولذا أدرج أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين أحاديث الجواز في كتابه (ناسخ الحديث ومنسوخه):ص 466 وما بعدها.

في كتابته ولا يُخشى عليه الغلط. وهو يرجع إلى المعنى الذي سبق بيانه.

وجميع هذه الآراء محتملة مفردةً أو مجتمعةً.

وأرى أنّ تصوّر وجود نهي عام عن كتابة الحديث سواءٌ أكان مطلقًا أم له استثناءات خاصّة لم يكن ليحضر في ساحة النقاش بهذه القوّة لولا الآثار الكثيرة الواردة عن الصحابة والتابعين في منع الكتابة والتحفّظ منها، ولو افترضنا عدم صحّة هذه الآثار لانْجاب ذلك الوهم المسيطر على طريقة التفكير في مسألة كتابة الحديث.

والحقيقة أنّ هذا الذي افترضناه قد تحقّق عمليًّا ، فَجُلّ ما رُوي عن الصحابة في المنع ضعيف أو مؤوّل ولولا مخافة الإطالة لسردتها [1].

والخلاصة أنّ تحفّظ الصحابة الكرام من الكتابة كان لاعتبارين اثنين:

الأول: مخافة أن ينشغل بها الناس عن القرآن الكريم.

الثاني: مخافة أن يتسرّب إليها دخيل ليس منها ، فالصحيفة يمكن أن يزاد عليها، ومخافة أن يقع لقارئها أو ناسخها تحريف أو تصحيف، وهو ممكن ومتوقّع الحدوث في معطيات الكتابة البسيطة آنذاك.

المطلب الثاني: مراحل تدوين الحديث الشريف:

مرّ التوثيق الكتابي للحديث النبويّ في السياق الزمني بثلاث مراحل :

أ-الكتابة ب-التدوين ج-التصنيف .

وقد وقع خلط كبير بين هذه المصطلحات لدى المستشرقين وبعض المعاصرين أورثهم تصوّرًا مغلوطًا كما سأبيّنه بعد أن أوضّح الفرق بين هذه المصطلحات الثلاثة، فبالرجوع إلى

(١) يُنظرها في الأنوار الكاشفة للمعلمي ص37 وما بعدها، وكتابات أعداء الإسلام ومناقشتها (ص 260)وما بعدها.

الأصل اللغويّ لهذه الكلمات نجد أنّ[١]:

أ- الكتابة : من"كتب الشيء كتباً،وكتاباً،وكتابة، وكتبه خطه" فكتابة الشيء خطّه[٢].

ب- التدوين : قال في اللسان : "والديوان مجتمع الصحف" [٣] . وقال في تاج العروس: "وقد دوّنه تدويناً جمعه"[٤]. وعليه فالتدوين هو جمع الصحف المفرقة في ديوان يحفظها.

ج- التصنيف : قال في اللسان : والتصنيف تمييز الأشياء بعضها من بعض، وصنّف الشيء ميّز بعضه من بعض. وتصنيف الشيء جعله أصنافاً. وعليه فالتصنيف تمييز الجزئيات، كأن يميز المصنف الصواب من الخطأ، أو الأهم من المهم"[٥] .

وهكذا يتضح لنا أنّ الكتابة غير التدوين، فالكتابة مطلق خطّ الشيء، دون مراعاة لجمع الصحف المكتوبة في إطار يجمعها، أما التدوين فمرحلة تالية للكتابة ويكون بجمع الصحف المكتوبة في ديوان يحفظها"[٦].

أما التصنيف؛ فهو أدقّ من التدوين، وهو ترتيب ما دُوّن في فصول محدودة، وأبواب مميزة[٧].

وعلى ذلك فقول الأئمة إنّ السنّة دوّنت في نهاية القرن الأول لا يفيد أنها لم تُكتب طيلة هذا القرن، بل يفيد أنها كانت مكتوبة لكنها لم تصل لدرجة التدوين وهو : جمع الصحف في دفتر .

وأمّا ما فهمه المعاصرون، من أن التدوين هو الكتابة، فهو خطأ منش ؤه عدم التمييز بين الكتابة والتدوين [٨] .

---

(١) كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها (ص 378)

(٢) لسان العرب (698/1)، ويُنظر : القاموس المحيط(165/1).

(٣) لسان العرب (166/13).

(٤) تاج العروس (35/35).

(٥) لسان العرب(198/9).

(٦) السنة النبويّة مكانتها للدكتور عبد المهدي عبد القادر ص 97.

(٧) يُنظر : تصدير الدكتور يوسف العش في تقييد العلم ص 8، ويُنظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص 283، 284.

(٨) السنة النبوية – مكانتها ، للأستاذ الدكتور عبد المهدي عبد القادر ص97.

وهكذا فالمقولة "أوّل من دوّن العلم ابن شهاب الزهريّ [(١)]"[(٢)] تم ترجمتها خطأً بمعنى: أوّل من كتب العلم (الحديث) كان ابن شهاب الزهري، وانطلاقاً من هذا التفسير الخاطئ انبثقت نظرية استشراقية أنّ كتابة الحديث بدأت متأخّرة للغاية حتى عصر الزهريّ في نهاية القرن الأول، أو بداية القرن الثاني الهجري، ... ولهذا فالمقولة السابقة يجب تفسيرها على أساس أن أوّل من دون أو صنّف المجموعات المكتوبة من الأحاديث كان ابن شهاب الزهري"[(٣)] .

وأرى أنّ فهم هذه المصطلحات كفيل بدفع كثير من الشبه التي أثارها المستشرقون وأتباعهم حول التدوين الرسميّ الأمويّ للسنّة النبويّة ، إذ إنّ هذا التدوين لم يأتِ في فراغ معرفيّ بالسنّة النبويّة، بل كان مرحلة متقدّمة في التوثيق الكتابيّ للحديث النبويّ.

وقد سبقته مراحل عدّة مهّدت له ، وهي مرحلة الكتابة في العهد النبويّ، ومرحلة الكتابة في العصر الراشدي، ومرحلة التدوين الفرديّ في العصر الأمويّ ثمّ التدوين الرسميّ برعاية الخلافة الأمويّة.

وهذا يعني أنّ المراحل الثلاث في عهد النبوة وعصر الخلفاء الراشدين وعصر الأمويّين حتى عهد عمر بن عبد العزيز كانت ضمن مرحلة الكتابة.

وتكمن الفائدة في تقسيمها إلى ثلاث مراحل في مراعاة حجم الكتابات ، ففي حين أنّها كانت في زمن النبيّ- ﷺ-محدودة لا بمفهوم الندرة ولكن بمفهوم الإذن الخاص من جهة، ومقيّدة بحجم الأميّة التي كانت الأصل في المجتمع العربي آنذاك.

وقد حافظت على المحدوديّة في عصر الراشدين لقرب العهد بالنبي- ﷺ-فقد تحفّظ الشيخان من أن يشغل الناس بكتاب آخر غير كتاب الله تعالى، ولكن هذا لا يعني أنّ هذه المحدوديّة في الكتابة كانت بنفس حجم الكتابات في زمن النبي- ﷺ- فقد شهدت فترة

---

(١) ابن شهاب الزهري : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه مات سنة 125هـ وقيل قبل ذلك . تقريب التهذيب (ص 506)،و يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (5 /326 وما بعدها) .

(٢) أخرج أبو نعيم في " حلية الأولياء " (3 / 363) عن مالك بن أنس قال : أوّل من دون العلم ابن شهاب.

(٣) يُنظر : دلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد ص 281.

الصحابة والتابعين توسعًا في كتابة الحديث ولاسيما بعد انتشار القراءة والكتابة في المجتمع المسلم وبعد التطورات المهمّة في رسم الخطّ ونقطه؛ الأمر الذي أتاح مناخًا أفضل للتابعين في كتابة الحديث مع تراجع نسبيّ كبير في عدد المتحفِّظين على كتابة الحديث.

وكمؤشّر رقميّ له أهمّيته فقد أحصى الدكتور محمد مصطفى الأعظمي الصحابة الذين كانوا يكتبون أو كانت لهم صحف فبلغ عددهم اثنين وخمسين صحابيًّا (١) .

هذا جيل الصحابة فإذا جئنا إلى جيل التابعين نجد أن الكتابة انتشرت بصورة أكبر، فقد أوصل محمد مصطفى الأعظمي التابعين الذين كانت لهم صحائف ورسائل إلى أكثر من اثنين وخمسين ومائة تابعي (٢) .

المطلب الثالث: التحقيق في مضمون الأمر الرسميّ بالتدوين وآلياته ومعاييره:

تشير الروايات إلى أنّ طلائع التدوين الرسميّ للحديث النبويّ، بدأت على يدي عبد العزيز بن مروان ـــ والد عمر ـــ عندما كان أميرًا على مصر، فقد كتب إلى كُثير بن مرّة(٣) الحضرميّ وكان قد أدرك بحمص سبعين بدريًّا من أصحاب رسول الله ﷺ أن يكتب إليه بما

---

(١) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه للأعظمي 92 - 142 .

(٢) المصدر السابق 143 - 220 .

(٣)كثير بن مرّة الحضرميّ الحمصي ، ثقة من كبار التابعين، ووهم من عدّه في الصحابة. يُنظر تقريب التهذيب (ص 460).

سمع من أصحاب رسول الله ﷺ من أحاديثهم إلا حديث أبي هريرة فإنّه كان عنده [1]، بيد أنّ التدوين الذي آتى ثماره هو ما قام به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، الذي سعى ــ بوصفه خليفة المسلمين ــ إلى إصدار أوامره إلى الولاة والعلماء في الأمصار بجمع سنن رسول الله ﷺ وأحاديثه من خلال كتبه الرسمية التي أرسلها إليهم بهذا الشأن.

وأهمّها:

- كتابه إلى واليه على المدينة أبي بكر بن حزم الذي أورده الإمام البخاري في صحيحه تعليقًا: ((وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ: انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ فَاكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ، وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلا تَقْبَلْ إِلا حَدِيثَ النَّبِيِّ ، - ﷺ -، وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لا يَعْلَمُ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا.)) [2].
- ورواه ابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن دينار قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: ((أن انظرْ ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنّة ماضية أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن، فاكتبه، فإنّي خفتُ دروس العلم وذهاب أهله))[3].
- وكتابه العام إلى جميع ولايات الدولة الإسلامية والذي ذكره أبو نعيم في تاريخ أصبهان بلفظ:((كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه واحفظوه، فإنّي أخاف دروس العلم وذهاب العلماء))[4].

أولًا– الباعث أو الحامل على هذا المشروع:

لابدّ من التركيز على الباعث أو الحامل على هذا المشروع الرسميّ الكبير الذي نهض به عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فبالعودة إلى مضمون هذه الكتب نجد أنّ الحامل أو الباعث

---

(١) يُنظر الطبقات الكبرى (7 /448)، سير أعلام النبلاء (4 /47)، السنّة قبل التدوين ص373.

(٢) صحيح البخاري (1 /49) كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ،وأخرجه الدارمي في سننه المقدمة، باب من رخص في كتابة العلم(137/1) رقمي 487، 488، والخطيب في تقييد العلم (105/1، 106).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (8 /480) .

(٤) تاريخ أصبهان (366/1).

لدى عمر بن عبد العزيز على تدوين السنّة يبدو واضحًا بقوله: ((فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ، وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ)).

وهذه النّقطة بالغة الأهميّة لأنّ الباعث لديه باعث دينيٌّ علميٌّ بحت كما هو واضح من تعليله لكتبه، وليس له صلة بالجانب السياسيّ، وقد كانت كتبه إلى سائر العلماء والولاة في الآفاق واحدةً، وتحميلها بعدًا سياسيًّا يفتقر إلى الدليل، بل يصطدم مع جميع الروايات المأثورة في هذا الشأن.

ثانيًا– منهج الخليفة عمر بن عبد العزيز في تدوين السنّة النبويّة:

ويمكن أن نختصر المنهج الذي قام عليه التدوين الرسمي للحديث بالنقاط التالية(١):

1–الحياد العلميّ:

والحياد العلمي يبدو واضحًا في آليات العمل فهو لم يخصّ مصرًا دون آخر بكتابه بل عمّمه على سائر الأمصار ، لما هو معلوم من انتشار الصحابة الكرام في البلاد المفتوحة، وقد حفظ أهل الأمصار روايات من نزل فيهم من الصحابة – رضي الله عنهم– .

فهو لم يجمع أحاديث مصر دون آخر أو جماعة من الناس دون غيرها، ولو كان له انحياز ما لجمعَ أحاديثَ أهل الشام فحسب، أو أحاديث رواة ممن يُعرفون بتأي يدهم للأمويّين.

ولا عجب أن يركّز عمر في كتبه على المدينة المنوّرة وهي عاصمة الحديث النبويّ، ودار الهجرة، ومثوى الرسول – ﷺ– ، ومجتمع الصحب الكرام، ومهوى أفئدة المحدثين، أسانيدها أنقى الأسانيد وأعلاها، فهي واحة الإيمان المحفوظة من عكر ثقافات الأمم الوافدة ، ودخن الفتن المستعرة.

وهو أعلم الناس بها وبأهلها فقد قرأ الفقه على فقهائها صبيًّا، ووَلِيَ إمارتها شاباً(٢) ،

---

(١) يُنظر عمر بن عبد العزيز ، عبد الستار الشيخ ص82 .

(٢) ولي عمر إمارة المدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين.سير أعلام

وأدرك ثراءها بالحديث النبويّ، والإرث المحمديّ ، ولذا خصّهم بكتاب إلى أميرها أبي بكر ابن حزم و إلى بعض علمائها كالزهريّ وإلى عموم أهل المدينة كما روى الدارميّ بسنده عن عبد الله بن دينار قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة أن انظروا حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله (١).

ولا يستطيع أحد أن يعطي لهذا الأمر بُعدًا سياسيًّا ، لأنّه من المعروف تاريخيًّا أنّ أهل المدينة المنوّرة بأهلها وعلمائها لم يكونوا على علاقة جيّدة بحكام بني أميّة ، وقد تأزّمت العلاقة معهم حتى وصلت إلى درجة المواجهة العسكريّة في أحداث الحرّة زمن يزيد بن معاوية، وبقيتْ في حيّز المعارضة السلمية في مراحل كثيرة من حكم الأمويّين.

2- حسن اختياره للقائمين بهذا الأمر: فأبو بكر بن حزم هو أحد أوعية العلم ومن أعلام عصره قال فيه الإمام مالك: ما رأيت مثل ابن حزم أعظم مروءة ولا أتمَّ حالاً، ولا رأيت من أوتي مثل ما أوتي: ولاية المدينة، والقضاء، والموسم. وقال: كان رجل صدق، كثير الحديث. وقال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث توفي 120هـ(٢). وأمّا الزهري، فهو العالم العَلَم، حافظ زمانه، وشهرته ملأت الآفاق، قال فيه الليث بن سعد: ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب، يحدّث في الترغيب والترهيب، فتقول: لا يحسن إلا هذا، وإن حدَّث عن العرب والأنساب، قلتَ: لا يحسن إلا هذا. وإن حدّث عن القرآن والسنّة، كان حديثه؛ وقال عمر بن عبد العزيز: عليكم بابن شهاب، فإنّه ما بقي أحد أعلم بسنّة ماضية منه(٣).

3- التدوين عام والتخصيص لاعتبارات دقيقة: فقد طلب ممّن يدوّن له السنّة جمع الأحاديث مطلقاً وتدوينها، و أمر بتتبّع أناسٍ مخصوصين لما عرفوا باختصاصهم أحاديث معينة؛ فقد أمر ابن حزم بتدوين حديث عَمْرَة بنت عبد الرحمن، وإنما خصّ عمرة دون

النبلاء (5 /117).

(١) سنن الدارمي (1 /137) باب من رخص في كتابة العلم ،رقم 488 ، بسند صحيح متصل.

(٢) يُنظر الطبقات الكبرى لابن سعد (5 /69)،سير أعلام النبلاء (313/5 ــ 314) .

(٣) سير أعلام النبلاء (328/5).

غيرها بالذكر لأنها خالة أبي بكر بن حزم [1]، ولأنها من أثبت الناس بأمّ المؤمنين عائشة والسيدة عائشة هي أعلم الناس بأحوال سيدنا رسول الله ﷺ وشؤونه الخاصة داخل بيته ومع أهله، وعمرة هذه هي: عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة الأنصارية النّجارية المدينية الفقيهة، تربية عائشة وتلميذتها، وجدّها سعد من قدماء الصحابة، وهو أخو النقيب الكبير أسعد بن زرارة، ذكرها ابن المديني فضخَّم أمرها وقال: عمرة إحدى الثقات العلماء بعائشة، الأثبات فيها[2]. وقال الزهري: أتيتها فوجدتها بحراً لا يُنْزَف [3]. توفيت عام 98هـ وقيل 106هـ[4].

4-التحرّي للصحيح: فقد ألزم من يدوّن السنّة النبويّة أن يميّز الصحيح من السقيم، ويتحرّى الثابت من الحديث، وذلك واضح في رواية الدارميّ حيث يقول عمر لابن حزم: اكتب إليَّ **بما ثبت عندك** من الحديث عن رسول الله ﷺ وبحديث عمرة. وعند الإمام أحمد في العلل: اكتب إليّ من الحديث بما ثبت عندك من رسول الله ﷺ وحديث عَمْرَة[5]. وهذه نقطة عظيمة الأهمية في تأسيس منهج التدوين على أسس راسخة، ثابتة صحيحة، قويمة مستقيمة[6].

5- تثبّته شخصيًا من صحّة الحديث والتحديث: فعُمَر من كبار العلماء، وليس بأقل شأناً في العلم ممن أمرهم بالتدوين، لذلك قام بمشاركة العلماء في مناقشة بعض ما جمعوه، زيادة في التثبيت، من ذلك ما رواه أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي قال: رأيت عمر بن عبد العزيز جمع الفقهاء، فجمعوا له أشياء من السنن، فإذا جاء الشيء الذي ليس العمل عليه

---

(١) تغليق التعليق (2 /90).

(٢) تهذيب التهذيب (466/12) .

(٣) سير أعلام النبلاء (508/4)

(٤) المصدر السابق.

(٥) العلل ومعرفة الرجال (1 /150).

(٦) يُنظر عمر بن عبد العزيز ، عبد الستار الشيخ ص82 .

قال: هذه زيادة ليس العمل عليها[١].

6- تعميم ما تمّ تدوينه على الأمصار: بعد عمليّة الجمع والتنقيح والتدوين للسنّة النبويّة والتي اشتركت فيها الأمصار جميعًا أصبح المشروع جاهزًا، فأمر عمر بنسخه وتوزيعه على الأمصار لتشترك في النفع كما شاركت من قبل في الجمع.

ففي جامع بيان العلم لابن عبد البرّ بسنده إلى ابن شهاب الزهري قال: ((أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا))[٢].

7- التدوين ليس على حساب الرواية الشفاهية: لذا حثّ عمر بن عبد العزيز العلماء وحفّاظَ الحديث على مجالسة الناس وتعليمهم حتى لا يدرس العلمُ ، وهذا يدلّ على أنّ عمر لم يرد للتدوين أن يلغي الرواية بالمشافهة، بل أن يكون رديفًا لها وضمانةً من ضياع العلم. ((وَلْتُفْشُوا الْعِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لا يَعْلَمُ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا))[٣].

وهكذا نجد أنّ الخلاف قد حسم في كتابة الحديث لصالح الجواز في القرن الأول من الهجرة، وشّكل مشروع التدوين الرسمي للحديث النبوي الذي أطلقه الخليفة الأمويّ عمر ابن عبد العزيز نقطة تحوّل بارزة في تاريخ تدوين الحديث وكتابة العلم .

وقد قوبل ذلك المشروع بترحيب كبير واستحسان واسع لدى علماء الأمّة وقتئذ وعلى امتداد العصور اللاحقة، وأمّا الشبهات التي أوردها قلّة قرؤوا تدوين الحديث قراءة شكٍّ وارتياب، فقد سقطت جميعها أمام البحث العلمي.

والمشكلة لدى هؤلاء على اختلاف مشاربهم في التصوّر المسبق الذي يلوّن قراءهم

---

(١) السنّة قبل التدوين ص 330 ونقله عن مخطوط قبول الأخبار ومعرفة الرجال لأبي القاسم عبد الله بن أحمد البلخي – دار الكتب المصرية ص 30.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (76/1).

(٣) جزء من حديث سبق تخريجه.

للنصوص والأحداث فيجعل الحسن قبيحًا، والعكس صحيح.

وقد حاولت من خلال ما رشح لنا من روايات تؤرّخ لهذا المشروع أن أتلمّس المنهج الذي حدّده عمر بن عبد العزيز لجمع الحديث ومعاي يره وآليّاته حيث أظهر البحث أنّه أرادها مهنيّةَ الأسلوب وحياديّةَ الموضوع والمرجعيّة.

وقد سلّط البحث الضوء على الحامل والباعث على هذا المشروع الكبير ، والذي بدا حاملاً دينيًّا علميًّا، وليس خلاف ذلك كما حاول بعضهم تصويره.

المبحث الثالث: أثر السلطان الأمويّ في كتم الحديث:

يأتي هذا المبحث للإجابة على سؤال مهم وهو: هل استعمل الأمويّون سلطانهم في إخفاء الأحاديث النبويّة التي لا تناسبهم سواء كان ذلك في ذمّهم أو مدح أعدائهم وذلك بمنع روايتها؟ .

وفي هذا المبحث سوف أدرس كلا الاحتمالين المتوقعين لهذا السؤال دراسةً نقديّةً في

ضوء ما وصل إلينا من أخبار، وقد جاء هذا المبحث في أربعة مطالب:

الأوّل: التحقيق في دعوى استعمال الأمويّين سلطانهم في قمع المعارضة.

الثاني: أخبار تدلّ على منع الأمويّين الرواية في مواضيع بعينها لأغراض سياسية.

الثالث: أخبار تدلّ على عدم منع الأمويّين الرواية في أيّ موضوع.

الرابع: التحقيق في مسألة كتم الحديث.

المطلب الأوّل: التحقيق في دعوى استعمال الأمويّين سلطانهم في قمع المعارضة:

إنّ الرّواياتِ التاريخيّة ابتداءً من موقعة كربلاء، إلى موقعة الحرّة في المدينة المنوّرة، إلى حصار مكّة الأوّل في زمن يزيد بن معاوية والثاني زمن عبد الملك بن مروان إلى ضرب فتنة المختار الثقفيّ، والمعارك الشديدة في حرب ثورة ابن الأشعث، إلى ضرب ثورة زيد بن عليّ زين العابدين ثمّ ولده يحيى وغيرها.. تثبت بما لا يدع مجالًا للشك أنّ سياسة الأمويّين كانت صارمة في قمع أي خروج مسلّحٍ على سلطانهم.

لكن ما الموقف من المعارضة السلميّة، وصيانة حقّ التعبير لذي الرأي المخالف؟

في ضوء الروايات التاريخيّة يمكن أن نقسم العصر الأمويّ إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: من سنة 40هـ حتى 75هـ وتشمل مدّة حكم الفرع السفيانيّ(معاوية ويزيد ومعاوية الثاني) يُضاف إليها مدّة حكم مروان بن الحكم، وشطرًا من مدّة حكم عبد الملك بن مروان.

وهي مدّة اتسمت بالحريّة السياسيّة للمعارضة السلميّة، ولاسيما في مدّة معاوية ﷺ التي لم تشهد أيّ خروج مسلّحٍ، وذلك يرجع إلى الطريقة الشرعيّة في تولّيه الخلافة نتيجةً للصلح العام الذي شهدته الأمّة فيما عُرف بعام الجماعة سنة40هـ.

ويرجع كذلك إلى شخصيّة معاوية التي اتسمت بالحلم وسعة الصدر مع الخصوم [(١)]، وقد صرّح بسياسته الحليمة التي تكفل حرّية التعبير في أكثر من حادثة فقد جاء في أوّل خطبة له في المدينة: ((وَاللهِ لاَ أَحْمِلُ السَّيْفَ عَلَى مَنْ لاَ سَيْفَ مَعَهُ، وَمَهْمَا تَقَدَّمَ مِمَّا قَدْ

---

(١) من كلامه ﷺ : ((إنّي لأرفع نفسي من أن يكون ذنبٌ أعظم من عفوي ، وجهلٌ أكثر من حلمي ، أو عورةٌ لا أواريها بستري، أو إساءةٌ أكثر من إحساني)).تاريخ الطبري (3 /267).

عَلِمْتُمُوْهُ، فَقَدْ جَعَلْتُهُ دُبُرَ أُذُنِي)) [١].

وقد كرّر معاوية موقفه من المعارضة الكلاميّة حتى ولو كانت بدوافع كيديّة، فقد ك ان يقول: ((إنّي لا أحمل السيف على من لا سيف معه، وإنْ لم تكن إلا كلمةٌ يشتفي بها مُشتفٍ جعلتُها تحت قدمي، ودُبُرَ أُذُنِي)) [٢].

ويروى أنّ رجلًا أغلظ لمعاوية فأكثر، فقيل له: أتحلم عن هذا؟ فقال: ((إنّي لا أحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا)) [٣].

وكذلك كان المغيرة بن شعبة ﷺ والي معاوية على الكوفة يُؤثر العافية ويكره القتل، يقول ابن جرير: ((وبعثَ المغيرةَ بنَ شعبة واليًا على الكوفة، فأحبَّ العافية، وأحسن في الناس السيرة، و لم يفتّش أهل الأهواء عن أهوائهم ، وكان يُؤتى ، فيُقال له : إنّ فلانًا يرى رأي الشيعة، وإنّ فلانًا يرى رأي الخوارج ، فكان يقول: قضى الله ألا تزالون مُختلفين وسيحكُم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون؛ فأمِنَه الناسُ)) [٤].

وكان زياد بن أبيه [٥] أشدّ منه، ولكنّه مع ذلك كان يسير بسياسة معاوية، فقد جاء في خطبته الشهيرة بالبتراء في أهل البصرة ((وقد كانت بيني وبين أقوام إِحنٌ [٦]، فجعلت ذلك دُبُر أُذني وتحت قدمي، فمن كان منكم مُحسنًا فليزددْ إحسانًا ، ومن كان مُسيئًا فليترعْ عن إساءته. إنّي لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتله السلُّ من بغضي لم أكشف له قناعًا ، و لم أهتك له سِترًا حتى يبدي لي صفحته [٧]، فإذا فعل لم أناظره)) [٨].

---

(١)تاريخ دمشق (59 /154)، البداية والنهاية (8 /141)، سير أعلام النبلاء (3 /148).

(٢)الكامل في اللغة و الأدب (1 /57) لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت 285هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ط3: 1417 هـ/ 1997 م.

(٣)تاريخ الطبري (3 /268).

(٤)تاريخ الطبري (3 /174).

(٥) والي معاوية على البصرة ثمّ على العراق كلّه بعد موت المغيرة بن شعبة.

(٦) الإحن: جمع مفردها (إحنة) و الإحْنةُ الحقْدُ في الصدر.لسان العرب (13 /8).

(٧) أبدى صفحته: باح بأسراره أو جهر بالذنب والخطيئة . يُنظر لسان العرب (2 /512)، المعجم الوسيط (1 /516).

(٨)تاريخ الطبري (3 /197).

وقال زياد أيضًا في شأن عمرو بن الحمق رضي الله عنه [١]، وهو من رؤوس شيعة عليّ رضي الله عنه في العراق:((لو علمت أنّ مخ ساقه قد سال من بغضي ما هجته حتى يخرج عليّ))[٢].

وولي النعمان بن بشير رضي الله عنه الكوفة ليزيد بن معاوية، وكان بشهادة أهل الكوفة حليمًا ناسكًا يحبّ العافية. قال في خطبة له:((إنّي لا أقاتل من لم يقاتلني، ولا أَثِبُ على من لا يثب عليّ ولا أشاتمكم ولا أتحرّش بكم ولا آخذ بالقَرْفِ[٣] ولا الظِّنَّة ولا التُّهمة ، ولكنّكم إن أبديتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنّكم بسيفي ما ثبت قائمُه في يدي ، ولو لم يكن لي منكم ناصر ؛ أما إنّي أرجو أن يكون من يعرف الحقَّ منكم أكثر ممن يرديه الباطلُ)) .

قال: فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرميّ حليف بني أمية فقال : إنّه لا يُصلِح ما ترى إلا الغَشْم [٤]؛ إنّ هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأيُ المستضعَفين.

فقال: ((أن أكون من المستضعَفين في طاعة الله أحبّ إلي من أن أكون من الأعزّين في معصية الله)) ،ثم نزل [٥].

ولا يُعكّر على سياسة معاوية الحليمة طيلة عشرين عامًا من حكمه إلا قتله حجرَ بن عديّ رضي الله عنه وأصحابه، فمعارضة حجر كانت سِلميّة إلا أنّ خصومته مع المغيرة بن شعبة أوّلًا ثمّ مع زياد بن أبيه ثانيًا رشّحت معارضته لتدخل حالة الخروج المسلح، ولا سيما أنّ ثلاثة

---

(١)عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب الخُزاعي. هاجر إلى النبي ﷺ بعد الحديبية. وسكن الشام، ثم انتقل إلى الكوفة فسكنها. وكان ممن سار إلى عثمان رضي الله عنه؛ ثمّ صار من شيعة علي رضي الله عنه، وشهد معه مشاهده كلها، وأعان حجر بن عدي، ثم هرب في زمن زياد إلى الموصل، ودخل غارا فنهشته حيّة فقتلته ،وكانت وفاته سنة خمسين. يُنظر الاستيعاب(3/ 1173)، أسد الغابة(4/ 100-101)، الإصابة في تمييز الصحابة (4 /624).

(٢)تاريخ الطبري (3 /208).

(٣)وقَرَفْتُ الرجل أَي عِبْتُه ويقال هو يُقْرَفُ بكذا أَي يُرْمى به ويُتَّهم فهو مَقْروفٌ وقَرَفَ الرجلَ بسوء رماه وقَرَفْته بالشيء فاقْتَرَفَ به . ابن السكيت : قَرفْتُ الرجلَ بالذنب قَرْفاً إذا رَمَيْتَه ، الأَصمعي: قَرَف عليه فهو يَقْرِف قَرْفاً إذا بَغى عليه وقَرَفَ فلانٌ فلاناً إذا وَقَع فيه.لسان العرب (9 /279).

(٤) الغشم: الظلم. الصحاح للجوهري (6 /274)، لسان العرب (12 /437).

(٥) تاريخ الطبري (3 /279)، ويُنظر الأخبار الطوال (ص 231).

آلاف من الرجال بالسلاح كانوا يلتفّون حوله حسب الروايات التاريخيّة[1]، وقد قتله معاوية بشهادة الشهود عليه أنّه سبّ الخليفة ، وأنّه حارب الأمير ، وأنّه يقول : إن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[2].

وأما مدّة يزيد ومعاوية الثاني ومروان، وشطر مدّة عبد الملك فهي مرحلة تطورت فيها غالب المعارضات من السلمية إلى الخروج المسلّح، ولاشكّ أنّ حمل السلاح مرحلة متقدّمة في العمل الثوري، ولا يتصوّر من ثائرٍ بالسيف أن يخشى الكلام أو الرواية فيما لا يُناسب السلطة الأمويّة، وكذلك فإنّ الواقع المعقّد للأمصار الثائرة أدى إلى انشغال الأمويّين بقمع المعارضة المسلّحة غاضّين النظر عن المعارضة الكلاميّة انشغالًا منهم بالأخطر على ملكهم، وكذلك كان الحال في الشطر الأوّل من عهد عبد الملك بن مروان.

المرحلة الثانية: (75- 96هـ) مرحلة الاستبداد السياسيّ زمن عبد الملك بن مروان وولده الوليد: بعد أن حسم الصراع مع جميع الأحزاب والتيارات المعارضة لصالح عبد الملك ابن مروان؛ فإنّه بدا ضيق الصدر تجاه أيّ شكل من أشكال المعارضة بما يمثّل ردّة فعلٍ على الواقع الإسلاميّ المنقسم، والذي كلّفه أكثر من عشر سنين من المعارك المتواصلة لتوحيد الدولة وتوطيد أركان الحكم.

وهكذا فقد بدأ بمقتل ابن الزبير زمن تمكّن السلطان الأمويّ مستغنيًا بجيشه وأنصاره من أهل الشام وغيرهم، عن مداهنة القوى القبليّة أو الدينيّة، فانقاد له الناس رغبةً أو رهبةً.

وكان عبد الملك أوّل من نهى الناس عن مراجعته في كلامه أو المنازعة في مجلسه، وكان الناس قبله يراجعون الخليفة فيما يقول، ويعترضون عليه فيما يفعل[3].

وهذه السياسة المركزيّة لعبد الملك بن مروان كانت في الولايات ذات الطبيعة المعارضة، أكثر صرامة، ولاسيما في الولايات التي حكمها الحجّاج بن يوسف الثقفيّ.

---

(١)يُنظر سير أعلام النبلاء (3/ 463 وما بعدها).

(٢) يُنظر البداية والنهاية (8/ 56).

(٣) يُنظر الأوائل للعسكري (ص250- 251).

والأثر الأكبر للقمع الأمويّ على العلماء كان في العراق بعد وقعة (دير الجماجم)[١] وانتصار الحجّاج على ابن الأشعث ومن معه من الفقهاء والقرّاء، حيث فرّ أكثرهم من الحجّاج وتواروا عن الأنظار، وحسبك أنّ بعضهم صنّف كتابًا في المتوارين الذين فرّوا خوفًا من الحجّاج بن يوسف الثقفيّ[٢].

وقد سار ولده الوليد على نهجه، مستعينًا بالحجّاج بن يوسف أيضًا.

ولكن مما ينبغي أن نعرفه أنّ مستوى القمع كان يتفاوت من ولاية إلى أخرى، فلم يكن جميع عمّال عبد الملك والوليد كالحجّاج في شدّته، فقد جاء في المستدرك للحاكم والسنن الكبرى للبيهقيّ أنّ يَحْيَى بْنَ يَعْمَرَ لّما كذّب الحجّاج في نفيه أن يكون الحسين مِنْ ذُرِّيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، واحتجّ عليه بقوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ} [الأنعام: 84، 85]. إذ ما بين عيسى وإبراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد ﷺ. لّما فعل ذلك قام الحجّاج بنفيه إلى خراسان[٣]، ولكنّ عامله على خراسان قتيبة بن مسلم ما لبث أن ولّاه على قضاء مرو[٤].

المرحلة الثالثة: من ولاية سليمان إلى آخر عصر بني أميّة (96هـ- 132هـ)

---

(١)دير الجماجم: بظاهر الكوفة على شاطئ الفرات، قيل سُمِّيَ دير الجماجم لأنّه كان ت تُعمل فيه أقداح من خشب والجمجمة القدح من الخشب، وقيل لأنّ م الك الرماح بن محرز الإياديّ قتل قومًا من الفرس ونصب جماجمهم عند الدير، فسُم ي دير الجماجم. يُنظر فتوح البلدان ج1/ص282- ط دار الكتب العلمية، معجم البلدان (2 /504)، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص 254) لمحمد بن عبد المنعم الحِميري ، المحقق:إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، ط: 2 - 1980 م.

(٢) كتاب المتوارين لعبد الغني بن سعيد الأزدي، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، 1410هـ،

(٣) يُنظر المستدرك (3 /180) رقم(4772)، السنن الكبرى للبيهقيّ ت:محمد عبد القادر عطا (6 /166)رقم(11708) بسند ضعيفٍ جدًّا فيه صَالِحُ بنُ مُوْسَى بنِ عَبْدِ اللهِ التَّيْمِيُّ الطَّلْحِيُّ، الكُوْفِيُّ. قَالَ ابْنُ مَعِيْنٍ: لاَ يُكْتَبُ حَدِيْثُهُ.وَقَالَ البُخَارِيُّ: مُنْكَرُ الحَدِيْثِ.وَقَالَ النَّسَائِيُّ: مَتْرُوْكٌ.وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: هُوَ عِنْدِي مِمَّنْ لاَ يَتَعَمَّدُ الكَذِبَ.وَقَالَ الجُوْزَجَانِيُّ: ضَعِيْفُ الحَدِيْثِ عَلَى حُسْنِهِ. سير أعلام النبلاء (15 /178).

(٤) يُنظر مشاهير علماء الأمصار (ص 126)، تهذيب التهذيب (37 /134).

وهي مرحلة شهدت تقاربًا بين العلماء وخلفاء بني أميّة وبدأت بخلافة سليمان بن عبد الملك الذي تخلّص من معظم الولاة الذين اتّسموا بالظلم والشدّة على العباد، وأقام مكانهم ولاةً أقرب إلى العدل واللِّين، وكان يسأل العلماء ويدنيهم، ثمّ تطوّرت في زمن عمر بن عبد العزيز وبقيت بين مدٍّ وجزرٍ في بقيّة خلفاء بني أميّة.

وفي هذه المرحلة انتهت مظاهر القمع الأمويّ، وهدأت ثائرة معظم العلماء، وكان حالهم مع بني أميّة بين بين، فلا هو التماهي في السلطان ولا هو المنافرة معه. وإنّما نصيحة تدور بين الرفق والشدّة وتختلف حدّتها باختلاف قائلها وسامعها.

المطلب الثاني: أخبار تدلّ على منع الأمويّين الرواية في مواضيع بعينها لأغراض سياسيّة:

أوّلًا– خوف أبي هريرة من الرواية:

يستدلّ بعضهم على القمع الأمويّ بأسلوب كمّ أفواه الرواة بما أخرجه البخاريّ في صحيحه[١] عن أبي هريرة ﵁ أنّه قال: « حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِعَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ».

وهو تصريح خطير من أبي هريرة يكشف عن خطورة الظرف الذي يجعله يتخوّف على حياته فيما لو أذاع ما يحفظه من أحاديث معينة.

ولكن بالعودة إلى كلام شرّاح هذا الحديث نجد أنّهم يفترقون في توجيه كلام أبي هريرة إلى وجهتين مختلفتين:

الوجهة الأولى (سياسيّة): تحملُ الوعاءَ الذي لم يبثّه على الأحاديث التي لها صلة بالسلطان والحكم، وما يتعلّق بذلك من فساد الدين، وتغيّر الأحوال، والتضييع لحقوق الله تعالى[٢].

---

(١) صحيح البخاري – (1 / 56) في العلم باب حفظ العلم رقم (120).

(٢) شرح صحيح البخاري لا بن بطال (1 / 195) تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية /

يقول ابن حجر[1]: « وَحَمَلَ الْعُلَمَاء الْوِعَاء الَّذِي لَمْ يُبَثّهُ عَلَى الْأَحَادِيث الَّتِي فِيهَا تَبْيِين أَسَامِي أُمَرَاء السُّوء وَأَحْوَالهمْ وَزَمَنهمْ، وَقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَة يَكُنِّي عَنْ بَعْضه وَلَا يُصَرِّح بِهِ خَوْفًا عَلَى نَفْسه مِنْهُمْ ، كَقَوْلِهِ : « أَعُوذ بِاَللَّهِ مِنْ رَأْس السِّتِّينَ وَإِمَارَة الصِّبْيَان »[2] يُشِير إِلَى خِلَافَة يَزِيد بْن مُعَاوِيَة لِأَنَّهَا كَانَتْ سَنَة سِتِّينَ مِنْ الْهِجْرَة. وَاسْتَجَابَ اللَّه دُعَاء أَبِي هُرَيْرَة فَمَاتَ قَبْلهَا بِسَنَةٍ».

الوجهة الثانية (عقديّة): تَحمل الوعاء على أمور لا تبلغها العقول مما قد يسبّب للسامعين فتنةً قد يتأوّلون فيها كفره فيقتلونه.

قال الإمام العيني: « وقالت المتصوّفة: المراد بالأول – أي الوعاء الأوّل-: علم الأحكام والأخلاق، وبالثاني: علم الأسرار المصون عن الأغيار المختصّ بالعلماء بالله من أهل العرفان، وقال آخرون منهم: العلم المكنون والسر المصون علمنا؛ وهو نتيجة الخدمة، وثمرة الحكمة لا يظفر بها إلا الغوّاصون في بحار المجاهدات ، ولا يسعد بها إلا المصطفون بأنوار المجاهدات والمشاهدات إذ هي أسرار متمكّنة في القلوب لا تظهر إلا بالرياضة وأنوار لامعة في الغيوب لا تنكشف إلا للأنفس المرتاضة . قلت: نِعْمَ ما قال ، لكن بشرط أن لا تدفعه القواعد الإسلامية ولا تنفيه القوانين الإيمانية إذ ما بعد الحقّ إلا الضلال»[3].

وقال الملا علي القاري: «فأمّا أحدهما: وهو علم الظاهر من الأحكام والأخلاق فبثثته

الرياض ط:2- 1423هـ/2003م.

(١) فتح الباري لابن حجر – (1 / 191).

(٢) روي عنه مرفوعًا في مسند أحمد (14 /67-68) رقم(8319) بلفظ (تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ رَأْسِ السَّبْعِينَ ، وَإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ) فيه أبو صالح مختلف فيه توثيقًا وتضعيفًا ذكره ابن حبّان في الثقات (5 /455)، وقال ابن حجر: ليّن الحديث. تقريب التهذيب (ص 649)، والراجح ضعفه لجهالته، حيث لم يرو عنه غير كامل بن العلاء التميمي الكوفيّ صدوق يُخطىء. تقريب التهذيب (ص 459) ومدار الحديث عليهما، فلا يصحّ مرفوعًا، وأمّا استعاذته فأصحّ ما ورد فيها ما رواه البخاري في الأدب المفرد (ص: 37) رقم (66) عن أبي هريرة ﷺ موقوفاً: «كان يتعوّذ من إمارة الصبيان والسفهاء» بسند صحيح، وروى الطبراني في الأوسط (2/105-106) رقم (1379) من حديث علي بن زيد بن جدعان عن أبي حازم عن أبي هريرة ﷺ قال: «قال في كيسي هذا حديث لو حدثتكُمُوه لرجمتموني؛ ثم قال: اللّهم لا أبلغن رأس الستين، قالوا: وما رأس الستين؟ قال: إمارة الصبيان» وعلي ابن زيد ضعيف. تقريب التهذيب (ص: 401).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري – للعيني(3 / 365)- دار إحياء التراث العربي – بيروت.

أي أظهرته بالنقل فيكم ، وأما الآخر وهو علم الباطن فلو بثثته أي نشرته وذكرته لكم بالتفصيل قُطع هذا البلعوم بضم الباء أي الحلقوم لأنّ أسرار حقيقة التوحيد مما يعسُر التعبير عنه على وجه المراد ؛ ولذا كلّ مَن نطق به وقع في توهيم الحلول والاتحاد ، إذ فهم العوام قاصر عن إدراك المرام، ومِن كلام الصوفيّة: صدور الأحرار قبور الأسرار» (١).

ولكنّ ابن المنير (٢) ذمّ استدلال الباطنيّة وبعض غلاة المتصوّفة بالحديث فقَالَ: « جَعَلَ الْبَاطِنِيَّة هَذَا الْحَدِيث ذَرِيعَة إِلَى تَصْحِيح بَاطِلهمْ حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ لِلشَّرِيعَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا». (٣)

والوجهة الأولى أقرب إلى طبيعة عصر الصحابة لما عُرف عنهم من بساطة التدّين، وبعدهم عن الكلام في الوجدانيات والأحوال التي ذاعت وانتشرت في عصور لاحقة، أضف إلى الواقع السياسيّ المضطرب للأمّة بعد الفتنة .

ولكن ذلك لا يستقيم حتى نعرضه على النقد، ولاسيما أنّ هذا التصريح الخطير من أبي هريرة يدخلنا في حالة من العصف الذهني حيث تتوارد الأسئلة والاستشكالات تباعًا، وقد جمعها ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين فقال:

«كيف استجاز كتم الحديث عن رسول الله ﷺ وقد قال: «بلّغوا عني»؟

وكيف يقول رسول الله ﷺ ما إذا ذُكر قُتل راويه؟

وكيف يستجيز المسلمون من الصحابة الأخيار والتابعين قَتل من يروي عن رسول الله ﷺ؟».

ثمّ يُجيب على كلّ هذه الأسئلة بجواب واحد هو أنّ هذا الذي كتمه ليس من أمر

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (2 / 191)- لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ط1، 1422هـ- 2001م.

(٢) أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني قاضي الاسكندرية وعالمها (ت 683 هـ) أحد الأئمة المتبحرين في العلوم من التفسير والفقه والأصلين والنظر والعربية والبلاغة والإنشاء.يُنظر طبقات المفسرين- الأدنروي (ص 252) تحقيق:سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، ط:1- 1997م، والوافي بالوفيات (3 /66)، فوات الوفيات (1 /149).

(٣) فتح الباري لابن حجر - (1 / 191)، ويقول الأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب: « ولا بدّ من أنْ نُنَبِّهَ إلى أنّه ليس في حديث أبي هريرة هذا، أيّ دليل على أنَّ للدين ظاهراً وباطناً، ولا يجوز لأحد أنْ يتَّخذه ذريعة لذلك، حتى ينتهي إلى التحلل من الدين ومخالفة أوامره». أبو هريرة راوية الإسلام (ص: 123).

الشريعة، ثمّ يحمل المكتوم على أمثلة كأن يقول: فلان منافق وستقتلون عثمان و «هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش » بنو فلان فلو صرّح بأسمائهم لكذّبوه وقتلوه .[١]

ولي أن أضيف أسئلة لا تقلّ أهميّة عن تلك التي ساقها ابن الجوزيّ كالسؤال عن الجهة التي كان يخشاها أبو هريرة فيما لو أذاع ما في جرابه من أحاديث أخفاها؟

وأرى أن الجواب عن هذا السؤال يتعلّق بالزمن الدقيق لقول أبي هريرة، هل كان ذلك في زمن عمر أو عثمان أو في الفتنة بعد مقتل عثمان، أم أنّ ذلك كان بعد عام الجماعة وتحوّل الخلافة إلى معاوية؟

فإن كان في زمن الفتنة فمخاوف أبي هريرة مبررة لكثرة الهرج فيها، وإن كان في زمن معاوية فيحتمل أنّه خاف معاوية نفسه، وقد فرط من معاوية أن قتل حجر بن عدي على خلفية مواقفه سياسية، ويحتمل أنّه خاف على نفسه من بعض أمراء بني أميّة وولاتهم ممن عُرفوا بالجور .

ولكنّ تلك الاحتمالات تصطدم بالواقع الذي عاشه أبو هريرة حيث كان عاملًا لمعاوية على المدينة لأكثر من فترة، فلا يستقيم أن يعرف من الحقائق التي أخبره بها النبيّ ﷺ والتي نفترض أنّها في ذمّ بني أميّة بأسمائهم ثم يرضى أن يكون واليًا لمعاوية على المدينة.

وكذلك من المحتمل أنّ معرفته تتعلق بثورة أهل المدينة أو موقف عبد الله بن الزبير، والحسين بن عليّ، وغيرهم.. ولا سيما أنّ أبناء الصحابة عمومًا كانوا يعارضون بيعة يزيد وعلى رأسهم هؤلاء المذكورون. والمقصود أنّ تخوّف أبي هريرة يمكن أن يُحمل على أكثر من جهة وليس محصورًا ببني أميّة.

ويشهد لذلك أنّه روى عن النبيّ ﷺ قوله: «هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ »، فقال مروان: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غِلْمَةً ؛ فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلتُ[٢].

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (1 / 1014) تحقيق: علي حسين البواب ، دار الوطن- الرياض – 1418ه / 1997م.

(٢) صحيح البخاري - (6 / 2589) في الفتن، باب: قول النبيّ ﷺ «هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء »رقم (6649).

فقوله: (بني فلان وبني فلان) يفيد أنّهم أكثر من جهة ، لأنّ العطف يفيد المغايرة [١]، وهو يعني أنّهم من أكثر من بطن في قريش .

وثمّة سؤال آخر عن السبب الذي جعل أبا هريرة يتوقّع أنّه لو بثّ تلك الأحاديث فسوف يقطع بلعومه؟ فأين وسائل التعزير الأخرى من حبس وجلدٍ ونفيٍ وغيرها؟

وهل كان حكم من يروي أحاديث لا تناسب الحكم الأمويّ أن يقطع رأسه؟

والجواب أننا لا نعلم حالة واحدةً تعرّضت للقتل لمجرد رواية الحديث طيلة العصر الأمويّ، وقد كان معاوية أعظم خلفاء بني أميّة حلمًا وأوسعهم صدرًا فلا يُظنّ به أن يفعل ذلك.

وبعد هذه الاستشكالات التي واجهت الوجهة السياسية لتأويل كلام أبي هريرة، والتي لم نجد لها جوابًا شافيًا، أرى الراجح في تأويل كلام أبي هريرة أن يحمل ما كتمه أبو هريرة على جنس ما كتمه ابن عبّاس من الأخبار التي تتعلّق بأسرار الخلق، كخلق السموات والأرض وحركة الأفلاك وغيرها مما تقصر عنه العقول، ولاسيما مع بساطة أدوات المعرفة في ذلك العصر.

فقد أخرج ابن جرير الطبريّ بسنده إلى ابن عباس في قوله:{ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}[الطلاق: 12]قال: لو حدّثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفركم تكذيبكم بها[٢].

وأخرج كذلك بسنده إلى سعيد بن جبير، قال: قال رجل لابن عبّاس : { اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنّ } الآية. فقال: ابن عباس ما يُؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر[٣].

وقد ترجم البخاريّ لبعض هذه الأحاديث بقوله : باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهمُ بعض الناس عنه فيقعوا في أشدّ منه[٤].

وأخرج في هذا الباب قول عَلِيّ رضي الله عنه:((حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة- جلال الدين القزويني (ص 147) دار إحياء العلوم – بيروت، ط: 4 ، 1998م.

(٢) تفسير الطبري (23 /469) بسند حسن فيه إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي الكوفي صدوق ليّن الحفظ م 4 . يُنظر تقريب التهذيب (ص 94)، وباقي رجاله ثقات. ويُنظر تفسير ابن كثير (8 /156).

(٣) تفسير الطبري (23 /470)، تفسير ابن كثير (8 /156).

(٤)صحيح البخاري (1 /58)

وَرَسُولُهُ))(١).

وَمِثْله قَوْل اِبْن مَسْعُود رضي الله عنه : ((مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغهُ عُقُولهمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَة)) رَوَاهُ مُسْلِم (٢).

وأيًّا يكن فالحديث لا يصلح على الأقلّ للاستدلال به على ما يُوصف بالقمع الأمويّ بغرض كتم الأحاديث التي لا تناسب حكمهم.

ثانيًا– إخفاء فضائل عليّ وآل البيت رضي الله عنهم :

مما يُنسب للأمويّين أنّهم عملوا جاهدين على إخفاء أحاديث مناقب آل البيت وفضائلهم، ولا سيما عليّ رضي الله عنه (٣).

ويستدلّ لهذه الدعوى بأخبار منها:

–ما أخرج ابن عساكر في تاريخه (٤) بسنده إلى أبي بكر بن دريد قال: أُخبِرنا عن دماذ عن أبي عبيدة قال : كتب معاوية إلى علي بن أبي طالب يا أبا الحسن إنّ لي فضائل كثيرة وكان أبي سيّدًا في الجاهلية ، وصرت ملكًا في الإسلام ، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخال المؤمنين وكاتب الوحي.

فقال عليٌّ : أبِالفضائل يفخر علي ابن آكلة الأكباد ؟! ثم قال : اكتب يا غلام :(من الوافر)

محمّدٌ النبيّ أخي وصهري * وحمزة سيّد الشهداء عمّي
وجعفرٌ الذي يمسي ويضحى * يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمّد سكني وعرسي * مَسُوطٌ (٥) لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها * فأيّكم له سهم كسهمي

---

(١) صحيح البخاري (1 /59) في العلم؛ باب: من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهمُ بعض الناس عنه فيقعوا في أشدّ منه. رقم(127).

(٢)صحيح مسلم (1 /10) في المقدمة: باب النهي عن الحديث بكلّ ما سمع .

(٣)وهي دعوى مشهورة عند الإمامية ومن نسج على منوالهم يُنظر مناقب آل أبي طالب – ابن شهر آشوب (2 /174)، شرح منهاج الكرامة العلامة الحلي ص 486 –487 ، النصائح الكافية– محمد بن عقيل ص 97.

(٤) تاريخ دمشق – (42 / 520–521).

(٥) المسوط : المختلط ، وفي ديوان علي : مشوب.

سبقتكمُ إلى الإسلام طرًّا * صغيرًا ما بلغت أوان حلمي [(١)]

فقال معاوية: **أخفوا هذا الكتاب** لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلى ابن أبي طالب.

وهذه الرواية لو صحّت لكانت أقوى دليل على أمر معاوية بإخفاء فضائل عليّ رضي الله عنه فترة الفتنة، وأنّه كان حريصًا على كتم هذه الأحاديث والفضائل عن أهل الشام وهم عماد جنده لكيلا يميلوا إلى سيّدنا عليّ رضي الله عنه.

ولكنّ هذه الرواية ضعيفة الإسناد فيها انقطاع : قال ابن كثير بعد أن ساق الرواية : « وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمان عليّ ومعاوية» .

فأبو عبيدة هو الإمام العلامة معمر بن المثنى التيمي، مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف. وقد ولد في سنة عشر ومئة [(٢)]، فكيف يحدّث بما كان قبل ولادته بأكثر من سبعين عاماً بغير إسناد؟!.

وقد وقعت على علّة أخرى في السند وهي ضعف دماذ وهو رفيع بن سلمة أبو غسان المعروف بدِماذ[(٣)]. قال الهيثمي [(٤)]: «لم أعرفه».

قلت: هو كاتب أبي عبيدة وهو أوثق الناس عنه [(٥)]، ولكنه لم يُعرف برواية الحديث، و لم يترجم له العلماء في كتب التراجم وله حكم المجهول، ولكن تسقط عدالته بفحشه في

(١) الأبيات في ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه طبعة بيروت ص 188، ومعجم الأدباء 4 / 176 -لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411 هـ - 1991م.

(٢) يُنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء - (9 / 445).

(٣) دِماذ بالفارسية الفسيلة.

(٤) مجمع الزوائد - (8 / 235): وفيه:- عن العجاج أنّه سأل أبا هريرة ما تقول في هذا :

طَافَ الْخَيَالَانِ فَهَاجَا سَقَمَا ... خَيَالُ تُكْنَى وَخَيَالُ تَكْتُمَا

قَامَتْ تُرِينَا رَهْبَةً أَنْ تُصْرَمَا ... سَاقًا بَخَنْدَاةً وَكَعْبًا أَدْرَمَا

فقال أبو هريرة: كنا ننشد هذا على عهد رسول الله ﷺ فلا يعيبه.قال الهيتميّ: رواه الطبراني عن شيخه رفيع بن سلمة و لم أعرفه وبقية رجاله ثقات. قلت: ولاشك أنّه دماذ لأنّه من يروي هذه الأبيات عن أبي عبيدة عن رؤبة بن العجاج عن العجاج به. يُنظر أخبار مكة للفاكهي (ت: 272هـ)- (3 / 27) تحقيق : د. عبد الملك عبد الله دهيش- دار خضر – بيروت-ط2 ، 1414هـ

(٥) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة - (1 / 22) لمجد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق : محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت، ط1، 1407هـ .

الهجاء فقد كان شاعرًا هجّاءً خبيث اللّسان(١).

ولذلك فالرواية ضعيفة، بل هي موضوعة، وهي أشبه بما ولّده الأدباء من حكايات فيها طرائف غريبة عن الصحابة الكرام، وهذه الأبيات منحولة لا تصحّ نسبتها إلى عليّ ﷺ.

أضف إلى ذلك أنّ معاوية زمن الفتنة لم يكن ملكًا، بل كان واليًا على الشام، وكذلك قول عليّ (ابن آكلة الأكباد) فيه تعيير ونبذ بالألقاب السيّئة مما نهى الإسلام عنه، ومما يتسامى عن مثله الصحب الكرام وعليّ ﷺ من خيرهم وصفوتهم رضوان الله على الجميع.

- ومنها ما جاء في كتاب سليم بن قيس (٢) وكتاب أخبار الدولة العباسية (٣)، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ينسبه إلى المدائني في كتاب الأحداث (٤) أنّه نادى منادي معاوية- وهو في المدينة- وكتب بذلك نسخة إلى جميع البلدان إلى عماله: (**ألا برئت الذّمة ممن روى حديثًا في مناقب عليّ بن أبي طالب أو فضائل أهل بيته وقد أحلّ بنفسه العقوبة**) . ومصادر هذا الخبر لا يمكن الوثوق بها(٥):

فسليم بن قيس مجهول (٦)، ولا تصحّ نسبة هذا الكتاب له، بل شكّك بعض الشيعة أنفسهم في سليم بن قيس لأنّه لا يُعرف ولا ذِكر له في خبر(٧).

وكتاب أخبار الدولة العباسية — كتاب لقيط لمؤلف مجهول وقد أسند الخبر إلى سليم ابن قيس الهلاليّ وقد سبق بيان جهالته.

---

(١)الوافي بالوفيات (94/14).

(٢) كتاب سليم بن قيس- تحقيق محمد باقر الأنصاري ص 314.

(٣) أخبار الدولة العباسية- مؤلف مجهول ص 47.

(٤) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد (11 / 44).

(٥) هذه الكتب سبق نقدها في المصادر التاريخية للعصر الأمويّ في الفصل الأوّل من الباب الأوّل.

(٦)سليم بن قيس الهلاليّ العامريّ الكوفيّ (ت نحو 85هـ وقيل 90هـ)، ولم أجد لسليم هذا ذكر في كتب أهل العلم إلا ما ذكره ابن أبي حاتم الرازيّ عن أبيه: ((سليم بن قيس العامريّ روى عن سحيم بن نوفل روى عنه أبان))، فله إذن حكم المجهول من الرواة . ولكن ترجم له قوم من الشيعة على أنّه من أصحاب عليّ ﷺ، فقد ذكر ابن النديم وداود الحليّ في رجاله وغيرهما في ترجمته أنّه خرج ها ربًا من الحجاج لأنّه طلبه ليقتله ، فلجأ إلى أبان بن أبي عيّاش فآواه ، فلما حضرته الوفاة قال لأبان: إنّ لك عليّ حقًّا ، وقد حضرتني الوفاة يا ابن أخي إنّه كان من أمر رسول الله ﷺ كيت وكيت، وأعطاه كتابًا وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور رواه عنه أبان بن أبي عيّاش (ت138هـ). لم يروه عنه غيره. يُنظر رجال داود الحلي ترجمة سليم بن قيس رقم (226) ص249،الفهرست (ص 307)، الأعلام للزركلي (3 /119).

(٧) نقد الرجال للتفريشي (355/2).

وأمّا موقف ابن أبي الحديد من الأمويّين وتحامله عليهم فمشهورٌ لجمعه بين الاعتزال والتشيّع(١)، وهو أيضًا يعزو الخبر بلا سندٍ إلى كتاب(الأحداث) وهو كتابٌ مجهولٌ أو ضائعٌ للمدائنيّ، وعليه فلا يُعرف للخبر سندٌ . وكذلك يُعرف عقلًا بطلان هذا الخبر بأمور:

١ - لا يجوز على الصحابة الكرام العدول أن يقبلوا أمرًا كهذا الأمر، ولا يُتوقّع منهم التواطؤ على ذلك أبدًا.

٢ - بين أيدينا اليوم عشرات الأحاديث في فضائل عليّ ﷺ، فلو كان إخفاء مناقب عليٍّ سياسةً مُتّبعةً في عصر بني أميّة لما وصل إلينا من مناقبه ﷺ شيءٌ، ولاسيما أنّ حكمهم استمرّ قرابة قرن، وهي مدّة كافية لطمس معالم هذه الأحاديث.

٣ - لو استطاع الأمويون ذلك، لكان الأولى بهم أن يمنعوا الرواية في مثالبهم، ولكنّ الأحاديث في مثالبهم بين أيدينا ندرسها اليوم.

ثالثًا- روى مسدد بسنده عَنْ شيخ من النخع قَالَ : دَخَلْتُ مَسْجِدَ إيليا فَصَلَّيْتُ إِلَى سَارِيَةٍ رَكْعَتَيْنِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَصَلَّى قَرِيبًا فَمَالَ إليه الناس فإذا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بن العاص ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ أَنْ أَجِبْ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَنْهَانِي أَنْ أُحَدِّثَ كَمَا كَانَ أبوه ينهاني ..(٢) .

قلت: الحديث معلولٌ بجهالة هذا الشيخ النخعيّ، فهو ضعيف، وكذلك فإنّه لم يروَ أنّ معاويةﷺ نهى عبد الله بن عمرو ﷺ عن الحديث، فالحديث ضعيف لا يحتجّ به.

المطلب الثالث: أخبار تدلّ على عدم قمع الأمويّين الرواية في أي موضوع كان:

ثمّة أخبار يُستدلُّ بها على عدم ممارسة الأمويّين لسلطانهم في منع الرواية في شتى الأبواب:

---

(١)هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد المدائني (586- 655هـ) كاتب، وشاعر، وأديب شيعيّ غالٍ، ومن أعيان المعتزلة أيضًا، نشأ بالمدائن ثم سار إلى بغداد فكان أحد الكتاب والشعراء بديوان الخليفة، وكانت له حظوة عند الوزير ابن العلقمي. يُنظر ترجمته في: البداية والنهاية (13 /233)، تاريخ الإسلام (14 /779)، الأعلام للزركلي (3 /289).

(٢)المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (12/ 684)

أوّلًا- أبدأ بقصّة عبادة بن الصامت مع معاوية ﵄ فقد أخرج مسلم في صحيحه (١) من حديث أَبِي قِلاَبَةَ (٢) قَالَ : كُنْتُ بِالشَّامِ فِي حَلْقَةٍ فِيهَا مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ (٣)، فَجَاءَ أَبُو الأَشْعَثِ(٤) قَالَ قَالُوا : أَبُو الأَشْعَثِ أَبُو الأَشْعَثِ. فَجَلَسَ فَقُلْتُ لَهُ : حَدِّثْ أَخَانَا حَدِيثَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ.

قَالَ: نَعَمْ، غَزَوْنَا غَزَاةً وَعَلَى النَّاسِ مُعَاوِيَةُ ، فَغَنِمْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، فَكَانَ فِيمَا غَنِمْنَا آنِيَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، فَأَمَرَ مُعَاوِيَةُ رَجُلاً أَنْ يَبِيعَهَا فِي أُعْطِيَاتِ النَّاسِ ، فَتَسَارَعَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، فَبَلَغَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَقَامَ فَقَالَ :« إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يَنْهَى عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ وَالْبُرِّ بِالْبُرِّ وَالشَّعِيرِ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ وَالْمِلْحِ بِالْمِلْحِ إِلاَّ سَوَاءً بِسَوَاءٍ عَيْنًا بِعَيْنٍ فَمَنْ زَادَ أَوِ ازْدَادَ فَقَدْ أَرْبَى ». فَرَدَّ النَّاسُ مَا أَخَذُوا فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ : أَلاَ مَا بَالُ رِجَالٍ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- أَحَادِيثَ قَدْ كُنَّا نَشْهَدُهُ وَنَصْحَبُهُ فَلَمْ نَسْمَعْهَا مِنْهُ.

فَقَامَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، فَأَعَادَ الْقِصَّةَ ، ثُمَّ قَالَ : لَنُحَدِّثَنَّ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- وَإِنْ كَرِهَ مُعَاوِيَةُ - أَوْ قَالَ وَإِنْ رَغِمَ - مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَصْحَبَهُ فِي جُنْدِهِ لَيْلَةً سَوْدَاءَ.

وهذه الرواية تدلُّ على أمرين اثنين:

الأوّل: رغبة معاوية في منع عبادة بن الصامت من رواية هذا الحديث، ولكن دون اتخاذ أي إجراء سلطويّ حيال عبادة.

والأمر الثاني: وجود مساحة كافية من الحريّة في مخالفة معاوية، وعدم اكتراث الراوي بموقف معاوية، مع إصراره على رواية ما سمعه من النبي ﷺ .

(١) صحيح مسلم (3 / 1210) في المساقاة - باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا - رقم (1587).

(٢) عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر الجَرمي أبو قلابة البصريّ ، ثقة فاضل، كثير الإرسال. قال العجلي: فيه نصب يسير، مات بالشام هاربًا من القضاء سنة أربع ومائة وقيل بعدها ع -تقريب التهذيب (ص 304)

(٣) مسلم بن يسار القدوة، الفقيه، الزاهد، أبو عبد الله البصري، مولى بني أمية، وقيل: مولى بني تيم من موالي طلحة ﵁. خرج مع ابن الأشعث ثقة عابد مات سنة مائة أو بعدها بقليل د س ق سير أعلام النبلاء - (4 / 510)، تقريب التهذيب - (ص 531) .

(٤)هو شراحيل ابن آدَه أبو الأشعث الصنعاني (الجرمي) ثقة، شهد فتح دمشق وهو من كبار علماء دمشق بخ م 4 . يُنظر سير أعلام النبلاء - (4 / 357)، تقريب التهذيب - (ص 264).

ولكن يُعكّر على هذا الاستدلال أنّ هذه القصّة حدثت في عهد عمر ﷺ إبّان ولاية معاوية على الشام[1].

وهذه الحادثة وإن كانت في زمن عمر أو عثمان ﭭ، فإنها تكشف عن حقيقة حال الصحابة –رضوان الله عليهم– في قول كلمة الحقّ، وأنّهم لا يخافون فيها لومة لائم.

ثانيًا– ذكر الطبريّ في تاريخه من طريق هشام بن محمد، عن أبي مخنف وكلاهما شيعي «أنّ معاوية حين قدم الكوفة، استعمل عليها المغيرة بن شعبة، فأحبّ العافية وأحسن السيرة، وكان يُؤتى فيقال له: إنّ فلانًا يرى رأي الشيعة وفلانًا يرى رأي الخوارج، فيقول: قضى الله أن لا يزالوا مختلفين وسيحكم الله بين عباده، فأمنه الناس»[2].

فهذه الرواية تكشف أنّ حرية الرأي والاعتقاد كانت متاحة زمن معاوية في العراق نفسه الذي يُعدّ أكثر ولايات الدولة الأموية معارضةً للأمويين .

وقد يُقال كيف نقبل هذه الرواية وهي من طريق ابن الكلبي عن أبي مخنف وكلّ منهما متّهم ؟ فالجواب: إنّهما متهمان بالكذب على بني أميّة بالجرح فيهم والحطّ من أقدارهم، لا بمدحهم وذكر مناقبهم،وذلك لغلوّهما في التشيّع، فالرواية عنهما تندرج في سياق قولهم:(والحقّ ما شهدت به الأعداء).

قلت: وهذا الخبر كان أيضًا في زمن معاوية فلا يُسلّم أن يكون كذلك الحال طيلة عصر بني أميّة، ولاسيما زمن الحجّاج.

المطلب الرابع: التحقيق في مسألة منع الرواية وأثر ذلك في الحديث

إنّ الحكم على الشيء فرع عن تصوّره، وفهم طبيعة العصر الأمويّ أمر مهم في نقد

---

(١) ففي رواية للحديث في سنن ابن ماجه – (1 / 8) أنّ عبادة بن الصامت قال لمعاوية:((أحدّثك عن رسول الله ﷺ وتحدّثني عن رأيك لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك علي فيها إمرة)) .
فلما قفل لحق بالمدينة . فقال له عمر بن الخطاب : ما أقدمك يا أبا الوليد ؟ فقصّ عليه القصّة وما قال من مساكنته .
فقال: ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك ؛ فقبح الله أرضًا لست فيها وأمثالك. وكتب إلى معاوية لا إمرة لك عليه ، واحمل الناس على ما قال، فإنّه هو الأمر.

(٢) تاريخ الطبري – (3 / 174)

النصوص التي رشحت إلينا منه أو عنه.

ولذا فيشترط لقبول الأخبار انسجامها مع روح العصر الذي وقعت فيه، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدّمة تاريخه حينما نقد بعض القصص المرويّة كالقصة المفتراة في سبب نكبة البرامكة زمن الرشيد[١].

لذلك كان لابدّ من التذكير بأنّ شكل الحكم والمؤسسات التابعة له في زمن الأمويّين لا يصحّ قياسه على صورة الحكم العصري في زماننا بما تتضمنه من مؤسسات وآليات متابعة تجعل المواطن اليوم تحت سلطة الدولة ونظرها بشكل مباشر، ولكنّ الحكم الأمويّ لم يكن يطال كل فرد بعينه، فسلطانهم لم يطل بشكل مباشر أبناء البوادي والصحاري ولا سكان الجبال و لا حتى كثيرًا من الأرياف والقرى المتناثرة في دولة مترامية الأطراف امتدت من الأندلس غربًا إلى الصين شرقًا.

أضف إلى ذلك أنّ الثورات المعارضة للأمويّين لم تنقطعْ بشكل كامل، بل كانت تظهر بين فترة وأخرى وما بين إقليم وآخر، مستقطبةً المعارضين الذين غالبًا ما يفرضون سلطانهم على عدد من المدن، بل الأقاليم أحيانًا، وذلك كالدولة الزبيريّة في الحجاز والعراق التي دانت تسع سنوات لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وكثورة ابن الأشعث، والخوارج، وغيرهما..

كما يجب أن نذكر أن العصبيّة القبليّة كان لها أثرها الظاهر في تلك الحقبة، وأنّ كثيرًا من المطلوبين للأمويّين كانوا يحتمون بقبائلهم، فإما أن تمنعهم بقوتها وهيبتها، وإمّا أن تتستّر عليهم وتخفيهم لديها.

وقدرة الإنسان آنذاك على الفرار من السلطان والتواري عن الأنظار كانت متاحة للأسباب السابقة، ولضعف الوسائل التكنولوجية في متابعة المطلوبين، وضعف الوسائل المتاحة أصلاً في متابعة الأفراد بشكل عام.

وقد توارى أئمة أعلام عن أعين الأمويّين، خوفًا من الحجّاج بن يوسف الثقفيّ[٢] منهم

---

(١) تاريخ ابن خلدون – (1 / 15)

(٢)لعبد الغني بن سعيد الأزدي أبو محمد، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت ، ط1، 1410هـ.

أبو عمرو بن العلاء[١] حيث لاذ باليمن كما في رواية، وفي رواية أنّه توارى في بادية قومه[٢].

وتوارى منه إبراهيم بن يزيد النخعي ولكنه كان يتنكّر بزيّ الأنباط [٣]، والأعمش سليمان بن مهران الذي كان يختبئ في الآجام [٤] ويأكل من الصيد [٥]، وتوارى الحسن البصريّ في منزل أبي خليفة الحجّاج بن عتّاب ، و لم يمنعه ذلك من أن ينشر العلم، حتى أنّ حميدًا الطويل قال: قرأت القرآن كلّه على الحسن، وهو متوارٍ في بيت أبي خليفة ، ففسّره لي على الأَثْبَات[٦]، وكذلك كان مالك بن دينار يغشى الحسن في ذلك التواري[٧].

وإذا كانت الحكومات اليوم بكلّ ما تملك من تكنولوجيا متطورة وأجهزة أمنية واستخباراتية منظّمة لا تستطيع وقف تسرّب الأخبار من داخل سلطاتها وإليه ، فما الظنّ بالحكومة الأمويّة بهيكليّتها البسيطة قبل ثلاثة عشر قرنًا؟ هل تستطيع أن تمنع رواية الأخبار بين الناس؟!.

كلّ هذه الظروف تجعل موضوع كمّ الأفواه ومنع نشر الأخبار بما فيها الأحاديث النبوية أمرًا صعب المنال، بل يقارب المحال، ولاسيما حينما نلتفت إلى النفسية العربية آنذاك بما فيها من أنفة واعتزاز، وأثر تعاليم الإسلام في تربية الناس على قول الحقّ و أداء الشهادة لله دون خوف من سلطان أو غيره، وبما تضمنته من تحذيرٍ شديدٍ لمن يكتم علمًا أو يُخفي

---

(١) أَبُو عَمْرٍو بنُ العَلاَءِ بنِ عَمَّارِ بنِ العُرْيَانِ التَّمِيْمِيُّ ،ثُمَّ المَازِنِيُّ، البَصْرِيُّ، شَيْخُ القُرَّاءِ وَالعَرَبِيَّةِ، اخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ عَلَى أَقْوَالٍ: أَشهَرُهَا: زَبَّانُ، وَقِيْلَ: العُرْيَانُ مَوْلِدُه: فِي نَحْوِ سَنَةِ سَبْعِيْنَ. وكانت وَفَاتَه فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِيْنَ وَمائَةٍ. يُنظر سير أعلام النبلاء (6 /407-410)، تقريب التهذيب (ص 660).

(٢) كتاب المتوارين (ص39-40).

(٣) المصدر السابق (ص 50).

(٤) الآجام جمع مفردها أَجَمَة وهي الشجر الكثير الملتفُّ. لسان العرب (1 /23).

(٥)يُنظر كتاب المتوارين (ص54-55).

(٦)الثَّبتُ بفتحتين بمعنى الحُجّة ، وجمعه أَثْبَاتٌ، وقولهم: فلان ثَبَتٌ من الأَثْبَات مَجازٌ كقولهم فلان حُجَّةٌ إذا كان ثقةً في روايتهِ . يُنظر المغرب في ترتيب المعرب (1 /112-113) لأبي الفتح ناصر الدين بن المطرز، مكتبة أسامة بن زيد – حلب،ط1، 1979م،تحقيق : محمود فاخوري و عبد الحميد مختار.

(٧) يُنظر الجرح والتعديل (3/ 159)، كتاب المتوارين (ص45-46).

حقيقةً [١].

فلو افترضنا أنّ الأمويّين لهم مصلحة ورغبة في كتم بعض الأحاديث التي لا تروقهم أو إخفائها ، وأنّهم بالفعل استعملوا سلطانهم في ذلك، فإنّه في غالب الظنّ لن يتحقّق لهم ذلك للظروف التي شرحتها آنفًا.

وعليه فالاحتمالات المنطقيّة لهذه المسألة هي:

١ - أنّ الأمويّين وقع منهم الكتم والإخفاء وتحقّق لهم ذلك

٢ - أنّه لم يقع منهم أمر بكتم هذه الأحاديث.

٣ - أنّهم حاولوا ذلك وما استطاعوا.

٤ - أنّ بعضهم حاول ذلك وفشل.

والاحتمال الأوّل مردود بالروايات التي نُقلت في ذمّهم ومدح خصومهم، ولا تسلم هذه الدعوى لأصحابها إلا بأن يُقال إنّ كلّ ما نُقل ممّا في مصلحة الأمويين كتْمُه هو كذب اختلق بعد انقضاء مدّتهم، إذ إنّ منع رواية الحديث قرابة قرن لاشك سوف تسبّب ضياع تلك الأحاديث، ويتحقق موتها بموت رواتها الذين كتموها خوفًا من سلطان الأمويين.. وهذا كلام بيّن البطلان.

والراجح أنّه وقع من بعض الأمويّين وولاتهم كرهٌ للرواية في فضائل عليّ وأهل بيته على اعتبارهم الخصوم السياسيين الأكثر حضورًا في الساحة السياسية آنذاك، وقد كان النصب هو المحرك للكثيرين في ذمّ عليّ ﷺ، ولكنّ ذلك لم يُقابل باستجابة من المجتمع ولاسيما الصحابة الكرام الذين رفضوا ذلك كما سيأتي.

وأخيرًا: ما أثر هذا التوجّه الأمويّ في مسألة كتم الحديث وإخفاء فضائل خصومهم السياسيّين؟

---

(١) منها حديث أبي هريرة الذي أخرجه أحمد (13 / 18) رقم (7571)، و أبو داود (2 / 345) رقم (3658) وغيرهما بسند صحيح. قال: قال رسول الله ﷺ:« من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة».

والجواب:

أولًا – انتشار أحاديث مناقب عليّ ﷺ كردّ فعلٍ على التوجّه الأمويّ. قال ابن حجر في شأن عليّ ﷺ: « ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم يُنقل لأحد عن الصحابة ما نُقل لعليّ. وقال غيره: وسبب ذلك تعرّض بني أمية له، فكان كل من كان عنده علم بشيء من مناقبه من الصحابة بثّه، فكلما أرادوا إخماد شرفه حدّث الصحابة بمناقبه فلا يزداد إلا انتشارًا »[1].ويشهد لذلك:

١ – رفض سعد بن أبي وقاص ذمّ عليّ:

ما أخرجه مسلم عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ ، فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلاَثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– فَلَنْ أَسُبَّهُ لأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– يَقُولُ لَهُ وخَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نُبُوَّةَ بَعْدِي ».

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: « لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ». قَالَ: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ :« ادْعُوا لِي عَلِيًّا ». فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ} [آل عمران: 61] دَعَا رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: « اللَّهُمَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِي »[2].

وظاهر الحديث أنّ معاوية هو من طلب من سعدٍ ذلك، وإن كان ذلك مما استشكله العلماء، وبحثوا له عن مخارج، يقول النووي :« قَالَ الْعُلَمَاء: الْأَحَادِيث الْوَارِدَة الَّتِي فِي ظَاهِرهَا دَخَل عَلَى صَحَابِيّ يَجِبُ تَأْوِيلُهَا. قَالُوا: وَلَا يَقَعُ فِي رِوَايَات الثِّقَات إِلَّا مَا يُمْكِنُ تَأْوِيلُهُ. فَقَوْل مُعَاوِيَة هَذَا لَيْسَ فِيهِ تَصْرِيح بِأَنَّهُ أَمَرَ سَعْدًا بِسَبِّهِ، وَإِنَّمَا سَأَلَهُ عَنْ السَّبَب الْمَانِع لَهُ مِنْ السَّبّ، كَأَنَّهُ يَقُول: هَلْ اِمْتَنَعْت تَوَرُّعًا، أَوْ خَوْفًا، أَوْ غَيْر ذَلِكَ. فَإِنْ كَانَ تَوَرُّعًا

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة(565/4).

(٢) مسلم (4 /1870)في فضائل الصحابة؛باب: فضائل عليّ ﷺ رقم(2404).

وَإِجْلَالًا لَهُ عَنْ السَّبِّ فَأَنْتَ مُصِيب مُحْسِن، وَإِنْ كَانَ غَيْر ذَلِكَ فَلَهُ جَوَاب آخَر، أو لَعَلَّ سَعْدًا قَدْ كَانَ فِي طَائِفَة يَسُبُّونَ فَلَمْ يَسُبَّ مَعَهُمْ، وَعَجَزَ عَنْ الْإِنْكَار، أَوَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ، فَسَأَلَهُ هَذَا السُّؤَال. قَالُوا: وَيَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا آخَر أَنَّ مَعْنَاهُ مَا مَنَعَك أَنْ تُخَطِّئَهُ فِي رَأْيه وَاجْتِهَاده، وَتُظْهِرَ لِلنَّاسِ حُسْن رَأْينَا وَاجْتِهَادنَا، وَأَنَّهُ أَخْطَأَ ؟)) [١] .

ولابن تيمية رأيٌ آخر أو قراءة أخرى في هذا الشأن يقول: ((وأمّا ما ذكره من لعن عليٍّ، فإنّ التلاعن وقع من الطائفتين كما وقعت المحاربة ، وكان هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم، وهؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم ، وقيل إنّ كلّ طائفة كانت تقنت على الأخرى؛ والقتال باليد أعظم من التلاعن باللسان، وهذا كله سواء كان ذنبًا أو اجتهادًا مخطئًا أو مصيبًا فإنّ مغفرة الله ورحمته تتناول ذلك بالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة وغير ذلك)) [٢]..

وهذه وجهة نظر واقعيّة، لأنّ القتال أعظم من التلاعن، فإذا وقع الأعظم فلِمَ التبرير لما دونه؟ وكذلك فإنّ بعض الروايات التاريخيّة تدعم هذه القراءة، ولكنّ التحقيق يقتضي أن نبيّن أنّه لا يصحّ من تلك الروايات شيءٌ، وقول ابن تيمية: ((وكان هؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم، وهؤلاء يلعنون رؤوس هؤلاء في دعائهم، وقيل إنّ كلّ طائفة..)) يوهم القارئ أنّ التلاعن بين الفريقين من الحقائق التاريخية، وأنّ الشك وقع في القنوت فحسب، وكان الأولى أن يمرّض هذه الأخبار من بداية ذكرها، لأنّ أيًّا منها لم يثبت، فإما يذكر بلا سندٍ، أو بإسنادٍ مظلم معلولٍ بالكذابين لا قيمة له كما فعل الطبريّ[٣] .

وإذا كانت الواقعيّة تقتضي أن نضع الخبر في سياقه التاريخيّ ولاسيما أنّه جاء بعد حروب واقتتال وفتنٍ عظيمة حيث اشتبهت فيها الأمور واختلطت اختلاطًا عظيمًا، الأمر الذي أدى إلى الاقتتال وسفك الدماء، فإنّ ذلك يجب أن لا يكون على حساب التحقيق العلمي،

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي(175/15) .

(٢) منهاج السنّة النبوية (4 / 468).

(٣) وخبر الطبري من طريق أبي مخنف عن أبي جناب الكلبي وفيه عن علي ﷺ أنّه((كان إذا صلى الغداة يقنت فيقول: اللهم العن معاوية وعمراً وأبا الأعور السُّلمي وحبيبًا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد . فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت لعن عليًا وابن عباس والأشتر وحسنًا وحسينًا)) تاريخ الطبري (4/ 52).
وأبومخنف لوط بن يحيى أخباري تالف لا يوثق به –سبق بيان أمره– وهو حيث علمنا من التهمة والريبة.

لحساب المنهج الاستردادي.

٢ - موقف سعيد بن زيد من سبّ عليّ وإظهار فضله:

أخرج أحمد وأبو داود عن رياح بن الحارث أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ، وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يُدْعَى سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ، فَحَيَّاهُ الْمُغِيرَةُ وَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ. فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَاسْتَقْبَلَ الْمُغِيرَةَ، فَسَبَّ وَسَبَّ، فَقَالَ: مَنْ يَسُبُّ هَذَا يَا مُغِيرَةُ ؟ قَالَ: يَسُبُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: يَا مُغِيرَ ابْنَ شُعْبَ، يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ ثَلاثًا، أَلا أَسْمَعُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ ؟ لَا تُنْكِرُ وَلا تُغَيِّرُ، فَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، بِمَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ ، وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنِّي لَمْ أَكُن أَرْوِي عَنْهُ كَذِبًا يَسْأَلُنِي عَنْهُ إِذَا لَقِيتُهُ، أَنَّهُ قَالَ: « أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ » لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ، قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنِ التَّاسِعُ ؟ قَالَ: نَاشَدْتُمُونِي بِاللهِ، وَاللهِ الْعَظِيمِ أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، الْعَاشِرُ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ يَمِينًا، قَالَ: وَاللهِ لَمَشْهَدٌ شَهِدَهُ رَجُلٌ يُغَبِّرُ فِيهِ وَجْهَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ . وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ[١] .

فهذا يدلُّ على أنّ الأمويّين أفسحوا المجال للطعن في عليّ ﷺ، ولكنّ ذلك لم يكن إلّا سببًا لنشر فضائله، فقد أنكر سعيد بن زيد على المغيرة بن شعبة، ولو كان هناك سياسة حاسمة في قمع من يروي في فضائل عليّ وأهل بيت النبوّة، لأخذ المغيرةُ سعيدًا بروايته هذه، ولاسيما أنّ سعيدًا سبق ذلك بتقريعه على سكوته على السابّ المتنقّص لعليّ ﷺ.

لقد كان في صالح بني أميّة أن لا تظهر فضائل عليّ ﷺ، وقد حاول بعضهم التعتيم عليها، ولكن هيهات أن يتحقق لهم ذلك.

---

(١)مسند أحمد (3 /174) رقم(1629)، سنن أبي داود (2 /623) في السنّة باب في الخلفاء رقم (4650) بإسنادٍ صحيح.

ثانيًا– قيام بعض الرواة بإبهام اسم عليّ ﷺ في بعض الأحاديث:

يقول الشيخ المفيد من علماء الشيعة: «فيما انتهى إليه الأمر من دفن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والحيلولة بين العلماء ونشرها مالا شبهة فيه على عاقل، حتى كان الرجل إذا أراد أن يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام رواية لم يستطع أن يضيفها إليه بذكر اسمه ونسبه، وتدعوه الضرورة إلى أن يقول: حدَّثني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، أو يقول: حدَّثني رجل من قريش، ومنهم من يقول: حدَّثني أبو زينب» [١].

ونسب بعضهم إلى الحسن البصريّ أنّه كان إذا روى عن أمير المؤمنين عليّ قال (قال أبو زينب)[٢] .

والجواب: أنّ ما ذكره الشيخ المفيد لا يثبت، وليس له سندٌ يُعتمد عليه، وما هو إلا ادعاء لا ينهض به ما نُسب إلى الحسن البصريّ من تكنية عليّ ﷺ بأبي زينب خوفًا من بني أميّة.

فإنّ هذا الخبر لا يصحّ؛ إذ ليس له سندٌ يُعرف به، وكذلك فإنّي لم أجد لتكنية عليّ ﷺ بأبي زينب مثالًا في كتب الحديث عند السنّة والشيعة على حدٍّ سواء، ولا يُعرف عليّ بأبي زينب، و لم أجد من الصحابة من يُكنى بأبي زينب إلا أبا زينب بن عوف الأنصاريّ ذكره أبو العباس بن عقدة[٣] في كتاب الموالاة بسنده إلى الأصبغ بن نباتة[٤] قال: نشد عليٌّ الناس في الرحبة من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير ما قال إلا قام، فقام بضعة عشر رجلًا منهم أبو أيوب وأبو زينب بن عوف ، فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول، وأخذ بيدك يوم غدير فرفعها، فقال: «ألستم تشهدون أنّي قد بلغت»، قالوا: نشهد. قال:« فمن كنت

---

(١)الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد (1 / 309)، لمحمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد ت(413 هـ)، تحقيق :مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث ، نشر وطباعة: دار المفيد.

(٢)شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل (28 / 476) – المرعشي ، تحقيق :شهاب الدين النجفي ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي –قم .

(٣)ابن عقدة (250 – 332 هـ): أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي مولى بني هاشم، أبو العباس: حافظ زيديّ جارودي، أَحَد أَعلاَم الحَدِيْث، وَصَاحِبُ التَّصَانِيْفِ عَلَى ضَعْفٍ فِيْهِ . يُنظر سير أعلام النبلاء (15 /341)، الأعلام للزركلي (1 /207).

(٤)الأصبغ بن نباتة الحنظلي التميمي كنيته أبو القاسم صاحب عليّ بن أبي طالب يروي عنه أحاديث غير محفوظة ، متروك الحديث رمي بالرفض. يُنظر كتاب الضعفاء والمتروكين (ص 21)، الكامل في الضعفاء لابن عدي(1 /407)، كتاب المجروحين (1 /173). تقريب التهذيب (ص 113).

مولاه فعلي مولاه» قال ابن حجر: في سنده غير واحد من المنسوبين إلى الرفض(١). وليس له غير هذا وهو غير ملتبس بعليّ لاشتراكهما صراحةً في نفس الحديث.

من جهة أخرى: لو افترضنا وجود حالات من تلك التي ذكرها المفيد فإنّ ذلك لا أثر له من الجانب العمليّ في الحديث؛ لأنّ قول التابعيّ حدَّثني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، يدخل في باب إبهام الصحابيّ، ويُستدل على معرفة اسم المبهم بوروده من طريق أخرى مسمى، وصنفّوا فيه المبهمات(٢) .

وإبهام الصحابيّ لا يؤثر في صحّة الحديث من قريب أو بعيد وذلك لأنّ الصحابة جميعًا عدولٌ بتعديل الله تعالى ورسوله -ﷺ- لهم، وإنّما نبحث عن الراوي لنعرف حاله هل هو عدل أم لا؟ فلا يضر الإبهام أو الجهالة العينية بالصحابي.

وقد روى الخطيب بإسناده عن الأثرم قال: قلت لأبي عبد الله (٣) : إذا قال رجل من التابعين حدّثني رجل من أصحاب النبي ﷺ فالحديث صحيح ؟ قال : نعم(٤).

وروى البخاري عن الحميديّ قال: ((إذا صحّ الإسناد عن الثقات إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فهو حجّة و إن لم يسمِّ ذلك الرجل))(٥) .

وقال ابن الصلاح :((والجهالة بالصحابيّ غير قادحة لأنّ الصحابة كلهم عدول))(٦) .

وهذا مذهب جماهير المحدِّثين يرون أنّ جهالة الصحابيّ لا تضرُ، و هي غير قادحة عندهم بصحّة الحديث.

وعلى افتراض أنّ تابعيًّا ثقةً قال: حدّثني أبو زينب، مع بيان أنّه صحابيّ، فإنّ حديثه مقبول ولا يؤثّر ذلك في صحّة الحديث.

---

(١)الإصابة في تمييز الصحابة (7 /161) .

(٢) نزهة النظر (ص 98) ، وأحسنها المستفاد من مبهمات المتن والإسناد للحافظ أحمد العراقي.

(٣)يعني: أحمد بن حنبل.

(٤)الكفاية(ص415) . و يُنظر شرح ألفية السيوطي لأحمد شاكر (ص28) .

(٥)التقييد و الإيضاح(ص74) .

(٦)علوم الحديث(ص51) .

وذلك ينسحبُ على قول التابعيّ حدّثني رجلٌ من قريش، إذا بيّن صحبتَه، ولكن إذا لم يبيّن فهو من المبهم الذي يُؤثّر في الحكم على الحديث بسبب جهالة الراوي، لاحتمال كونه من التابعين، فلابدّ من معرفته، والحكم بحسب حاله.

ثالثًا– الإرسال المتعمّد تجنّبًا لذكر عليّ ﷺ:

يرى بعضهم(١) أنّ القمع الأمويّ بلغ مبلغًا يجعل بعض أصحاب عليّ ﷺ يجتنبون ذكره فيرسلون الحديث إلى النبيّ ﷺ دون بيان الواسطة خوفًا من بطش بني أميّة وولاتهم.

و لم يجد لهذا القول دليلًا إلّا ما رُوي عن يونس بن عبيد(٢) أنّه قال: سألت الحسن قلت: يا أبا سعيد إنّك تقول قال رسول الله ﷺ وإنّك لم تدركه ؟ فقال: يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك، إنّي في زمان كما ترى – وكان في زمن الحجّاج – كلّ شيء سمعتني أقوله قال رسول الله ﷺ، فهو عن عليّ بن أبي طالب، غير أنّي في زمان لا أستطيع أن أذكر عليًّا (٣).

وهذا الخبر تذكره غالب كتب المصطلح بلا إسناد، ولكنّ ابن رجب رواه مسندًا في شرح علل الترمذيّ فقال: وروى محمد بن موسى الحرشي (٤) عن ثمامة بن عبيدة ثنا عطية ابن محارب عن يونس فذكره، ثمّ قال: وهذا إسناد ضعيف، و لم يثبت للحسنِ سماعٌ من عليّ(٥).

قلتُ: ورواه كذلك بهذا السند الإمام المزيّ في تهذيب الكمال(٦).

---

(١) يُنظر شرح إحقاق الحق – السيد المرعشي (31 |549).

(٢)يونس بن عبيد بن دينار العبدي مولاهم أبو عبيد البصري ثقة ثبت فاضل ورع مات سنة (139هـ) ع . تهذيب التهذيب (11 /389)،تقريب التهذيب (ص 613).

(٣)تدريب الراوي (1 /204)، تهذيب الكمال (6 /124).

(٤)محمد بن موسى الحرشي أبو جعفر لقبه شاباص الحافظ روى عن خليفة بن خياط وأبي مالك كثير بن يحيى ويزيد ابن جبير المدائني؛ روى عنه المحاملي وابن مخلد والصفار ذكره الخطيب في تاريخه وقال : كان ثقةً حافظًا . يُنظر تهذيب التهذيب (9 /425)،تهذيب الكمال (26 /532).

(٥)شرح علل الترمذي لابن رجب (286/1)، وقد رجّح محقق الكتاب أستاذنا الدكتور نور الدين عتر القول بصحّة سماع الحسن من عليّ ﷺ وساق لذلك أدلّة على ذلك. يُنظر حاشية الكتاب نفسه (290/1-291).

(٦)تهذيب الكمال (6 /124).

وفي سنده ثمامة بن عبيدة أبو خليفة العبديّ بصريّ ، قال أبو حاتم : منكر الحديث وكذّبه عليّ بن المدينيّ [١].

وفيه: عطيّة بن محارب مجهول لم أجد له ترجمة وليس له رواية غيرها.

والصحيح أنّ مراسيل الحسن لم تختصّ بصحابيّ بعينه، بل كان كثير الإرسال، فقد ذكر البخاريّ في تاريخه[٢]، وابن عديّ في الكامل [٣] من طريق الهيثم بن عبيد الصِّيد قال حدّثني أبي عن الحسن قال رجل للحسن: يا أبا سعيد إنّك تحدّثنا ، فتقول قال رسول الله ﷺ ، فلو كنت تسنده لنا إلى من حدّثك ، فقال الحسن: أيُّها الرجل ما كَذَبْنا ولا كُذِبْنا ، ولقد غزونا غزوةً إلى خراسان، ومعنا فيها ثلاثمائة من أصحاب محمد ﷺ.

وهو إسناد حسن لمكان الهيثم وأبيه: أمّا الهيثم بن عبيد ذكره ابن حبّان في الثقات [٤]، و و عن يحيى بن معين قال: صويلح، هو صدوق[٥]، وكذلك والده عبيد بن عبد الرحمن أبو عبيدة البصري، ذكره ابن حبّان في الثقات كذلك[٦].

وعليه فهذه الرواية أحقّ أن تُعتمد من رواية يونس بن عبيد، ولذا تبقى مسألة إسقاط الحسن لاسم عليّ رضي الله عنه من السند في مرسلاته مجرّد افتراض لا يستند إلى دليل صحيح.

وأخيرًا فالمسألة برمتها افتُرضت على أساس رواية يونس بن عبيد عن الحسن، وهي ضعيفة، ولكن عزّز وجودها المناخ العام لجوّ القمع الذي فرضه الحجّاج في العراق، ولكن التحقيق أنّهما غير متلازمين، لأنّ القمع الأمويّ كان بدوافع سياسيّة، ولاحق العلماء والقرّاء لخروجهم مع ابن الأشعث.و لم يكن بدوافع علميّة أو عقديّة، فالحسن لم يلاحق لأنّه كان يروي عن عليّ أو غيره، وإنّما طلبه الحجّاج لمشاركته في ثورة ابن الأشعث، ولما عفا عنه لم يطلب إليه أن لا يرويَ الحديث عن عليّ أو أحدٍ غيره، فقد روى ابن أبي شيبة بسنده

---

(١) يُنظر التاريخ الصغير (2 /252)، ضعفاء العقيلي (1 /177)،الجرح والتعديل (2 /467)، لسان الميزان (2 /84).

(٢)التاريخ الكبير (5 /452).

(٣)الكامل لابن عدي (1 /159).

(٤)الثقات لابن حبّان (7 /577).

(٥)الجرح والتعديل (9 /85)، تهذيب الكمال (19 /218).

(٦)الثقات لابن حبّان (7 /157).

إلى الشعبيّ أنّ الحجّاج بن يوسف سأله عن مسألة في الفرائض فأخبره بأقاويل الصحابة فيها (زيد بن ثابت، وعليّ، وابن مسعود، وعثمان بن عفان) فأعجبه قول عليّ، فقال: قول من هذا؟ فقال الشعبيّ: قول أبي تراب، فنظر الحجّاج، فقال: إنّا لم نعب على قضائه إنّما عبنا كذا وكذا(١).

وفي رواية أخرى عن الشعبي أنّ قضاء الحجّاج في هذه المسألة من الفرائض وافق قضاء عليّ ﷺ، ولمّا أخبره الشعبيّ بقول جماعة من الصحابة غير عليّ قال: ليس بشيء (٢). وهو يعني أنّ قضاء عليّ هو الصواب عنده.

وهكذا مسألة الإرسال خوفًا من الحجّاج وغيره من ولاة بني أميّة لا تعدو أن تكون فرضيّة تختلط فيها العواطف بالأوهام وتفتقر إلى الأدلّة.

والخلاصة: أنّ استعمال الأمويّين لسلطانهم في كتم الرواية في أبواب بعينها، دعوى تفتقر إلى الأدلّة، وما ورد من أخبار في هذا الشأن صحيحها غير صريح في موضوعه، وصريحها غير صحيح، ولا يعدو الأمر أنّه كان في الأمويّين من يكره الرواية في فضائل آل البيت، ولكنّ ذلك حمل الصحابة الكرام على إظهار فضائلهم بكثرة الرواية فيها، و لم يتحقق للكارهين مرادهم بحمد الله تعالى.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (6 /263) رقم (31244).

(٢)سنن سعيد بن منصور (70/1)- رقم (71)، ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، الدار السلفية - الهند ،ط1، 1403هـ -1982م. وفي سنده عبيدة بن معتب الضبي الكوفي الضرير ، ضعيف واختلط بآخرة، وما له في البخاري سوى موضع واحد في الأضاحي خت د ت ق .تقريب التهذيب (ص 379)

الفهارس

أولًا– فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة	{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}	[2 – 5]	271
البقرة	{وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}	[25]	244
البقرة	{وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}	[58– 59]	507
البقرة	{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }	[134]	257
البقرة	{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(169) }	[168– 169]	306
البقرة	{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا}	[247]	175
البقرة	{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)}	[281]	261
آل عمران	{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}	[26]	355
آل عمران	{فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ}	[61]	446
آل عمران	{ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ }	[152]	218
آل عمران	{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ}	[155]	352
النساء	{مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ }	[46]	507
النساء	{وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ }	[100]	237
المائدة	{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ	[3]	53

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
	لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}		
المائدة	{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}	[8]	13
الأنعام	{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ }	[84 -85]	430
الأنعام	{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ}	[95]	305
الأنعام	{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى }	[152]	13
الأعراف	{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }	[33]	306
الأعراف	{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ }	[111]	241
الأعراف	{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا}	[137]	451
الأنفال	{لَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}	[17]	250
التوبة	{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ }	[25 -26]	351
التوبة	{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }	[71]	347
التوبة	{ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ }	[111]	218

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
يوسف	{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }	[2]	306
يوسف	{ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي }	[65]	329
يوسف	{ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ }	[92]	342
الرعد	{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ }	[17]	7
إبراهيم	{وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}	[15]	168
إبراهيم	{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ}	[28]	318
النحل	{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116) }	[116]	306
الإسراء	{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }	[1]	451
الإسراء	{وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا}	[33]	362
الإسراء	{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ}	[60]	487
مريم	{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً}	[71]	124
مريم	{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً }	[72]	125
طه	{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113) }	[113]	306
الأنبياء	{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ }	[18]	7
الأنبياء	{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}	[71]	451
الأنبياء	{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ}	[81]	452
الحج	{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}	[78]	309
النور	{وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ }	[11]	321

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
315	[4-3]	{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}	الشعراء
306	[193-195]	{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ }	الشعراء
110، 111، 112	[214]	{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}.	الشعراء
243	[56]	{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}	القصص
244	[17]	{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }	السجدة
507	[23]	{وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا }	الأحزاب
312	[33]	{ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى }	الأحزاب
350-351	[50]	{ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ الْآيَةَ}	الأحزاب
243	[96]	{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}	الصافات
442	[26]	{ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْض – إِلَى قَوْله – بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَاب }	ص
175	[35]	{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}	ص
380	[17]	{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي}	الأحقاف
508	[11-15]	{سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ... يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ}	الفتح
349	[24]	{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ }	الفتح
13	[6]	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}	الحجرات
99	[13]	{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا	الحجرات

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
	وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}		
الحديد	{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}	[10]	354
الممتحنة	{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً}	[7]	155
الممتحنة	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ... الآية }	[10]	134
الصف	{لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}	[2]	244
الجمعة	{وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ }	[10]	329
الطلاق	{ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ }	[12]	446
المدثر	{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ }	[38]	258
الإنسان	{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}	[30]	244
التكوير	{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29)}	[28،29]	245
الشمس	{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا}	[1-4]	330
الليل	{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}	[14-16]	243
الليل	{ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى}	[17-18]	243
القدر	{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ }	[1 - 3]	472
قريش	{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ(3)الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}.	[1-4]	102
الكوثر	{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ }	[1]	488

ثانيًا– فهرس الأحاديث

الحديث	الراوي	الصفحة
▪ الأَزْدُ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُمْ، أَغْضَبُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا،	بِشْرِ بن عِصْمَةَ	301
▪ استأذنّا النبيَّ في الكتابة فلم يأذنْ لنا	أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ	394
▪ اسكن حراء فما عليك إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد» وعليه ...	عثمان بن عفان	379
▪ أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ ...	عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ	430
▪ أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفتراً دفتراً...	الزهري	409
▪ أنا محمّد بن عبد الله بن عبد المُطّلِب إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقةً، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة...	المطلب بن أبي وداعة	137
▪ أنّ أبا جهل لطم فاطمة بنت رسول الله ﷺ فشكت إلى أبيها ..	ابن عباس	142
▪ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ ...	عبد الله بن مسعود	280
▪ أَنَّ المِسْوَرَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: يَا مِسْوَرُ! مَا فَعَلَ طَعْنُكَ عَلَى الأَئِمَّةِ؟ قَالَ: دَعْنَا مِنْ هَذَا...	عُرْوَةَ بن الزبير	187
▪ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ، وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يُدْعَى سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ، ...	رياح بن الحارث	432
▪ أَنَّ أمّ سليم اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا فَرَآهَا ...	أنس بن مالك	350-349
▪ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي لَرَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ.	أبو ذرٍّ	508
▪ أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ ..	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ	348
▪ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ عَلَى بَعْضِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ فَلَقِيَ ذَا الْخِمَارِ مُرْتَدًّا فَقَاتَلَهُ، ..	الزهري	155
▪ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ:«تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ »	أُمُّ سَلَمَةَ	323
▪ أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم النحر فتغلّب الأمراء فأخّروه ..	الزهري	527
▪ أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا ..».	جابر	124
▪ أنّ عليّا عليهما السلام قال :صوموا العاشوراء التاسع والعاشر ..	محمد الباقر	483
▪ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﵁ سَأَلَهُ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: { وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى }[الأحزاب: 33] هَلْ كَانَتْ...	ابن عباس	312

الحديث	الراوي	الصفحة
▪ إنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ...	المغيرة بن شعبة	441
▪ أنّه رَأَى بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ عَلَى الْمِنْبَرِ رَافِعًا يَدَيْهِ فَقَالَ: قَبَّحَ اللَّهُ ...	عُمارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ	530
▪ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِى سُفْيَانَ يَوْمَ عَاشُوراءَ عَامَ حَجَّ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « هَذَا يَوْمُ عَاشُوراءَ ، وَلَمْ يُكْتَبْ عَلَيْكُمْ صِيَامُهُ ، ...	حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ	480
▪ أَنَّهُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَقِيلَ لَهُ: مَا أَنْكَرْتَ مِنَّا مُنْذُ يَوْمِ عَهِدْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :مَا أَنْكَرْتُ شَيْئًا إِلَّا أَنَّكُمْ لَا تُقِيمُونَ الصُّفُوفَ	أنس بن مالك	518
▪ أنّها قالت: « اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ« قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ ...».	أم حبيبة	281-280
▪ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَنْهَى عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ ...	عبادة بن الصامت	425
▪ إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَدْخُلَ النَّارَ أَحَدٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِمَّنْ شَهِدَ ..	حَفْصَةَ	125-124
▪ إِنِّي لَأَسِيرُ مَعَ مُعَاوِيَةَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرِو ...	عَبْدُ الله بْنُ الْحَارِثِ	324
▪ أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ، فَقَامَ ...	طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ	520
▪ أوّل من نقص التكبير الوليد بن عقبة ، فقال عبد الله : نقصوها ...	ابن مسعود	525
▪ الإيمان يمان إلى لخم وجذام ألا إنّ الكفر وقسوة القلوب ..	أنس بن مالك	443
▪ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ. قَالَ: « انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ...	عليّ بن أبي طالب	124-123
▪ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ عِنْدَهُ فِي وَفْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ، ...	مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ	297
▪ تفرّقوا في الأرض..	الزهري	121
▪ توضؤوا. قال: فلما توضأ نظر إليَّ، فقال: "يا معاوية، إن وليت..."	معاوية	465
▪ جاء أبو سفيان بن حرب إلى عليٍّ فقال: ما بال هذا الأمر في أقلّ قُريش قلّة وأذلّها ذُلًّا؟! والله لئن شئت لأملأنّها عليه خيلًا ورجالًا..	مرّة الطَّيِّب	143
▪ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ ؟ ...	مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ	124
▪ حدّثنا « أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا »	أسماء بنت أبي بكر	338-337
▪ حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَى لِي»	المِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ	106
▪ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، ...	أبو هريرة	416

الحديث	الراوي	الصفحة
▪ خرج علينا رسول الله- ﷺ- فقال :« تحدثوا وليتبوّأ من...	رافع بن خديج	396
▪ خَطَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ، فَعَذَرَنِي...	أمّ هانئ بنت أبي طالب	350
▪ خِلافَةُ النُبوَّةِ ثَلاثُونَ سَنَة، ثُمَّ يُؤتِي اللهُ المُلكَ مَنْ يَشَاء	سَفِينة	358
▪ الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ.	سَفِينة	358
▪ خلافة نبوّة ثلاثين عامًا ثم يؤتي الله الملك من يشاء ...	أبو بكرة	358
▪ دخل عليّ أبو الدرداء وهو مُغضب فقلت ما أغضبك ؟ فقال والله ما أعرف من أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ شيئًا إلا أنّهم يُصلُّونَ جميعًا	أمّ الدرداء	517
▪ دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بن مَالِكٍ بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: ...	الزُّهْرِيِّ	517
▪ دعا أمير من أمراء الشام أبا أمامة، فلما جاء قال: حدّثني حديثًا عن رسول الله ﷺ ليس فيه تزيّد، فغضب الشيخ	شهر بن حوشب	443
▪ سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ »	عبد الله بن مسعود	260
▪ سمعت أبا ذرّ جندب بن جنادة الغفاري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال ...	حلّام بن جدل الغفاري	477
▪ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « لاَ يَزَالُ الإِسْلاَمُ عَزِيزًا ... »	جابر بن سمرة	361
▪ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ ..	عُمَيْر بْنُ هَانِئ	362
▪ صام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عاشوراء	علي بن أبي طالب	483
▪ صببتُ على رسول الله ﷺ يومًا وضوءه، فرفع رأسه إليّ ، فقال:« أما إنّك ستلي أمر أمّتي بعدي	معاوية بن أبي سفيان	463
▪ صلى معاوية بالمدينة صلاة فجهر فيها بالقراءة فقرأ ...	أنس بن مالك	حاشية 524
▪ صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمْ فِي الإِسْلامِ سَهْمٌ الْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ	ابْنِ عَبَّاسٍ	264
▪ صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ الْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ	ابْنِ عَبَّاسٍ	263
▪ الطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي ..	جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	346
▪ الطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ، وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ...	جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	346
▪ طوبى للشام، فإنّ ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها.	زيد بن ثابت	450
▪ فنـــزل إلى النبيّ ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف....	أبو عثمان النّهديّ	347
▪ قال عمرُ لعبد الرحمن بن عوف : أما علمت أنّا كنا نقرأ: ...	المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ	309

الحديث	الراوي	الصفحة
▪ قال كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبيﷺ فيسمع من ...	أبو هريرة	397
▪ قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: أَلَمْ نَجِدْ فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْنَا: جَاهِدُوا كَمَا جَاهَدْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ؟ قَالَ: بَلَى. ..	المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ	309
▪ قَامَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بَعْدَ مَا بَايَعَ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ: سَوَّدْتَ وُجُوهَ الْمُؤْمِنِينَ. أَوْ يَا مُسَوِّدَ وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ : ((لاَ تُؤَنِّبْنِي رَحِمَكَ اللَّهُ فَإِنَّ النبيّ -ﷺ- أُرِيَ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مِنْبَرِهِ فَسَاءَهُ....	يُوسُفَ بْنِ سَعْدٍ	470
▪ القدريّة مجوس هذه الأمّة	أبو هريرة	284
▪ الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِنْ مَرِضُوا فَلاَ تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا	ابْنُ عُمَرَ	282
▪ قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد ﷺ في الخلافة؟ قالت: وما تعجب من ذلك هو سلطان الله ...	الأسود بن يزيد النخعيّ	355
▪ قلت لعائشة: إنّ رجلًا من الطلقاء يُبايع له يعني معاوية . فقالت: يا بُني لا تعجب هو ملك الله يؤتيه من يشاء	الأسود بن يزيد النخعيّ	355
▪ قلت لمعاوية بن أبي سفيان: لو كنت بمكان أبي موسى ...	أبو الأسود الديليّ	355
▪ قيّدوا العلم بالكتاب	أنس بن مالك	397
▪ كان مروان على الحجاز استعمله معاوية ، فخطب ، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايَع له بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر ...	يوسف بن ماهك	366
▪ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ: انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ فَاكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ....	البخاريّ تعليقًا	405
▪ كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم:((أن انظرْ ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنّة ..	عبد الله بن دينار	405
▪ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنْ الرِّقَاعِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: طُوبَى لِلشَّامِ.. ..	زيد بن ثابت	451
▪ كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ:...	أبو هُرَيْرَةَ	394
▪ كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ ...	أبو سعيد الخدري	323
▪ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، ...	عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو	396
▪ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ....	زيد بن أرقم	362

الحديث	الراوي	الصفحة
▪ لا تزال عصابة من أمتي قائمة على أمر الله لا يضرّها ...	أبو هريرة	363
▪ لَا تَفْتَخِرُوا بِآبَائِكُم الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ..	ابْنِ عَبَّاسٍ	100-99
▪ لا تُقْطَعُ الأيدِي في الغَزو.	بُسر بن أبي أرْطاة	386
▪ لَا تَقُوم السَّاعَة حَتَّى يَخْرُج رَجُل مِنْ قَحْطَان يَسُوق النَّاس بِعَصَاهُ .	أبو هريرة	299
▪ لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا	أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ	394
▪ لاَ هِجْرَةَ وَلكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا، فَإِنَّ هذَا بَلَدٌ ...	ابْنِ عَبَّاسٍ	515
▪ لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ، حَتَّى يكون أوّل مَن ...	أبو عبيدة بن الجراح	513
▪ لاَ يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلاَّ انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ .	سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ	515
▪ لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال!، ...	عبد الله بن عمرو	326
▪ لما أراد الحسين بن عليّ أن يخرج إلى أرض العراق أراد أن يلقى ...	الشعبيّ	334
▪ لما بايع معاوية لابنه يزيد، قال مروان: سنّة أبي بكر وعمر، ...	محمّد بن زياد	364-366
▪ لما ظفر الحجاج على ابن الزبير فقتله ومثل به، ثم دخل على أم عبد الله- وهي أسماء بنت أبي بكر- فقالت: كيف تستأذن عليّ ..	أبو الصديق بكر بن عمرو	368-367
▪ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ ..	أبو هُرَيْرَةَ	395
▪ لما قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير دخل الحجاج على أسماء بنت أبي بكر فقال لها: يا أمه إن أمير المؤمنين أوصاني بك ...	والد أبو المحياة	336
▪ لَمَّا قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ دَخَلَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ عَلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: قُتِلَ عَمَّارٌ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:« تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ »...	مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ	325
▪ لَمَّا قَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ الْمَدِيْنَةَ، وَالنَّبِيُّ - ﷺ- يُرِيْدُ غَزْوَ مَكَّةَ، فَكَلَّمَهُ فِي أَنْ يَزِيْدَ فِي الهُدْنَةِ، فَلَمْ يُقْبِلْ عَلَيْهِ....	محمد بن مسلم الزهريّ	134
▪ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا مُعَاوِيَةُ، حَاجًّا قَدِمْنَا مَعَهُ مَكَّةَ، قَالَ: فَصَلَّى بِنَا الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى دَارِ النَّدْوَةِ، قَالَ: وَكَانَ عُثْمَانُ	عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ	528
▪ لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ الْتَقَى هَوَازِنَ، وَمَعَ النبيّ ﷺعَشَرَةُ آلَافٍ...	أنس بن مالك	349
▪ لما نزل قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ }[الشعراء:214]، جمع رسول الله ﷺ بني عبد المُطّلب في دار أبي طالب.....	عليّ بن أبي طالب	112-111
▪ اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا .. .	بُسر بن أبي أرْطاة	386
▪ اللهم اهدِ ثقيفاً .	جابر	347

الصفحة	الراوي	الحديث
281	معاوية	▪ اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، ... .
300	ابن عمر	▪ ليسوقنّ رجلٌ من قحطان الناسَ بعصا ...
477	علي بن أبي طالب	▪ ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق ..
519	أنس بن مالك	▪ ما أعرف شيئاً مِمَّا كَانَ عَلَى عهد رَسُول الله ﷺ. قيل الصلاة ؟ قَالَ : أليس قَدْ صنعتم ما صنعتم فيها؟
326	مُحَمَّدُ بْنُ عُمَارَةَ بْنُ خُزَيْمَةَ بْنُ ثَابِتٍ	▪ مَا زَالَ جَدِّي، كَافًّا سِلَاحَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ حَتَّى قُتِلَ عَمَّارٌ بِصِفِّينَ، فَسَلَّ سَيْفَهُ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ . قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ ».
465	معاوية	▪ ما زلتُ أطمعُ في الخلافة منذ قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا معاويةُ، إن ملكتَ فأحسنْ».
399	أبو هريرة	▪ ما من أصحاب النبي ﷺ أحدٌ أكثر حديثاً مني عنه إلا ما كان ...
386	عَبْدُ اللهِ بنُ عَامِرٍ	▪ مَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَالِهِ... .
373	معاوية	▪ من يرد الله به خيراً يفقه في الدين.
228	عليّ بن أبي طالب	▪ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ -ﷺ- إِلَيَّ ..
347	أبو عثمان النّهديّ	▪ وكان تسوّر حصن الطائف في أناس فجاء النبيّ ﷺ....
527	عَائِشَةَ	▪ الولد للفراش وللعاهر الحجر
519	أنس بن مالك	▪ وَهَذِهِ الصَّلَاةُ قَدْ ضُيِّعَتْ
302	عدي بن حاتم	▪ يا معاشر الناس أحبوا قريشًا، فإنّه من أحبّ قريشًا فقد أحبّني، ..
464	معاوية	▪ يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ وُلِّيتَ أَمْرًا فَاتَّقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْدِلْ» .قَالَ: فَمَازِلْتُ أَظُنُّ أَنِّي مُبْتَلًى بِعَمَلٍ لِقَوْلِ النبيّ ﷺ حَتَّى ابْتُلِيتُ.
342	أبو هريرة	▪ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟» قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ ...
520	أبو ذرٍّ	▪ يَكُوْنُ عَلَيْكُم أُمَرَاءُ يُمِيتُوْنَ الصَّلَاةَ..
284	أبو هريرة	▪ يكونون قدريّة ثم يكونون زنادقة ثم يكونون مجوسًا، ... .
367	عُثْمَان بْن عَفَّان	▪ يُلْحَدُ بِمَكَّةَ كَبْشٌ مِنْ قُرَيْشٍ، اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ، عَلَيْهِ مِثْلُ ... .

ثالثًا- فهرس الأحاديث الموضوعة

الحديث	الراوي	الصفحة
إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي فُلَانٍ ثَلَاثِينَ رَجُلًا، اتَّخَذُوا مَالَ اللهِ دُوَلًا، وَدِينَ اللهِ ...	أبو سعيد	478
إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِينَ، كَانَ دَيْنُ اللَّهِ دَغَلًا، وَمَالُ اللَّهِ دِوَلًا..	أبو هريرة	474
إذا بلغت بنو أميّة أربعين اتخذوا عباد الله خولًا ومال الله نحلًا وكتاب ..	أبو ذرّ	476
إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه فإنّه أمين مأمور.	جابر	460-461، 463
إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه.	ابن مسعود	456، 459، 461
أُريت بني مروان يتعاورون منبري فساءني ذلك، ورأيت بني العباس يتعاورون منبري فسرني ذلك ...	ثوبان	474
اسمي في القرآن {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} واسم علي بن أبي طالب ..	ابن عباس	316
إنّ إبليس دخل العراق فقضى حاجته منها، ودخل الشام فطرد حتى بلغ ميسان، ثم دخل مصر فَبَاضَ وَفَرَّخَ ، وَبَسَطَ عَبْقَرِيَّهُ	ابن عمر	495
إِنَّ اللَّه إِذَا اِسْتَرْعَى عَبْدًا الْخِلَافَة كَتَبَ لَهُ الْحَسَنَات وَلَمْ يَكْتُب ..	الْوَلِيد بْن عَبْد الْمَلِك	442
أنّ جبريل قال للنبيّ في معاوية: استكتبه فإنّه أمين.	علي بن أبي طالب	497
أنّ رسول الله ﷺ رأى بني فلان ينزون على منبره نزو القرود فساءه ذلك فما استجمع ضاحكًا حتى مات ..	سهل بن سعد	469
أنّ رسول الله ﷺ رأى في المنام أنّ بني الحكم يرقون على منبره وينزلون، فأصبح كالمغيظ، فقال:«ما لي رَأَيْتُ بَنِيَ الْحَكَمِ يَنْزُونَ ..	أبو هريرة	467
أن الصرد أوّل طائر صام يوم عاشوراء	أبي غليظ	492
أنّ معاوية بينما هو جالسٌ وعنده ابنُ عباس، إذ دخل عليهم مروان بن الحكم في حاجةٍ، فلما أدبر قال معاوية لابن عباس: أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال: « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلًا، اتخذوا مال الله ..	ابن مَوْهب	475-476
أنّ وفد ثقيف جاءوا النبي ﷺ، فسألوه عن الإيمان هل يزيد أو ينقص؟ فقال:« لا زيادته كفر ونقصانه شرك»	أبو هريرة	260
البكاء يوم عاشوراء نور تام يوم القيامة	رَتَن الهِنْدِيّ	484

الجفاء والبغي بالشام	أنس بن مالك	494
خلق الله عز وجل يوم عاشوراء والأرض كمثله، وخلق الجبال يوم عاشوراء والنجوم كمثله وخلق القلم يوم عاشوراء ..	ابن عباس	487
رأى رسول الله ﷺ بني أمية على منبره فساءه ذلك فأوحى الله إليه إنما هو ملك يصيبونه ..	ابن عباس	472
رأى رسول الله بني أمية على المنابر فساءه ذلك فأوحى الله تعالى إليه إنما هي دنيا أعطوها فقرّت عينه ..	سعيد بن المسيب	473
رأيت في النوم بني الحكم أو بني أبي العاص يترون على منبري كما تنزو القردة ..	أبو هريرة	467
سمعتُ معاوية يخطب وهو يقول: صببتُ على رسول الله ﷺ يومًا وضوءه، فرفع رأسه إليّ، فقال:« أما إنّك ستلي أمر أمّتي بعدي، ..	الحسن البصريّ	463
الصرد أوّل طير صام	أبو هريرة	492
عن علي ﷺ في قوله عزّ و جلّ: ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ قال: هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فأمّا بنو المغيرة ...	عمرو ذي مرّ	319
في قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾. قال : هما الأفجران من قريش : بنو المغيرة وبنو أمية، فأمّا بنو المغيرة ...	عمر بن الخطاب	318
قال ابن عباس لعمر رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين ، هذه الآية﴿ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ ؟ قال: هُمْ الْأَفْجَرَانِ مِنْ بَنِي مَخْزُوم وَبَنِي أُمَيَّةَ أَخْوَالِي وَأَعْمَامك، فَأَمَّا أَخْوَالِي فَاسْتَأْصَلَهُمْ اللَّه يَوْمَ بَدْر، وَأَمَّا أَعْمَامك ..	عمرو بن مرّة	318
القدريّة كفر، والشيعة هلكة، والحروريّة بدعة، وما نعلم الحقّ إلا ..	ابن عباس	261
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرًا ما يتفل يوم عاشوراء في أفواه الاطفال المراضع من ولد فاطمة عليها ...	جعفر بن محمد	493
كانت الوحوش تصوم يوم عاشوراء	قيس بن عباد	492
كيف بك يا أبا بكر إذا وُلِّيتَ ؟» قال: لا يكون ذلك أبدًا....	الحكم بن عمير	462-461
لا افتقد أحدًا من أصحابي غير معاوية بن أبي سفيان؛ لا أراه ثمانين ..	أنس بن مالك	496
لا بارك الله في يزيد الطعّان اللّعان أما إنّه نعي إلي حبي—بي حسين..		498
لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه الأمّة على رجل واسع ..	الحسن بن علي	455

لما كان يوم أم حبيبة من النبيّ ﷺ دقّ الباب داق فقال النبيّ ﷺ : « انظروا من هذا؟ ». قالوا : معاوية قال: « ائذنوا». ..	عائشة	464-463
مَا لِي أُرِيْتُ بَنِي الحَكَمِ يَنْزُوْنَ عَلَى مِنْبَرِي نَزْوَ القِرَدَةِ.	جماعة من الصحابة	467
ما من عبد يبكي يوم قتل الحسين يعني يوم عاشوراء إلا كان يوم القيامة مع أولي العزم من الرسل	رَتَن الهِنْدِيّ	484
معلمو صبيانكم شراركم	سعد بن طريف	444
من أحيى ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله تعالى بمثل عبادة أهل السموات..	أبو هريرة	486
من اكتحل بالأثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدًا	ابن عباس	490
من وسّع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر سنته	أبوهريرة	489
مَنْ وَسَّعَ عَلَى عِيَالِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ لَمْ يَزَلْ فِي سَعَةٍ سَائِرَ سَنَتِهِ.	ابن مسعود	488
نزلت هذه الآية فينا وفي بني أُمّية قال : سيكون لنا عليهم الدولة فتذلّ لنا أعناقهم بعد صعوبة، ويلحقهم هوان بعد عزّة .	ابن عباس	315
هبط عليّ جبريل عليه السلام، ومعه قلم من ذهب إبريز فقال: إن العليّ الأعلى يقرئك السلام، ويقول لك: حبيبي قد أهديتُ... الحديث	أنس بن مالك	497
وجدت في بعض الكتب يوم غزونا -يوم اليرموك-: أبو بكر الصديق أصبتم اسمه، عمر الفاروق ...	عبد الله بن عمرو	298
يدخل من أهل الجنّة رجل على كتفه رجلٌ من أهل النار، فدخل ...		498
يَكُونُ فِي أُمَّتِي رَجُلانِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ وَهْبٌ يَهَبُ اللَّهُ لَهُ الْحِكْمَةَ وَرَجُلٌ يُقَالُ لَهُ غَيْلانُ وَهُوَ أَضَرُّ عَلَى أُمَّتِي مِنْ إِبْلِيسَ.	عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ	284
اليوم الذي تاب الله فيه على آدم، وهو اليوم الذي رفع الله فيه إدريس مكانًا عليًّا، وهو اليوم الذي نجّى فيه إبراهيم من النار...	أبو هريرة	486

رابعًا– فهرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
اِعْلَمْ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ كَثِير الْأَعْدَاء فَفَتَّشَ أَعْدَاؤُهُ لَهُ عَيْبًا فَلَمْ يَجِدُوا، فَعَمَدُوا إِلَى رَجُل قَدْ حَارَبَهُ فَأَطْرَوْهُ كِيَادًا مِنْهُمْ لِعَلِيٍّ.	أَحْمَد بْن حَنْبَل	444
ألا إنّ خير هذه الأمّة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر.	عليّ بن أبي طالب	232
ألا برئت الذّمة ممن روى حديثًا في مناقب عليّ بن أبي طالب ..	يُنسب إلى معاوية	423
أَلاَ تَعْجَبُونَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ قَامَ فِي أَمْرِهِ هَذَا، فَقُلْتُ: لَأُحَاسِبَنَّ ...	ابن عباس	141
أمضى الله عليه قضاءه قبل قضائي عليه	عبد الله بن نوفل	185
إنّ أحاديثنا إذا سقطتْ إلى الشام جاءتنا صحاحًا، وإذا ...	محمد الباقر	443
أن أكون من المستضعَفين في طاعة الله أحبّ إلي من أن أكون من الأعزّين في معصية الله.	النعمان بن بشير	413
إنّ الله – ﷻ – أعدلُ مِن أن يولي خلافة النبوّة وأمر الأمّة زنديقًا	أبو علاثة الفقيه	172
إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَخْرَجُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلا تَكُونُ فِيهِمُ الْخِلافَةُ، وَإِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَتَلُوا عُثْمَانَ ؓ فَلا تَعُودُ الْخِلافَةُ فِيهِمْ أَبَدًا	معاوية بن أبي سفيان	365
أنّ رجلًا سأل الرضا (عليه السلام) عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه؟ فقال: عن صوم ابن مرجانة تسألني ..	جعفر بن عيسى	480
أن عليّا قال :صوموا العاشوراء التاسع والعاشر فإنه ..	محمد الباقر	483
إِنَّمَا كَانَ الْأَذَانُ الْأَوَّلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيمَا مَضَى وَاحِدًا، فَأَمَّا ..	عطاء	521
إِنِّيْ خَدَمْتُ رَسُوْلَ اللهِ –ﷺ– تِسْعَ سِنِيْنَ، وَاللهِ لَوْ أَنَّ النَّصَارَى أَدْرَكُوا رَجُلاً خَدَمَ نَبِيَّهُم، لَأَكْرَمُوْهُ	أنس بن مالك	523
إنّي لا أحمل السيف على من لا سيف معه، وإنْ لم تكن إلا كلمةٌ يشتفي بها مُشتفٍ جعلتُها تحت قدمي، ودُبُرَ أُذُني.	معاوية بن أبي سفيان	412
أيُّها الرجل ما كَذَبْنا ولا كُذِبْنا ، ولقد غزونا غزوةً إلى خراسان ، ومعنا فيها ثلاثمائة من أصحاب محمد ﷺ.	الحسن البصري	436
جئتم بها هرقليّة وفوقيّة ! تبايعون لأبنائكم؟	عبد الرحمن بن أبي بكر	181
حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ	علي بن أبي طالب	421
سُئل الصادق (عليه السلام) عن صوم يوم عاشوراء؛ فقال: مَن صامه كان حظّه من صيام ذلك اليوم حظّ ابن مرجانة وآل زياد، قال : قلت	عبيد بن زرارة	480

الأثر	القائل	الصفحة
وما كان حظهم من ذلك قال : النار		
صيام يوم عاشوراء كفارة سنة .	محمد الباقر	483
قضى الله أن لا يزالوا مختلفين وسيحكم الله بين عباده	المغيرة بن شعبة	426
كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفًا، ثمانية آلاف من المدينة وألفان من أهل مكّة، وألفان من الطلقاء لم يُر فيهم قدريّ، ولا مرجيّ، ولا حروريّ، ولا معتزليّ ولا صاحب رأي ، كانوا يبكون الليل والنهار ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير	جعفر الصادق	352
كان معاوية لا يتّهم في الحديث عن رسول الله ﷺ	ابن سيرين	448
كانوا لا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنّة فيُؤخذ حديثهم، وإلى أهل..	ابن سيرين	36
لا تختلفوا، فإنّكم إن اختلفتم جاءكم معاوية من الشام، وعبد الله بن أبي ربيعة من اليمن، فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم، وإنّ هذا الأمر لا يصلح للطّلقاء ولا لأبناء الطّلقاء	عمر بن الخطاب	356
لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ	سفيان الثوريّ	32
مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغهُ عُقُولهمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَة	عبد الله بن مسعود	421
وَاللهِ لاَ أَحْمِلُ السَّيْفَ عَلَى مَنْ لاَ سَيْفَ مَعَهُ، وَمَهْمَا تَقَدَّمَ ..	معاوية	412
والله لقد أعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركم في العشر العاشر.	ابن عباس	491
والله لقد بغّض إلي هؤلاء هذا المسجد حتى تركوه أبغض ..	الشعبي	206
وقد كانت بيني وبين أقوام إحنٌ ، فجعلت ذلك دُبُر أُذني وتحت قدمي ، فمن كان منكم مُحسنًا فليزددْ إحسانًا،...	زياد بن أبيه	412
يا أهل العراق أهل الشام خير منكم، خرج إليهم نفر ...	عائشة	442
يا مروان إنّما هي هرقليّة كلّما مات هرقل كان هرقل مكانه ...	عبد الرحمن بن أبي بكر	181
يا معشر بني أميّة إنّ الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طُمعَ فيها، وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تلقّف الكرة ..	ينسب إلى أبي سفيان	149

خامسًا– فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	ملاحظات	مكان الترجمة
١. أبان بن أبي عياش فيروز البصري		48
٢. أَبَانُ بنُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ الأُمَوِيُّ المَدَنِيُّ		383
٣. إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف		154
٤. إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي		420
٥. ابْنُ أَبِي المُهَاجِرِ إِسْمَاعِيْلُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ الدِّمَشْقِيُّ		389
٦. ابن أبي مغيث العبدريّ= الوليد بن عبد الله		396
٧. ابْنُ الأَعْرَابِيِّ: مُحَمَّدُ بنُ زِيَادٍ الهَاشِمِيُّ	لغوي	164
٨. ابن الأهتم التميميّ خالد بن صفوان		193
٩. ابن الشباط: محمد بن علي	التوزري	41
١٠. ابن الكلبيّ: هشام بن محمّد بن السائب	أخباريّ	66
١١. ابن المنير= أحمد بن محمد بن منصور		418
١٢. ابن بابويه القمي: أبو جعفر محمّد بن علي		116
١٣. ابن بندار: عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن بن بندار العجلي		513
١٤. ابن جدعان: علي بن زيد		318
١٥. ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري		230
١٦. ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم	البرمكيّ	43
١٧. ابن دريد: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي	لغويّ	91
١٨. ابن شهاب الزهري : محمد بن مسلم		403
١٩. ابن عقدة: أحمد بن محمد بن سعيد		433
٢٠. ابن قتيبة: عَبْدُ اللهِ بنُ مُسْلِمِ بنِ قُتَيْبَةَ الدِّيْنَوَرِيُّ	أَبُو مُحَمَّدٍ	40
٢١. ابن قيس الرقيات: عبيد الله بن قيس القرشيّ	شاعر	178
٢٢. أبو الصديق الناجي: بكر بن عمرو		367
٢٣. أَبُو القَاسِمِ إِسْمَاعِيْلُ بنُ مُحَمَّدِ الأَصْبَهَانِيُّ		141
٢٤. أبو بَرْزة الأسلمي	صحابي	161
٢٥. أبو بكر الآجري: محمد بن الحسين		272

٢٦. أبو بكر الصَغَاني: محمد بن إسحاق		63
٢٧. أبو بكر بن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد		310
٢٨. أبو بكر بن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد		35
٢٩. أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري		388
٣٠. أَبُو جَعْفَر الغلابي البَصْرِيّ		193
٣١. أبو حامد المروروذي: أحمد بن عامر	فقيه شافعي	57
٣٢. أبو زرعة الدمشقي: عبد الرحمن بن عمرو		373
٣٣. أبو عبد الله الحاكم: محمد بن عبد الله بن حمدويه		530، 25
٣٤. أبو عبيدة: معمر بن المثنى	نحوي	303
٣٥. أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُلٍّ		347
٣٦. أَبُو عَمْرٍو بنُ العَلاَءِ		428
٣٧. أبو مخنف لوط بن يحيى	أخباريّ	61
٣٨. أبو مريم ، عبد الغفار بن القاسم		113
٣٩. أبو ميمونة الفارسي المدني الأبّار		365
٤٠. أبو هريرة	صحابي	384
٤١. أحمد السمرقنديّ		265
٤٢. أحمد بن أبي خيثمة		154
٤٣. أحمد بن عبدالله بن خالد الجويباري		261
٤٤. الأحوص بن حكيم		285
٤٥. إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد		381
٤٦. إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجليّ		466
٤٧. إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي		151
٤٨. إِسْمَاعِيْلُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ إِسْمَاعِيْلَ الأزديّ		153
٤٩. إسماعيل بن أميّة بن سعيد بن عمرو بن سعيد		382
٥٠. إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقي		475
٥١. إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي		399
٥٢. إسماعيل بن عمرو بن سعيد		381

٥٣. إسماعيل بن مسلم الطائي		356
٥٤. الأصبغ بن نباتة الحنظلي التميمي		433
٥٥. الأعمش:سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي		113
٥٦. أم هانئ بنت أبي طالب	صحابية	350
٥٧. أيوب بن جابر بن سيار السحيمي		355
٥٨. أيوب بن موسى بن سعيد بن عمرو بن سعيد		382
٥٩. باذام أوباذان أبو صالح مولى أم هانئ		316
٦٠. بحر بن كنيز السقاء		264
٦١. بُسر بن أبي أرْطاة	صحابي	386
٦٢. بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ		530
٦٣. البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود	مؤرّخ	151
٦٤. التبوذكي:موسى بن إسماعيل المنقري مولاهم أبو سلمة		154
٦٥. ثابت بن أبي صفية الثمالي		161
٦٦. ثور بن زيد الدِّيلي		312
٦٧. الجاحظ: عمرو بن بحر		266
٦٨. جبر بن نَوف الهمْداني البِكالي أبو الوَدّاك		458
٦٩. أبو جُحَيْفَةَ السُّوَائِيُّ الكُوْفِيُّ: وَهْبُ بنُ عَبْدِ اللهِ	صحابي	518
٧٠. جَرِيْرُ بنُ عَطِيَّةَ بنِ الخَطَفَيِ التَّمِيْمِيُّ	شاعر	179
٧١. جُزَي بن عبد العزيز بن مروان		380
٧٢. جعفر بن إياس		482
٧٣. جعفر بن عبد الله بن يعقوب بن الفناكي الرازي		513
٧٤. الحارث بن سريج		275
٧٥. حبيب بن أبي حبيب الخرططي		485
٧٦. الحجاج بن يوسف الثقفيّ		387
٧٧. حرملة بن يحيى		258
٧٨. حسان بن ثابت	صحابي	298
٧٩. الحسن بن عبد الله أبو علّي النجاد	فقيه	329
٨٠. الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب		242

28	معاصر	٨١. حسن توفيق بن عبد الرحمن العدل
169		٨٢. الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم
162	شاعر	٨٣. حُصين بن الحُمام المُرِّي
336		٨٤. حصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل
457		٨٥. الحكم بن ظهير الفزاري
261		٨٦. الحكم بن عبد الله أبو مطيع
319		٨٧. حمزة بن حبيب الزيات القارئ
497		٨٨. حُميد بن أبي حُميد الطويل أبو عبيدة البصري
475		٨٩. حيي بن هانئ بن ناضر أبو قَبِيل المعافريّ
381		٩٠. خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد
388		٩١. خَالِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ القَسْرِيُّ
376		٩٢. خالد بن يزيد بن معاوية
326	صحابي	٩٣. خزيمة بن ثابت بن الفاكِه الأنصاري
397		٩٤. الخليل بن مرة الضُبَعي
472		٩٥. داود بن أبي عوف: أبو الجحاف
399		٩٦. داود بن سليمان الخولانيّ
310		٩٧. داود بن عمرو بن زهير الضبي: أبو سليمان
484		٩٨. رَتَن الهِنْدِيّ
380		٩٩. زَبّان بن عبد العزيز بن مروان
305		١٠٠. زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري
283		١٠١. زكريا بن منظور
387		١٠٢. زِيَادُ بنُ عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ
234		١٠٣. زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
280		١٠٤. زيد بن وهب
159	مؤرّخ	١٠٥. سبط ابن الجوزي يُوْسُفُ بنُ قُزْغُلِيٍّ
48		١٠٦. سحيم بن نوفل الأشجعيّ
464		١٠٧. السري بن عاصم بن سهل الهمداني
154	الفقيه	١٠٨. سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف

١٠٩. سعد بن طريف الإسكاف الحنظلي		444
١١٠. سَعِيْدُ بنُ العَاصِ بنِ أَبي أُحَيْحَةَ		380
١١١. سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي		154
١١٢. سعيد بن عبد الملك بن مروان		378
١١٣. سعيد بنُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ الأُمَوِيُّ		383
١١٤. سعيد بن عمرو بن سعيد		381
١١٥. سعيد بن نُصير البغدادي		311
١١٦. سفينة مولى النبيّ ﷺ أبو عبد الرحمن		358
١١٧. سَلامِ بْنِ أَبي عَمْرَةَ		264
١١٨. سلامة بن روح		155
١١٩. سليم بن قيس الهلاليّ العامريّ		423
١٢٠. سليمان بن يسار الهلالي		321
١٢١. سَمُرَةُ بنُ جُنْدُبِ بنِ هِلاَلٍ الفَزَارِيُّ	صحابي	385
١٢٢. سويد بن سعيد بن سهل الهروي		465
١٢٣. سيغمونت فرويد	معاصر	37
١٢٤. سيف بن عمر التميميّ	أخباريّ	60
١٢٥. شراحيل ابن آدَه أبو الأشعث الصنعاني		425
١٢٦. الشريف الجرجاني: علي بن محمد بن علي		304
١٢٧. الشريف الرضيّ محمد بن الحسين بن موسى		43
١٢٨. شريك بن عبد الله النخعي الكوفي		114
١٢٩. شريك بن عبد الله بن أبي نمر		231
١٣٠. الشعبي: عامر بن شراحيل		151
١٣١. صالح بن سويد		272
١٣٢. صَالِحُ بنُ مُوْسَى بنِ عَبْدِ اللهِ التَّيْمِيُّ		415
١٣٣. صُبيح: أَرْبَدُ بْنُ حُمَيْرَةَ	صحابي	127
١٣٤. صِلَةُ بنُ أَشْيَمَ أَبُو الصَّهْبَاءِ العَدَوِيُّ		219
١٣٥. ضرار بن ضَمْرة، الصُّدائيُّ		145
١٣٦. طاوس بن كيسان اليمانيّ		197

114		١٣٧. عباد بن عبد الله الأسدي الكوفي
457		١٣٨. عبّاد بن يعقوب الروَاجِني الأسدي
270		١٣٩. عبد الأعلى بن عبد الله
396	معاصر	١٤٠. عبد الجواد ياسين
180	صحابي	١٤١. عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
259		١٤٢. عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
377-376		١٤٣. عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية
378		١٤٤. عبد العزيز بن عمر بن مروان
312		١٤٥. عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي
377		١٤٦. عبد العزيز بن مروان بن الحكم
356		١٤٧. عبد الله بن أبي ربيعة
197		١٤٨. عبد الله بن أبي نجيح
324		١٤٩. عَبْدُ اللهِ بنُ الحَارِثِ بنِ نَوْفَلٍ الهَاشِمِيُّ
397		١٥٠. عبد الله بن المؤمل
425		١٥١. عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر الجَرمي
386	صحابي	١٥٢. عَبْدُ اللهِ بنُ عَامِرِ بنِ كُرَيْزٍ
113		١٥٣. عبد الله بن عبد القدوس التميمي السعدي
379		١٥٤. عبد الله بن عمر بن مروان
476		١٥٥. عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي
475		١٥٦. عبد الله بن موهب الشامي أبو خالد
262-261		١٥٧. عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد
466		١٥٨. عبد الملك بن عمير بن سويد اللخميّ
375		١٥٩. عبد الملك بن مروان
469		١٦٠. عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي
154		١٦١. عبد الوارث بن سفيان بن جبرون
283		١٦٢. عبد الوارث بن غالب العنبريّ
513		١٦٣. عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت الثقفي
164		١٦٤. عبيد الله بن محمد بن عائشة

١٦٥. عبيد بن شَرِّيَة الجرهميّ		71
١٦٦. عثمان بن سعد		519
١٦٧. عصام بن يوسف البلخي		262
١٦٨. عطاء بن أبي رباح		197
١٦٩. عُقْبَةُ بن عَامِرٍ الجُهَنِيُّ	صحابي	385
١٧٠. عُقيل بن خالد الأيليّ		64
١٧١. عكرمة أبو عبد الله مولى بن عباس		312
١٧٢. العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحُرَقي		468
١٧٣. علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني		169
١٧٤. عليّ بن نزار بن حيان الأسديّ		263
١٧٥. عمّار بن ياسر	صحابي	323
١٧٦. عمارة بن رويبة الثَّقَفِيُّ		530
١٧٧. عمر بن عبد العزيز بن مروان		376
١٧٨. عمر بن عبد الله مولى غُفرة		282
١٧٩. عمران بن موسى بن سعيد بن عمرو بن سعيد		382
١٨٠. عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب الخُزاعي	صحابي	413
١٨١. عَمْرُو بنُ العَاصِ بنِ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ	صحابي	384
١٨٢. عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي الأنصاري		327
١٨٣. عمرو بن سعيد الأشدق		381
١٨٤. عمرو بن سعيد بن عمرو بن سعيد		381
١٨٥. عمرو بن عبيد بن باب		477
١٨٦. عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد		382
١٨٧. عمرو بن عثمان بن عفان		383
١٨٨. عمرو ذو مر الهمداني		319
١٨٩. عنبسة بن سعيد		381
١٩٠. عَوَانَةُ بنُ الحَكَمِ بنِ عِيَاضٍ	أخباريّ	83
١٩١. عِيَاضٌ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبِيُّ		393
١٩٢. قاسم بن أصبغ، أَبُو مُحَمَّدٍ القُرْطُبِيُّ		86

١٩٣. قُتَيْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ البَاهِلِيُّ		388
١٩٤. قَحْطانُ بن عابر بن شالح		297
١٩٥.قيس بن أبي حازم البجلي		151
١٩٦.قيس بن الربيع الأسدي		117
١٩٧. كامل بن طلحة الجحدري أبو يحيى البصري		475
١٩٨. كثير بن مرة الحضرمي الحمصي		405
١٩٩. الكرابيسيّ:أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ بنِ يَزِيْدَ		295
٢٠٠.لَبَطَةُ بْنُ الْفَرَزْدَقِ	شاعر	179
٢٠١. مؤمل بن إسماعيل		272
٢٠٢.مالك بن عمرو السلمي	صحابي	127
٢٠٣. مجالد بن سعيد بن عمير بن بسطام الهمداني		458
٢٠٤.محارب الزياديّ		213
٢٠٥. محمد الديباج :معد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان		443
٢٠٦.محمّد بن أحمد الذهلي		63
٢٠٧. محمد بن إسحاق بن مهران يعرف بشاموخ		461
٢٠٨. محمد بن الحسن بن زَبالة المخزومي		469
٢٠٩.محمّد بن السائب بن بشر الكلبيّ	أخباريّ	66
٢١٠. محمد بن العباس بن عثمان بن شافع		321
٢١١. محمد بن بشار بن عثمان العبدي= بندار		513
٢١٢. محمد بن سعيد الأزرق		265
٢١٣.مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عُلاَثَةَ العُقَيْلِيُّ		172
٢١٤. مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَمْدُوَيْه		530
٢١٥.محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن البهلول		117
٢١٦. محمد بن عبد الله، أبو جعفر الاسكافي		447
٢١٧. محمد بن عبد الملك بن مروان		378
٢١٨.محمد بن عُزيز		155
٢١٩. محمد بن علي بن الفتح أبو طالب العشاري		445

٢٢٠. محمد بن عليّ بن شافع المطلبيّ		294
٢٢١. محمّد بن عمران الحجبيّ		443
٢٢٢. محمد بن محصن العكاشي		264
٢٢٣. مُحَمَّدُ بنُ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ		377
٢٢٤. محمد بن موسى الحرشي أبو جعفر لقبه شاباص		435
٢٢٥. محمّد بن ناصر بن محمّد بن علي أبو الفضل السلامي		462
٢٢٦. مُحَمَّدُ بنُ وَاسِعِ بنِ جَابِرِ بنِ الأَخْنَسِ الأَزْدِيُّ		219
٢٢٧. محمد بن يونس بن موسى بن سليمان الكديمي		489
٢٢٨. محمد رشيد رضا	معاصر	398
٢٢٩. الْمُخْتَار بْن أَبِي عُبَيْد		338
٢٣٠. المَدَائِنِيُّ: عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ	أخباريّ	84
٢٣١. مروان بن الحكم	صحابي	373
٢٣٢. مروان بن سالم الغفاري		284
٢٣٣. المسعوديّ: عليّ بن الحسين بن عليّ	المؤرّخ	54
٢٣٤. مسلم بن خالد المخزومي		468
٢٣٥. مسلم بن يسار ، أبو عبد الله البصري		425
٢٣٦. مَسْلَمَةُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ		378-377
٢٣٧. مَسْلَمَةُ بنُ مُخَلَّدِ بنِ الصَّامِتِ الأَنْصَارِيُّ	صحابي	386
٢٣٨. المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي	صحابي	154
٢٣٩. مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري		63
٢٤٠. معاوية بن أبي سفيان	صحابي	371
٢٤١. مُعَاوِيَةُ بنُ حُدَيْجِ بنِ جَفْنَةَ بنِ قَتِيْرَةَ الكِنْدِيُّ	صحابي	385
٢٤٢. معبد بن خالد الجهني القدري		270
٢٤٣. معروف بن خَرّبُوذ		96
٢٤٤. المغيرة بن شعبة	صحابي	384
٢٤٥. المغيرة بن معّد بن المهلب		153
٢٤٦. المقريزيّ: أحمد بن علي بن عبد القادر		94
٢٤٧. المهاجر بن مخلد		510

٢٤٨. المُهَلَّبُ بنُ أَبِي صُفْرَةَ ظَالِمٍ الأَزْدِيُّ		387
٢٤٩. موسى بن عمرو بن سعيد		381
٢٥٠. نزار بن حيان الأسديّ		263
٢٥١. نصر بن مُزاحم		50
٢٥٢. النُّعْمَانُ بنُ بَشِيْرِ الأَنْصَارِيُّ	صحابي	384
٢٥٣. هشام بن حسان الأزدي القردوسي		152
٢٥٤. همام بن يحيى بن دينار العَوْذِي		395
٢٥٥. الهيثم بن عبيد		436
٢٥٦. الهيصم بن شداخ		489
٢٥٧. الواقديّ: محمّد بن عمر بن واقد الأسلميّ	أخباريّ	63
٢٥٨. الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ		171
٢٥٩. وهب بن منبّه		284
٢٦٠. يحيى بن الحكم بن أبي العاص الأمويّ		380
٢٦١. يحيى بن خالد بن برمك		83
٢٦٢. يحيى بن سُليم الطائفيّ		170
٢٦٣. يحيى بن سُليم الفزاريّ الواسطيّ		170
٢٦٤. يحيى بن سليم بن زيد		170
٢٦٥. يحيى بن يعلى التيمي أبو المُحَيّاة		337
٢٦٦. يَزِيْدُ بنُ أَبِي كَبْشَةَ جِبْرِيْلَ بنِ يَسَارٍ البَتَلْهِيُّ		388-387
٢٦٧. يزيد بن ربيعة الرحبي الدمشقي		474
٢٦٨. يَزِيْدُ بنُ عُمَرَ بنِ هُبَيْرَةَ الفَزَارِيُّ		178
٢٦٩. يزيد بن معاوية		372
٢٧٠. يعقوب بن سفيان الفسوي		155
٢٧١. يعقوب بْن يوسف بْن مَعْقِل بْن سِنَان النَّيسابوريّ		503
٢٧٢. اليعقوبيّ: أحمد بن أبي يعقوب	المؤرّخ	51
٢٧٣. يعلى بن عبيد بن أبي أمية الكوفي الطنافسي		473
٢٧٤. يوسف بن سعد الجمحي		318
٢٧٥. يونس بن عبيد بن دينار العبدي		435

سابعًا– فهرس المراجع

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: د.عثمان عبدالله آدم الأثيوبي، دار الراية – الرياض، ط2، 1418هـ

٢. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم – صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية – بيروت –1978م.

٣. أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات" المهدية" في ظل خلافة بني أمية، ج.فان فلوتن،ترجمة د. ابراهيم بيضون، دار الحداثة –1980 م – بيروت

٤. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1: 1404هـ.

٥. أبو هريرة راوية الإسلام، الدكتور محمد عجاج خطيب، الناشر: مكتبة وهبة،ط3، 1402 هـ – 1982م

٦. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، طبعة دار الوطن ، 1420هـ /1999م.

٧. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق : مركز خدمة السنة والسيرة ، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) – ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، ط1، 1415 هـ – 1994 م

٨. الأحاديث المختارة للضياء المقدسي – تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش– مكتبة النهضة الحديثة– مكة المكرمة، ط1، 1410هـ

٩. أحاديث أمّ المؤمنين عائشة– للسيد مرتضى العسكري ، مطبعة النهضة، ط1: 1418هـ.

١٠. الأحكام السلطانية ، للماوردي علي بن محمد ت450هـ ، دار الفكر – بيروت .

١١. الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء– صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان،ط 2 ، 1421 هـ– 2000 م.

١٢. الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق: د. سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط1، 1404هـ

١٣. أحوال الرجال، تأليف: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أبو إسحاق، تحقيق: صبحي البدري السامرائي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط1: 1405هـ.

١٤. إحياء علوم الدين– محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار االمعرفة – بيروت.

١٥. أخبار الدولة العباسية– مؤلف مجهول ، عن مخطوط فريد من مكتبة مدرسة أبي حنيفة – بغداد، تحقيق د. عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت.

١٦. الأخبار الطوال – أبو حنيفة أحمد بن داود الدنيوريّ، تحقيق:عبد المنعم عامر، ومراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة الحلبي، سنة1960م.

١٧. أخبار القضاة ، أبو بكر مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، المُلَقَّب بِـ"وَكِيع"(ت:306هـ)، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر ، ط1، 1366هـ=1947م

١٨. أخبار مكة للفاكهي (ت 272هـ)- تحقيق : د. عبد الملك عبد الله دهيش- دار خضر – بيروت -ط 2 ، 1414هـ

١٩. اختيار معرفة الرجال للطوسيّ، تحقيق:مير داماد وآخرون، نشر: مؤسسة آل البيت، مطبعة: بعثت- قم، طبعة عام1404هـ

٢٠. الأدب الجاهلي، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط7.

٢١. الأدب الجاهلي، للدكتور غازي طليمات، سليمان الأشقر، دار الإرشاد بحمص، ط1.

٢٢. أدب الدنيا والدين، تحقيق: محمد أبو الخير السيّد و محمّد الشرفاويّ، مؤسسة الرسالة ناشرون- بيروت، ط1: 1425هـ/2004م.

٢٣. الأربعين – محمد طاهر القمي الشيرازي، تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة الأمير، ط1، 1418هـ.

٢٤. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب، دار الفكر – بيروت، ط1 ،1412هـ - 1992م.

٢٥. إرشاد طلاب الحقائق للنووي ، تحقيق: د نور الدين عتر، مطبعة الإتحاد ، ط1، 1408هـ/1988م

٢٦. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد ت(413 هـ)، تحقيق :مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث ، نشر وطباعة: دار المفيد.

٢٧. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (قده) المتوفى 460 هـ حققه وعلق عليه سيدنا الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الاسلامية- طهران .

٢٨. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا-محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2000م.

٢٩. الاستشراق والتاريخ الإسلامي(القرون الإسلامية الأولى)- فاروق عمر فوزي ،ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، 1998م.

٣٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل - بيروت ،ط1،1412 هـ.

٣١. أسد الغابة، لابن الأثير- انتشارات اسماعيليان- طهران

٣٢. الاشتقاق، لابن دريد في باب اشتقاق أسماء العشرة- عثمان بن عفان ﷺ - تحقيق: عبد السلام هارون- دار الجيل – بيروت، ط1- 1411هـ/1991م

٣٣. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي دار الجيل – بيروت، ط1 ، 1412هـ - 1992م.

٣٤. أصل الشيعة وأصولها ،الشيخ محمد الحسين آل كشاف الغطاء ، تحقيق علاء آل جعفر مؤسسة الإمام علي .

٣٥. إصلاح المنطق لابن السكيت : أبي يوسف يعقوب بن إسحاق ، دار المعارف .
٣٦. أصول التخريج ودراسة الأسانيد- د محمود الطحان -مكتبة المعارف- الرياض،ط2: 1412هـ/1991م.
٣٧. أصول الدين ، عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ، مطبعة الدولة – استانبول ، ط 1، 1346هـ/1928م .
٣٨. أصول المعارضة السياسية في الإسلام – عبود عبد الله العسكري ، دار النمير – دمشق ، ط1 ، 1997م.
٣٩. أضواء على السنة المحمدية ، محمود أبو ريّة ، دار الكتاب الإسلامي ، ط5 .
٤٠. اعتقاد أئمة الحديث، تأليف: أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، دار العاصمة - الرياض – 1412هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس
٤١. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين – بيروت، ط5، 1980م.
٤٢. أغاليط المؤرخين، الشيخ محمد أبو اليسر عابدين ، مكتبة الغزالي – دمشق ، ط2، 1410هـ/1989م .
٤٣. الأغاني ، أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق : سمير جابر، دار الفكر - بيروت، ط2.
٤٤. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب- علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العلمية – بيروت،ط1، 1411هـ
٤٥. الأمالي في لغة العرب، لأبي عليّ القالي، دار الكتب العلمية - بيروت –1398هـ- 1978م
٤٦. الإمام الزهري وأثره في السنة، حارث سليمان الضاري - رسالة دكتوراة ، بإشراف د . محمد سيد ندا – منشورات مكتبة بسام – موصل، 1405هـ-1985م.
٤٧. إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين :أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، علي بن عبد العزيز بن علي الشبل ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط1، 1425هـ/2004م .
٤٨. الإمامة والتبصرة من الحيرة، ابن بابويه القمي – تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي – قم
٤٩. الإمامة والسياسة لابن قتيبة، تحقيق علي الشيري ، انتشارات الشريف الرضي، المطبعة: أمير- قم، ط1.
٥٠. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، مجير الدين الحنبليّ العليمي، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، مكتبة دنديس - عمان - 1420هـ- 1999م.
٥١. أنساب الأشراف للبلاذري – تحقيق: محمود الفردوس العظم، دار اليقظة العربية– دمشق.
٥٢. الأنساب- لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر - بيروت ، ط1، 1998م
٥٣. الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، المطبعة السلفية، عالم الكتب- بيروت-1402هـ- 1982م.
٥٤. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء - لقاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء – جدة، ط1، 1406هـ.
٥٥. الأوائل لابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.

٥٦. الأوائل، لحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـ)، دار البشير – طنطا، ط1، 1408هـ.
٥٧. أوراق البردي العربيّة بدار الكتب المصريّة لأدولف جروهمان– ترجمة حسن ابراهيم، ومراجعة عبد الحميد حسن،طبعة دار الكتب المصرية1955م.
٥٨. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: د . أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة – الرياض، ط1– 1985م.
٥٩. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغداديّ، دار إحياء التراث العربي – لبنان– بيروت.
٦٠. الإيضاح في علوم البلاغة– جلال الدين القزويني ، دار إحياء العلوم – بيروت، ط: 4 ،1998م
٦١. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، للحافظ ابن كثير إسماعيل بن عمر ، تحقيق: أحمد شاكر ، مكتبة السنة – القاهرة ، الناشر: دار الكتب – بيروت ، 1415هـ/1994م.
٦٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، محمد با قر المجلسي ، مؤسسة الوفاء –بيروت ، ط2المصححة، 1403هـ-1983م.
٦٣. البحر الرائق شرح كنز الحقائق، لابن نجيم المصريّ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1: 1418هـ.
٦٤. البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: د. محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، ط1، 1421هـ – 2000م.
٦٥. بحوث في علوم الحديث ونصوصه، د مصطفى البغا. منشورات جامعة دمشق،1422– 1423 هـ /2002– 2003 م.
٦٦. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع– لعلاء الدين الكاساني– دار الكتاب العربي– بيروت– سنة النشر 1982م
٦٧. بداية المجتهد ونهاية المقتصد –لابن رشد، طبعة دار المعرفة –بيروت.
٦٨. البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي. بيروت ، ط1، 1408هـ .
٦٩. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: العلامة محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة – بيروت .
٧٠. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – بيروت – 1391 هـ.
٧١. بصائر الدرجات الكبرى– محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار(ت 290هـ)– تحقيق: الحاج حسين ميرزا، مؤسسة الأعلمي– طهران–1404هـ.
٧٢. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثميّ، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط 1، 1413هـ – 1992م.
٧٣. بلاغات النساء– لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت: 280هـ)، صححه وشرحه: أحمد الألفي، الناشر: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، عام: 1326 هـ-1908 م

٧٤. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة – محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق : محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت –ط 1 –1407ه
٧٥. بنور فاطمة اهتديت– عبد المنعم حسن السوداني، دار المعروف، طبعة عام1419ه.
٧٦. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، أحمد عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة، ط1، 1392ه.
٧٧. البيان والتبين – للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب – بيروت، ط1 ، 1968م.
٧٨. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية.
٧٩. تاريخ ابن خلدون ، طبعة دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان
٨٠. تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران المهراني الأصبهاني، تحقيق: سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية – بيروت – ط1، 1410ه-1990م.
٨١. تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين – بيروت ،ط5 -1984م.
٨٢. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الدكتور حسن إبراهيم حسن ، دار إحياء التراث العربي ، ط7 ، 1964م .
٨٣. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام - ا لذهبي تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م
٨٤. تاريخ التمدّن الإسلاميّ، جرجي زيدان – دار الهلال – مصر، سنة1958م.
٨٥. تاريخ الخلفاء، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر،ط1، 1371ه - 1952م.
٨٦. تاريخ الدولة الأموية د. محمد سهيل طقّوش – دار النفائس – بيروت لبنان ، ط2 –1418ه / 1998م.
٨٧. التاريخ الصغير، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، دار الوعي ، مكتبة دار التراث – حلب ، القاهرة، ط1، 1397 ه- 1977م.
٨٨. تاريخ الطبري أو ((تاريخ الأمم والملوك)) لمحمد بن جرير الطبريّ- دار الكتب العلمية – بيروت–ط1، 1407ه.
٨٩. التاريخ العربي والمؤرخون، لشاكر مصطفى، دار العلم للملايين- بيروت ،ط3-1983م.
٩٠. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر- بيروت.
٩١. تاريخ المدينة- ابن شبة النميري، تحقيق: فهيم محمد شلتوت- منشورات دار الفكر
٩٢. تاريخ المذاهب الإسلامية- الإمام محمّد أبو زهرة ، دار الفكر العربي- القاهرة
٩٣. التاريخ المظفري، ابن أبي الدم – تحقيق: د. حامد غانم، دار الثقافة– القاهرة، سنة1985م.
٩٤. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، دار صادر – بيروت

٩٥. تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة (463هـ) ، لأبي بكر الخطيب البغدادي ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ط1، 1417هـ/1997م
٩٦. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ سنة1967م.
٩٧. تاريخ مدينة دمشق للحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: علي شيري ، دار الفكر ، 1415هـ ، 1995م.
٩٨. تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف –لأبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد ابن الضياء المكي الحنفي،تحقيق : علاء إبراهيم ، أيمن نصر، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط 2، 1424 هـ – 2004 م
٩٩. تاريخنا المفترى عليه- يوسف القرضاوي ، دار الشروق- القاهرة، ط3- 2006م.
١٠٠ تأويل النصّ القرآني وقضايا النحو – د محمود حسن الجاسم، دار الفكر،ط1: 1431هـ/2010م
١٠١ تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق: محمد عبد الرحيم ، دار الفكر – بيروت ، 1415هـ/1995 م .
١٠٢ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعريّ- لابن عساكر- تقديم الشيخ زاهد الكوثري، مطبعة التوفيق – دمشق ، عام1347هـ
١٠٣ تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) لزين الدين عمر ابن الوردي، تحقيق : أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة – بيروت، ط1، 1389هـ/1970م.
١٠٤ تثبيت دلائل النبوة- للقاضي عبد الجبار الهمذاني، دار المصطفى - شبرا- القاهرة
١٠٥ التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور–لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط1 ، 1420هـ/2000م
١٠٦ التحقيق في أحاديث الخلاف – لابن الجوزي، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، دار الكتب العلمية- بيروت- سنة النشر 1415هـ
١٠٧ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.
١٠٨ تدوين السنة، إبراهيم فوزي ، رياض الريس للكتب والنشر ، ط1، 1994م .
١٠٩ التدوين في أخبار قزوين ، لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاري ، دار الكتب العلمية - بيروت - 1987م.
١١٠ تذكرة الحفاظ، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 .
١١١ تذكرة الخواص المعروف بـــ" تذكرة خواص الأمّة في خصائص الأئمة" ليوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي المعروف بسبط ابن الجوزي (581- 654)هـ - إصدار مكتبة نينوى الحديثة – طهران – ناصر خسرو مروي.
١١٢ التذكرة في أحوال الدنيا والآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات

الأزهرية.
١١٣ التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي – لبنان ، ط4– 1403هـ- 1983م.
١١٤ التشيع نشوؤه مراحله مقوماته، عبد الله الغريفي ، مؤسسة العارف – بيروت ، ط7 ، 1421هـ/2000م .
١١٥ التعريفات – علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ت 816هـ ، تحقيق مصطفى أبو يعقوب، الرسالة ناشرون – دمشق ، ط1 : 1427هـ/ 2006م
١١٦ تغليق التعليق على صحيح البخاري، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت ، عمان – الأردن، ط1، 1405هـ.
١١٧ تفسير ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي(المتوفى: 327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية - صيدا، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط3 - 1419 هـ
١١٨ تفسير ابن كثير أو تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 ، 1420هـ - 1999 م
١١٩ تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون..، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت ، ط1، 1422هـ -2001م.
١٢٠ تفسير الطبري أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420 هـ- 2000 م .
١٢١ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 1421هـ- 2000م.
١٢٢ تفصيل وسائل الشيعة للحر العاملي- مؤسسة آل البيت لإحياء التراث- قم–الطبعة الثانية:1414هـ- المطبعة مهر- قم
١٢٣ التفكير الفلسفي في الإسلام ، د عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، ط2.
١٢٤ تقريب التهذيب- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق : محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا،ط1، 1406هـ - 1986م.
١٢٥ التقرير والتحبير، لابن أمير الحاج، دار الفكر - بيروت -1417هـ - 1996م.
١٢٦ تقييد العلم،أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، دار إحياء السنة النبوية،ط2، 1974م.
١٢٧ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ط1، 1389هـ - 1970م.
١٢٨ تلبيس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق :محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية صيدا – بيروت ، ط1، 1423هـ/2003م.
١٢٩ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ـــ تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكريم البكري، نشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـــ

المغرب ــ 1387هـ .
١٣٠ التنبيه والإشراف، للمسعودي، تحقيق:عبد الله بن إسماعيل الصاوي، دار الصاوي– مصر،1357هـ/1938م
١٣١ ١٣٢. تنـزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، لأبي الحسن على بن محمد بن العرّاق الكناني،تحقيق: عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، دار الكتب العلمية، ط 2 1981م.
١٣٣ تنقيح تحقيق أحاديث التعليق –شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي ، تحقيق: أيمن صالح شعبان ، دار الكتب العلمية– بيروت، سنة النشر 1998م
١٣٤ تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر – بيروت،ط1، 1996.
١٣٥ تهذيب التهذيب أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار الفكر – بيروت ، ط1، 1404هـ –1984م.
١٣٦ تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ، تحقيق : د. بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1400هـ/1980م .
١٣٧ توثيق السنة في القرن الثاني الهجري ــ أسسه واتجاهاته، الدكتور فوزي رفعت عبد المطلب –مكتبة الخانجي– مصر – ط1 1400هـ–1981م
١٣٨ توجيه النظر إلى أصول الأثر ، للشيخ طاهر الجزائري الدمشقيّ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب،ط1: 1416هـ - 1995م
١٣٩ التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري ، مكتبة أصول السلف - السعودية ، ط 1، 1418هـ.
١٤٠ توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار - محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية - المدينة المنورة.
١٤١ توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1993م.
١٤٢ الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر – بيروت ، ط1، 1395هـ – 1975م.
١٤٣ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ،لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار المعارف – القاهرة.
١٤٤ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – القاهرة، ط1، 1965م.
١٤٥ جامع التحصيل في أحكام المراسيل ،لأبي سعيد بن خليل بن كيكلدي العلائي ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، عالم الكتب - بيروت ط2، 1407هـ - 1986م .

١٤٦ جامع الرواة – لمحمد بن علي الأردبيلي (ت1101هـ) ، مكتبة المحمدي – قم .
١٤٧ جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر النمري، دار الكتب العلمية - بيروت -1398هـ.
١٤٨ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط 2 ، 1384هـ - 1964 م
١٤٩ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق : د. محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض، 1403هـ
١٥٠ الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط1، 1371هـ- 1952م .
١٥١ الجزء المتمم لطبقات ابن سعد ، تحقيق ودراسة: د. عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق - الطائف، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416 هـ.
١٥٢ جمهرة أنساب العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق لجنة من العلماء دار الكتب العلمية – بيروت ، 1418هـ/1998م
١٥٣ جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود ، لمحمد بن أحمد المنهاجي الأسيوطي، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط11417 هـ/ 1996 م.
١٥٤ جواهر الكلام" في شرح شرائع الاسلام "– محمد حسن النجفي (الجواهري)(ت1266هـ)، حققه وعلق عليه الشيخ عباس القوچاني، دار الكتب الاسلامية : طهران
١٥٥ الجوهرة في نسب الإمام عليّ وآله – محمد بن أبي بكر التاهسانيّ – تحقيق: محمد التنوجي–مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت – ط1: 1402هـ.
١٥٦ الجوهرة في نسب النبيّ وأصحابه العشرة، لمحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التِّلمساني المعروف بالبُرِّي (المتوفى: بعد 645هـ)، تحقيق: د محمد التونجي، دار الرفاعي – الرياض، ط1، 1403 هـ - 1983 م
١٥٧ حاشية العطار على جمع الجوامع ،لحسن العطار، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت ، ط1، 1420هـ - 1999م.
١٥٨ الحاوي في فقه الشافعي – الماوردي، دار الكتب العلمية- ط1، 1414هـ / 1994م.
١٥٩ الحجاج المفترى عليه، د محمود زيادة، دار السلام- مصر، ط1: 1415هـ/1995م.
١٦٠ الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات، أبو مريم بن محمد الأعظمي ، دار الضحى/ تونس ، ط1، 1417 هـ.
١٦١ الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، تأليف الشيخ يوسف البحراني(ت: 1186 هـ) مؤسسة النشر الاسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين . بقم المشرفة (إيران)
١٦٢ الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى، تحقيق: د. مازن المبارك ، دار الفكر المعاصر – بيروت،ط1: 1411هـ.

١٦٣ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ط1 – 1387 هـ – 1967م

١٦٤ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط4، 1405هـ

١٦٥ الحماسة البصرية، تأليف: صدر الدين علي بن الحسن البصري،تحقيق: مختار الدين أحمد ، عالم الكتب – بيروت – 1403هـ- 1983م

١٦٦ حياة الإمام الحسين (ع) – دراسة وتحليل، الشيخ باقر شريف القرشي، مطبعة: الآداب- النجف الأشرف.

١٦٧ حياة الإمام الرضا للسيد جعفر مرتضى، دار التبليغ الإسلاميّ،سنة1398هـ/1978م

١٦٨ حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين محمد بن موسى الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ.

١٦٩ خاتمة مستدرك النجاة- المحقق النوريّ الطبرسيّ تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث –قم ، المطبعة: ستارة –قم، ط1: 1415هـ.

١٧٠ خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكرعلي المعروف بابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1، 1987م.

١٧١ الخصال للقمي تحقيق: علي أكبر غفاري، نشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم .

١٧٢ خلاصة الأقوال في معرفة الرجال للحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر ، تحقيق : جواد القيومي ، المطبعة : مؤسسة النشر الإسلامي، ط 1، 1417هـ ، مؤسسة نشر الفقاهة.

١٧٣ الخلافة والملك لأحمد بن عبد الحليم – تحقيق حماد سلامة – مراجعة محمد عويضة- مكتبة المنار الأردن – الزرقاء – ط2-1414هـ/1994م

١٧٤ خلق أفعال العباد- محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق : د. عبدالرحمن عميرة، دار المعارف السعودية – الرياض ،1398هـ – 1978م

١٧٥ الخوارج أول الفرق في تاريخ المسلمين، للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، دار القاسم – الرياض، ط 2، 1417هـ.

١٧٦ الخوارج عقيدة وفكر وفلسفة ، د عامر النجار ، دار المعارف – القاهرة ، ط4، 1994م .

١٧٧ الخوارج والحقيقة الغائبة- ناصر السابعي، دار المنتظر –بيروت –لبنان- طبعة سنة 1420هـ/2000م. رسالة ماجستير

١٧٨ دائرة المعارف الإسلامية ، محمد ثابت الفندي وآخرون ، تراجعها وزارة المعارف ، رئيس التحرير إبراهيم زكي خورشيد.

١٧٩ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، دار الفكر – بيروت، سنة 1993م.

١٨٠ دراسات في التاريخ الإسلامي للدكتورة نجدت الخماش ،ط1: 1994م .

١٨١ دراسات في الحديث النبوي، وتاريخ تدوينه، للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي1413هـ-

1992م.

١٨٢ دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويّين للدكتور محمّد ضيف الله بطاينة- دار الفرقان- عمان، ط 1، 1420هـ/1999م.

١٨٣ الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف- ط2.

١٨٤ دفاع عن الرسول ﷺ والصحابة عما جاء من افتراءات صاحب شدو الربابة ، د عمر عبد الله كامل ، دار الكتبي – القاهرة ، ط1، 1422هـ/2001م .

١٨٥ دلائل الإمامة- محمد بن جرير بن رستم الطبري (الشيعي) تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم ، ط 1، 1413 هـ.

١٨٦ دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، الدكتور امتياز أحمد، تعريب الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الوفاء- المنصورة ، ط1، 1410هـ/ 1990م.

١٨٧ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقيّ (ت: 458هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1 – 1405هـ.

١٨٨ الدولة الأمويّة المفترى عليها – د حمدي شاهين –دار القاهرة للكتاب- القاهرة – طبعة سنة 2001م

١٨٩ الدولة الأموية والمعارضة – مدخل إلى كتاب السيطرة العربية للمستشرق الهولندي فان فولتن ،د. ابراهيم بيضون - دار الحداثة – بيروت ، ط1،1980م.

١٩٠ الدولة الأموية، د يوسف العش ، دار الفكر – دمشق ، الإعادة الخامسة، 1419هـ/1998م، للطبعة الثانية، 1405هـ/1985 م .

١٩١ دولة بني العباس، شاكر مصطفى- وكالة المطبوعات- الكويت1974م

١٩٢ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت

١٩٣ ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين –دار النهضة –بيروت،1972م.

١٩٤ ديوان البحتري، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، دار المعارف- القاهرة ، ط3

١٩٥ ديوان الوليد بن يزيد:جمع وترتيب المستشرق الإيطالي ف. جبربالي، تقديم خليل مردم بك، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق- مطبعة ابن زيدون – دمشق، 1355هـ/1937م

١٩٦ ديوان جرير، بشرح محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مكتبة الحياة- بيروت.

١٩٧ ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: عبدأ.مهنا، دار الكتب العلمية–بيروت، ط2 لعام1414هـ/1994م
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. وليد عرفات طبعة لندن1971م.

١٩٨ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار صادر – بيروت

١٩٩ ديوان علي بن أبي طالب ﷺ طبعة دار صادر- بيروت

٢٠٠ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تأليف: آقا بزرگ الطهرانيّ، دار الأضواء- بيروت ، ط3، 1403هـ/1983م.

٢٠١ ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد شكور بن محمود الحاجي

أمرير المياديني، مكتبة المنار ــ الزرقاء،ط 1، 1406هـ - 1986م
٢٠٢ رجال ابن داود ، الحسن بن على بن داود الحلي ت 707 هـ ، منشورات المطبعة الحيدرية – النجف، 1392 هـ / 1972 م .
٢٠٣ رجال السيد بحر العلوم "المعروف بالفوائد الرجالية "، السيد مهدي بحر العلوم ت(1212هـ)، تحقيق :صادق بحر العلوم – حسين بحر العلوم ،كتبة الصادق – طهران، ط1، 1 / 9 / 1363 هـ.
٢٠٤ رجال الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (460 – 385 هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، تاريخ 1415هـ.
٢٠٥ الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي، تحقيق : بدر بن عبدالله البدر، دار ابن الأثير – الكويت، ط2، 1995م
٢٠٦ رسائل الجاحظ ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي– القاهرة، طبعة عام1964م.
٢٠٧ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة ، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية – بيروت،ط4، 1406هـ – 1986م.
٢٠٨ رسوم التحديث في علوم الحديث، ابراهيم بن عمر الجعبريّ، تحقيق أحمد محمود المحيني– دار طيبة – دمشق.. رسالة ماجستير.
٢٠٩ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
٢١٠ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: 581هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1412هـ
٢١١ الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ، محمد بن إبراهيم الوزير اليماني ، دار المعرفة – بيروت،1399هـ/1979م .
٢١٢ الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد بن عبد المنعم الحِميري ، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - ط 2 - سنة 1980 م
٢١٣ زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت،ط14 ، 1407هـ – 1986م.
٢١٤ الزهد، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث – القاهرة، ط2، 1408هـ
٢١٥ سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط4، 1379هـ.
٢١٦ سراج الملوك، لأبي بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (ت: 520هـ)، من أوائل المطبوعات العربية – مصر، تاريخ النشر: 1289هـ/1872م
٢١٧ السقيفة - محمد رضا المظفر ، المطبعة : بهمن – قم ، ط2، 1415 هـ.

٢١٨ السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ ، عبد الجواد ياسين، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، ط11998م.

٢١٩ السلطة والمعارضة في الإسلام-زهير هواري – المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ط1سنة2003م

٢٢٠ السلوك في طبقات العلماء والملوك، تأليف: بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي، مكتبة الإرشاد - صنعاء -1995م، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي

٢٢١ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت -1419هـ- 1998م.

٢٢٢ السنة النبوية، مكانتها، عوامل بقائها، تدوينها، الدكتور عبد المهدي عبد القادر، دار الاعتصام بالقاهرة.

٢٢٣ السنة قبل التدوين التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب ،دار الفكر ، ط5 1401هـ/1981م

٢٢٤ السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد للخلال ، تحقيق: د.عطية الزهراني، دار الراية – الرياض- ط1: 1410هـ- 1989م.

٢٢٥ السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي- دار الورّاق، ط 2 – 2000م.

٢٢٦ السنة، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط 1 ، 1400هـ.

٢٢٧ سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر – بيروت

٢٢٨ سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٢٢٩ سنن الترمذي (الجامع الصحيح)- محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي - تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢٣٠ سنن الدارمي ، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق : فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط1، 1407هـ .

٢٣١ السنن الكبرى للبيهقيّ، تحقيق :محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، 1414هـ/1994م

٢٣٢ سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية - الهند – ط1، 1403هـ -1982م.

٢٣٣ السياسة الشرعية، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط 1، 1418هـ

٢٣٤ سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط9 ، 1412هـ/ 1993م .

٢٣٥ السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل – بيروت، ط1، 1411هـ.

٢٣٦ السيرة النبوية للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير - تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر

والتوزيع - بيروت – لبنان، 1396 هـ - 1971م

٣٧؛ السيف والسياسة – صالح الورداني ، دار الجسام- القاهرة، ط1 -1415هـ.

٣٨؛ شجرة طوبى- محمد مهدي الحائري، منشورات المكتبة الحيدرية- النجف، ط5، 1385هـ.

٣٩؛ شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة ، د خليل عبد الكريم ، سينا للنشر – القاهرة ، ط2، 1998 م .

٤٠؛ الشذا الفياح لإبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان الأبناسي، تحقيق : صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد – الرياض – السعودية، ط1: 1418هـ - 1998م.

٤١؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير - دمشق ، ط1406،1هـ.

٤٢؛ شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، السيد نور الله الحسيني المرعشي، تحقيق :شهاب الدين النجفي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي –قم .

٤٣؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة - الرياض، 1402هـ

٤٤؛ شرح الأخبار في مناقب الأئمة الأطهار للقاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي(ت 363هـ)، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي –قم.

٤٥؛ شرح التفتازاني لسعد الدين مسعود بن عمر على متن العقائد للنسفي (ت 719هـ) وبهامشه حاشية مصلح الدير مصطفى الكستلي (ت 901 هـ) للناشر شركت صحافيه عثمانيه (أحمد جودت وشركاسي) ط2 1320هـ درسعادت.

٤٦؛ شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت –1416هـ - 1996م .

٤٧؛ شرح الكوكب المنير - لابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط2- 1418هـ - 1997 م.

٤٨؛ شرح المقاصد في علم الكلام لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية - باكستان ،ط1: 1401هـ - 1981م

٤٩؛ شرح النووي على صحيح مسلم- أو المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج- لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي- دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط2، 1392هـ

٥٠؛ شرح سنن أبي داود–لبدر الدين العيني،تحقيق : أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ، مكتبة الرشد – الرياض،ط 1 ، 1420 هـ -1999 م

٥١؛ شرح صحيح البخاري لابن بطال - تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض ط:2- 1423هـ/2003م

٥٢؛ شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: د. نور الدين عتر، دار العطاء- الرياض، ط 4: 1421 هـ/2001م.

٥٣؛ شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن، أب و حفص عمر بن أحمد ابن عثمان بن شاهين، تحقيق: عادل بن محمد، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 1415ه/1995م.
٥٤؛ شرح مسند أبي حنيفة – تحقيق: الملا علي القاري–الشيخ خليل محيي الدين الميس، دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٥؛ شرح مشكل الآثار– للطحاويّ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1415 ه، 1494 م.
٥٦؛ شرح منهاج الكرامة للعلامة الحلي، شرح: علي الميلاني– معاصر– طبعة سنة 1417ه
٥٧؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي .
٥٨؛ الشريعة– لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: 360ه)، تحقيق: د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن – الرياض / السعودية،ط2، 1420 هـ– 1999 م
٥٩؛ الشعر في العصر الأمويّ، د غازي طليمات وعرفان الأشقر، دار الفكر–ط1: 1429ه/2008م.
٦٠؛ الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري (ت: 276ه)، دار الحديث ، القاهرة، سنة 1423ه
٦١؛ الشعوبيّة وأثرها الاجتماعي والسياسيّ في الحياة الإسلاميّة في العصر العباسيّ الأوّل. د. زاهية قدّورة، المكتب الإسلاميّ– بيروت– ط1: 1408ه/1988م.
٦٢؛ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في فضائل أهل البيت– عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني–تحقيق: محمد باقر محمودي– مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابع لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي– ط1– 1411ه
٦٣؛ الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ، هاشم معروف الحسني ، دار النشر للجامعيين ، ط1، 1964م .
٦٤؛ الشيعة هم أهل السنة – محمد التيجاني، مؤسسة أنصاريان– قم – إيران
٦٥؛ صبح الأعشى في كتابة الإنشا، تأليف: القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، دار النشر: وزارة الثقافة – دمشق – 1981م، تحقيق: عبد القادر زكار
٦٦؛ الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393ه)، دار العلم للملايين– بيروت ، ط4 – يناير 1407ه.–1990م.
٦٧؛ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط3، 1418ه – 1997م
٦٨؛ صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، تحقيق: د. مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، ط3– 1407ه – 1987م.
٦٩؛ صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392ه.
٧٠؛ صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، توزيع دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٧١ الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) (مدخل لدراسة السيرة والتاريخ) السيد جعفر مرتضي العاملي، دار الهادي – بيروت، دار السيرة – بيروت – ط4، 1415 هـ- 1995 م
٢٧٢ صحيح وضعيف تاريخ الطبريّ- محمد بن طاهر البزرنجي- بإشراف ومراجعة المحقق محمد صبحي حسن حلّاق ، دار ابن كثير – دمشق- بيروت، ط1: 1428هـ/2007م
٢٧٣ الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم – علي بن يونس العاملي (ت877هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي ، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، ط1، 1384هـ.
٢٧٤ صفة الصفوة- عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق : محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة – بيروت، ط2، 1399هـ – 1979م.
٢٧٥ الصلة بين التصوف والتشيع – كامل مصطفى الشيبي- دار الأندلس-بيروت سنة1982م.
٢٧٦ الصوارم المهرقة في نقد الصواعق المحرقة ، شهيد نور الله التستري ، تحقيق: جلال الدين المحدث، المطبعة :نهضت –تهران . (د . ط) .
٢٧٧ الصواعق المحرقة في الرد على أهل الرفض والضلال والزندقة ، أبو العباس أحمد بن حجر الهيتمي ، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1997م،
٢٧٨ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة – الرياض، ط3، 1418هـ – 1998م.
٢٧٩ ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط10 .
٢٨٠ الضعفاء الكبير لأبي جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، دار المكتبة العلمية – بيروت ، ط1، 1404هـ – 1984م .
٢٨١ الضعفاء الكبير، أو ضعفاء العقيليّ، أبي جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية – بيروت، ط1، 1404هـ – 1984م.
٢٨٢ الضعفاء والمتروكين، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق : محمود إبراهيم زايد، دار الوعي – حلب ط1، 1369هـ .
٢٨٣ الضعفاء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني، تحقيق: الدكتور فاروق حماده، دار الثقافة بالمغرب، ط1، 1405هـ-1984م.
٢٨٤ ضوابط المعرفة وأصول المناظرة والاستدلال، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم —دمشق،ط5: 1419 هـ/1998م.
٢٨٥ ضِياع بني أميّة في عصر الخلافة، د. صفاء حافظ عبد الفتاح- كلية آداب بنها-1991م
٢٨٦ طبقات الشافعية الكبرى للسبكيّ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2- 1413هـ.
٢٨٧ طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب - بيروت ، ط1، 1407هـ.

٤٨٨ طبقات الفقهاء- لأبي إسحاق الشيرازي، هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم(ابن منظور)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط:1-1970م.
٤٨٩ الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر – بيروت.
٤٩٠ طبقات المفسرين – أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط1، 1997م.
٤٩١ طبقات خليفة،تحقيق: د.سهيل زكار، دار الفكر- بيروت- لبنان -1993م-1414هـ.
٤٩٢ طبقات فحول الشعراء، تأليف: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني — جدة.
٤٩٣ طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، لعلي البروجردي، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي- قم، ط1، 1410هـ.
٤٩٤ الطريق إلى مذهب أهل البيت- أحمد راسم النفيس، مركز الغدير للدراسات الإسلامية—قم، ط1-1418هـ
٤٩٥ ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي- د. سفر الحوالي وهي رسالة دكتوراة مقدمة في جامعة أم القرى في مكة المكرمة -دار الكلمة، ط 1، 1420 هـ / 1999 م
٤٩٦ ظفر الأماني بشرح مختصر السيد الجرجاني في مصطلح الحديث، للشيخ محمّد اللكنوي الهندي، تحقيق: خليل المنصور- دار الكتب العلمية- بيروت،ط1، 1418هـ-1998م
٤٩٧ العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، لمحمد حامد الناصر ، مكتبة الكوثر — الرياض .
٤٩٨ العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين وآخرين، دار الكتاب العربي- بيروت، ط 2: سنة 1359هـ/1960م.
٤٩٩ العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر، د محمد سعيد رمضان البوطي، منشورات جامعة دمشق ، ط6 ، 1419-1420هـ/1998-1999م .
٥٠٠ عقيدة أهل السنّة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر بن علي الشيخ — مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الثالثة- 1421هـ/2000م.
٥٠١ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 1403هـ
٥٠٢ العلل الواردة في الأحاديث النبوية- الدارقطني -دار طيبة الرياض، ط1140 هـ - 1985م.
٥٠٣ العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس ، دار النشر: المكتب الإسلامي ، دار الخاني - بيروت ، الرياض — ط1: 1408هـ - 1988م.
٥٠٤ علم التاريخ ومناهج المؤرخين ، صائب عبد الحميد ، الغدير — بيروت ، ط1، 1421هـ/2001م .
٥٠٥ علوم الحديث لابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ، تحقيق نور الدين عتر ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، ط2، 1972م.
٥٠٦ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (ت 828 هـ)،

تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف، طبعة عام1380هـ - 1961 م
٢٠٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت
٢٠٨- عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين ، عبد الستار الشيخ، دار القلم – دمشق.
٢٠٩- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ، أبو بكر بن العربي المالكي ، مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة السادسة ،1412هـ .
٢١٠- عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام - يحيى هاشم فرغل في كتابه- مجمع البحوث الإسلامية- الأزهر- عام1972م
٢١١- عيون الأثر لابن سيد الناس - مؤسسة عز الدين – طبعة عام1406هـ.
٢١٢- الغاية في شرح الهداية في علم الرواية للسخاوي على ابن الجزري ، تحقيق: أبو عائش عبد المنعم إبراهيم ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث -ط1: 2001م،
٢١٣- الغدير – الشيخ عبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي- بيروت-طبعة عام1379هـ
٢١٤- غروب الأندلس و شجرة الدر - دراسة نقدية وتطبيقية مبسطة للمسرحية الشعرية والقصة التاريخية.. الدكتور عبد الكريم الأشتر - المكتبة الحديثة بدمشق. ط1 سنة1965م.
٢١٥- غريب الحديث، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق : د.عبدالمعطي أمين قلعجي،ط1، 1985م
٢١٦- الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق، لعبد الحسين الشبستري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، ط 1 ، عام : 1418 هـ
٢١٧- الفائق في غريب الحديث ،محمود بن عمر الزمخشري ،تحقيق : علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – لبنان ، ط2.(د.ت) .
٢١٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، تصحيح محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت ،1379هـ .
٢١٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبليّ، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، ط1: 1416هـ/1996م .
٢٢٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، دار الفكر – بيروت.
٢٢١- فتح المغيث شرح ألفية الحديث ،شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، دار الكتب العلمية - لبنان ، ط1، 1403هـ.
٢٢٢- الفتنة ووقعة الجمل، أحمد راتب عرموش، طباعة دار النفائس ، ط7 1413هـ - 1993م
٢٢٣- فتوح البلدان- للبلاذريّ، مطبعة لجنة البيان العربي- القاهرة.
٢٢٤- فتوح البلدان، تأليف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق: رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية – بيروت – 1403هـ.
٢٢٥- فتوح الشام، تأليف: أبو عبد الله بن عمر الواقدي، دار النشر: دار الجيل – بيروت

٢٦- فتوح مصر وأخبارها- لابن عبد الحكم بن أعين القرشي ، تحقيق : محمد الحجيري ، دار الفكر – بيروت، ط 1، 1416هـ/1996م
٢٧- فجر الإسلام – أحمد أمين، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة العاشرة، عام1969م
٢٨- الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي، د حسين عطوان– دار الجيل: 1986م.
٢٩- فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي، تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة.
٣٠- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، عبد القاهر البغدادي ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط 5 ، 1402هـ /1982م .
٣١- الفروق اللغوية – لأبي هلال العسكري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: جامعة المدرسين–قم، ط1- 1412هـ.
٣٢- الفروق- لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ، تحقيق: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط1- 1418هـ - 1998م.
٣٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد ، مكتبة الخانجي – القاهرة
٣٤- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق:فؤاد السيد، الدار التونسيّة للنشر، طبعة عام1974م.
٣٥- فقه السيرة النبوية ، د محمد رمضان البوطي ، دار الفكر – دمشق ، ط10 ، 1411هـ/1991م.
٣٦- الفقهاء والخلافة في العصر الأموي ، د حسين عطوان ، دار الجيل – بيروت ، ط1، 1411هـ/1991م .
٣٧- الفقيه والمتفقه، لخطيب البغدادي ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة 1417هـ.
٣٨- الفكر السياسي عند المعتزلة ، د نجاح محسن ، دار المعارف– القاهرة.
٣٩- الفكر الشيعي و النزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري ، كامل مصطفى الشيبي ، مكتبة النهضة بغداد ، ط1، 1386هـ/1966م.
٤٠- الفهرست، لمحمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة - بيروت –1398هـ/ 1978م.
٤١- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط3، 1407هـ، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي
٤٢- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط1- سنة 1973م.
٤٣- في مذاهب الإسلامين ، د عامر النجار ، دار المعارف – القاهرة ،1995 م .
٤٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي- تحقيق: أحمد عبد السلام- دار الكتب العلمية بيروت – لبنان- ط:1- 1415 هـ - 1994 م
٤٥- القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة – بيروت،

٤٦- قراءة في المسار الأموي لمروان خليفات – مركز الغدير للدراسات – قم – ط1 –1419هـ.
٤٧- قرى الضيف، لعبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ، تحقيق : عبدالله بن حمد المنصور، دار أضواء السلف – الرياض، ط1، 1997م.
٤٨- قصة الحضارة. وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: 1981 م)، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: 1408 هـ – 1988 م.
٤٩- قفو الأثر في صفوة علوم الأثر، لرضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب،ط2، 1408هـ.
٥٠- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لمحمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط1: 1399هـ – 1979م
٥١- القواعد النورانية الفقهية– لابن تيمية ، تحقيق: محمد حامد الفقي،دار المعرفة/ بيروت: 1399هـ.
٥٢- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تأليف: محمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو – جدة، ط1، 1413هـ – 1992م.
٥٣- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط2، 1415هـ.
٥٤- الكامل في اللغة و الأدب ، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى : 285هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ط3: 1417 هـ/ 1997 م.
٥٥- الكامل في ضعفاء الرجال ، ابن عدي الجرجاني ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر – بيروت ، ط3، 1409هـ – 1988م.
٥٦- كتاب"الروضتين في أخبار الدولتين النوريّة والصلاحيّة "، شهاب الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل بن إبراهيم المقدسيّ الدمشقيّ، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1418هـ/ 1997م.
٥٧- كتاب الأمّ للشافعي مع مختصر المزني – دار الفكر – بيروت، ط21403هـ/1983م.
٥٨- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي – لبنان، ط4، 1403هـ- 1983م
٥٩- كتاب الخراج لأبي يوسف ، دار المعرفة – بيروت .
٦٠- كتاب الفتن–لنعيم بن حماد المروزي، تحقيق : سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد – القاهرة،ط1، 1412هـ.
٦١- كتاب الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1419هـ – 1998م.
٦٢- كتاب المتوارين لعبد الغني بن سعيد الأزدي أبو محمد، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت،ط1: 1410هـ.
٦٣- كتاب المنمق في أخبار قريش، لمحمد بن حبيب البغدادي، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق عالم الكتب بيروت، تصوير طبعة حيدرآباد الهند.

٦٤- كتاب سليم بن قيس الهلالي ، تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني ، نشر الهادي –قم ، ط1.
٦٥- كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها- عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني- ط 1 / 1422 هـ – 2002 م
٦٦- الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،لمحمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت
٦٧- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية - بيروت -1418هـ - 1997م
٦٨- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، دار الكتب العلمية - بيروت - 1413هـ - 1992م .
٦٩- كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن- الرياض – 1418هـ - 1997م
٧٠- الكفاية في علم الرواية ، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي ، تحقيق : أبو عبدالله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية - المدينة المنورة.
٧١- كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 1419هـ-1998م
٧٢- الكنى والأسماء، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم- بيروت/ لبنان ، ط1، 1421 هـ - 2000م.
٧٣- الكنى والأسماء، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري ، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ، ط1، 1404هـ.
٧٤- كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟- محمد قطب، دار الوطن السعودية، ط1، 1412هـ.
٧٥- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، السُّيوطي، جلال الدين، دار الكتب العلمية- بيروت.
٧٦- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط1.
٧٧- لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق : دائرة المعرف النظامية - الهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ، ط2، 1406هـ/ 1986م .
٧٨- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ا بن رجب الحنبلي (ت: 795هـ)، دار ابن حزم ، ط1، 1424هـ/2004م
٧٩- مآثر الإنافة في معالم الخلافة - أحمد بن عبد الله القلقشندي - تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، عالم الكتب –بيروت.
٨٠- مبادئ الوصول- للحلي ، تحقيق:عبد الحسين محمد بقال، مكتب الإعلام الإسلامي- قم.
٨١- المتناثر من الحديث المتواتر لشيخ محمد جعفر الكتاني ، دار الكتب السلفية للطباعة والنشر-مصر، ط2.
٨٢- مجاز القرآن لأبي عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، دار الفكر، ط2، 1970م
٨٣- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوع ي،

حلب، ط1، 1396هـ-1976م.

٨٤- مجلة المنار، لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر العدد 10 .

٨٥- مجلة عالم الفكر- مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والآداب- الكويت، العدد 4- المجلد 38- سنة 2010م

٨٦- مجمع الأمثال، تأليف: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت.

٨٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الفكر، بيروت - 1412هـ.

٨٨- مجموع الفتاوى أو كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط2.

٨٩- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء - أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، دار القلم - بيروت - 1420هـ- 1999م، تحقيق: عمر الطباع.

٩٠- المحبّر ، لمحمد بن حبيب البغدادي ، تحقيق: محمد حميد الله ،طبعة 1361هـ.

٩١- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي ، تحقيق : د. محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر - بيروت،ط3، 1404هـ.

٩٢- مختصر تاريخ نيسابور،لأبي عبد الله الحاكم، اختصار: أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد المعروف بالخليفة النيسابوري، الناشر: كتابخانة ابن سينا - طهران، عرّبه عن الفرسية: د/ بهمن كريمي ـــ طهران

٩٣- مخطوط فريد من مكتبة مدرسة أبي حنيفة - بغداد، تحقيق د. عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت.

٩٤- المراجعات ، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، تحقيق حسين الراضي ، الجمعية الإسلامية، ط2،1402 هـ / 1982م .

٩٥- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 1422هـ - 2001م.

٩٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي علي بن الحسين، تحقيق : شارل يلا ، منشورات الجامعة اللبنانية - بيروت، سنة 1973م.

٩٧- المزهر في علوم اللغة للسيوطي ،تحقيق : فؤاد علي منصور ،دار الكتب العلمية - بيروت-ط1، 1998م.

٩٨- مسألة الإمامة والوضع في الحديث عند الفرق الإسلامية، لمحسن عبد الناظر، الدار العربية للكتاب - طبعة عام 1983م.

٩٩- مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام ، زين الدين بن علي العاملي الشهيد الثاني،مؤسسة المعارف الإسلامية - قم ، ط1، 1413هـ.

١٠٠- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل - الميرزا النوريّ- تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث،ط 2: 1409هـ

٤٠١ المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م.
٤٠٢ المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ، دار الكتب العلمية– بيروت، ط2-1987م.
٤٠٣ مستند الشيعة في أحكام الشريعة / أحمد بن محمد مهدي النراقي ، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت – عليهم السلام – لإحياء التراث – مشهد – ط 1 – ربيع الأول 1415هـ . المطبعة : ستارة – قم
٤٠٤ مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق : حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق ، ط1، 1404هـ – 1984م
٤٠٥ مسند إسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان – المدينة المنورة ، ط1- 1412 هـ - 1991م.
٤٠٦ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، وآخرون، إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ - 2001 م
٤٠٧ مسند البزار (البحر الزخار) ، أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم سنة النشر 1409هـ.
٤٠٨ مسند الحميدي، لعبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي، دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي – بيروت ، القاهرة ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
٤٠٩ مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، مؤسسة الرسالة – بيروت،ط2، 1407هـ – 1986م.
٤١٠ مشاهير علماء الأمصار، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية – بيروت ، طبعة سنة 1959م.
٤١١ مصادر التاريخ الإسلاميّ ومناهج البحث فيه، د. سيدة كاشف ، دار الرائد العربي –بيروت –لبنان – 1403هـ/1983م
٤١٢ مصر في فجر الإسلام للدكتورة سيدة كاشف – دار الفكر العربي– طبعة سنة 1947م
٤١٣ مصطلح التاريخ، أسد رستم ، المكتبة العصرية– بيروت، ط3.
٤١٤ مصنف عبد الرزاق بن همّام الصنعانيّ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط2، 1403هـ
٤١٥ المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض ، ط1، 1409هـ .
٤١٦ مطارحات في الفكر والعقيدة– مركز الرسالة– مطبعة: ستارة، ط1، عام 1418هـ .
٤١٧ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة/ دار الغيث – السعودية، ط1 ، 1419هـ.
٤١٨ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول– حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق : عمر بن محمود أبو

عمر، دار ابن القيم – الدمام، ط1، 1410هـ - 1990م.

١٩: المعارف، تأليف: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف - القاهرة.

٢٠: معالم المدرستين، لمرتضى العسكري، مؤسسة النعمان- بيروت- طبعة عام1410هـ/1990م

٢١: معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين ﷺ- كشف شبهات ورد مفتريات شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين - الإسكندرية، مكتبة الأصولي - دمنهور، مكتبة دار العلوم - البحيرة (مصر)

٢٢: معاوية بن أبي سفيان- صحابي كبير وملك مجاهد لمنير محمد الغضبان ،دار القلم- دمشق، ط 3: 1417هـ/1996م.

٢٣: معاوية بن أبي سفيان–شخصيّته وعصره، د علي محمد محمد الصلابي –دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1429هـ/ 2008 م.

٢٤: المعتزلة، زهدي جار الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط6، 1410هـ /1990م .

٢٥: معجم ابن الأعرابي- أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي (ت: 340هـ)- تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1418 هـ - 1997 م

٢٦: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411 هـ - 1991م

٢٧: المعجم الأوسط للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين - القاهرة ، 1415 هـ .

٢٨: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت

٢٩: معجم الصحابة، لأبي القاسم البغويّ عبد الله بن محمد (ت: 317هـ)، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت، ط 1، 1421 هـ - 2000 م

٣٠: المعجم الكبير للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم ــ الموصل ، ط2، 1404هـ- 1983م..

٣١: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، د عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٢: المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة – استنانبول ، ط3.

٣٣: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، أبو القاسم الموسوي الخوئي، تحقيق : لجنة التحقيق ،ط 5، 1413هـ - 1992 م .

٣٤: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، تحقيق : مصطفى السقا، عالم الكتب – بيروت،ط3، 1403هـ.

٣٥: معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: 430هـ)، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر – الرياض، ط 1، 1419 هـ - 1998 م

٣٦: معرفة علوم الحديث- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : السيد معظم حسين ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1397هـ – 1977م.
٣٧: المعرفة والتاريخ- أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ، المحقق : د أكرم العُمَري ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط 1 ، 1981م.
٣٨: المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان الفسوي ، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية – بيروت – 1419هـ/ 1999م.
٣٩: مغازي الواقدي – محمد بن عمر الواقدي – تحقيق: مارسدن مونس- عالم الكتب –بيروت.
٤٠: مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1427 هـ- 2006 م
٤١: المغرب في ترتيب المعرب- لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، تحقيق : محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد – حلب، ط1، 1979م.
٤٢: مغني اللبيب – لابن هشام عبد الله بن يوسف الأنصاري (ت 761 هـ): تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . (د.ط) .
٤٣: المغني في أبواب التوحيد والعدل، الهمداني، عبد الجبار بن أحمد (ت415هـ)، تحقيق عبد الكريم عثمان، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م
٤٤: المغني في الضعفاء، تأليف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر
٤٥: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ، دار الفكر – بيروت،ط1، 1405هـ
٤٦: المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير، السيد أحمد بن الصديق الغماري، دار العهد الجديد، القاهرة.
٤٧: المفضليّات – للضبي المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ، تحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون . دار المعارف- مصر، ط2،1952م
٤٨: مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ت 356 هـ ، تحقيق: كاظم المظفر ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر- قم ، ط2 ، 1385 هـ – 1965 م
٤٩: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط1، 1369هـ/1950 م .
٥٠: مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون – طبعة اتحاد الكتاب العرب1423هـ/2002م.
٥١: مقتل الحسين، تحقيق: الحاج ميزا حسن الغفاري، مكتبة العامة للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي، المطبعة العلمية- قم، سنة1398هـ.
٥٢: مقدمة ابن الصلاح – مكتبة الفارابي-ط 1، عام1984 م
٥٣: مقدّمة في التاريخ الاقتصادي العربي، عبد العزيز الدوري، بيروت -1969م .

٥٤: مكّة للأزرقي- لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق: رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس للنشر - بيروت -1996م- 1416هـ
٥٥: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - بيروت ، 1404هـ.
٥٦: من تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي والعصر الإسلامي " للدكتور طه حسين، دار العلم للملايين — بيروت ط1- 1970م.
٥٧: مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المطبعة الحيدرية- النجف، سنة 1376هـ
٥٨: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر — لبنان، ط1، 1416هـ- 1996م.
٥٩: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر — بيروت ، ط1، 1358هـ.
٦٠: المنجد في الأعلام -تأليف مجموعة من المؤلفين- دار المشرق- بيروت، ط 19 -1992م- مطبوع في مجلد واحد مع المنجد في اللغة- بعنوان المنجد في اللغة والأعلام.
٦١: منظومة أمهات المتون- إعداد يوسف علي بديوي، مكتبة دار الفجر-دمشق-1425هـ/2002م.
٦٢: منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة ، ط1 -1406 هـ .
٦٣: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ، العلامة الحلي ، تحقيق : الأستاذ عبد الرحيم مبارك ، مؤسسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث الإسلامية - لجنة المعارف الإسلامية، الناشر: انتشارات تاسوعاء، طبع وتجليد : الهادي - قم ، ط1.
٦٤: منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، محمد بن صامل العلياني السلمي ، دار طيبة — الرياض ، ط 1 1406هـ/1986م .
٦٥: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق : د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر — دمشق،ط2، 1406هـ.
٦٦: المنية والأمل لعبد الجبار الهمذاني، تحقيق: عصام الدين محمد علي، دار المعرفة الجامعية، سنة1985م.
٦٧: المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - لبنان - بيروت — ط1: 1417هـ - 1997م.
٦٨: الموسوعة الفقهية الكويتية ، مطابع دار الصفوة ، ط1، 1414 هـ/1994 م .
٦٩: الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق: محمود أحمد القيسية، مؤسسة النداء- أبوظبي، ط2- 1423هـ/2002م
٧٠: موطأ الإمام مالك، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي — مصر.
٧١: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد ، تحقيق: علي محمد معوض و عادل أحمد عبدالموجود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 1995م.
٧٢: ناسخ الحديث ومنسوخه ، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين ،تحقيق : سمير بن أمين الزهيري ،

مكتبة المنار – الزرقاء،ط1، 1408هـ – 1988م.
٧٣: النجاة في القيامة – ابن ميثم بن علي بن ميثم البحراني، مجمع الفكر الإسلامي – قم، المطبعة : مؤسسة الهادي ، ط 1 / ربيع الثاني 1417هـ – قم .
٧٤: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، نشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر
٧٥: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، لابن حجر العسقلاني،الناشر : دار إحياء التراث العرب – بيروت – ضمن كتاب سبل السلام.
٧٦: النزاع والتخاصم بين بني أميّة وبني هاشم، للمقريزيّ،تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف– القاهرة.
٧٧: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني ، تحقيق: أ.د نور الدين عتر، دار الخير –دمشق ،ط2،1414هـ/1993م.
٧٨: نسب عدنان وقحطان، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتيّ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة1354هـ/1936م.
٧٩: نسب قريش، للزبيري،تحقيق:إ. ليفي بروفنسال– دار المعارف– القاهرة– ط3.
٨٠: النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة ، علاء الدين المدرس ، مؤسسة المختار – القاهرة ، ط 1، 1426هـ/2005م.
٨١: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام– علي سامي النشار، دار المعارف، القاهرة، ط 7، 1978م.
٨٢: النص والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، تحقيق:أبو مجتبى، مطبعة سيد الشهداء، ط 1: 1404هـ
٨٣: النصائح الكافية ، محمد بن عقيل العلوي ت 1305هـ، تحقيق: غالب الشابندر ، مؤسسة الفجر لبنان– بيروت ، ط1، 1412هـ/1991م.
٨٤: نظام الحكومة النبويّة (المسمى بالتراتيب الإدارية) لمحمد عبد الحيّ الكتاني– تحقيق:د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم – بيروت، ط2 .
٨٥: نظم العقيان في أعيان الأعيان، لجلال الدين السيوطي،المكتبة العلمية – بيروت
٨٦: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمد بن جعفر الكتاني أبو عبد الله، تحقيق: شرف حجازي ، دار الكتب السلفية – مصر.
٨٧: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت – لبنان–1388هـ
٨٨: نقد الرجال ، مصطفى التفريشي ،تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط 1 – شوال 1418 هـ ،المطبعة : ستارة – قم .
٨٩: النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم أبي عبد الله ، العكبري ، دار المفيد – بيروت ، ط2،1414 هـ – 1993م.

٤٩٠ النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي. تحقيق : د. زين العابدين بن محمد بلا فريج ، أضواء السلف – الرياض،ط1، 1419هـ - 1998م.
٤٩١ نهاية الأرب في فنون الأدب – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري- تحقيق : مفيد قمحية وجماعة- دار الكتب العلمية - بيروت ، ط 1، 1424 هـ / 2004م.
٤٩٢ نهاية الدراية للسيد حسن الصدر- تحقيق: ماجد الغرباوي، المطبعة اعتماد، الناشر: المشعر
٤٩٣ النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979م.
٤٩٤ نهج الإيمان ، علي بن يوسف بن جبر، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، نشر : مجتمع إمام هادى عليه السلام - مشهد ، طبع : ستاره – قم ، ط1، 1418 هـ.
٤٩٥ نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب ، جمعه الشريف الرضي ، تقديم وشرح محمد عبده ، مؤسسة المختار القاهرة ، ط1، 1427هـ/2006م .
٤٩٦ نهج البلاغة بما ثبت نسبته إلى الإمام علي ، تحقيق: د صبري إبراهيم السيد ، دار الثقافة – قطر 1986/1406 م .
٤٩٧ نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ -للحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل - بيروت - 1992م.
٤٩٨ نواسخ القرآن-لابن الجوزي - دار الكتب العلمية – بيروت،ط1، 1405هـ
٤٩٩ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، محمد بن علي الشوكاني ، حققه عصام الدين الصّبابطي، دار الحديث - القاهرة ، ط5 ، 1418هـ/1998م .
٥٠٠ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغداديّ ، دار إحياء التراث العربي – لبنان- بيروت، أوفست عن طبعة استانبول سنة1951م.
٥٠١ الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت –1420هـ- 2000م.
٥٠٢ الواقدي وكتابه المغازي منهجه ومصادره، للدكتور عبد العزيز بن سليمان بن ناصر السلومي ط 1: 1425هـ-2004م مطبوعات الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة- وهي رسالة دكتوراة.
٥٠٣ وركبت السفينة،مروان خليفات، الغدير –بيروت، ط3- 1424هـ/ 2003م.
٥٠٤ وضوء النبي ﷺ- لعلي الشهرستاني - المطبعة: ستاره- قم، ط1: 1415هـ.
٥٠٥ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، دار الثقافة - لبنان، تحقيق: إحسان عباس.
٥٠٦ وقعة صفين ، نصر بن مزاحم المنقري ت212هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ،منشورات مكتبة المرعشي النجفي رقم بيكران ، ط2، 1382 هـ .
٥٠٧ اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: المرتضي الزين أحمد ، مكتبة الرشد - الرياض ، ط1- 1999م.

المراجع الأجنبيّة

Introduction To Islamic Theology And Law, Goldziher, Ignas .Princeton University Press, Princeton, 1981, P86.,	.١

سابعًا– فهرس الموضوعات

الفهارس 534